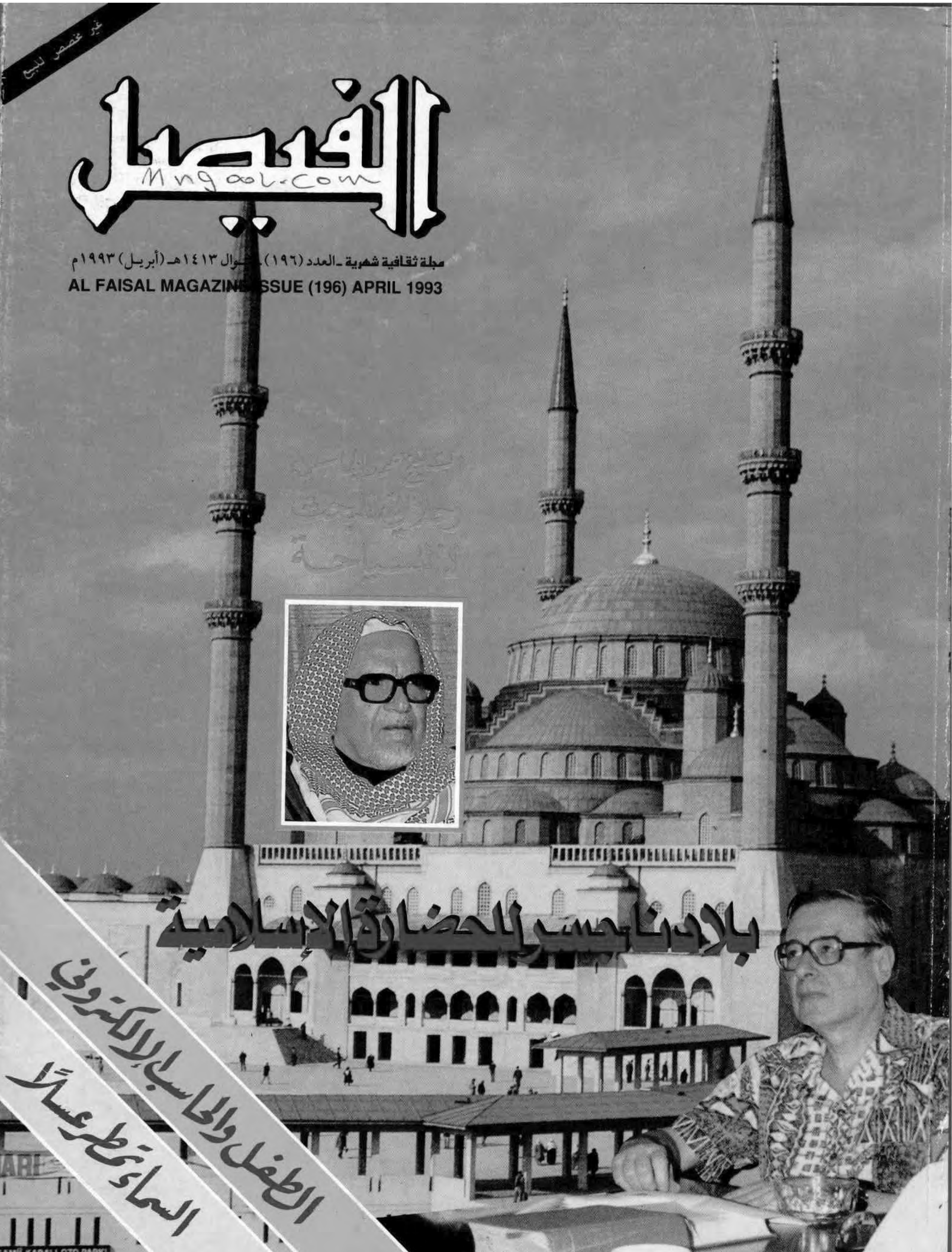
الفيصل

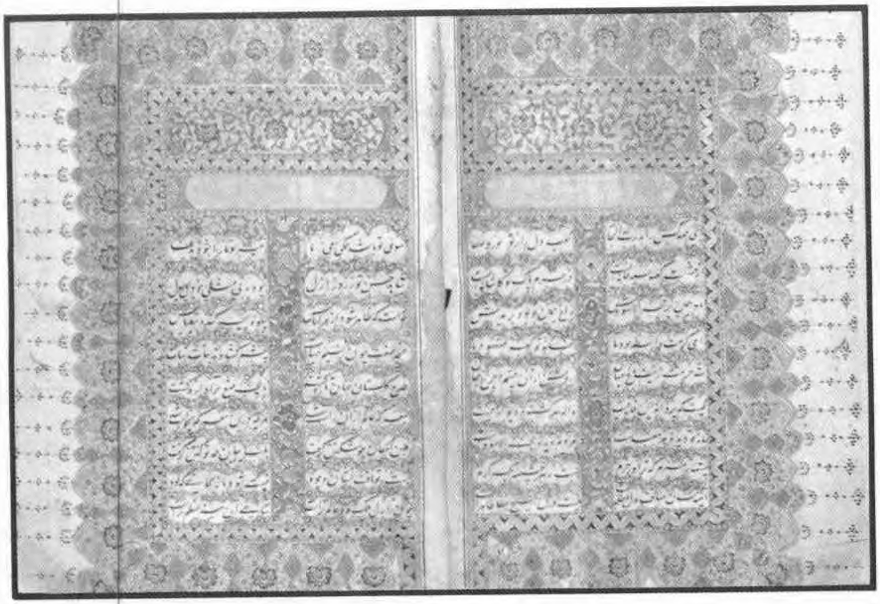
مجلة ثقافية شهرية - العدد (١٩٦) شوال ١٤١٣هـ (أبريل) ١٩٩٣م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (196) APRIL 1993

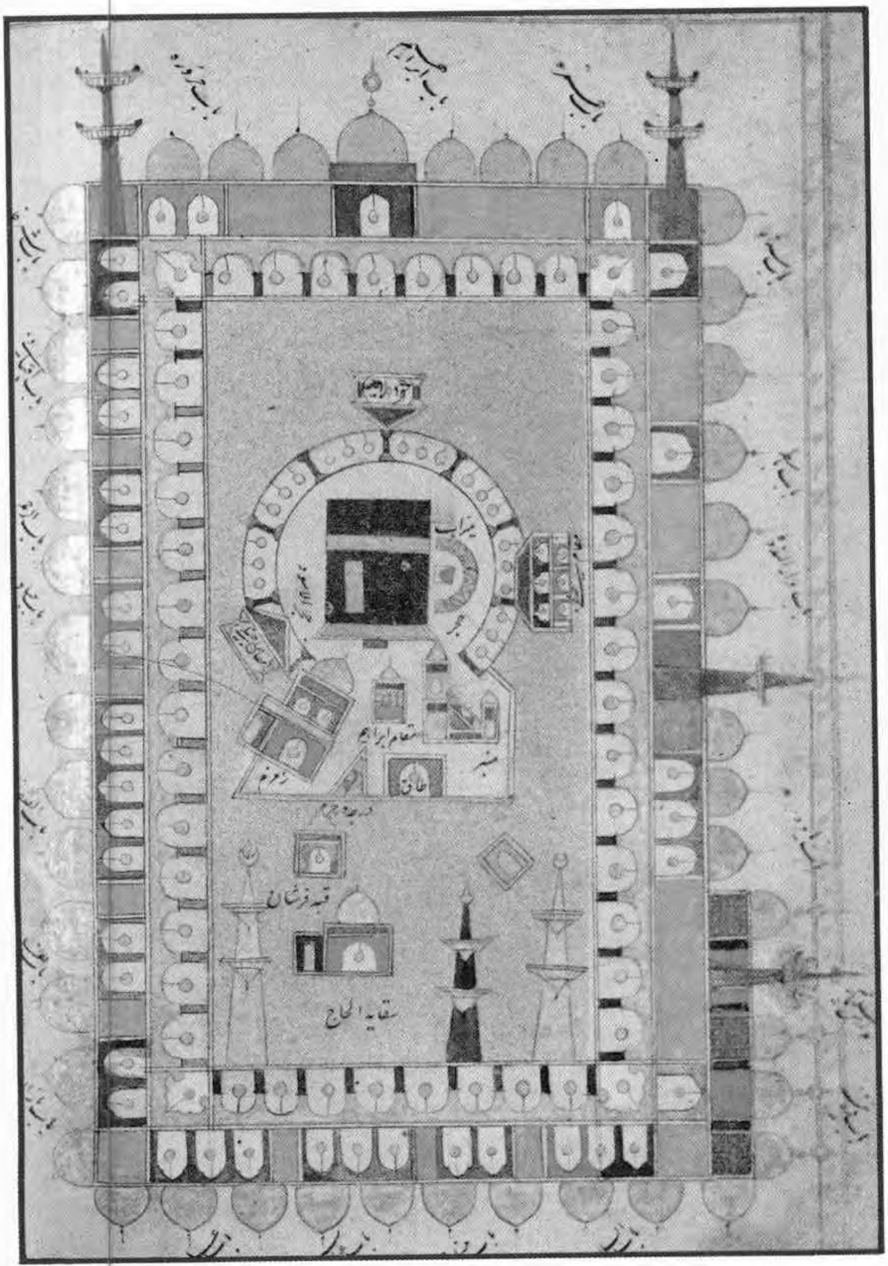


بلادنا جسر للحضارة الإسلامية

الطفل والحاسب الإلكتروني

السماء تمطر عسلاً





إطلالة

التقنية سلاحًا لـ«الآخر»!

لا يُنكر منصف أن هويتنا الثقافية، ومن ثمّ شخصيتنا المسلمة التي اختصها الله بحمل رسالته، تتعرض لهجمات شرسة في صور متعددة، أبسط ضروبها: البقاء أو ـ لا قدّر الله ـ الفناء!

وكثيرة هي الطرائق المتعددة المغلّفة بمسميات حضارية والتي تستهدف مجتمعاتنا بقيمها وخصوصياتها وثقافتها المتميزة وثوابتها الفكرية، وما «التقنية» إلا إحدى وسائل هذه الهجمات التي تبطن غير ما تُظهر، خاصة إذا وجدت ـ التقنية ـ فراغًا وخواءً فكريا يتيح لها اختراق ثقافتنا وإحلال ثقافة وافدة بديلة محلها، فوقتها ـ وهذا مكمن الخطر ـ تتحول التقنية من تطبيق عملي للبحث والتفكير العلمي لما ينتجه العقل البشري في مجال الثقافة المادية، وما يرتبط بها من معارف ومهارات وخبرات في سبيل خدمة الإنسان وتحسين استخدامه واستيعابه وتكييفه للموارد البشرية والطبيعية والمادية في هذا العالم؛ تتحول إلى وسائل هيمنة لـ«الآخر» الوافد، تحمل فكره وتنشر أفكاره وعاداته وتقاليده في مجالات حياتنا المختلفة وتعمل على صبغ هذه الحياة في جوانبها المتعددة صبغة أجنبية خدّاعة غريبة عن معاييرنا وثوابتنا وأصولنا الضاربة في عمق التاريخ. أما إذا وجدت التقنية مجتمعًا متماسكًا لا يعاني فراغا ثقافيا فلا يكون تأثيرها سلبيا، بل تتحول إلى «معينات» لهذا المجتمع على صعوده درجات الرقي والتقدم.

إن الخطر أن تتحول التقنية عندنا من تطبيقات لمخترعات واكتشافات وأدوات عمل مُعينة إلى ثقافة شاملة يصاحبها انهزام معنوي يفرض على كثيرين تقبلها بمدلولاتها الفكرية، ويصل حد الهزيمة عند هؤلاء إلى تبنيهم أن هذه التقنية ـ وحدها ـ أهم متطلبات التقدم والرقي واللحاق بركب الحضارة، ويصبح هؤلاء بتطبيقاتهم الحرفية لها تطبيقًا آليًا منقادين لـ«الآخر» الوافد.

فالتقنية ليست مجردة، بل تحمل مدلولاً ثقافيا والوعي بهذه الوسائل التي يستخدمها «الآخر» لسلب هويتنا وتفريغ ذواتنا والسيطرة علينا من داخلنا، حيث تحمل معها مدلولات ثقافية، يُعد مقدمة لمعرفة الذات، وهذا الوعي ضرورة للاحتفاظ بثوابتنا ووجودنا، وبالتالي عدم زحزحتنا من أماكننا تحت أي تأثير ووقتئذ ستنكسر كثير من الهجمات الشرسة التي تحاول التشكيك في هُويتنا والنيل من كياننا الشامخ الذي ميّزه الله برسالته.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

مجلة الفيصل العدد (١٩٦) ـ شوال ١٤١٣هـ ـ السنة (١٧) ـ نيسان (إبريل) ١٩٩٣م

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

ملاحظات عامة

- ☐ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
- ☐ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.
- ☐ أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم.
- ☐ حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.
- ☐ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.
- ☐ تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

الفيصل

● المراسلات
مجلة «الفيصل» ص. ب: (٣)
الرياض: ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية.
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ تلكس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية:
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٦٠٠ فلس ـ سلطنة عمان ٦٠٠ بيسة ـ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٦ ريالات ـ مصر ١٠٠ قرش ـ السودان ١٠٠ قرش ـ المغرب ٥ دراهم ـ تونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ١٠ ليرات ـ ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● **ALL CORRESPONDENCE TO:**

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● **EUROPE - AMERICA - ASIA:**

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● **ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:**

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

في هذا العدد



ص ٤٤ في نيبال يصبح القرويون بفرحة في موسم جني عسل النحل: السماء تمطر عسلاً!



ص ٥١ الشيخ حمد الجاسر يكشف للقراء ـ بانتهاء الحلقات ـ دوافع رحلاته حول العالم، في حديث أجراه في القاهرة إيهاب الحضري.



ص ٨٦ أ. د. حسن ظاظا يخص «الفيصل» بمقالة مهمة عنوانها «تخبط صهيوني» تتضمن حوارًا بينه وبين شاب يهودي، بدآه بمناقشة قضية الفلسطينيين المبعدين.



ص ٨٨ استخدام الطفل للحاسب الآلي ينمي قدراته ويمنحه فرصة التعبير عن ذاته في عالمه الخاص. مقالة علمية كتبها د. يوسف خليفة غراب.

إطلالة	د. زيد عبد المحسن الحسين	٣
ملف خاص (مقدمة)		٥
مالك بن نبي: من همّ الغربة إلى هموم الوطن		٦
معالم التكوين الفكري لمالك بن نبي		٨
المؤثرات الاجتماعية والثقافة في بناء شخصية مالك بن نبي	علي الإدريسي	١٠
مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي	د. عبد الله العويسي	١٤
ذكرياتي مع مالك بن نبي في مصر	د. عبد السلام الهراس	١٦
مالك بن نبي: المفكر القدوة	عبد الله عقيل العقيل	١٩
الإنسان في معادلة مالك بن نبي	نورة خالد السعد	٢١
مفهوم الديمقراطية في فكر مالك بن نبي	فضيل بومالة	٢٤
التميز الفكري عند مالك بن نبي	هيام الملقي	٢٨
ربط الأصالة بالفاعلية في مشروع مالك بن نبي	محمد يحياوي	٣١
إشكالية التخلف والمعادلة التنموية عند مالك بن نبي	د. عدنان باشا	٣٣
مالك بن نبي: شاهد على العصر	د. أبو بكر باقادر	٣٦
الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي	د. عبد الحليم عويس	٤٠
الشرق في عيون الغرب		٤٣
في نيبال: السماء تمطر عسلاً!		٤٤
الإشكالية الدينية المفتراة! (صداع العقول)	أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري	٤٨
هل هلالك	د. عبد الحميد إبراهيم	٤٩
صوت الجهاد (قصيدة)	أحمد عبد اللطيف	٥٠
لقاء مع الشيخ حمد الجاسر	أجراه: إيهاب الحضري	٥١
المجتمع الإسلامي والتفاعل الحضاري	د. أحمد عبد الرحيم السايح	٥٥
مدائن الفجر (قصيدة)	د. صابر عبد الدايم	٥٨
حوار مع المؤرخ التركي يلماز أورتونا	أجراه: د. عبد اللطيف بن محمد الحميد	٦٠
د. أندريه روماني: مهاجر إلى الله (الطريق إلى الله)		٦٤
طريق الهدى	الشيخ د. صالح بن سعد اللحيدان	٦٦
تجربتي مع القصة (من تجاربهم)	رفقي بدوي	٦٧
قراءة في ديوان «أشياء من ذات الليل»	د. حسين علي محمد	٧٠
من المكتبة السعودية		٧٢
صرخة مسلم (قصيدة)	محمود مفلح	٧٥
مأساة إنسانية اسمها: الأكراد	ترجمة: نجلاء حسن حامد	٧٦
الغدة الدرقية وتأثيرها على الجسم الإنساني	د. محمد هنيدي الحريري	٨٢
الفقمة في آخر خطوطها الدفاعية (حقائق وغرائب)		٨٤
تخبط صهيوني	د. حسن ظاظا	٨٦
الطفل والحاسبات الإلكترونية	د. يوسف خليفة غراب	٨٨
أهمية العلاج المبكر للحالات النفسية	د. حسان المالح	٩٠
بيرم التونسي: شعره العامي ظلم إبداعه الفصيح	محمد سلامة	٩١
عطر الأيام (قصة قصيرة)	عبد الرحمن شلش	٩٤
كذبة أبريل	د. محمد بن سعد الشويعر	٩٥
فاجنر وحركة التجديد في المسرح العالمي (من قضايا المسرح)	د. محمد أبو بكر حميد	٩٦
في سالف العصر (قصة قصيرة من البوسنة والهرسك)	ترجمة د. جمال الدين سيد محمد	٩٨
فن وإخلاص	صالح عبد العزيز السالم	٩٩
رياضة المعوقين	مجدي عبد العظيم يعقوب	١٠٠
دور الأب في تنشئة الأبناء (آفاق اجتماعية)	د. تماضر حسون	١٠٣
الزيّات: الوجه الآخر	عبد الحسيب الخِنّاني	١٠٤
لعينيك شعري (قصيدة)	فاروق عبد الحكيم دربالة	١٠٦
اليابان التي تستطيع أن تقول لا (نافذة على ثقافة الغرب) تأليف شينتارو إشيهارا، عرض وتقديم د. محمد عبد العليم مرسي		١٠٧
مجلات عربية (دائرة المعارف)	إعداد: محمد رضوان الأنظامي	١١٥
انتقام (قصة قصيرة)	خليل الفزيع	١٢٠
آفاق ثقافية	عبد الملك عبد الرحيم	١٢١
وفاض البوح رقراقًا (قصيدة)	عبد العال بدوي أحمد	١٢٢
مناقشات وتعليقات		١٢٣
استراحة العدد		١٢٦
أفلام	محمد علي الجفري	١٢٧
كتب وردت إلى المجلة		١٢٨
المسابقة		١٣٠
الصينيون لا يكتفون بعجيبة واحدة	إحسان كمال	١٣٣
الحركة الثقافية في شهر		١٣٤
الفكر العربي بين الثبات والانطلاق (على موعد)	مصطفى بلمشري	١٤٦

ملف العدد

مالك بن نبي



يُعد مالك بن نبي (١٩٠٥ - ١٩٧٣م) أحد المفكرين الإسلاميين الذين قدموا رؤاهم لنهضة بلادهم على هدي من القرآن الكريم للخروج من مأزق التخلف والتبعية، فاهتم بالوقت باعتباره ممرا يدخل المجتمع من خلاله أو يخرج من حركة التاريخ، وبالفعالية على أنها فهم جوهر الإنسان والتاريخ وعلاقتهما الواحد بالآخر، وبالحضارة على أنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع أن يوفر لكل فرد من أعضائه الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه.

وكان مالك بن نبي - يرحمه الله - مفكرًا تفهَّم عصره، فبقيت أعماله نابضة بالأصالة ومتوهجة بروح العصر.

شارك في الملف :

- علي الإدريسي
- د. عبد الله بن حمد العويسي
- د. عبد السلام الهراس
- عبد الله عقيل سليمان العقيل
- نوره خالد السعد
- فضيل بومالة
- هيام الملقي
- محمد يحياوي
- د. عدنان خليل باشا
- د. أبو بكر باقادر
- د. عبد الحليم عويس

ملف العدد

مالك بن نبي

مالك بن نبي:
من هم الغربة إلى هموم الوطن!

ولـد الأستاذ مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ بعاصمة الشرق الجزائري (قسنطينة) سنة ١٩٠٥ م من أب موظف بسيط وأم خياطة. انتقلت بـه عائلته إلى تبسّة؛ حيث ارتاد المدرسة القرآنية لمدة أربع سنوات بالتوازي مع المدرسة الفرنسية. ولكن مع بداية الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ م، انتقل ثانية إلى قسنطينة، ولكن جدته لم تستطع تحمل دلاله، فعادت به أمه إلى تبسة حيث دخل الإعدادية (لتحضير المرحلة الثانوية).

وكان متفوقا على أقرانه، فأعطي منحة لمواصلة الدراسة بقسنطينة، وهناك زاوج بين تأثير الأستاذ مارتن والشيخ عبد المجيد، فكانت له ثقافة كبيرة باللغتين العربية والفرنسية برغم صغر سنه.

بين عامي ١٩٢١ و١٩٢٢ م بدأت تبرز قوة شخصيته ودرجات وعيه المبكر وكذا خيالاته وأحلامه من خلال محاوراته ومسامراته الليلية مع مختلف المدرسين القادمين من مختلف أرجاء الوطن.

الاحتكاك بجميع الطبقات

في سنة ١٩٢٥ م، سافر إلى **مرسيليا وليون فباريس** بحثًا عن عمل مع أحد أصدقائه لكي يخفف عن نفسه وربما عن عائلته سغب العيش ولكن دون جدوى، فعاد إلى **الجزائر** حيث عمل في **تبسّة** كمساعد كاتب في المحكمة إلى أن عُيّن كاتبا رسميا في منطقة **آفلو**[1] **(وهران)**. وقد أتاح له عمله هذا الاحتكاك بمختلف الشرائح الاجتماعية أيام الاستعمار مما ساعده على تفسير ظواهر مختلفة فيما بعد.

تعرّف على **الشيخ عبد الحميد بن باديس** سنة ١٩٢٨ م أي قبل ثلاث سنوات من تأسيس **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، وذلك بعد عودته إلى **قسنطينة** ولكنه لم يكن مرتاحًا له لأنه كان يخفي «نوعًا من الحسد أو الغيرة تجاه الأسر الكبيرة التي كان **الشيخ ابن باديس** ينحدر منها» [2]. ولكنه عرف قيمة الرجل التربوية والإصلاحية بعد سبع سنوات من وفاته، (١٩٤٧ م).

ثم سافر مرة ثانية إلى **فرنسا** سنة ١٩٣٠ حيث حاول الدخول إلى **معهد الدراسات الشرقية**، لكن لم تُتَحْ له الفرصة لأنه جزائري. **والجزائري** يقيم سياسيًّا وليس علميًّا. ولم يفقد الأمل، فدخل **مدرسة اللاسلكي** وتخرج فيها **مهندسًا كهربائيا** سنة ١٩٣١، **وتزوج حينذاك فرنسية أسلمت واتخذت من خديجة اسمًا لها**. ولم تنجب له فتزوج ثانية بعد وصوله إلى مصر سنة ١٩٥٦ م.

فلسفة الغزالي

وخلال تغربه لم ينشغل عن السياسة وشؤون البلاد؛ حيث كان يتابع عن كثب حركات الإصلاح داخل الوطن وخارجه من خلال اللقاءات والمحاضرات التي كان يعقدها مع أصدقائه من **مصر والحجاز والمغرب العربي في باريس**، وهناك تعرف على **الشيخ محمد عبد الله دراز** الذي قدم له كتاب **(الظاهرة القرآنية)**[2] و**محمد بن الساعي الجزائري** الذي كان يدرس **بالسوربون** والذي عرفه بفلسفة **أبي حامد الغزالي**، كما تعرف على **الهادي النويرة ـ يرحمه الله ـ** الذي أصبح فيما بعد **وزير المالية التونسي**.

وقد بقي في **باريس** من سنة ١٩٣٩ إلى ١٩٥٦م حين عاد إلى **القاهرة** للمشاركة في **الثورة الجزائرية** من هناك. ولم يغادر **مصر** إلاّ بعد استقلال **الجزائر** حيث أصبح سنة ١٩٦٣ مديرا للتعليم العالي حتى عام ١٩٦٧ حيث استقال، وانقطع للعمل الفكري وتنظيم ندوات كان يحضرها الطلبة من مختلف المشارب، منهم من أصبح فيما بعد ذا قيمة علمية وسياسية **كالأستاذين نور الدين بو كروح، رئيس حزب التجديد الجزائري والمفكر الإسلامي صادق سلام**.

وظل **الأستاذ مالك بن نبي** ينير الطريق أمام **العالم الإسلامي** بفكره الغزير إلى أن لحق بالرفيق الأعلى في الحادي والثلاثين من تشرين الأول أكتوبر ١٩٧٣ م.

أما آثاره الفكرية، فيمكن القول: إنه لم يكف عن العطاء منذ سنة ١٩٤٦ م حيث ألف أول كتاب وهو **«الظاهرة القرآنية»**، هذا الكتاب الذي كان سبب إسلام الكثير من الغربيين تلاه برواية « **لبيك** » وهي رواية فلسفية سنة ١٩٤٧ م ثم **«شروط النهضة»** (١٩٤٨ م) **فوجهة العالم الإسلامي** (١٩٥٤ م). وبمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ كتب **«الفكرة الأفرو آسيوية»** (١٩٥٦ م) ثم **«حديث في البناء الجديد»** (١٩٥٧ م)، **«مشكلة الثقافة»** (١٩٥٩ م)، **«الصراع الفكري في البلاد المستعمرة»** (١٩٦٠م) وهو أول كتاب كتبه **الأستاذ مالك بالعربية** مباشرة، **«فكرة كومنولث إسلامي»** (١٩٦٠ م)، **«ميلاد مجتمع»** (١٩٦٢ م)، **«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي»** (١٩٧١ م)، **«المسلم في عالم الاقتصاد»** (١٩٧٢م)، و**«بين الرشاد والتيه»** (طبع بعد وفاته ١٩٧٨ م).

الهوامـــش

(١) أقرب حديقة مشهورة لأفلو هي الأغواط باب الصحراء ومن ناحية أخرى تيارت عاصمة بني رستم التي كانت تعرف بتهرت (المراجع).

(٢) مذكرات شاهد القرن ج ص ١٥.

(٣) وللشيخ المحقق الكبير محمود شاكر مقدمة ضافية لهذا الكتاب أيضًا (المراجع).

مؤلفات مالك بن نبي المخطوطة

١ ـ خطاب مفتوح لخروتشوف وإيزنهاور.
٢ ـ دولة مجتمع إسلامي.
٣ ـ مذكرات شاهد القرن (القسم الثالث).
٤ ـ العلاقات الاجتماعية وأثر الدين فيها.
٥ ـ نموذج لمنهج ثوري.
٦ ـ المشكلة اليهودية.
٧ ـ العفن.
٨ ـ اليهودية أم النصرانية.
٩ ـ دراسة حول النصرانية (١).
ـ محاضرات لم تفرغ في الأشرطة:
١ ـ مجالس دمشق (مجموعة محاضرات باللغة العربية).
٢ ـ مجالس تفكير: (محاضرات كان يلقيها في منزله في الجزائر بعد الاستقلال والمسجل منها باللغة الفرنسية (٢).

(١)، (٢): انظر عبد الله العويسي، مالك ابن نبي حياته وفكره، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العام الجامعي ١٤٠٤ هـ/ ١٤٠٥م.

قالوا عن مالك بن نبي



إن مالكًا لا يبدو في مجموع آثاره مفكرًا كبيرًا وصاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب، بل داعية مؤمنا يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكر ومنطقه، وحماسة الداعية المؤمن وقوّة شعوره، وإن آثاره في الحقيقة تحوي تلك الدفعة المحركة التي سيكون لها في بلاد العرب أولاً، وفي بلاد الإسلام ثانيًا، أثرها المنتج وقوتها الدافعة. وقلّما استطاع كاتب مفكر أن يجمع كما جمع بين سعة الإطار والرقعة التي هي موضوع البحث، وعمق النظر والبحث وقوّة الإحساس والشعور. أنا لا أقول: إنه «ابن نبي» ولكنّي أقول إنه ينهل من نفحات النبوّة وينابيع الحقيقة الخالدة.

محمد المبارك
مقدمة كتاب (وجهة العالم الإسلامي)
لمالك بن نبي ص ١٣ ـ ١٤

يتميز الأستاذ مالك بن نبي في جميع مؤلفاته بعمق التفكير ومنطقيته وواقعيته، وقوّة أسلوبه في الدفاع عن الأفكار التي يتبناها. وقد استطاع بأسلوبه الذي تفرّد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية، أن يوجه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقّف الذي يتوق إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوّة العقيدة، وسلامة التفكير، ويبدأ يرى في الأستاذ ابن نبي رائده الفكري البعيد النظر القويّ الإيمان، المناضل بقلمه في سبيل الله والإسلام.

الدكتور مصطفى السباعي
(المسلمون) ١٠٤ م٦ ص ٦٧ـ٦٨

يتميّز مالك بن نبي باهتمامه الشديد بقضايا العالم الإسلامي، إذ أحسّ بمشاكله والصعوبات التي تواجهه في سبيل النهوض به من جديد، فدفعه ذلك إلى دراسة الوقائع وتقصّي الأحداث التاريخية، وتحليل المشكلات بمنهج علمي وأسلوب رصين، مبديا آراءه وتأملاته وخلاصة تجاربه وداعيًا إلى اتباع المنهج السليم في بناء الحضارة.

محمد عبد السلام الجفائري
(مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي) ص ١٠

معالم التكوين الفكري لمالك بن نبي

قــد يكون من الصعب على المرء الإحـاطة بالتكـوين الفكري لمفكر أو عـالم، وإبرازه في بضعة سطـور، ولكن الممكن هو إعطاء الملامح العامة لمسار تكوينه، وهذا ما سوف أحاولـه - إن شاء الله تعالى - في هذه المقالة حول مراحل التكوين الفكري لمالك بن نبي، والتي هي بمثابة خطوط بارزة لمساره الفكري.

مراحل التكوين الفكري لمالك بن نبي

إن المسار الفكري لمالك مر بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : منذ بداية الوعي واكتشاف عالم المعرفة إلى أن تحددت وجهته.

المرحلة الثانية : مرحلة التكوين وهي التي امتـدت منذ تحديد وجهته إلى مرحلة العطاء الفكري.

المرحلة الثالثة : مرحلة النضج والعطاء والتي امتدت منذ ظهور كتابه (الظاهرة القرآنية) عام ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م إلى وفاته يرحمه الله تعالى.

فأما **المرحلة الأولى** : فأهم مـا يميزهـا الـرغبة العـارمة في الاطـلاع، بحيث كان يقـرأ جميع ما يقع تحت يـده، على الرغم من الصعـوبات التي تعرض له آنذاك.

وفيها أيضـا بدأت بـذور وعيه الاجتماعي عن طـريق الاتصال بأنماط مختلفة من المجتمع داخـل القطر الجزائري عن طريق رحـلاته الـداخلية، والمعـرفـة الأوليـة بـالمجتمع الفـرنسي. وكـان في هـذه المرحلـة يتراوح بين النقيضين، فكانت قـراءاته الأدبية تكاد تقـوده إلى الضلال، ودراسته على الشيوخ واتصاله بالحركة الإصلاحية يردانه إلى أصوله الإسلامية[١].

المرحلة الثانية : ويمكن أن تحدد هذه المرحلة باكتشـافه للفلسفة عن طـريق أحد كتب (كـونـدياك) فهـو يقـول عن تأثيره : «وجملة القـول إن (كونديـاك) أمسى كتاب وسادتي أفهذه هي الفلسفة ؟

توجيه تفكير الإنسان من فكرة معلومة إلى فكرة مستنتجة، ومهما يكن من أمر فإن عقلي تبنى تلك الـرياضة. وأنا لا أدري مـا جنيت علميًا من كونديـاك ولكنني أعرف أن كتابه وضع عقلي وأفكاري، وحب الاطلاع، أو ثقافتي - بكلمة واحدة - في اتجاه ما»[٢].

لقد ابتدأ بتلك الحادثة كما يقول مرحلته الثانية بحيث تحول من المرحلة الـوجدانيـة والأحكام العـاطفيـة والقراءة التي ليست مـوجهة إلى المرحلـة العقلانيـة، والأحكام المنطقية، والقـراءة المنهجية، ورحل من بعـدها إلى فرنسـا مستصحبًا العـزم عن البدايـة الجادة في الدراسـة. وعلى الرغـم مما واجهه من عقبات إلاّ أنـه استطاع انتهاج خط صارم في تكـوينه أفضى به إلى المرحلة الأخيرة من مراحل سيره الفكري.

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة العطاء فقد ابتدأ مالك إنتاجـه الفـكري - بغض الـنـظـر عن المقـالات - بمؤلفه (الظـاهرة القرآنيـة) عام ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م، ثم أعقبه بكتبه الأخرى [٣]، والتي تميزت بمنهجية خاصة لمالك بحيث يرى الدارس لتراثه أن المعالم الـرئيسة لفكره لم تتغير منذ كتابه الأول إلى وفاته، ولا شك أن ذلك نتيجة لما أخذ مالك به نفسه من التدقيق وإنضاج الفكرة قبل إخـراجها، لذا فالمسـار الفكري له منذ بـداية المرحلة الأخيرة لم يحصل فيـه تحول من وجهة إلى وجهـة أخرى كما هي الحال عند بعض الكتاب والمفكرين، وإنما كان التطور ينصب على إعطاء الفرصة أو الوسيلـة لتبليغ أفكـاره بشكل أقوى، كتعلمـه للغة العـربية وقـدرته على المحاضرة بها، وكتيسر الفرصة له بمعاناة أوسع للعالم الإسلامي، ولا سيما في أثناء إقـامته في مصر، ومـا أتيح له في تلـك الإقامة مـن اتصال بنماذج متعددة من إنسان العالم الثالث وإثراء نظرياته بأمثلة واقعية.

إن هذه الظاهرة في تحديد الـوجهة لدى مالك بن نبي تسترعي الانتباه بـالنظـر إلى مـا يغلب على المفكـريـن والكتـاب من حيث الاختـلاف في عطائهم الفكـري، بحيث يبدو الاختلاف بل التضاد في العطـاء الفكري بحسب المرحلة التي يعيشها الشخص.

تلك هي المعـالم البـارزة للتكـوين الفكـري لمالك بن نبي، أمـا التفصيلات فلا شك أن أكثرها ين ثنايا موضوعات هذا الملف.

الهوامــش

(١) انظر مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن ص ١٠٦.

(٢) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن ص ١٩٨، ١٩٩.

(٣) انظر عبـد الله العويسي، مالك بن نبي حيـاته وفكره جـ/ ١ ص ١٣٧ - ١٤٢ رسالـة ماجستير مقدمة لقسم الثقافة الإسلامية كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العام الجامعي ١٤٠٤/ ١٤٠٥هـ.

من أقوال مالك بن نبي

عن الحضارة وعناصرها :

إن الحضارة مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي «البيولوجي» حيث ينشأ ويتقوّى هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها، فعندما نشتري منتجاتها فإنها تمنحنا هيكلها وجسدها لا روحها.

من كتاب (شروط النهضة)، ص٦٢ـ ٦٣

عن الفنون الجميلة :

إننا نرى أن للفن الجميل دخلاً حتى في الصور التي تختار لأطفالنا الصغار في كتبهم المدرسية، فلقد شاهدت صورة في كتاب مدرسي للأطفال يدرّس في مصر ـ قبل الثورة ـ ويظهر فيه طفل ترافقه أخته، وهما ذاهبان إلى المدرسة وراءهما خادم يحمل لهما حقيبتيهما. فهذه صورة تبعث في نفس الطفل روح الاتكال واحتقار العمل والعاملين، وهي تصوّر ما يناسب حاجة «الباشوات» الذين كان بيدهم من قبل ناصية الأمر لا سواد الشعب.

(شروط النهضة)، ص ١٩٤

عن توجيه رأس المال :

إن القضية ليست في تكديس الثروة، ولكن في تحريك المال وتنشيطه، بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك، ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد.

(شروط النهضة)، ص ١٧٢

عن الدورة الحضارية :

إذا نظرنا إلى الأشياء من الوجهة الكونية، فإننا نرى الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر.

(شروط النهضة)، ص ٧٣

عن حضارة الإسلام :

ومن المعلوم أن جزيرة العرب مثلا لم يكن فيها قبل نزول القرآن إلاّ شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة، يذهب وقته هباء لا ينفع به، لذلك فقد كانت العوامل الثلاثة : الإنسان والتراب والوقت راكدة خامدة، وبعبارة أصح، مكدّسة لا تؤدي دورًا ما في التاريخ، حتى إذا ما تجلت الروح في غار حراء نشأت من بين هذه العناصر المكدّسة حضارة جديدة، فكأنما ولدتها كلمة «اقرأ» التي أدهشت النبي الأمي وأثارت معه وعليه العالم. فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ حيث ظلّت قرونًا طوالا تحمل للعالم حضارة جديدة، وتقوده إلى التمدن والرقي.

(شروط النهضة)، ص ٧٦

في معرض دحضه لأطروحات المذهب المادي :

إن من الثابت، من وجهة النظر الآلية، أن المادة تخضع لمبدأ «القصور الذاتي» خضوعا تاما، فالمادة الحيّة تعد استثناء من القاعدة لأن الحيوان مزوّد بميزة تعديل وضعه بنفسه، وهنا يظهر أيضا ضعف المذهب المادي.

من كتاب (الظاهرة القرآنية)، ص ٧٥

مؤلفات مالك بن نبي المطبوعة

١ ـ الظاهرة القرآنية : وظهر في سنة ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م في الجزائر.
٢ ـ لبيك (رواية) : ظهرت سنة ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٧ م في الجزائر [١].
٣ ـ شروط النهضة : ظهر سنة ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م في الجزائر.
٤ ـ وجهة العالم الإسلامي : ظهر سنة ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م في باريس.
٥ ـ فكرة الأفريقية الآسيوية : ظهر سنة ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦ م في القاهرة.
٦ ـ النجدة.. الشعب الجزائري يباد : ظهر سنة ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م في القاهرة.
٧ ـ حديث في البناء الجديد : ظهر سنة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م في بيروت[٢].
٨ ـ مشكلة الثقافة : ظهر في سنة ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م في القاهرة.
٩ ـ الصراع الفكري في البلاد المستعمرة : ظهر سنة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م في القاهرة.
١٠ ـ الصعوبات علاقة النمو في المجتمع العربي سنة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ في القاهرة[٣].
١١ ـ الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم : ظهر سنة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م في القاهرة.
١٢ ـ فكرة كمنولث إسلامي : ظهر سنة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م في القاهرة.
١٣ ـ تأملات في المجتمع العربي : ظهر سنة ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١ م في القاهرة [٤].
١٤ ـ في مهب المعركة : ظهر سنة ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١ م في القاهرة.
١٥ ـ ميلاد مجتمع : ظهر سنة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٢ م في القاهرة.
١٦ ـ آفاق جزائرية : ظهر سنة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م في الجزائر.
١٧ ـ مذكرات شاهد القرن (القسم الأول) : ظهر سنة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ م في الجزائر.
١٨ ـ إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث : ظهر سنة ١٩٨٩/ ١٩٦٩ م في القاهرة.
١٩ ـ مذكرات شاهد القرن (القسم الثاني ـ الطالب) : ظهر سنة ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م في بيروت.
٢٠ ـ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي : ظهر سنة ١٣٩١ هـ/ ١٩٧٢م في القاهرة.
٢١ ـ المسلم في عالم الاقتصاد : ظهر سنة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م في بيروت.
٢٢ ـ دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين : ظهر سنة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م في بيروت.
٢٣ ـ بين الرشاد والتيه : ظهر سنة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م في طرابلس.

هذا بالاضافة إلى مجموعة من المؤلفات المخطوطة التي نرجو أن يكتب لها الخروج [٥].

(١) ظهرت باللغة الفرنسية ولم تترجم إلى العربية.
(٢)، (٣)، (٤) ضمت من بعد في كتاب واحد صدر باسم (تأملات).
(٥) انظر، عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي ـ حياته وفكره، جـ/ ١ ص ١٣٧ ـ ١٤٢ رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤/ ١٤٠٥ هـ.

ملف العدد

مالك بن نبي

المؤثرات الاجتماعيّة والثقافيّة في بناء شخصية مالك بن نبي

بقلم : علي الإدريسي

تعد «مذكرات شاهد القرن» التي تتألف من جزأين «الطفل» و«الطالب» بمجموع ٦٦٨ صفحة من الترجمة العربية الصادرة في بيروت عن دار الفكر سنة ١٩٦٩ ، وثيقة تأريخية للتطورات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية للمجتمع الجزائري خلال النصف الأول من القرن العشرين . وهي فترة التحولات الكبرى في العالم أيضا .

ومما لا شك فيه أن مالك بن نبي ١٩٠٥ ـ ١٩٧٣ م عايش التطورات والتحولات وتأثر بها في تكوينه الذهني ، وفي رسم منهج حياته ، وبناء شخصيته . وقد التزمنا ذكر نوعين من المؤثرات ، واقتصرنا عليهما وفاءً بعنوان المقال ، وهما : المؤثرات الاجتماعية والمؤثرات الثقافية .

١ ـ المؤثرات الاجتماعية

وسنسلك في بسط هذه المؤثرات الطريقة العمودية اقتداء بالمؤلف وبمراحل حياته ، وتيسيرا على القارئ في الأحداث والوقائع التي كونت حصيلة شهادة القرن .

١ ـ أول ما يلفت النظر في هذه «المذكرات» أن المؤلف فتح عينيه على الحياة وحكايات احتلال الجزائر ، وما رافقه من دمار ، وهجرة الأسر وبصفة خاصة في مدينة قسنطينة ، مازالت تشكل المادة الأولى في التنشئة الاجتماعية من خلال حكايات الجدات والأمهات لأطفالهن «في ليالي السمر الشتوية» فجدة المؤلف هاجرت وهي طفلة «من وطنٍ تحطم حفظا على شرف أسرتها إلى مكة قبل أن تعود إلى الجزائر» . ويسجل المؤلف أثر تلك الحكايات في إعداده كشخص للمستقبل فيقول : «إن ضميري تكوّن في تلك المدرسة على وجه الخصوص» (الطفل ص ١٠ ـ ١١ و١٨) .

٢ ـ التحول في القيم الاجتماعية التي تحكم المجتمع القسنطيني منذ أجيال ، إذ بدأ هذا المجتمع «يتصعلك من فوق ويتدهور من تحت» ، فالرجال تغيرت أزياؤهم بتركهم ملابسهم التقليدية ، وراحوا يلبسون البدلة الأوربية ، وأصبحت الصناعات المحلية تتقهقر أمام زحف مصنوعات الخارج ، ولم يبق من شوارع المدينة القديمة إلا أسماؤها بعد أن حل محلها شوارع جديدة بمتاجر ومقاهٍ ومطاعم ومصارف تنيرها الكهرباء (ص ١٤ ـ ١٥) وكان ذلك إيذانا بقيام طبقة جديدة من الأغنياء الجدد التي تعيش من التجارة ، وأفول الطبقة القديمة والأسر القسنطينية ذات التقاليد العريقة التي كانت تعيش من موارد الأرض أو الحرف التقليدية (٤٤ و٩٦ ـ ٩٧ و١١٧ و١٩٤) .

٣ ـ حين رحل المؤلف من مدينة قسنطينة التي تحول سافلها عاليها إلى مدينة تبسة ـ وهو ما زال طفلا ـ تعرف هناك المحاولات الإصلاحية في شخص عباس حمانة الذي أسس أول مدرسة لإحياء اللغة العربية بعد الاحتلال (ص ٣٠ ـ ٣١) .

وسنرى أن هذه المدينة الصغيرة ستكون من أهم المدن الجزائرية التي سيشع منها نور الإصلاح والانتصار للثقافة العربية عموما ، وخاصة في العقد الثالث من القرن العشرين . (ص ١٣٦ و١٧٦ و٢١٦ ـ ٢١٧ ـ ٢١٨ و٣٠١) .

٤ ـ التأثير المشرقي بدءًا بالتحولات التركية ، فقد «كان الميل إلى تركيا ينتشر في البلد كله إلى درجة أن مناهضي السياسة الفرنسية من الطلبة كانوا يسمون «الأتراك الفتيان» وكان هذا التأثر يستعيد إلى الذاكرة أيضا الشرف القديم : بألوان عظمته وصنوف بؤسه (ص ١٠٢ ـ ١٠٣ و١٢٧) وبمدارسه الإصلاحية المتمثلة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو في الصورة التي قدمها كل من الأفغاني ومحمد عبده التي كانا يدعوان إليها ، قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، أمثال المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة (ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ و ١٢٧ و١٥٠ و١٥٤) .

٥ ـ أعطت حرب الريف بزعامة الأمير عبد الكريم الخطابي ضد إسبانيا ثم ضد فرنسا ما بين ١٩٢١ ـ ١٩٢٦ شعورا للنخبة التي بدأت تتكون هنا وهناك بأن الاستعمار ليس بتلك المناعة التي كان يطبعها في عقول المستعمَرين ، لأن عبد الكريم برهن على أن إمبراطورية الاستعمار يمكن أن تخدش ، ولأن «بطولات الريفيين كانت تثأر للشعوب التي لم تكن تقوى على أن تثأر لنفسها» (ص ٢٠٤ و٢٢٢ ـ ٢٢٤ و٢٢٨ ـ ٢٢٩ و٢٦٩ و٢٧٧) .

٦ ـ كان التهميش والتمييز العنصري الممارسان على العمال الجزائريين في فرنسا تأكيدا جديدا للمؤلف على أن مواقف الفرنسيين إزاء الجزائريين كانت متشابهة في الجزائر وفي فرنسا ، وقد اكتشف في رحلته الأولى إلى فرنسا

عام ١٩٢٥، بعد أن أتم دراسته الثانوية بقسنطينة، أن «القانون الفرنسي الـذي ينظم شـؤون الجزائريين في الجزائر اجتـاز البحـر الأبيض المُتـوسط اجتيازًا أيسر من اجتيـاز الجزائريين له» (ص ٢٥٠ وما بعدهـا و٢٥٨ وما بعدها، وص ٢٨ ـ ٢٩ من الطالب).

٧ ـ في مسيرة المؤلف الاجتماعية الأولى أدرك أن تطور المجتمع الجزائري كان على الشكل التالي :

ـ المدن الكبرى تسير على خط الحضارة الغربية

ـ المدن الصغرى كانت تسير سيرها العادي

زوجته كانت نموذجًا للتنظيم وساعدته على نشر الثقافة الإسلامية في باريس.

أما الأريـاف فقد احتفظت بأصالة الشعب الجزائري، وفضـائله التي تميّز بها والحيـاة الاجتماعية المتسانـدة التي لم يستطع الاستعمار الإخلال بها (ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ و٣١١ وما بعدها).

هـذه هي أهم الـوقـائع الاجتماعية التي تـركت بصماتها في مكـوّنـات (الطفل) ومـا يجدر تسجيلـه هنـا هـو أن المؤثـرات التي انطبعت في ذهن الطفل «كـانت تتعلق بمحيطـه ومجتمعـه وتطـوراتـه، أمـا المؤثـرات التي ستنعكس على «الطالب» فهي تتعلق أساسا بـالآخر والنخبة الوطنية التي كانت تتكـون من خلال محاولات الانـدماج مع هـذا الآخر أحيـانا، ومن خلال علاقة التقابل أحيانا أخرى.

٨ ـ فأول مـا أثار انتبـاه «الطالب» القادم إلى بـاريس لتحصيل العلم قصد التحضير لمهنة المحاماة هو صـورة للانحلال الأخلاقي وتجارة الغرام والأجساد (الطالب ص ١٠).

٩ ـ ولكن لم يكن الانحلال الأخلاقي إلا الجزء السفلي لهذه المدينة فقد كانت هناك مجالات أخرى ساعدت المؤلف على فهم جانب آخر من هذه المدينة كنادي «الوحدة المسيحية للشباب الباريسيين» و«النخبة الإسلامية المثقفـة» وقـد تـركـا آثـارًا عميقـة في نضج شخصيتـه، وتفتح فكـره على المشكـلات الكبرى في الحيـاة المعـاصرة، وتلك التـي يـواجههــا العــالم الإسلامي. (ص ١٨ ـ ٢٠ ـ ٢٣ ـ ٣١ ـ ٣٥ و٤٢ ـ ٤٣).

بـالإضافـة إلى مـا سبق كـان هناك الحي الـلاتيني كملتقى للتيـارات الإصلاحية والـوطنية والوحدويـة والانفصالية أيضا، وسكـانه خليط من طالبي المعـرفة جاؤوا مـن بقاع العالم المختلفـة (ص ٤١ ـ ٤٢ و٥٥ و٦٢) (ص ٨ ـ ١٨ ـ ٢٣ و٣١ و٤٢ ـ ٤٣ و٥٥ ـ ٦٢ و٧٣ ـ ٧٤).

١٠ ـ معـايشة الـولادة الثانيـة للحزب الـوطني الجزائري «نجم شمال أفريقيـا» في فرنسا بقيـادة مصالي الحاج التي اكتشف من خـلالها انحراف الحزب عن المنهج الحضاري، مما جعله يحمل مثل هذه الولادة المشكلات التي وحدت الجزائر فيها نفسها غداة الاستقلال ١٩٦٢ وقد سجل لاحقا أن أي نظام اجتماعي لا يقوم على نظام أخـلاقي مآله الفشل المحقق (ص ١٨٤).

١١ ـ تعـرف عالم التقنية الحديثـة التي أعطت لحضارة الغرب طابعها العلمي من خلال انتمائه إلى مدرسة اللاسلكي فيها، ومن خلال معارض الابتكارات الحديثـة التي كانت تقام في بـاريس أو مدرسة الكهـرباء التي انتسب إليهـا لاحقا لـدراسة الهنـدسـة، وقد أدرك أن من أسبـاب تخلف المجتمع الإسـلامي جهله بـالتقنيات الحديثـة. (ص ١٨ ـ ٣٤ و١١١ ـ ١١٥ و١٤٠).

ولم يستطع المؤلف أن يهمل دور الأسرة في حياته، وبصفة خاصة ركيزة هذه الأسرة ألا وهي المرأة، فجاءت صورة أمـه بصفتها العقل المنظم لحياة أسرته في تبسة مملوءة بالدفء، والمعاني الإنسانية السامية، ولا نستغرب أن يحس بفتور حماستـه للعودة إلى مـدينة تبسة بعـد وفاة تلك السيـدة النبيلة (ص ١٦٠ و١٦٨) كما جاءت صـورة زوجته الفرنسيـة التي اقترن بها سنة ١٩٣١، والتي أسلمت وحملت اسم خديجة نموذجا للتنظيم والأناقة فلم «تكن امـرأة تبدع في بيتهـا مثل خـديجة وتتقن إتقانها من نـاحيـة النظافـة والتجميل، إنها تصنع بيـدهـا آيـات من الـذوق ببعض خشب، وبعض قماش مزركش. إنني أذكـر هذه التفاصيل لأنني اعتبرها دالـة على التطور النفسي الذي سيجعلني أشد الناس نفورا من كل ما يسيء للذوق والجمال» (ص ١٠٥ ـ ١٠٦)، كما كانت عـونا له في نشر رسالـة الإسلام في باريس (ص ١٠٧).

واجه ضبابية الفكر الأسطوري الذي يتواءم وضلالات الاتكال على الأشخاص، ووجد الحل في الفكر الإسلامي

هذه أهم المؤثـرات الاجتماعية التي نعتقـد أنها أسهمت بقسط وافر في تكوين وبناء شخصية المؤلف، لأنه جعلها محاور لمذكرات شاهد القرن، وقد برزت بشكل واضح في صياغـة توجهه الفكري كمتخصص في شؤون العالم الإسلامي.

٢ ـ المؤثرات الثقافية

من الصعب التمييز بين ما هو اجتماعي وما هو ثقافي تمييزا مطلقا، لأن هذا يترجم ذاك، وذاك يعكس هذا في علاقة تداخل تتبادل أدوار المفهوم. وعلى الـرغم من هـذا فإننا سنقـوم بـذكر أهم المؤثـرات التي يغلب عليهـا

ملف العدد

مالك بن نبي: من همّ الغربة إلى هموم الوطن!

الطابع الثقافي سالكين المنهج الذي سلكناه في رصد المؤثرات الاجتماعية .

١ ـ مما لا شك فيه أن الاحتلال الفرنسي للجزائر استهدف، بعد امتلاكه للأرض، تحطيم المؤسسات الثقافية لما تمثله من خطر على وجوده، ومن ضمان لعودة الأرض إلى أصحابها في المستقبل، ولذلك عمل على إحداث ذلك الانقلاب الاجتماعي، وإبدال القيم والمفاهيم مما يضمن له أهدافه التي أشرنا إليها في المؤثرات الاجتماعية أعلاه (الطفل ص ١٣ إلى ص ٣٢) في كل من مدينتي قسنطينة وتبسة، ولم يكن من سبيل للتواصل مع الذات إلا التراث المنقول شفويا والذي عبّر عنه بقوله : «**لولا ما بقي محفوظا من أخلاق كريمة وروح سام لدى جيل جدي وجدتي ما كان تبقى شيء من ذلك الرصيد الذي لا يستطيع الوطن أن يعود بدونه إلى التاريخ خصوصا** بعد مرور تلك الحقبة الخطيرة التي مرت قبل الحرب العالمية الأولى، إذ لم يكن للوطن أيّ محرك لتسيير حياته» (ص ١٨)، وإلى جانب هذه الخصال الحافظة على نقاوة الروح كان المؤلف يراقب عموم الشعب وهو يعمل على تميزه من الاستعمار بتمسكه، ببعض المظاهر الثقافية المخالفة له.

٢ ـ **وفي المدرسة كان ذهنا متيقظا للأفكار الإصلاحية التي كان يغرسها أساتذته المسلمون، وللمزيج من الأفكار التدجينية والعقلانية على يد أساتذته الأوربيين، بالإضافة إلى انفتاح الذات على عالم الفكر المشرقي والغربي في آن واحد** (ص ٧٠ و١٠٣ ـ ١٠٦ و١٣٤)، **فبقدر ما كانت أفكار ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب تقدم لجيل المؤلف منهجا لإزالة الشوائب العالقة بالعقيدة الإسلامية، وبقدر ما كان الأساتذة العرب يدربون فكر هذا الجيل ووجدانه على اقتفاء السنة، كان المعلمون الفرنسيون يسكبون في فكرهم وروحهم» محتوى ثقافة ديكارتية تبدد ذلك الضباب الذي ينمو في الفكر الأسطوري الذي كان يتواءم وضلالات الاتكال على أشخاص لا يملكون للناس ضرا ولا نفعا، تلك البدع المنتشرة في الجزائر آنذاك» ص ١٠٥ .**

وفي هذه المرحلة يقرر المؤلف أن وجهته الفكرية بدأت تتعين أكثر فأكثر من خلال قراءته كتابي : «الفشل الأخلاقي للسياسة الغربية في الشرق» **لأحمد رضا** و«رسالة التوحيد» **للشيخ محمد عبده**، ويؤكد «أن ذينك الكتابين طبعا جيلي كله في المدرسة بطابعها، وأنا مدين لهما بتحول فكري منذ تلك الفترة» ص ١٠٧ .

وقد تعززت هذه الاهتمامات بقراءات أخرى في الأدب الغربي والعربي معا بدءًا **بامرئ القيس و الشنفرى والفرزدق ، وأبي نواس** وصولا إلى **حافظ ابراهيم و الرصافي وجبران وأبي ماضي و المنفلوطي، وشاتوبريان و لامارتين وميشال زيفاكو و هوجو وطاغور** (ص ١١٠ ـ ١١١ و١٥٦)، ولم يكن تنوع المشارب الفكرية لتضله عن هدفه، فها هو ذا يصرّح بذلك فيقول : «روحي كانت تنطوي على قوة مذكرة، كانت تردّ كلّ ما يقع تحت بصري إلى مشغلة مركزية أساسية، والإسلام كان تلك المشغلة (ص ١٥٧) .

٣ـ لم ينحز المؤلف إلى تيار من التيارات الفكرية التي كانت سائدة في أثناء دراسته في قسنطينة والتي يمكن أن نصنفها إلى تيار مدرسي وتيار إصلاحي وتيار صوفي طرقي، فعلى الرغم من اعترافه بأنه أقرب إلى الخط الذي كان يدعو إليه ابن باديس (ص ١١٢) فإننا لا نعثر في مذكراته على علاقة مباشرة له به لأسباب غامضة في الغالب، إلا ما كان له من ميل إلى الشيخ العقبي أكثر من ميله إلى ابن باديس (ص ٢٣٠ ـ ٢٣١) .

وعلى الرغم من التيارات الفكرية والمذاهب المختلفة التي كان يموج بها الحي اللاتيني، فإن انحيازه لم يكن إلا للدعوة إلى الإسلام فها هو يتذكر ويقول : دعوة في الحي اللاتيني للإصلاح والوهابيّة والوحدة المغربية، أي للشعارات المختلفة التي كانت تغطي معنى واحدا : الإسلام (ص ٤٣) .

> فهمه للإسلام كان أقرب إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذات العناصر المؤدية إلى إنقاذ العالم الإسلامي من الانحطاط

إن الإطار النظري الذي كان يصب فيه فهمه للإسلام كان يجعله أقرب إلى النزعة الإصلاحية السلفية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لأنها كانت تحتوي العناصر المؤدية إلى إنقاذ العالم الإسلامي من انحطاطه (ص ١١٠ و١٤٨) .

٤ ـ التأثر بالمناخ الثقافي العام الذي ساد منطقة الشرق الجزائري أو عمالة قسنطينة كما كانت تسمى في العهد الاستعماري حيث شاعت فيها روح الإصلاح والثقافة العربية والاتصال بالمشرق الإسلامي فكان تأثره أولا بالشيخ المولود بن الموهوب (ت ١٩٣٩) تلميذ صالح بن مهني (ت ١٩١٠) وعبد القادر المجاوي (ت ١٩١٣) وفي هذا الصدد يقول : «كان الشيخ المولود بن الموهوب يدرب فكرنا وروحنا إذن على اقتفاء السنة، وكان ما يردنا من عناصر شرقية جديدة يعزز هذه السنة في فكرنا بعض التعزيز» (الطفل ١٠٥) .

وقد تدعم جهد ابن الموهوب بعودة كثير من الذين درسوا في المشرق العلوم الإسلامية، ويصف المؤلف دورهم في مدينة تبسة فيقول : «كان



في تبسة فَوَرَان في الأفكار حقا، يحفظه ويرعاه ويصونه العلماء الذين أخذوا يعـودون من الشرق» (ص ١٣٤) ومن أشهر مـن قام بهذه المهمـة في تلك الفترة الشيخ العـربي التبسي، وفي قسنطينة كـان شعـاع ابن باديس يمـلأ الأرجاء (ص ١٤٦ و١٧٤) أمـا منطقة بسكرة فكـان هناك الشيخ الطيبي العقبي الـذي عاد من مكـة المكرمـة وأسس مع الأمين العمـودي جريـدة «صدى الصحراء» لنشر الأفكار الإصلاحية (ص ١٨٤) وهكذا.

وكـان التأثير الآخـر عبارة عن اطمئنـان إلى عمق الجزائر بأنـه مـا زال سليما، وكان ذلك في مـدينة افلو حيـث عين عدلا في محكمتها، فهـا هو يتـذكـر تلك المدينـة وتلك الفترة فيقول: «كـانت افلـو لي المدرسـة التي تعلمت فيها أن أعـرف أكبر معرفة فضـائل الشعب الجزائري التي لا تزال سليمـة كما كانت حقـا في الجزائر قبل أن يعيث فيهـا الاستعمـار فسـادا» (ص ٣١١).

الخلاصـــة

مما لا شك فيـه أن هذه المؤثرات في طـابعها الاجتماعي والثقـافي، قد كشفت لنا شخصيـة مالك بن نبي الغنيـة والثريـة والمحيطة بكل قضـايا عصره اجتماعية كانت أو ثقافية أو سياسيـة، محلية أو دولية، والعاملة من أجل استعـادة مجد الإسـلام دون التنكر لحضـارة العصر، **وقد أفادته تلك التقلبات التي عاشها من تخصص لآخـر، ومن مجتمع لآخر، ومن حضارة لأخرى، ومن التيارات الفكرية المتفاعلة أحيـانا والمتناقضة أحيانا أخرى، ومن القراءات النقدية الواعية لإنتاج عصره الأدبي والفكري.**

ولذلك جاءت شخصيته قلقة متوتـرة ولكنها فعالة طامحة إلى إحداث التغيير الضروري في بنية الذهنية الإسلامية.

وسيبقى مالك بـن نبي أحد أعمدة الفكـر الإسلامي المعـاصر الذي وظف معـارفــه العصرية ورؤيتـه الحضـاريـة مـن أجل إعـادة المجتمع الإسلامي إلى التاريخ.

من قاموس مالك بن نبي

الحضارة: «هي إنتـاج فكرة حيّـة تطبع على مجتمع في مـرحلة مـا قبل التحضّر الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقًا للنموذج المثالي الذي اختـاره، وعلى هذا النحو تتأصّل جذوره في محيط ثقـافي أصيل يتحكم بـدوره في جميع خصـائصـه التي تميـزه عن الثقـافـات والحضارات الأخـرى». ويمكن تعريفهـا أيضا أنها «جملـة العوامل المعنـوية والماديـة التي تتيح لمجتمـع مـا أن يـوفـر لكل فـرد مـن أعضـائه الضمانـات الاجتماعية اللازمة لتقدمه.

التراب: تعبير عن الكون والطبيعة لا تُعرف قيمته إلا من خلال تفاعل الإنسان معه، وهو رأس مالٍ ثابت يعكس صورة مالكيه.

الوقت: قيمتـه كقيمة التراب تحدد معنى الإنتـاج والإبداع، ويُكـوِّن المعـاني والأشياء. وهـو الممر الـذي يدخل من خـلاله المجتمع أو يخرج منـه حركية التاريخ.

الفعالية: لا تفهم الفعالية عند مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ إلا من خلال فهم جـوهر الإنسـان والتـاريخ وعـلاقتهما الواحـد بـالآخر، أي متى يكـون الإنسان محركا للتاريخ وصانعًا له ومتى يخضع للتاريخ وأحداثه؟

مؤلفات مالك بن نبي باللغة الفرنسية

OEUVRES DE BENNABI

Le phénomene coranique (Arabe-Francais) Alger 1946
Lebbeik (Roman) (Français).............................. Alger 1947
Les conditions de la renaissance (Arabe-Français).. Alger 1948
Vocation de l'Islam (Arabe-Français).............. Paris 1954
L'Afro-asiatique (Arabe-Français).............. Le Caire 1956
Le probleme de la culture (Arabe).............. Le Caire 1957
S.O.S. Algérie (Arabe-Français)................. Le Caire 1957
La lutte idéologiaue en pays colonisés (Arabe)... Le Caire1957
La nouvelle édification sociale (Arabe) Beyrouth.. 1958
Idé d'un commenwealth islamique (Arabe-Français)... Le Caire1958
Réflexions (Arabe)....................................... Le Caire 1960
Le probleme des idées dans le monde musulman (Arabe)... Le Caire 1960
Naissance d'une société (Arabe) Le Caire 1960
Dans le souffle de la bataille (Arabe) Le Caire 1961
Perspectives algériennes (Français) Alger 1964
Mémoires d'un témoin du siecle tome 1 (Arabe-Français)... Alger 1965
L'oeuvre des orientalistes (Arabe-Français) Alger 1967
Islam et démocratie (Français)........................ Alger 1968
Le sens de l'étape (Arabe-Français)................ Alger 1970
Mémoires d'un témoin du siecle, tome 2 (Arabe) Beyrouth 1970
Le musulman dans le monde de l'économie (Arabe)... Beyrouth 1972
Le role du musulman dans le dernier tiers du 20 siecle (Arabe)... Beyrouth 1973

ملف العدد

مالك بن نبي

مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي

بقلم: د. عبد الله بن حمد العويسي

تشغل الثقافة حيزًا كبيرًا من الإنتاج الفكري لمالك بن نبي الـذي رأى إدراجه تحت إطار عـام هو (مشكـلات الحضارة)، وذلك لما بين الثقافة والحضارة من علاقة لا تقبل الانفصام؛ فالثقافة - كما يرى - هي جوهر الحضارة، إذ إن الحضارة في حقيقتها قيم محققة في عـالم الواقع، ومن ثم فهو لا يلجأ إلى تقديم تعريف مـدرسي عنها، وإنما يعرفها باعتبار صلتهـا الوظيفية بالحضارة، لذا جاء مفهومه عنها من زاويتين:

١ - الزاوية التاريخية: وهي بهذا الاعتبار مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلـوكه بأسلوب الحيـاة في الوسط الـذي ولـد فيـه. فهي - على هذا - المحيط الذي يشكل فيه الفرد.

٢ - الـزاوية التربوية: وتعني أن الثقـافة تركيب عام لتراكيب جـزئية أربعة هي الأخلاق والجمال، والمنطق العملي، والصناعة.

مراحل الحضارة

إن هذا التعريف الشامل هو الذي يحدد مفهوم الثقافة، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والـذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر [١] منذ انطلاقـة حضارته بدفعـة الروح. وهي - في ضوء ذلـك - ذات ارتبـاط بالمرحلة التاريخية التي تمر بها. فالحضارة في نطاق مجتمع معين - كما يرى - تخضع للقـانـون الـدوري فتمر بمراحـل ثلاث؛ تبدأ بمـرحلة الـروح التي تكون الفـاعلية فيها في أعلى مستـوياتها، ثم مرحلـة العقل التي يقل فيها مستوى الفاعلية بقدر ما يبرز من تعـارض بين الروح والغريزة، ثم مرحلة الغريـزة حيث تتلاشى الفاعليـة وتسود السلبية حين تستنفد الحضـارة ما تبقى لـديها من دفعـة الـروح، التـي ابتـدأ بها المجتمع الـدخـول لمرحلـة الحضارة.

إن هذا التحـديد للثقافة يخرجهـا من إطار المعرفة إلى إطـار السلوك، فهي - لديه - نظريـة في السلوك وليست نظرية في المعرفة [٢]، ويؤكد ذلك من خـلال المقارنـة بين إنسانين من حضـارتين مختلفتين، كل منهما تعيش مـرحلة من دورتها من نـاحية السلـوك والمعـرفة، أو بين (الفـاعلية وعـدم الفـاعليـة)، (وضعف التحصيل العلمي وقـوتـه) ويختـار نمـوذجـه من الحضارة الإسلامية، التي يرى مـالك أنها دخلت المرحلة الثالثة منذ عصر ما بعد الموحدين، ولم يستطع المجتمع الإسـلامي بعدُ النهوض من جديد بحسب قـانـون الحضارة، لـذا فإنسـانها لا زال مشلول الفـاعليـة بسبب الـرواسب النفسيـة المتخلفـة منـذ تلك المرحلـة، والتي تشيع في الجو الاجتماعي ويجسدهـا إنسان مـا بعد الموحـدين في سلوكـه، ذلك الإنسان الذي ما زال يشد المجتمع إلى التخلف بسبب ما يحمله في نفسه المريضة.

نموذج من الغرب

أما النموذج الآخر فيختاره من الحضارة الغربية، التي لم تصل بعد إلى المرحلة الأخيرة لـذا فإنسانها يتسم بالفـاعلية في السلوك بما لا نجـده لدى المسلم.

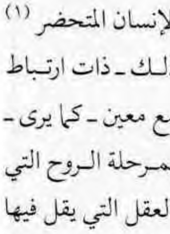
«فمن الملاحظ أن طالب الطب المسلم الذي يـذهب لتلقي علومه في إحدى العواصـم الأوربية يحصل على [الدبلوم نفسه] الـذي يحصل عليه زميلـه الإنجليـزي مثلاً. بل إنـه كثيرًا مـا يتفـوق عليـه إذا ما كـان أكثر استعدادًا وذكاء، لكنه لا يحصل غالبًا على فـاعليته، أعني طريقة سلوكه وتصرفه أمـام مشكلات الحياة الاجتماعية. وليـس لدينا سوى وجـه واحد لتفسير هذا الاختـلال، هو أن الفـاعلية الاجتماعيـة لا علاقـة لها بمنهج الكلية، وإنما تعتمد بصفة عامة على أسلوب الحياة في مجتمع معين، وعلى السلوك الذي ينتهجه الفرد كيما ينسجم مـع هذا الأسلوب، وعليه فإذا ما

من كتاب العدد

● عبـد الله بن حمد بن عبـد الله العويسي

- ليـسـانـس في الـشـريـعـة ١٣٩٨هـ/ ١٣٩٩هـ من كـليـة الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

- مـاجستير في الثقـافـة الإسـلاميـة ١٤٠٦هـ من كلية الشريعة بالرياض، وكـانـت الأطـروحة بعنـوان (مـالك بن نبي: حياته وفكره).



- حصـل هذا الـعـام على الـدكتـوراه في الثقـافـة الإسـلاميـة بعنـوان (مشكلـة الحضـارة: دراسة نقـديـة في ضوء الإسلام).

- محاضر في قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض.

مضينا لمواجهة مشكلة الثقافة وجدنـا أنفسنا نواجه ضمنًا مشكلة أسلوب الحياة، ومشكلة السلوك الذي ينسجم معها»(٣).

إن هذا التحديـد لمفهوم الثقافة يتيح لنـا تشخيص المرض الذي يعاني منه المجتمع حينما ينظر إلى مشكلة الثقافة من خلال المرحلة التاريخية التي تعيشهـا الأمـة من دورتها الحضـاريـة، كما يمكننـا من التخطيط للعـلاج المناسب لتلك المشكلـة بما يتفق وواقعها، ويكـون شاملاً ومحققًـا لتجاوز مرحلة التخلف والدخول في مرحلة الحضارة. ولا يمكن إنجاز ذلك ما لم يكن التخطيط للعلاج شاملاً للعناصر، التي تحقق للعمل استيفاء الشروط الحضارية؛ فـالعمل لا يكون حضاريًّا إلاّ إذا كان له غـاية واضحة، تمده بالمبررات اللازمة لدفع النشـاط والمتمثلة في (المبدأ الأخلاقي)، كما أن من شروطـه بـروزه في الشكل المتنـاسب مع الـذوق الـرفيع (الـذوق الجمالي)، واستيفاءه للفـاعلية التي تتيح الاستفادة من المعطيات وزيـادة الإنتاج إلى أقصى حـد ممكن (المنطق العملي)، ولا بـد للعمل أيضًـا من السير وفق القواعد الفنية لإنجاز العمل (العلم أو الصناعة).

○○ الثقافة ليست علمًا فقط، ولكنها سلوك وحضارة.. ○○

إن تلك العناصر لا بد من توافرها في العمل؛ لكي يرتقي إلى مستوى الفعل الحضاري، لذا فالثقافة بوصفها برنامجًا تربويًّا هي: «التركيب العام لتراكيب جـزئيـة أربعـة هي: الأخـلاق، والجمال، والمنطق العملي، والصناعة»(٤). كما سبق أن ذكـرنـا أن هـذا التركيب يترافق مع ظهـور الحضـارة حينما يتم تـركيب عنـاصرها الثـلاثـة، الإنسـان والتراب والأمن بواسطة الدين الذي يحقق التماسك ويطلق الفاعلية.

جوهر المشكلة

بناء على ذلك يـرى مالك أن العـالم الإسلامي لن يحل مشكلتـه ما دام يحصر مشكلة الثقافة في نطاق العلم، ويتجاهل ارتباطها بالسلوك ومن ثم بمشكلـة الحضارة. ويـلاحظ نتـائج هذا المنهـج الخاطئ في نهضة العـالم الإسلامي، الذي عالج مشكلته بنظـرة جزئية جعلته يحولها إلى العديد من المشكلات، ويعالج كل مشكلة منها بمعزل عن الأخرى، فحينما نظر إلى المشكلة على أسـاس أنها مشكلة جهل، ومشكلـة فقر، ومشكلـة مرض، جاءت الحلـول جزئية لكل مشكلـة على حدة؛ فـالعلم في مقابل الجهل، والغنى في مقـابل الفقـر، والصحـة في مقـابل المرض، وهكـذا دون إدراك للإطـار العام للمشكلة، ووضع برنـامج شامل لعلاجهـا يمكّن من إعادة البناء وفق السنن العامة المتماسكة.

الهوامـــش

(١) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ص ٧١.
(٢) المرجع السابق ص ٧٠.
(٣) المرجع السابق ص ٤١ ـ ٤٢.
(٤) المرجع السابق ص ٦٤.

فكر مالك بن نبي والبحث العلمي

(١) نظرات من الفكـر الإسـلامي ومـالـك بن نبي، د. عمـر كـامل مسقاوي، دار الفكر، ١٩٧٩م، دمشق.
(٢) مالك بن نبـي والاتجاه الحضاري في الحركة الـوطنية، محمـد العربي معـريش، ماجستير، معهـد العلوم الاجتماعيـة، جامعـة الجزائر، ١٩٨٢، (غير منشورة).
(٣) مشكـلات الحضـارة عنـد مـالـك بن نبي، محمـد عبـد السـلام الجفائري، الدار العربية للكتاب، ليبيا/ تونس، ١٩٨٤ م.
(٤) مالك بن نبي مفكـرًا إصلاحيًّا، د. أسعد المحمداني، دار النفائس بيروت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
(٥) مالك بن نبي حياتـه وفكره، عبد الله العويسي، الثقافـة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥، (غير منشورة).
(٦) حول فكـر مالك بن نبي، د. عمـر كامل مسقـاوي، دار الفكر، ط١، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
(٧) المصادر الـدينية والفلسفية في موقف مـالك بن نبي من الحضارة، ماجستير: فلسفة، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٦ (غير منشورة).
(٨) حيـاة مالك بن نبي ونظـريتـه في الحضارة، فـوزيـة محمد بـردين، جامعة ميتشجن، ١٩٨٨م، (غير منشورة).
(٩) فلسفـة الحضـارة عنـد مـالـك بن نبي، د. سليمان عبـد الحميـد الخطيب، دكتوراه: فلسفة، جامعة عين شمس، ١٩٨٨، (غير منشورة).
(١٠) التغير الاجتماعي عنـد مـالك بن نبي منظـور تـربـوي، د. علي القريشي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤٠٩/ ١٩٨٩ م.
(١١) الحضـارة الإسـلاميـة في فكـر مـالـك بن نبي، لخضر شـايب، مـاجستير، لغة عـربيـة، كليـة الآداب، جامعـة عين شمس، ١٩٨٩ (غير منشورة).
(١٢) مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وآرنـولد توينبي، آمنة تشيكو، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩ م.
(١٣) صفحـات مشرقـة، من فكـر مـالك بن نبي، د. عبـد اللطيف عبادة، دار الشباب للطباعة والنشر، الجزائر.
(١٤) مالك بن نبي وآراؤه الإسلامية الحديثـة، د. عدنان خليل باشا، دكتوراه جامعة سالفورد، مانشستر بريطانيا، ١٩٩٢ م.

ذكرياتي مع مالك بن نبي في مصر

بقلم: د. عبد السلام الهراس

كــــان مالك محدود الشهرة في بلده وفي فرنسا معا، ولا سيما بين المثقفين بالعربية، وأما قرّاؤه فربما كانوا من الفرنسيين ومن أصحاب الثقافة الفرنسية في المغرب العربي، إلا أن الحصار كان شديدا على أفكاره إلى درجة أن كتاب «الظاهرة القرآنية» كان محظورا على رجال الكنيسة أن يقرؤوه. وقد تبينت صحة ذلك عندما اجتمعنا بفاس أواخر السبعينيات بأحد كبار أحبار الفاتيكان الذين كانوا مختصين بالحوار الإسلامي النصراني، وقد سألته عرضا عن مالك بن نبي، فقال: إنه متعصّب. أما رأيه في حسن البنا فكان أشدّ قُوّةً مما عكس لي رأي الكنيسة الكاثوليكية في مالك وأفكاره.

والحقيقة أن أول من تنبّه لقيمة الأفكار التي يبثها مالك بن نبي هو الكاتب الصحفي إحسان عبد القدوس يرحمه الله، فعندما حل مالك مصر كان يسكن معنا في الدقي خلال العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م. وكان البيت يضم كلا من فضيلة الشيخ ناصر إبراهيم الصالح شقيق الشهيد الدكتور محمد صبحي الصالح وقاضي طرابلس الشرعي الآن، والأستاذ عُمر كامل مسقاوي المحامي الشهير بطرابلس الآن، وهو المسؤول الأول عن مؤلفات وأعمال مالك الثقافية، والأستاذ عبد الرحيم طريف الأستاذ بالمقاصد الإسلامية ببيروت الآن وهو من القرعون في البقاع، والأستاذ حسين صالح وكان من خيرة إخواننا الذين درسوا معنا في الكلية الشرعية ببيروت وتابع دراسته بكلية الشريعة بالأزهر الشريف، وأصله من البترون من قرية اسمها **راشكيدا** بلبنان.

وأصبح مالك عضوا في أسرتنا وقد سر كثيرا بالحياة معنا. وفي بيتنا بدأت اتصالات مالك مع كثير من الشباب الإسلامي والعربي، أقول العربي لأن علاقاتي بالمغربيّين العرب بالجامعة الأمريكية ببيروت كانت قوية وكنت أزودهم بالأخبار عن الجهاد بالمغرب، كما كنت معهم في نشرة «الثأر» وقد نشرت في مجلتهم «العروة الوثقى» قصيدة في رثاء الشهيد الفدائي علال بن عبد الله. لذلك كان بعض أفرادهم ممن يتابعون دراستهم بالقاهرة يزوروننا من حين لآخر ويستفيدون من مالك.

إنجاز واكتشاف

وأهم ما وقع إنجازه في السنة الأولى من سكن أستاذنا مالك معنا ما يلي:

١ ـ **ترجمة كتابه: شروط النهضة**. وقد قام أولا أخي الحبيب الأستاذ عمر كامل مسقاوي بترجمة الكتاب مستعينا بمالك نفسه وبترجمة بسيطة ومضطربة، كان مالك قد قام بها لكنها كانت رديئة جدا وتكاد تكون بلغة غير عربية. وكنا أحيانا نعلق ببعض النكت عليها فلا يسع أستاذنا مالك إلا الضحك مع رفع اليدين قائلا: هذا مبلغ علمي.

وقد تعب أخي عمر في نقل معاني الكتاب إلى لغة عربية سليمة كان يتحرى فيها الدقة والوضوح والسلاسة.. وقد أنجز ترجمة الكتاب حسب طبعَته الفرنسية.

٢ ـ **اكتشاف الطالب عبد الصبور شاهين والشروع في ترجمة الظاهرة القرآنية**. وقصة التعرف بالأخ الدكتور عبد الصبور قصة طريفة جديرة بالتسجيل، لقد كنا طلبة في دار العلوم وفي أثناء سنة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ وكنا قد اكتشفنا الأستاذ مالك دخلنا ـ على عادتنا ـ إلى محاضرة أستاذنا الكبير **الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل** أستاذ الأدب الاندلسي، وكان حديث التخرج من مدريد، وكان ـ جزاه الله كل خير ـ كثيرا ما يسدي إلى طلابه النصح السديد والتوجيه الرشيد، وفي هذه المرة كان موضوع نصيحته: وجوب تعلّم اللغات الأجنبية، وقد أعطى مثالا على العصامية في تعلم اللغة الفرنسية الطالبَ عبد الصبور شاهين، الذي ثابر وحده على تعلم الفرنسية حتى أصبح يجيدها، فسألت بعض إخواني الطلبة المصريين عن عبد الصبور هذا فحكى لي قصته، وأنه شاب نابغة من الإخوان المسلمين، وقد تآمروا عليه للزج به في السجن بتهمة باطلة لإزاحته عن الفوز بالأولية في التخرج من السنة الرابعة بالكلية حتى يحرم من الابتعاث، وقد بقي في المعتقل ثمانية أشهر، ولكنه أطلق سراحه هذه الأيام دون محاكمة أو اعتذار لما وقع عليه من الظلم، وهو يتابع دراسته في معهد التربية التابع لجامعة عين شمس القريب من دار العلوم، فرجوت الأخ الكريم أن يدلني عليه متى رآه. وبعد يوم أو يومين أسرع إليّ الزميل المصري ليشير إلى **عبد الصبور شاهين**. «هذا الذي تراه ماشيا نحو قاعة الأساتذة».. فانتظرته حتى خرج منها وهو يسير بخطوات واسعة وثابتة، ورأسٍ شامخ واعتزاز وتواضع، وكان إذْ ذاك في نحو الثلاثين من عمره كما بدا لي، فاتجهت نحوه قائلا: «الأستاذ عبد الصبور الحمد لله على سلامتكم وفي سبيل الله ما لقيتم» فأجاب مبتسما وشاكرا ومرحبا دون أن يعرفني، لكنني بادرته قبل أن يظن أي ظن في ذلك الجو المكفهر، فقلت

له : إنني طالب مغربي، وقد سمعت الدكتور أحمد هيكل يثني عليك ويشيد بك وبعصاميتك واهتمامك باللغة الفرنسية، لذلك قصدت لأسألك هل أنت مستعد للقيام بعمل يكون لك ذكرا في الدنيا وذخرا في الآخرة ؟ قال لي وما هو هذا العمل ؟ قلت ترجمة كتاب Vocation du l'Islam للمفكر الجزائري : مالك بن نبي، إن الكتاب مهم جدا وتحتاج إليه الأوساط العلمية الإسلامية، ولأهميته قدم له الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز. وسرعان ما استجاب الرجل مجيبا بقوله : أود أولا أن أرى الكتاب لأقرأه وأرى : هل أستطيع ترجمته، لأنه ليس لي تجربة في هذا المجال. فأجبته : إن الأستاذ مالك يسكن معي وهو يستطيع أن يشرح لك الغامض من كلامه فتكون بجانب المؤلف، واتفقنا على موعد. وفي الموعد المحدد سلمته النسخة الفرنسية من الكتاب، فطلب مني مهلة أسبوعين. وبعد أسبوعين وجدت في الأخ عبد الصبور شاهين رجل جد وعمل، وكم كان مسرورا وهو يقول لي : لقد أنجزت ترجمة التمهيد، فقرأ علي بعض ما كتب واتفقنا على أن يزورنا في البيت هذا المساء. وعندما

تعرفه على عبد الصبور شاهين فتح أمامه باب ترجمة أعماله

التقى بمالك وبإخواننا عمر وناصر وعبد الرحيم، وكانوا على إلمام جيد بالفرنسية، وقرأ علينا ما ترجمه من الكتاب في ظرف وجيز، أبدينا إعجابنا بعمل الرجل، ولأول مرة يقول مالك لقد وجدت من ينقل أفكاري إلى اللغة العربية وإلى العرب.

وهكذا بدأنا في مشروع ترجمة مالك بن نبي، وقد ترجم الدكتور عبد الصبور ما أضاف الأستاذ مالك إلى كتابه «شروط النهضة» ولاسيما من التكوين إلى البناء، وتعاون مع الأخ الأستاذ عمر مسقاوي في تنسيق صياغة الكتاب كله، علما بأنّ عمر يمتاز بحس مرهف وبميل إلى الدقة وإلى كثرة المراجعة والمساءلة حتى يستقر على تعبير يطمئنّ إليه، وبالمناسبة فقد اطلعت منذ سنة على بعض ما ترجم لمالك فكان عمله رائعا.

مفتاح الخير

ومن أعجب ما يحكى هنا أننا عندما أردنا طبع كتاب «شروط النهضة» لم يكن مع مالك سوى أربعين جنيها مصريا بقيت له من مصروفه الذي كان مساعدة من صديقه الذي توفي منذ سنة بطنجة المهندس صالح بن الساعي رحمه الله، فاتصلت بالأخ الأستاذ إسماعيل عبيد صاحب مكتبة دار العروبة (دار التراث اليوم) بشارع الجمهورية (الأوبرا سابقا) وكان يعمل معه الأخ الحاج أسعد يرحمه الله (وهو صاحب مكتبة الأنصار من بعد) وعرضت عليهما موضوع طبع الكتاب، وما يعترض ذلك من صعوبة مادية فأشارا علي بطبعه في مطبعة متواضعة قرب المكتبة في الشارع نفسه اسمها دار الجهاد، لصاحبها علي الحريري، واتجهت توا إلى دار الجهاد فإذا هي مطبعة بسيطة، ولكن صاحبها رجل يستحق كل إكبار وتقدير لجهاده وقوة إيمانه وثباته على مبادئه، وقد وجدت في الأخ علي ـ حفظه الله ـ كل تشجيع، ومازلت أذكر المبلغ الذي طلبه وهو خمسة وعشرون ومائة جنيه جنيها أعطيته منها تسعين جنيها والباقي على الحساب، وكنت جمعت خمسين جنيها مني ومن أخي الأستاذ محمد شعبون، وهو ممن لهم أثر مهم في مجال الدعوة لأفكار مالك في القاهرة.

وهذا الكتاب كان مفتاحا للخير وبداية لتعارف واتصالات مع شخصيات مهمة، زيادة على ما أتاحه لنا من تبليغ الفكرة للطلبة سواء في القاهرة أو لبنان أو سورية.

ومازلت أذكر أنني عند عودتي من المطبعة، وبيدي ملازم من الكتاب أخذتها معي للبيت للمراجعة والتصحيح، التقيت قرب دار العروبة بالشيخين الجليلين سيد سابق ومحمد الغزالي، فسلمت عليهما وسألني الشيخ الغزالي عن الملازم التي بيَدي، فأخبرته أنها من كتاب مالك بن نبي الجزائري «شروط النهضة»، فأطلعته على بعضها، فألقى نظرة عاجلة وأبدى إعجابه، لكنه لاحظ أن فصول الكتاب قصيرة وأن أسلوب الكاتب موجز ومكثَّف، وكانت ملاحظته دقيقة وصائبة برغم أن نظرته في الملازم كانت سريعة.

ولما أنجز الطبع قمنا نحن الطلبة ببيع أكثر من خمسمئة نسخة للطلبة المسلمين، كما اضطلعت «دار العروبة» بمسؤولية بيع الكتاب وتوزيعه. وهنا يبرز عامل مهم أسهم إسهاما كبيرا في التعريف بمالك وشهرته في مصر، ذلك أن شيخ العربية الكبير أستاذنا محمودشاكر حفظه الله ما إن قرأ الكتاب، حتى رغب في أن يرى مالكا فقمنا بزيارته وأحسن استقبالنا، ووجدنا بيته منتدى علميا متنوعا، وقد التقينا هناك بالدكتور إحسان عباس، وبالأخ الصديق راتب النفاخ (يرحمه الله) الذي تعرفت به في قرية جب جنين عند زيارته لها صيف ١٩٥٤، وكان ضيفا عند طلابه الأخ الأستاذ محمد الخطيب والشاعر صالح الدسوقي، وكانا إذ ذاك طالبين بكلية الآداب ـ دمشق. كما التقينا في منتدى الشيخ محمود شاكر بالشيخ أحمد الباقوري والأستاذ سعيد العريان ـ يرحم الله الجميع ـ وفي بعض الجلسات التزم الشيخ أحمد الباقوري بشراء ألفي نسخة، أما الأستاذ الكبير سعيد العريان فقد التزم بشراء النسخ الباقية وكانت أكثر من ألفين. والطبعة الثانية بأعدادها خمسة الآلاف وزعت على كثير من المساجد والمدارس بمصر. كما ارتبطنا بأستاذنا الكبير محمود شاكر الذي وجدنا فيه القلب الكبير والمحبة الصادقة والعلم الغزير والمكتبة الغنية، وصرنا نتردد عليه، ونغترف من جمهرة معارفه، ومن سديد توجيهاته، وحَلْقة علمية واحدة في رحاب أستاذنا محمود خير من حلقات جامعية كثيرة، لأن الرجل حفظه الله كان يهتم بالأسس والمفاتيح والقواعد الدقائق والرقائق لتكوين الملكة، ليصبح الطالب ـ كما يقول ابن رشد ـ قادرا على صنع القوالب والنماذج، وعلى مواجهة الجزئيات والنوازل بمناهج علمية سديدة، لذلك

ملف العدد

مالك بن نبي

مالك بن نبي: من همّ الغربة إلى هموم الوطن!

كان يظل معنا الساعات الطوال وهو يعلق على بعض التحقيقات التي أنجزها كبار المحققين المشهود لهم بمصر آنذاك، كما كان كثير التأني وهو يشرح لنا بيتا من الشعر من المفضليات مثلا، وكان مالك - يرحمه الله - لا يفهم كثيرا أول الأمر وعندما نعود إلى البيت نشرح له بعض ما أمكن شرحه، وبارتباط مالك بأستاذنا محمود أصبحت له علاقات كثيرة مع أصدقاء الشيخ وطلابه وزواره، وعن طريق شيخنا محمود ارتبط بالأستاذ سعيد العريان الذي عرفه من جانبه بوزير التربية والتعليم السيد كمال الدين حسين الذي كان ذا ميول إسلامية معروفة، وقد أكرم مالكا أيما إكرام خلال مقامه بمصر. كما قرأ أستاذنا محمود الترجمة العربية لكتاب الظاهرة القرآنية وأعجب بالكتاب فكتبه.

والقضية الثانية التي هي جديرة بالتسجيل أيضا هي اتصال مالك بن نبي سابقا بأنور السادات يرحمه الله، وقصة ذلك أن الأستاذ عبد الصبور شاهين كان قد رشح نفسه في أول انتخاب لمجلس الشعب سنة ١٩٥٧ وقد ترشح معه في دائرة الإمام الشافعي الأستاذ أحمد سعيد خطيب صوت العرب، وامرأة نسيت اسمها. وقد أخبرنا الأخ الدكتور عبد الصبور شاهين بأن الأستاذ أحمد سعيد اتصل به وحاول إقناعه أن يتنازل له ويسحب ترشيحه لأنه ـــ أي عبد الصبور ـــ من الإخوان ومن المستبعد أن تسمح له السلطة بالفوز في الانتخابات، مما يجعل أصوات المتعاطفين معه مجمدة وغير ذات جدوى بالنسبة إليه، وهذا سيؤدي إلى فوز المرأة ذات الاتجاه غير الإسلامي، وسيكون عبد الصبور هو المسؤول أمام الله عن ذلك، ولهذا فإن من الخير لدائرة الإمام الشافعي ألا تفوز هذه المرأة وأن يفوز أحمد سعيد، وقد التزم له أنه يخدم مصالح سكان الإمام الشافعي كما سيعمل وسعه لخدمة الإخوان أنفسهم، ويكون ردءا لعبد الصبور ومتعاونا معه في المصالح العامة والخاصة. ولما استشارنا الأخ الدكتور عبد الصبور استحسنا فكرة التعاون مع أحمد سعيد والتنازل له، وكذلك فعل الدكتور عبد الصبور الذي كان ذا شعبية كبيرة في حي الإمام الشافعي لدينه ونضاله ونبوغه.

قصته مع أنور السادات

وفي أحد اللقاءات بين الرجلين أهدى الدكتور عبد الصبور نسخة من شروط النهضة للأستاذ احمد سعيد، فلما قرأ شيئا من مقدمة الكتاب وأعجب به طلب منه أن يهديه نسخة أخرى لأنور السادات رئيس مجلس الشعب آنذاك. وذات يوم ونحن في البيت، إذا استدعاءٌ عاجل يصل إلى مالك ليستقبله السيد أنور السادات الأمين العام للمؤتمر الإسلامي بالزمالك وعاد إلينا مالك - يرحمه الله - وهو مسرور بهذا اللقاء لما رآه في أنور السادات من حسن الاستقبال وجميل الثناء ووفير الإعجاب بأفكاره العميقة، وعينه مستشارا له في المؤتمر الإسلامي. وفي ذلك الوقت كان مالك يكاد يصل إلى الصفر في حسابه، وإذا هو يصبح ذا دخل محترم ربما بلغ خمسين أو ستين جنيها.

ومازلت أذكر يوم دخل علينا مالك في البيت وهو غاضب، فلما استفسرناه قال لنا: إنه عازم على تقديم استقالته من مستشارية المؤتمر الإسلامي، لأن أمينه العام لم يستشره مرة واحدة!

غير أننا ثنيناه عن عزمه ذاك، وبيّنا له أن الأمين العام أراد فقط أن يساعده ماديا ليتفرغ للتأليف والكتابة، وقال له بعضنا: إن كان ولا بد من تقديم استقالتك فعليك بإرسالها إلى الأمين العام من خارج مصر، فربما تتعرض لخطر ما إذا أنت قدمت استقالتك وأنت مقيم بمصر وتلحق إذْ ذاك بكل من الشاذلي المكي ورفيقه اللذين أودعهما النظام المصري السجن بإيعاز من أحمد بن بلة لخلاف بين الطرفين. وكان الأستاذ مالك غير راض على جبهة التحرير؛ لأنها تَساهلت في قبول بعض الشخصيات غير النظيفة أعضاء فيها، كما لم يكن متفقا معها في بعض التصرفات، فأطرق الأستاذ مليا ثم رضخ لرأينا وهدأت أعصابه ورضي بالأمر الواقع وظل مستشارا دون استشارة!

> ○ اشترى محمود شاكر والعريان معظم نسخ كتاب "الظاهرة القرآنية" وقاما بتوزيعها على المساجد

وهكذا انطلق مالك ينتج في جو مشحون بالتوتر والمضايقات من بعض الجهات، لكنه كان يجد عزاء كبيرا في طلابه الذين كانوا يهتمون به ويحيطونه بعناية كبيرة وينظمون له محاضرات ولقاءات في الأندية الثقافية والطلابية، وبدأ إشعاع أفكاره ينتشر في العالم عبر هؤلاء الطلاب الذين كانوا من مختلف البقاع والأصقاع. سكن معنا سنة ونصف السنة، ثم اقترحنا عليه أن ينتقل للسكن مع بعض الإخوة الذين وفروا له جوا أكثر هدوءا وسكينة، لأننا كنا سنة ١٩٥٨ نواجه سنة التخرج وهي تحتاج إلى تفرغ أكثر.

ومن أهم طلابه الذين لازموه: من السعودية الدكتور عبد الله النافع، ومن تايلاند أحمد الصمدي. وهناك أسماء كثيرة من المغرب والمشرق كانت معجبة بأفكار مالك. وأكثر هؤلاء جميعا الإخوة اللبنانيون والإخوة الليبيون، زيادة على بعض المغاربة الذين لا يزالون إلى الآن يحاولون تنمية ودراسة كل من مالك بن نبي - يرحمه الله ـــ والأستاذ الكبير محمود شاكر حفظه الله ومتعنا بعافيته وامتداد عمره.

مالك بن نبي المفكر القدوة

بقلم: عبدالله عقيل سليمان العقيل

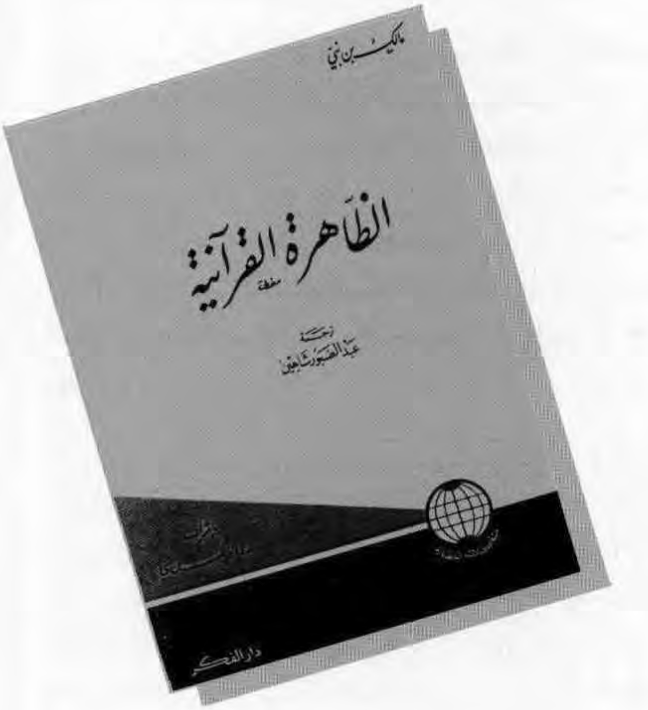
تربطني بالمفكر الجزائري الأستاذ الكبير مالك بن نبي روابط فكرية، حيث سعدت بقراءة أول كتاب له بالعربية وهو: «الظاهرة القرآنية»، وشدتني لقراءته والتمعن فيه المقدمة التي دبجتها يراعة الأديب اللغوي الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر، فضلا عن أن مترجم الكتاب الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين من الزملاء الأعزاء، وقد جمعتني وإياه روابط العقيدة والعمل المشترك في ميدان الدعوة إلى الله، فكان اضطلاعه بالترجمة حافزاً لي لقراءة كتاب عن مؤلف لا أعرفه من قبل. ثم تتابعت قراءاتي لما صدر بعد ذلك من كتبه المترجمة إلى العربية والتي وجدت فيها نظرة تستوعب مشكلات الحضارة، وتستلهم الحل الإسلامي لعلاج هذه المشكلات، وحل معضلات العصر، وبناء شخصية المسلم المعاصر البناءَ العقدي الإيماني المبني على النظر والتدبر في حقائق الكون والحياة والنفس الإنسانية ومسارها، ومحاربة التخلف الفكري والحضاري لمواجهة ضرورات العصر ومنطلقاته.

بعد أول لقاء:

ثم شاء الله أن التقي به أول مرة في الكويت حين دعوناه للموسم الثقافي هناك في أواخر الستينيات، وكانت لنا معه حوارات وندوات وأحاديث ومناظرات، خرجت منها بأن الأستاذ مالك بن نبي طراز فريد من المفكرين الذين يستخدمون العقل في تعضيد ما ورد بالنص، ويُؤْثرون التحليل للمشكلات ودراستها دراسة استيعاب، ويطرحون الحلول لمعضلاتها في ضوء التصور الإسلامي وفي ظل القرآن وهدي السنة.

ولقد تأثر به قطاع عريض من الشباب في المغرب والمشرق على حد سواء، فكان منهم الأستاذ رشيد بن عيسى من الجزائر، والأستاذ عمر مسقاوي من لبنان، والأستاذ جودت سعيد من سوريا، ود. عبد الصبور شاهين من مصر، وغيرهم من الذين حملوا الفكر الإسلامي المعاصر، فلقد كانت المدارس الفكرية للمودودي وسيد قطب ومالك بن نبي ينتظم في عدادها الألوف من شباب العالم الإسلامي عامةً والعربي على وجه الخصوص.

لقد أسهم الأستاذ مالك بن نبي بالعديد من المؤلفات التي ترجم بعضها إلى اللغة العربية، وكلها تدور حول مشكلات الحضارة، وفي مقدمة هذه الكتب كتاب (الظاهرة القرآنية)، وكتاب (وجهة العالم الإسلامي)، وكتاب (الفكرة الآسيوية)، وكتاب (شروط النهضة)، وكتاب (يوميات شاهد للقرن)، وكتاب (مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي)، وكتاب (آفاق جزائرية)، وكتاب (المسلم في عالم الاقتصاد)، وكتاب (لبيك) وغيرها.



مدرسةٌ للشباب المسلم

ولقد أحدثت موضوعات هذه الكتب أثرها في توعية الشباب عن الاستعمار وأساليبه، والنهضة وشرائطها، والحضارة الغربية وطرق التعامل معها، والشخصية المسلمة ومواصفاتها، **ولقد لفت الأستاذ مالك بن نبي نظر الأمة الإسلامية إلى أن الأخطر من الاستعمار هو القابلية للاستعمار، لأن النفوس إذا ضعفت وانهزمت من داخلها فمعنى هذا أنها ستكون خير وعاء لاستقبال الاستعمار والرضا به، والسير وراء حضارة الغالب، والتخلي عن**

ملف العدد

مالك بن نبي: من همّ الغربة إلى هموم الوطن !

أمجاد الماضي وأصالته، والالتصاق بكل ما يرد من المستعمر من خير وشر، وحلو ومر، وصواب وخطأ دون تمييز أو انتقاء، بل بتقليد المغلوب للغالب، والضعيف للقوي. وأوضح لها بأن القويّ الغالب هو الله فلا غالب إلا هو، وأن المسلم الحق هو الأعلى، وأن الإسلام هو الدين الحق.

ومن هذه النظرة المعتزة بدينها والمستعلية بإيمانها، الآخذة بخير ما في الحضارات، المعرضة عن سَوْءاتها، أهابت مؤلفات مالك بن نبي بأمة الإسلام ألاّ تكون من عبيد الاستعمار، وألاّ تكون مسخرة لأعماله ولا سوقا لمنتجاته، وألاّ تفقد أصالتها بتقليده في كل شيء حتى في الأفكار كما يفعل المستغربون والمصبوغون بحضارة المستعمر.

وقد أعطى مالك بن نبي الفكر الإسلامي عصارة أفكاره وخلاصة تجاربه، واستقطب العديد من شباب المشرق والمغرب الذين اتخذوا من أفكاره مناهج للتعامل مع الحضارة المعاصرة بأخذ الصالح منها واطّراح الطالح، وتسخير العقل لإعمال النظر في التراث الإنساني وإخضاعه للمقاييس والمعايير الإسلامية التي تريد للإنسان أن يعيش عزيزا مكرما في هذه الدنيا التي استخلفه الله فيها ليعمرها بعمل الخير وفعل المعروف، وإحسان العبادة لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد.

إن الأستاذ مالك بن نبي - رحمه الله - كان شعلة نشاط، ومنظّرا فكريا، ودارسا متعمقا، قدم الفكر الإسلامي الأصيل الذي أعاد لشباب الأمة ثقته بدينه والتزامه مفاهيمَه وتطبيقه لأحكامه، فالتقى تلامذته وحَمَلَةُ أفكاره بتلامذة المودودي وتلامذة سيد قطب، فكان هؤلاء ومن قبلهم تلامذة حسن البنا هم ركائز الصحوة الإسلامية الراشدة في العالم الإسلامي كله وتيارها الديني الذي سيجرف بإذن الله كل المفاهيم والأفكار العلمانية التي نشرها الاستعمار وروج لها الغرب في ديار المسلمين.

وسيطرح الحل الإسلامي بديلا عن الحلول المستوردة التي جنت على أمتنا، وفرقتها شيعا وأحزابا وطوائف وقوميات، فالحل الإسلامي فريضة وضرورة، وهو العلاج لكل المشكلات والمجيب عن كل التساؤلات، والمداوي لكل الجراحات.

من هذا المنطلق كانت كتابات هؤلاء العمالقة من المفكرين الإسلاميين تشد الشباب لاقتعاد مكان الصدارة والسير قدما إلى الأمام في ركب الحضارة المعاصرة، متزودين بأسباب اليقظة وشرائط الحضارة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، والتي تستلهم ماضي الأمة وأمجادها في شق طريقها نحو الحياة الحرة الكريمة في ظل الإيمان، وهكذا كانت تعاليمه مدرسة للشباب المسلم.

الزاد الحضاري

واذا كان مالك بن نبي قد امتلك زمام التعريف الحضاري بمعظم جوانب العطاء الإسلامي للحضارة البشرية، فإنني أعتقد أن الآثار التي خلّفها لنا هذا المفكر - يرحمه الله - هي بعض الزاد الحضاري الإسلامي الذي يمكن للمسلمين اليوم أن يطرحوه أمام العالم على مائدة النظام الدولي الجديد الذي لا يزال في حيز الصياغات البعيدة عن العطاء الحضاري الإسلامي.

لقد طرح مالك بن نبي - يرحمه الله - أفكارا ناضجة فيما يتعلق بالعلاقات الدولية والنظم السياسية والفكرية والثقافية والتربوية والتنموية التي تحتاج إليها المجتمعات البشرية الحديثة. ولقد عكس في كل ذلك الأنظمة الإسلامية في قالب حضاري وأسلوب معاصر لايصعب تناوله أو التعامل معه، كما أنه - يرحمه الله - تمكن من تجزئة الاحتياجات الحضارية للمجتمعات البشرية حيث فصلها وطرح البديل الإسلامي مقارنا مع النظم الإنسانية الوضعية، فكان بهذا الأسلوب صاحب رسالة نقلت إلى العالم جوهر الإسلام، وبدائله السماوية التي تتقزم أمامها كل النظريات

> عَكَسَ "مالك" الإسلام في عطائه، وأحسن العرض في أدائه

البشرية الوضعية، الأمر الذي رسخ الاعتزاز بالإسلام وحلوله في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وحصّن أفكارهم التي كانت في مطلع هذا القرن تستسهل قبول الفكر التغريبي المادي الذي سيطر فترة من الزمن على بعض العقول.

إن مالك بن نبي - يرحمه الله - أحد عمالقة الفكر الإسلامي في هذا العصر، عكس الإسلام في عطائه، وأحسن العرض في أدائه. فلنحسن بعده تزويد العالم وأنظمته اليوم بما تركه لنا من آثار، فذلك خير ما نقدمه من أعمال الوفاء له.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعل أعماله في ميزانه، إنه سميع مجيب.

الإنسان في معادلة مالك بن نبي

بقلم: نوره خالد السعد

تعتمد فلسفة مالك بن نبي الاجتماعية على منهج واقعي يتخذ من المجتمع واقعًا عمليًا وتاريخيا واجتماعيا، منطلقا لبحثه وتأملاته، فهو يتخذ من تجربته الشخصية الممتدة أكثر من نصف القرن العشرين شواهد موضوعية لهذه التأملات؛ فهو يأخذ هذه التجارب على سبيل الاستدلال ليقارنها بحوادث التاريخ، وخاصة التاريخ الإسلامي، وبالتالي ترتبط فلسفته بحركة المجتمع وسيره في التاريخ، موضوعها الإنسان بصورتيه الفردية والاجتماعية من جهة، وفي صورتيه النفسية والتاريخية من جهة ثانية (١). وكان يرى أن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى مستوى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها.

وكان يرى أن مشكلات العالم الإسلامي، مهما اختلفت أو تنوعت، تصب في إطار واحد، إنها مشكلة حضارة نحن خارجها، ومشكلة ثقافة لم يتكامل إطارها في حياتنا اليومية، واستطاع مالك بن نبي أن يدرس الأسباب الفعلية الحقيقية للتخلف الذي تعاني منه المجتمعات العربية والإسلامية، والعوامل الخارجيةالموضوعية والداخلية الذاتية التي تتآزر لصياغة هذا التخلف، وتأصيل بنيته في مجتمعنا المعاصر.

الإنسان يحرك التاريخ

إن القضية كما يراها مالك بن نبي ليست قضية أدوات ولا إمكانات، إنها في أنفسنا، إذ علينا أن ندرس أولا الجهاز الاجتماعي الأول وهو (الإنسان فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ) (٢) ونجد أن (الإنسان) في كتابات مالك بن نبي يُمثل المركز. لهذا فإن التّحدّي الذي يواجهنا كمسلمين هو إيجاد الرجال الذين يستخدمون التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم في التاريخ.

ولو أننا صححنا معنى الإنسان في أذهاننا لأدركنا تأثيره في تحريك التاريخ أحيانا وسكونه أحيانًا أخرى، في حين أن الإنسان في جميع الظروف هو الإنسان الذي كرمه الله وأحسن خلقه. ذلك أن هناك حقيقة اجتماعية مهمة يشرحها مالك بن نبي ليوضح الفرق بين الإنسان الذي يحرك التاريخ والآخر الساكن، ويضرب مثلاً (بقطعة من معدن الزنك في حالتها ـ الخام، أو في حالة مخلفات تلقى في المهملات، وبين قيمة القطعة نفسها بعد أن خضعت لتعديلات صناعية حولتها إلى شيء لا يثمن بما فيه من المادة ولكن بما فيه من عمل) (٣).

إذا نقلنا هذه البديهيات إلى مستوى الإنسان فإنها سوف تفسر لنا لماذا نجد هذا الإنسان عنصرًا حيًا في التاريخ ويسيطر على الأحداث أحيانًا، ونجده ساكنًا تسيطر عليه الأحداث في أحيان أخرى.

من هذا المنطلق يرى مالك بن نبي أن الإنسان له قيمتان: الأولى ثابتة، وغير متأثرة بالتاريخ وهي طبيعته كمخلوق كرمه الله، والثانية قابلة للتغيير والتأثر بالتاريخ والظروف الاجتماعية، وتلك هي قيمته ككائن اجتماعي (٤).

في الحالة الأولى يركز مالك بن نبي على الصفات الجسدية والنفسية التي تتحكم في مظهره الخارجي. أما في الحالة الثانية فإنه يوضح الصفات والمظاهر الفكرية والنفسية التي تشكلت من تراثه الاجتماعي وتجربته التاريخية. وبعبارة أخرى فإن **الإنسان في منظور مالك بن نبي يمثل معادلتين: معادلة تمثل جوهره كإنسان خَلَقَه أحسن الخالقين، ومعادلة ثانية تمثله ككائن اجتماعي يؤثر فيه التاريخ والحياة.**

ومن الواضح أن هذه المعادلة الأخيرة هي التي تحدد فعالية هذا الإنسان الذي لا يتغير فيه شيء في مختلف أطوار التاريخ بالنسبة لمعادلته الأولى، بل يمس التغيير معادلته الثانية بحيث تتغير فعاليته من طور إلى طور، ومن مرحلة لأخرى.

من كتاب العدد

● نورة خالد السعد
- كاتبة وأديبة.
- محاضر في قسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز - جدة.
- ماجستير في الأصول الفلسفية والاجتماعية للتربية من جامعة مينيسوتا - ولاية مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٢م.
- تعد دراستها في مرحلة الدكتوراه في الاجتماع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في بحث بعنوان (التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي: دراسة في بناء النظرية الاجتماعية).

ملف العدد

مالك بن نبي: من همّ الغربة إلى هموم الوطن!

هذا يؤكد أن شخصية هذا الإنسان ليست بسيطة وإنما هي مركبة تشتمل على عنصر ثابت يحدد كيانه كإنسان وعنصر متغير يحدد قيمته ككائن اجتماعي.

اهتم مالك بن نبي كثيرًا بالكينونة الثانية للإنسان القابلة للتعديل، إذ إن الإنسان لا يدخل العمليات الاجتماعية كمادة خام، بل يدخل في صورة معادلة شخصية صاغها التاريخ، وأودع فيها خلاصة تجارب سابقة وعادات ثابتة تحدد موقف الفرد أمام المشكلات كما يكون هذا الموقف من القوة أو الوهن، ومن الاهتمام أو التهاون، ومن الضبط أو عدم الضبط(٥). ويرى مالك بن نبي أن حالة الإفلاس والتدهور التي يعيشها المسلمون في العالم المعاصر تأتي نتيجة لانعدام الفاعلية في جهود المجتمع الإسلامي وليس عدم الإيمان. ويرى أن العلاقة الجدلية بين الإنسان والحضارة تقع خلف هذا الموقع. فالإنسان هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة، وهذا الكائن هو في ذاته ناتج حضارة (بكل خصائصها المادية وغير المادية). ويبدو هذا الدور واضحًا في معادلته المشهورة (**إنسان + وقت + تراب = حضارة**) وهو عندما استعرض هذه العناصر في كتاباته، أولى الإنسان عناية كبيرة واختصر الحديث عن العنصرين الآخرين. والسبب في ذلك كما يرى هو أن الوقت والتراب لا قيمة لهما إلاّ بالإنسان، إذ إننا حينما نتحدث عن التراب لا نبحث عن خصائصه وطبيعته ولكن نتحدث عنه من حيث قيمته الاجتماعية، وهذه القيمة الاجتماعية للتراب مستمدة من قيمة مالكيه(٦).

وهذا فإن العلاقة الديناميكية بين الإنسان وتحقيق التقدم تعتمد على الدور الذي يقوم به الإنسان كي يؤثر في مجتمعه، ويتم هذا إذا تم توجيه الإنسان في نواحٍ ثلاث:

١ ـ الثقافة.

٢ ـ العمل.

٣ ـ رأس المال.

١ ـ توجيه الثقافة

ركز مالك بن نبي في كتاباته ودراساته على مظهرين لمفهوم التوجيه.

أ) **المظهر الأول** هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت فهناك ملايين السواعد العاملة، والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت، والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون منهم في أحسن ظروفه الزمنية أو الإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه. وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن فكرة توجيه الإنسان(٧).

ب) **المظهر الثاني للتوجيه** هو التخطيط لأهميته القصوى في العالم المعاصر، فالتخطيط يؤثر في الأوضاع الاجتماعية ـ التاريخية للإنسان والمجتمع معًا؛ إذ إنه يشخص الغايات قبل تحقيقها، ومن الناحية الفنية يربطُ بين بعض المشكلات التي قلما نفكر في ربطها بصفة منهجية لأن العادات الفكرية لا تتغير بسرعة التطورات التي يحدثها العاقل الفني في الأشياء(٨). هذا من حيث مضمون التوجيه، **أما من حيث الثقافة فإن مالك بن نبي يعرفها تعريفات عديدة، نستخلص منها أن الثقافة ليست مجرد علم يتعلمه الإنسان في المدارس أو من الكتب بل هي جو من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحديد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس، ويرى أن الثقافة نظرية في السلوك وليست نظرية في المعرفة.**

تنطلق أهمية (الثقافة)، كمحيط يعيش فيه الفرد، من إسهامها وبصورة كبيرة في تحويله من (فرد) إلى أن يصبح «شخصًا» عن طريق تغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع وتؤهله لدوره في التغيير(٩). ويؤكد مالك بن نبي أن **الثقافة إذا ما تكونت في مجتمع، نشأت فيه تلقائيًا شبكة الصلات الثقافية، وتحددت فيه فعالية(الإنسان).**

ولكن ما الثقافة التي تنشئ الصلات الثقافية في المجتمع، وتوجد الفرد الفعال؟

للإجابة عن هذا السؤال يرى مالك بن نبي أنه لا بد وأن تصاغ الثقافة صياغة تربوية تعتمد على العناصر التالية كي تؤدي وظيفتها بالنسبة للفرد في عملية التغيير المطلوبة:

أ) التوجيه الأخلاقي «المبدأ الأخلاقي».

ب) التوجيه الجمالي.

ج) المنطق العملي.

د) التوجيه الفني أو الصناعة.

[تحتل الأخلاق (المبدأ الأخلاقي) مركزًا جوهريًا في مشروع مالك بن نبي الثقافي ليس بمعناها الفلسفي، ولكن بمعناها الاجتماعي، فالعناصر المادية وغير المادية لا تُصنَع بهما الثقافة، بل لابد من عنصر أخلاقي يربط بينهما ويزيد من تفاعلهما.

والحقيقة التي تتبادر إلى أذهاننا هي أن **الثقافة لا تستطيع أن تكون أسلوب الحياة في مجتمع معين إلاّ إذا اشتملت على عنصر يجعل كل فرد مرتبطًا بهذا الأسلوب، فلا يُحدث فيه نشوزًا بسلوكه الخاص، وهذا العنصر لابد أن يكون خلقيًا، فإذا تقرر وجود هذا العنصر كضرورة منطقية اجتماعية، فإننا نكون بهذا قد وضعنا فصلاً مهمًا من فصول الثقافة، وحققنا شرطًا أساسيًا من شروطها وهو المبدأ الأخلاقي(١٠).**

وإذا كان المبدأ الأخلاقي يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته. فهو يرى أن المبدأ

الجمالي من أهم العناصر الحيوية في الثقافة لأنه يحرك الهمم إلى ما هو أبعد من مجرد المصلحة، وهو في الوقت نفسه يحقق شرطا من أهم شروط الفعالية في الفرد والمجتمع. كما أكد أن التذوق الجمالي سوف يوجد المناخ الدافع للإنجاز في العمل وغَرْس العادات الإيجابية في جميع المجالات، وقد لخص هذا في المعادلة الآتية:

مبدأ أخلاقي + ذوق الجمال = اتجاه حضارة

كما يرى مالك بن نبي أن الانبعاث الثقافي يعتمد بدرجة كبيرة على وجود منطق عملي، إذ إننا أحوج ما نكون إلى المنطق العملي في حياتنا، لأن العقل المجرد متوافر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوما، وهو يقصد بالمنطق العملي كيفية ارتباط العمل بوسائله ومقاصده، وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئًا دون مقياس يستمد معاييره من الوسط الاجتماعي وما

شروط متعددة لتشييد حضارة تطابق إطار الإنسان كمخلوق كرّمه الله

يشتمل عليه من إمكانات [11]. وهو يربط بين غياب المبدأ العملي و(اللافعالية) ويرى أن سبب هذا يعود إلى افتقادنا الضابط الذي يربط بين الأشياء ووسائلها، وبين الأشياء وأهدافها، ويؤكد أن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة.

ولكن المبدأ الأخلاقي وذوق الجمال والمنطق العملي لا تكفي وحدها لبناء الثقافة، بل لا بد من العلم أو الصناعة كعنصر رابع ومهم لا يتم بدونه تركيبها ومعناها، ثم تأثيرها في فعالية الإنسان في المجتمع. ومن المسلم به أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه.

ويؤكد مالك بن نبي أن مشكلة الصناعة أو (الفن التطبيقي) هي في جوهرها مشكلة التوجيه للتربية المهنية تبعًا لحاجات البلاد [12].

٢ ـ توجيه العمل

إن العمل هو الذي يحدّد مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي، وبرغم أنه ليس عنصرًا أساسيًّا لإنتاج الحضارة كالإنسان والزمن والتراب إلاّ أنه يتولد من هذه العناصر الثلاثة لا من الخطب الانتخابية أو الوعظية. إذ عندما كان المسلمون الأولون يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة، كان هذا أول ساحة للعمل صنعت فيها الحضارة الإسلامية.

إن توجيه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي يعني سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، ويعني أيضا تأليف الجهود كافة لتغيير وضع الإنسان، أو إيجاد بيئة جديدة، ومن هذه البيئة يشتق العمل معناه الآخر (كسب العيش لكل فرد). والواقع أنه يجب أن يكون التوجيه المنهجي للعمل شرطًا عامًّا أولاً، ثم وسيلة خاصة لكسب الحياة بعد ذلك، لأن هذا التوجيه ـ حين يتحد مع توجيه الثقافة، وتوجيه رأس المال ـ يفتح مجالات جديدة للعمل.

٣ ـ توجيه رأس المال

يرى مالك بن نبي أن رأس المال آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي، لا آلة سياسية في يد فئة رأسمالية ـ كما عالجها ماركس ومدرسته ـ ويحدد مالك بن نبي معنى رأس المال [13] في أنه «المال المتحرك» الذي يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيط أكبر من محيط الفرد، وأقصى من المقدار الذي تحدده حاجاته الخاصة [14]. وكان يصر على ضرورة تحريك رأس المال وتنشيطه بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال مكدّسة معطلة إلى رأس مال متحرك، يُنشِّط الفكر والعمل والحياة في البلاد.

وبهذا التوجيه الذي يسير متضافرًا مع توجيه الثقافة، وتوجيه العمل يكون الفرد (الإنسان) قد استكمل الشروط اللازمة لتشييد حضارة تطابق إطاره الخاص كمخلوق كرمه الله بالخلق ثم أمره بالعبادة التي من أجلها كان الخلق، وإعمار الأرض كان جزءًا من المسؤوليات المنوطة بالإنسان

الذي كان مركز تفكير مالك بن نبي كي يؤدي دوره كاملاً في البناء والحضارة.

هوامش

١ ـ أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٦٥ م، ص ٦٤.
٢ ـ مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، ت. عمر كامل مسقاوي، المكتبة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون، ص ٥٠.
٣ ـ مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ م، ص ٣٠.
٤ ـ مرجع سابق ص ١٣١.
٥ ـ مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، ص ١١٣.
٦ ـ مرجع سابق، ص ٧٥ ـ ٧٦.
٧ ـ مالك بن نبي، شروط النهضة، ت. عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦ م، ص ٧٨.
٨ ـ مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، ص ١١.
٩ ـ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ت. عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ م، ص ٢٨.
١٠ ـ مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، ص ٧١.
١١ ـ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ م، ص ٨٥.
١٢ ـ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ م، ص ٨٨.
١٣ ـ مرجع سابق، ص ٨٨.
١٤ ـ شرح مالك بن نبي بالتفصيل المعنى الذي يعنيه برأس المال في عدد من مؤلفاته، ولغرض الدراسة لخصنا هذا الرأي.
١٥ ـ مالك بن نبي، شروط النهضة، ص ١١٠ ـ ١١١.
★ ـ إشارة إلى معادلة مالك بن نبي المعروفة:
إنسان + وقت + تراب = حضارة.

ملف العدد

مالك بن نبي

مفهوم الديمقراطية في فكر مالك بن نبي

بقلم: فضيل بومالة

تنطلق الدعوة إلى حوار الحضارات من ضيق الشعوب ذرعًا بالصراعات والحروب التي عاشتها وتعيشها . كما أن التاريخ يخبرنا أن الأمم لا تبني نفسها بمعزل عن العالم . ولكن ذلك الحوار لا يعني استيراد الأفكار واللغات ؛ فالفكرة في علاقتها باللغة تخفي وراءها طبيعة وأسلوب حياة يختلفان من أمة إلى أخرى لأن اللغة تعبير عن ثقافةٍ ورؤيةٍ للعالم .

أزمة منهج

يعيش **العالم الإسلامي** منذ بدايات عصر النهضة إلى اليوم صراعًا حضاريا مع **العالم الغربي** كقوة تمتلك وسائل التقنية (التكنولوجيا) . ولم يجد لذلك الصراع حلا وسطًا يبتعد عن الانغلاق والتقوقع على الذات باسم الحفاظ على الهوية ، أو الانقياد والتفسخ باسم التفتح ومعايشة العصر. وعلى ذلك تعد إشكالية التجديد من المشاغل الفكرية الكبرى في **العالم الإسلامي** وعلى رأسها مسألة الديمقراطية وعلاقتها بالإسلام .

إن تعدُّد الأصوات في ساحة الديموقراطيين ، المؤيدة منها أو المعارضة على السواء ، تعاني ـ في أغلب ظني ـ أزمة منهج في التعامل مع كل ما هو وافد أو دخيل على المجتمع العربي الإسلامي ، فإلى وقتنا الراهن ، لم تنشا في العالم العربي الإسلامي مدارس نقدية تعتمد المعرفية في البحث والتحليل بصورة حازمة ودقيقة .

إن القطيعتين اللتين نعيشهما على مستوى «الذات» لغياب النقد الذاتي والقراءات الجادة لحصيلة التراكم المعرفي الذي نمتلكه ، أو على مستوى «الآخر» لافتقادنا المنهجية والمتابعة الفكرية لكل ما يصدر عن **الغرب** بمختلف مدارسه ، هما ما دفعتا بنا إلى دراسة فكر الأستاذ **مالك بن نبي** ـ يرحمه الله ـ خصوصاً ، هو الذي عرف الحضارة الغربية من الداخل دون أن تتزعزع روحه الإسلامية مما جعله بحقّ بوتقةً لفكر الحضارتين الإسلامية والغربية في أرقى صورهما الإنسانية والإبداعية ؛ لأنه ببصيرته وذكائه ومنهجه العلمي **استطاع أن يكسر ذلك التقليد الذي يجعل من الماضوية تمسُّكًا بالأصالة ، ومن الذوبان في حضارة الغرب تحضُّرًا وحداثة . واستطاع بذلك أيضا أن يكشف لنا عن سبيل ثالثة لا نكون مبالغين إذا قلنا : إنها التعبير الحقيقي عن روح الآية الكريمة : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾** البقرة ١٤٣ .

إن **مالكا** في دراسته للإسلام والديمقراطية لم يعتمد منهج المقارنة بين النصوص ، أي بين نص منبعه الوحي ونص آخر نسجه العقل البشري والتجارب الإنسانية ما صلح منها وما طلح ، ولكن اهتمامه انصرف إلى وظيفتهما الاجتماعية (السوسيولوجية) والبنائية ، ولذلك تجده يُرجع كل مصطلح إلى بعده (الزمكاني) ، أي إلى مرجعيته الأصلية باحثًا عن روحه التي برزت أو تطورت عبر التاريخ حتى لا يسقط في الأحكام القيمية الاعتباطية .

مالك بن نبي والديمقراطية

يعتمد الأستاذ **ابن نبي** في أعماله المتعلقة بالمقارنات مع الإسلام المنهجَ الرياضي القائم على الاستدلال بالخُلْف ، أي تحليل الطرف الآخر أو الفكرة المقابلة والغوص في معانيه ومحاولة اكتشاف مواطن الخلل أو العجز مما يُسهّل عليه إعطاء **البديل «الإسلامي»** كضرورة معرفية أثبتت نجاعتها . . وهذا ما فعله في كتابه « **الظاهرة القرآنية** » في مسألتي الوحي والنبوّة مثلا .

> **الديمقراطية ليست إطارًا لغويًا ، وإنما لها أبعادها النفسية والفكرية والاجتماعية**

والديمقراطية عند ابن نبي تتعدى إطارها اللغوي إلى بعدها النفسي والاجتماعي ، فهي لم تعُدْ بمعنى «حكم الشعب لذاته» أو «سلطة الشعب» اعتمادًا على ما أورده توسيديد : «إذا كانت شؤون الدولة تدار عندنا لصالح الجماهير وليس لأقلية بعينها ، فإن نظامنا قد اتخذ من الديمقراطية اسمًا له »(١) .

إنها لم تعد ـ بهذا المعنى الذي فرضته ورسخته الثورة الفرنسية بدساتيرها المختلفة وقوانينها الأساسية Statuts ونظامها الداخلي ـ ولو أن الثورة الفرنسية كانت تبتغي بذلك القضاء على النظام القديم .

إن فلسفة حكم الشعب لذاته من وجهة نظر التاريخ غير صحيحة



لأننا لم نقرأ عن شعب سيّر شؤونه بنفسه كما أورد الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : «**الديمقراطية في الإسلام**». وإذا كانت السلطة تعني من جهة أخرى أن تخوّل الجماهيرُ شؤونها إلى قائد، فالتاريخ أيضا يدلنا أن شعوبًا كانت خاضعة لحكامها راضية عنهم بالرغم من اضطهادهم لها.

ولهذا «ينبغي علينا في الواقع أن نعيد الكرة في تحديد الديمقراطية دون ربطها مسبقا بأي مفهوم آخر كالإسلام، فننظر إليها على أعم وجوهها أي في إطار عمومياتها قبل أن نربط الموضوع بأي مقياس آخر» (٢).

الديمقراطية كمجموعة من الحقوق تحتاج إلى محرك ركيزته الأفكار ووسيلته الأشخاص.

وقد نظر الأستاذ مالك بن نبي - يرحمه الله - إلى الديمقراطية من ثلاثة وجوه:

١ - الديمقراطية كشعور نحو «الأنا».

٢ - الديمقراطية كشعور نحو الآخرين.

٣ - الديمقراطية كمجموعة الشروط الاجتماعية والسياسية اللازمة لتكوين وتنمية هذا الشعور في الفرد.

الثقافة والسلوك

إن وعي الإنسان بذاته شرط جوهري في بناء الثقافة الديمقراطية، وقد سبق للأستاذ مالك بن نبي أن استخلص أن **الثقافة بهذا المفهوم، سواءٌ أكانت ثقافة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، نظرية في السلوك، وليست نظرية في المعرفة بالمدلول الأكاديمي**، لأنها تحرر الإنسان من قيد «العبودية» والاستضعاف فترفعه بذلك عن كل دنس يصيب إنسانية الإنسان. وقد ضرب الأستاذ مالك - رحمه الله - مجموعة من الأمثلة في ذلك نقلا عن المؤرخ الفرنسي جيزو الذي قدّم في كتابه : «**تاريخ أوربا من نهاية الإمبراطورية الرومانية إلى الثورة الفرنسية**» استقراءً معرفيا وتاريخيا عن أصل وحقيقة الشعور بالسلوك الديمقراطي في الحضارة الغربية، فاستنتج أن حركتي الإصلاح والنهضة هما «أول تصريح بقيمة الإنسان الأوروبي في مجالي الروح والعقل» (٣). ومن خلال تتبُّع الحركة التاريخية لأوربا، يمكن لنا اعتبار أن تلك المخاضات طبعت في واقع اجتماعي تعبر عنه العادات والتقاليد أو الثقافة الشعبية لتلك الأمم، مما يؤهلنا للقول - كما أكد على ذلك أستاذنا **مالك** : إن هذا المعنى (الوعي الديمقراطي) لا يُفصَل عن تاريخ أوربا ليُطَبَّق على أمم أخرى» (٤) وهذا لا يعني أننا ننفي السنن الكونية المعبر عنها بالاطراد الاجتماعي التي من طبيعتها أن تفرز ذلك الشعور في أي بلد كان. فالأصل أن يكون ذلك الوعي منسجماً ونابعًا من تفاعل القيم المختلفة داخل المجتمع الواحد.

فالانتقال الذي عرفه الإنسان الفرنسي إبان الثورة الفرنسية من كونه تابعاومملوكا Sujet إلى مواطن Citoyen بعد الإعلان عن حقوق الإنسان في دستور ١٧٨٩، يعبر في الحقيقة عن تطور الذهنية الأوربية وتحرر شبكاتها النفسية والاجتماعية من القيود القديمة.

إن الوعي بالذات الذي زرعته التقاليد والعقلية في نفسية الإنسان **الأوربي** الجديد سهّل عليه بناء منظومة ثقافية واجتماعية عن طريق الوعي «بالآخر» والحوار معه. نجد (**روبسبير**) الفيلسوف والكاتب الفرنسي، الذي كان من طبقة الأقنان يجلس إلى طاولة واحدة في الفكر العالمي مع الشاعر والأديب (**ميرابو**) الذي كان من طبقة الأشراف، وعليه يمكننا القول : **إن الديمقراطية كسلوك نفسي واجتماعي هي الوليد الشرعي لتفاعل «الأنا» و«الآخر»، أو لنقل هي الأنا الجمعي بتعبير «فيخته» الذي يتشكل بفعل حركية التاريخ من أجل بناء منظومة ثقافية لأمة ما. وبهذا التفسير، تصبح الديمقراطية إثباتًا لوجود الإنسان كإنسان، بعدما أهدرت كرامته ونفيت وظيفته الكونية فأصبح مجرد آلة تردد «النَّعَمْ»، لا تعرف المساءلة أو الـ «لا»، وذلك حتى على مستوى الأدب، فهذا فيكتور هوجو** في قصته المشهورة (**الرجل الذي يضحك**) حيث يقول «**أورسوس**» لـ «**جوينيلين**» : «هناك سُنَّة يتمسك بها الطغاة، فإنهم لا يعملون شيئا، وسنة يتمسك بها الصغار فإنهم لا يقولون شيئا، إن الفقير ليس له صديق إلا صديق واحد : الصمت، إنه لا يجوز له أن يتفوه إلا بكلمة واحدة : نعم، فالاعتراف والرضا هو كل حقه، نعم للقاضي، نعم للطغاة». وقد علق الأستاذ ابن نبي على هذه القصة بالقول : إن «**نعم هنا إيجابية في لفظها سلبية في معناها ؛ لأنها تنفي «ذات» العبد الذي يخضع لإرادة يرفضها في «أناه»**. **فالنعم تعطيل بذلك لقدرات ذلك الإنسان الإبداعية.**

مالك بن نبي: من همّ الغربة إلى هموم الوطن !

بين العبد وخالقه

وإذا كانت الشروط الثلاثة المذكورة سابقًا هي التي تحقّق مبدأ الديمقراطية، فـ «هل الإسلام يتضمن ويتكفل بهذه الشروط الذاتية والموضوعية، أي هل يكون نحو «الأنا» ونحو «الآخرين» الشعور الذي يطابق الروح الديمقراطية كما بيّنا، وهل يوجد الظروف الاجتماعية المناسبة لتنمية هذا الشعور ؟» (٥).

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل، تجدر الإشارة إلى أن ابن نبي - يرحمه الله - قد عمل على مواجهة مراحل مختلفة من التاريخ الأوربي والإسلامي من خلال فعاليّة النصوص، كالنص القرآني ونص الحديث الشريف مثلا على الواقع الاجتماعي الإسلامي أيام الخلافة الراشدة لأنه كما يقول : نحن الآن أبعد ما نكون عن المشروع الإسلامي الذي أرسى **القرآن الكريم** قواعده وجسّده **رسول الله** ﷺ والصحابة والتابعون من بعده .

والإسلام في فكر ابن نبي يتلخّص في أبسط معانيه وقيمه في حديث لرسول الله ﷺ رواه مسلم والترمذي والإمام أحمد والبخاري عن أبي هريرة حيث قال :

«كان النبي ﷺ بارزا يومًا للناس فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟ . . . الخ إلى أن قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان» (٦).

والواضح أن **الأستاذ مالك** قد أراد أن يواجه بين أمرين يتناقضان في ظاهرهما سلطة الإنسان وخضوع الإنسان لسلطة الخالق سبحانه، ولذلك فقد نجد الإسلام والديمقراطية متناقضين من جانبهما العملي ؛ لأن الأول تعبير عن واجبات وفروض والثاني تعبير عن حقوق وضمانات . فكيف نوفق أو نوجد على الأقل أدنى رابط بينهما ؟

ولكن الديمقراطية عند ابن نبي - يرحمه الله - كما سبق أن أشرنا تتجاوز إطارها المعجمي، كما **أن الإسلام يفهم من بُعده الكوني والاجتماعي كأداة تغيير فاعلة تشكل إجابة متجددة عن تساؤلات الإنسان الخاضع لقانون التغيير والتطور لا في منظومته القيّمية ولكن في مقارباته الاجتماعية والثقافية .**

وعليه فمسألة الديمقراطية كمجموعة من الحقوق تحتاج إلى محرك ركيزته عالم الأفكار ووسيلته عالم الأشخاص ونتيجته عالم الأشياء المعبّر عنه بالضمانات المختلفة الذاتية منها والموضوعية . وإذا كان الإسلام مبنيًّا أساساً على «عالم أفكار» مصدرها الوحي، فإنه يحتاج بالضرورة إلى مُنفّذ لتلك الآيات الكونية والزمنية التي يتضمنها النص القرآني، ولذلك نجد القرآن الكريم يقرر شيئا أهم في اعتقادنا من أية وثيقة ضمان تمنحها جهة رسمية من الجهات، ذلك التقرير هو خلافة الإنسان في الأرض من منظور أن الله رفع هذا المخلوق حيث قال : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ الإسراء ٧٠ . فالتكريم هنا دليل قاطع على الثورة التي أحدثها القرآن الكريم في جوهر «الإنسان»، وكيف كان يُنظر إليه . إن التكريم الإلهي لابن آدم يرفع هذا الأخير عن كل مدنس ويقربه من كل مقدس، ولذلك نستشف من تحليل **الأستاذ مالك** - يرحمه الله - **أن القرآن الكريم** أضفى على الإنسان تكريمًا رائعا، لأنه ﴿ **سوّاه ونفخ فيه من روحه** ﴾ السجدة ٩، ولأنه جعل له الخلافة في الأرض فقال : ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . . .** ﴾ البقرة ٣٠، وقال : ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى . . .** ﴾ ص ٢٦ .

الحرية في الإسلام

إن الإنسان بشعوره بذلك التكريم يدرك حقيقة وظيفته الكونية، فلا يكون فقط مستهلكا لمجموعة من الحقوق والضمانات وإنما يصبح منتجا لها بهدف تحقيق رسالةٍ كلفه الله بها، رسالة الخلافة .

إن المسلم بهذا التصور يملك مضادًّا حيويا لكل نزعة منافية لمبدأ الشعور بالآخرين : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » . كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المشهور، **فالمسلم الحق أمة بذاته، فهو يعي إنسانية أخيه الانسان سواءٌ أكان مسلمًا أو يهوديا أو نصرانيا . لأن الشبكة**

الديمقراطية لم تخلّص الإنسان من سلطته على نفسه ومن سلطة الآخرين عليه !

السوسيو - نفسية التي ينسجها القرآن الكريم إنسانية قبل أن تكون إسلامية بالمعنى التخصيصي . مبنيةً على الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ الآية، النحل ١٢٥ . وقال : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الحجرات ١٣ .

إن عملنا هذا الذي نعقد فيه حوارًا هادئا مع الآخر يبعدنا شيئا فشيئا عن سلطة النفي والرفض التي **أصبحت سائدة - وللأسف الشديد - في عالمنا الإسلامي بين مختلف التيارات** . وهو - أي الحوار - الذي يمكننا من

لماذا أصبح المسلم قناة مستهلكة لمنتجات الحضارة؟

إبراز حقيقة الحرية الإسلامية المبنية على الوحي عكس المشروع الديمقراطي الغربي الذي تأسس على مبدأ أن يبقى الإنسان حبيس فكرة صنعها هو ولو جددها أحيانا. ولذلك نجد أن الديمقراطية بشتى أنواعها، سواء أكانت غربية أو شرقية، وبالرغم مما حققته «للإنسان الجديد» من حقوق، لم تخلصه من سلطته على نفسه ومن سلطة الآخرين عليه بطرق غير مباشرة. **فالإنسان باسم الحرية يمكنه أن يصيب نفسه بالأذى ويمكن أن يخضع أيضاً لسلطات قهر تلغيه كسلطة الدعاية والإشهار، أما «القرآن الكريم فقد حرّره ولكنه رسم له منهجًا يجعله لا يحيد عن مساره الفطري.**

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة القصص الآية ٨٣ : ﴿تلك الدارُ الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ فالآية قانون سماوي يمنع الإنسان صراحة من الاستعباد والتطاول والاستكبار كما فعل **فرعون** حينما خاطب **موسى** ﴿ **قال فمن ربكما يا موسى** ﴾ طه ٤٩، أو حينما خاطب السحرة الذين آمنوا بدعوة موسى ﴿ **قال آمنتم له قبل أن آذن لكم**﴾ طه ٧١، الشعراء ٤٩. وكذلك نجد القرآن يرفض الذل للمسلم الذي أعزه بقوله : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ المنافقون ٨، وقبوله العبودية والاستضعاف حيث يقول : ﴿ **إن الذين تَوَفّاهم الملائكةُ ظالمي أنفسِهِم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا** ﴾ النساء ٩٧.

الشورى الإسلامية

والأمر الذي يجب الإشارة إليه ـ ولو بعجالة ـ بعدما أثبتنا أن هناك تلاحمًا عضويًّا بين الإسلام والديمقراطية طبقا للتقنين الذي وضعه **الأستاذ مالك بن نبي** ـ رحمه الله ـ من وجهة نظر علم النفس وعلم الاجتماع، كيف نستطيع عمليا وموضوعيا أن نحقق ذلك المشروع الإسلامي القائم على الشورى ؟ أي هل نستطيع أن نحافظ على تلك الحريات والضمانات التي تكفلها الديمقراطيات المختلفة في إطار التصور الإسلامي ؟ وهنا يمكن أن نسرد مجموعة من الأمثلة :

ـ إذا كانت الديمقراطية تحمي حرية الضمير فإن القرآن الكريم يقرّر ﴿ لا إكراه في الدين، قد تبيَّن الرُّشد من الغَيّ ﴾ البقرة ٢٥٦. وإذا كانت تضمن حرية العمل والتنقل فإن القرآن بين قبل ذلك : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرضَ ذَلُولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ الملك ١٥. وإذا كانت الديمقراطية تتلخص في غالب الأحيان في حرية الصحافة والتعبير، فرسول الله ﷺ زرع في أصحابه روح المناقشة وإبداء الرأي، وما غزوة بدر إلا دليلا على ذلك. وهذا عمر، حينما اعتلى المنبر وأراد تحديد الصداق لييسّر الزواج لكل الشباب، خالفته امرأة عجوز مستشهدة بقول الله، فلم يستطع إلا ان يقول : «أصابت امرأة وأخطأ عمر» وقصّة أبي بكر الصديق الذي قال لأصحابه : لو رأيتم فيّ اعوجاجاً، قوموني. فقال له أحد الصحابة : «والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوّمناك بسيوفنا».

ـ أما ضمان أمن المنزل، فإن الله عز وجل أنزل فيه : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها** ﴾ النور ٢٧.

ونستطيع مما سبق ذكره أن نقول : إن الإسلام في أفقه السياسي والاجتماعي والاقتصادي رسم منهجًا للإنسان المعاصر حتى يخرج من الدوّامة التاريخية التي يعيشها لأنه لم يعد قادرًا على إنتاج فكرة لا تتنافى وطبيعته ومساره نحو التقدم الاجتماعي أيضا.

إننا من خلال محاولات متواضعة كهذه ندعو الإخوان المثقلين بهمّ الفكرة (**المشروع الإسلامي**) أن يواصلوا دس المنهج الذي بدأه أستاذنا المفكر **مالك بن نبي**، الذي وقف حياته على مشكلات **العالم الإسلامي** المرتبطة أساسًا بالمسلم الذي لم يعد «**حضارة**» في حد ذاته ولكن قناة مستهلكة لمنتجات حضارة.

« وإن هذه الأعمال وهذه المحاولات لا تنجح إلاّ أن تضع في ضمير المسلم تقويمًا جديدًا للإنسان، أي بقدر ما تضع في ضميره قيمته وقيمة الآخرين حتى لا يقع في هاوية العبودية أو هاوية الاستعباد»(٧).

الهوامش

(1) Thucydide 0 Histoire de la Guerre du Péloponnese. Livre II chapitre 37.

(٢) ابن نبي، مالك : تأملات. دار الفكر ١٩٨٦ ص ٦٤.

(٣) ابن نبي، مالك : نفس المصدر ص ٦٦.

(٤) نفس المصدر ص ٦٦.

(٥) نفس المرجع ص ٧٠.

(٦) لم يكن الحج قد فرض بعد.

(٧) ابن نبي، مالك : تأملات. دار الفكر ص ٩٠.

من كتاب العدد

● **فضيل بومالة**

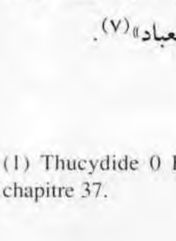
ـ من مواليد عام ١٩٦٨ م في ولاية جيجل ـ الجزائر.

ـ خريج معهد الترجمة (إنجليزية ـ فرنسية ـ عربية) من جامعة الجزائر.

ـ يحضر دبلوم الدراسات المعمقة في علم الاجتماع في جامعة السوربون ـ باريس.

ـ عمل في إعداد البرامج الإذاعية ويعمل الآن صحفيا مع مجلات عربية وأجنبية.

ـ عضو مؤسس لنادي مالك بن نبي في مدينة الجزائر.



التميُّز الفكري عند مالك بن نبي

بقلم: هيام الملقي

يُعدّ العلامة مالك بن نبي بحق من أبرز أعلام نهضتنا الحديثة الذين نبغوا في مجال الفكر الحضاري وتطبيقاته الاجتماعية والإنسانية (الأنثروبولوجية)، كما عبروا بطريقة علمية رصينة عن ماضينا الثقافي وعن واقع أمتنا الحضاري المعاصر بين الأمم الأخرى.

كانت اهتماماته الوطنية الجزائرية من الأسباب التي شدت انتباهه إلى حوادث الصراع الحضاري بين شعوب أمتنا الإسلامية في مرحلتها الأخيرة، بعد أن جعلها التخلف هيكلاً فارغًا يسوده الجمود في كل مرافقه. وبينما كانت الأمة الإسلامية تعاني هذا التخلف كانت الثقافة الأوربية وحضارتها تبنيان عالمًا ثقافيًّا ذا وجهة مادية مكّن الغرب من تطور تقني يرافق تطوره العلمي التطبيقي الواسع النطاق، ليبسط سلطانه خارج حدوده معتمدًا على منطق الفعالية لا الأصالة ومن ثم ينجح في نشر أساليبه داخل الثقافات الأخرى.

الينابيع والانطلاقة

لقد أفرزت ظروف نشأته وما عاناه حينها في موطنه من احتلال نوعًا من القلق والحيرة الذي أخذ يسيطر على شخصيته وكيانه، وإن مثل هذا عادة ما يسيطر على أمثاله من المفكرين والعباقرة المبدعين الذين يملكون القدرة على الإبداع الفكري، فيمكنهم هذا من الاهتداء إلى حل يعالجون به صراعهم النفسي فيخرجون إلى الناس بالحل عن طريق نتاجهم الفكري.

كان مالك بن نبي يستمد تفكيره من التوجيهات القرآنية والأصول الإسلامية فيما يتعلق بحقيقة الزمان والمكان التي تتجه إلى تصور الكون متحركًا متغيرا قابلاً للازدياد والتطور، إلى وحدة الأصل الإنساني وتدعو إلى فهم التاريخ بوصفه حركة جمعية تشارك الأمم في صنعه، وكانت روح هذه الحركة الثقافية قد سبق أن برز أثرها في كتابات أسلافنا في مجال الفلسفة والاجتماع والحضارة، كما ينضج أثر هذه الحركة الثقافية الجمعية في منطق ابن خلدون أثناء كتابته للمقدمة التي أوضح فيها سنن العمل الاجتماعي.

كانت اهتمامات مالك بن نبي بدراسة مشكلات الحضارة ناتجة عن حرارة المأساة التي تعيشها بلاده المستعمرة وكل البلاد المتخلفة التي تتعرض لأحداث هذه الظاهرة البشعة، مما دفعه إلى الاهتمام الواضح بالثقافة الفلسفية والتاريخية واستيعاب المعارف القديمة، بالإضافة إلى إحاطته بأهم النظريات والعلوم التي برزت في ساحة الفكر مع النهضة الثقافية الأوربية كعلم الاجتماع وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلم النفس وكثير من العلوم العقلية والإنسانية الأخرى.

وكان الإمام الغزالي بعيد النظر حينما قال: «لا ندرك العلوم الشرعية إلا بالعلوم العقلية، فإن العقلية كالأدوية للصحة والشرعية كالغذاء. والنفس المريضة المحرومة من الدواء تتضرر بالأغذية ولا تنتفع بها».

فكر تحليلي عميق

إن التكوين الذي حصل عليه مالك من العلوم الإنسانية وغيرها قد مكنه من إدراك الواقع برؤية حضارية متميزة، كما أن مشكلة بلاده مع

من كتاب العدد

● **هيام الملقي**

- من مواليد دمشق، سورية.
- ليسانس في العلوم الاجتماعية عام ١٩٦٣م.
- عملت مدة ثماني سنوات في عدة حقول اجتماعية تابعة لدوائر رسمية بدمشق، منها:
  دائرة رعاية الأسرة والطفولة.
  دائرة إنعاش الريف.
  الإشراف على المؤسسات الاجتماعية بدمشق.
  مؤسسة المكفوفين بمنصب نائب مدير.
- انتقلت الكاتبة مع عائلتها إلى الرياض للعمل في المملكة العربية السعودية، حيث عملت في الإشراف الاجتماعي على إحدى المؤسسات الاجتماعية بالرياض.
- عملت بعدها في المجال التعليمي والتربوي في مدارس الرياض في سنواتها التأسيسية ثم انتقلت بعد ذلك إلى العمل في مجال الكتابة في عدة مطبوعات صحفية، منها: مجلة اليمامة، صحيفة الجزيرة، صحيفة الدعوة.
- من إصداراتها:
  ١ ـ كتاب (المرأة بين التعليم والعمل) ط ١، عام ١٩٨٧م.
  ٢ ـ كتاب (دراسة في الفلكلور والثقافة)، حول تأصيل لعلم الإنسان من منظور إسلامي ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م نفدت، ط ٢ تحت الطبع.
  ٣ ـ كتاب (ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري)، من منظور إسلامي، تحت الطبع.

الاستعمار، جعلتـه يجاهد في سبيل الإحـاطـة بأعمال الاستعمار وأساليبـه، ويقوم بتحليل ذلك النوع من الصراعـات في العلاقات الإنسانيـة ومراقبة أحداثها وتتبع أعمالها في ذلك الذي يسمونه ـ حسب المفاهيم الاستعمارية «العالم المتخلف» أو «العالم الثالث».

كما أن رؤيته الحضـارية مكنتـه من تتبع أمور كثيرة، ومن بينهـا نتائج أعمال القيادات الفكرية الإسلامية وهي تحاول النهوض بمجتمعاتها وتحليل مسـارهـا داخل بنـائها الاجتماعـي والثقافي، الـذي يتعـرض للصراعـات الفكرية من قبل الظاهرة الاستعمارية ومناوراتها ومخططاتها، التي تستخدم أرفع النظريات العلمية لأحط الغايات وأسوأ الأهداف.

أما معالجته وتحليـلاته للواقع الثقافي لحضارتنا وواقع كـل ثقافة فنجد أن مـالك بن نبي في ذلك كـالطبيب الماهر الـذي يقـوم بالتحليل الـلازم ويشخص المرض ويصف العلة ويوضحها، مقتديًا بالمنهج القرآني وبسيرة النبي العظيم محمـد ﷺ. فتراه عالمًا في البيـولوجيـا الاجتماعية أو الثقـافية ومـدركًا أن حلـولاً حضـارية أو ثقـافيـة قد تصلح لمجتمع مـا ولا تصلح لآخر، وأنه لا بد أن تكون الحلول نابعةً من واقع ثقافة المجتمع نفسه، ولا تنفع معها الحلول الخارجية أو الغريبة عنها.

اكتسب تميّزه الفكري من فهمه للمنهج القرآني واطلاعه على التراث

وعي بالمنهج القرآني

إن ثقافته في مجال الهندسة الكهربائيـة وفهمه لأكثر معارف ونظريات عصره وعلومـه سـاعـدته على أن يتـابع أحـوال الثقـافـة ومتغيراتها أثنـاء مواجهتهـا لثقافـة أخرى، فيتحـرك إلى وصف أحوالها بـديناميكيـة تراعي الجانب النفسي للثقافة، كما تعبر عن كل وجه من وجـوه المعرفة الإنسانية وكل جزئية من جزئيـات العمل الحضاري داخل الكل الذي يمثل الواقع وطبيعـة مـرحلته في المسيرة الحضـاريـة، كما يستخلص العلم من خـلال تطبيقه على أرض الواقع، ويـربط المعرفة مع وقائعها التـاريخية وتسلسلها المنطقي، وبتعبير آخـر فإنه يستخـدم في عنايتـه بأحوال الحضـارة منهجًا تحليليًا علميًا فريدًا من نوعه ينم عن تفوقه في استيعاب مشكلات الحضارة وفهمه لمتغيراتها، فضلاً عن مهارتـه في تحليل أسباب هذه المتغيرات، **وقد اكتسب هـذا المنهج في عقليتـه العلمية النـاضجـة وفهمه للمنهج القـرآني واطلاعه الواسع على تراث أجدادنا وتراث الحضارات الأخرى، فمثل هذه الثقافة الواسعة منحته غزارة في التعبير الأدبي عن دقائق العمل الإنساني على المستوى الفردي والجماعـي لجميع جوانب الإنسان الحضاريـة، وخصوصًا ذلك المستوى الجمعي الذي يمثل روح الحركة الثقافية للجماعات البشرية ذات الأصل الواحد.**

فنجـده تارة يستعين بتـوضيح ما يـريـد توضيحـه من معنى بالمأثـور الشعبي من واقع الثقـافة الأوربيـة أو ثقافتنـا، كما يستعين أحيانًا أخرى بتوضيح بعض المعاني الحضـارية بآيات قرآنيـة أو أحاديث شريفة وذلك حين يشرح لنا هندسة الحضارة أو هندسة الثقافة ومتغيراتها.

مع واقع الثقافة

وعندما يتكلم عن الصراع الفكري في البلاد المستعمرة بين ثقافة أوربية غازية وثقافة مستعمـرة فإنه يستعين بتلك الحصيلة الثقافية من التعبيرات العلمية والأدبيـة والمعرفية التاريخيـة؛ ليصور لنا ذلك العـالم المعرفي داخل إطار علم قائم بذاته لـه دقائقه وعمومياته وتفاعلات عـلاقاته ما بين عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء، والتي يمثل كل منها على التوالي: مرتبة المنطق (الفلسفة)، ومرتبة (الأيدلـوجية) السياسية، ومرتبة (التقنية) والاقتصـاد، وأيّ فسـاد في العـلاقـات بينهـا يـولـد اضطـرابًا في الحيـاة الاجتماعية.

ولئن كـانت تحليـلات تفـاعلات الكيميـاء والفيـزيـاء تخضع للعلم التجريبي في المخابر، فإن هذه التفاعلات الاجتماعية والصراعات الفكرية في البـلاد المستعمرة تخضع قـواعدهـا لعلوم الاستعمار وخططـه وأحداثـه التـاريخية المشـاهـدة التي تصبح بعد حين جـزءًا من تـاريخها أو التـاريخ الثقافي المعاصر. فهي تخضع لعلم واقعي له تجاربه وقوانينه.

ولكي يضع مـالك بن نبي يـده على واقع ثقافتنـا مع الأخـذ بجانبهـا النفسي بين ثقافـات العالم أجمع، وخصوصًـا واقعها مع الثقافـة الأوربية، عمل على تركيـز اهتمامه على تحليل تراكيبها والتعـرف على واقعها التاريخي مستعينًـا بتجـربة بعض البلـدان الأوربيـة التي بـرزت ثقافتهـا في الـواقع المعاصر كما هي الحال بالنسبة لألمانيا.

وقد دفعَه ذلك إلى إلقاء الضـوء على بعض التعريفات التي جاءت في الفكر الغربي وبيان خطئنا في استيراد هذه التعريفات الغربية.

وقـد أوضح مالـك الدورة الحضـاريـة بشكل يكمل مـا جاء بـه ابن خلـدون، ويصحح بعض الأخطـاء في تشبيـه الحضـارة تشبيهًـا حـرفيًـا ببيولوجية الكائن الحيّ، كما بين أهمية الإسلام بالنسبة لوضع مجتمع الجزيرة على عتبة الحضارة.

وتؤكد لنا المفاهيم التي شرحها مالك بن نبي في مسألة الثقافة أنه ـ إلى جانب استيعابـه للفكر الغربي وعلومه ـ قـد رَبَطَنـا بشكل مباشر بالمنهج القرآني، وبتراثنا العقلاني الذي صنعه أجـدادنا والذي اقتبسته وتنكرت له الحضارة الغـربية، أي إن فكـر مالك بن نبي يعطينـا إضاءة فكـرية نحن بأمسّ الحاجـة إليهـا وخصـوصًا فيما يتعلـق بثقافتنـا التي تسبق مـرحلـة التحديث الأوربي، وتسبق استحـداث الغرب للعلـوم الإنسانيـة الجديدة التي أصبح بيننـا وبينها هـوة ثقافية مـن جراء صيـاغتها من وجهـة النظر الغربية!

ويعدّ من الجوانب الإيجابية في فكر مالك بن نبي أنه أعطانا تطبيقات عملية لهذه العلـوم الثقافية على ضـوء الواقع الفعلي والأحـداث المحلية في عـالمنـا العـربي والأحـداث العالميـة، كما هـو الحال في المحـاور الثقـافيـة والسياسيـة، كمسألة التعايش والتعـاون السليم، ومحور طنجة جاكـرتا، ومؤتمر باندونج، ونهضة اليابان.

ملف العدد

مالك بن نبي

مالك بن نبي:
من همّ الغربة إلى هموم الوطن!

وإن أعمال مالك بن نبي بشكل عام هي علمٌ نظريٌّ تطبيقي مرتبط بالواقع الذي عاشه في وطنه العربي والإسلامي من خلال مشاركته للأحداث الإنسانية العالمية، كما أن من مميزاتها أيضًا أنها متصلة بواقعنا تكشف إيجابياته وسلبياته، **وعلى الرغم من مرور عقدين على وفاته فإن كتاباته ما زالت تترجم واقعنا الآن وما نعانيه من مشكلات، ويبدو أنها ستبقى قائمةً لأمد بعيد!**

مع ابن خلدون

وإذا كانت هناك عوامل نفسية واجتماعية وثقافية قد اجتمعت لتكون لنا في الماضي عقلية ابن خلدون كما جاءت في المقدمة التي تبين لنا أهمية الدين كوازع مهم في سلوك البشر، وتبين لنا بشكل مبدئي مراحل تطور الدولة من خلال نظرة في حركة العمران البشري وأغلاط المؤرخين في أخبارهم بما يتصادم وسنن العمران. **فإننا نلاحظ، بالمقارنة، أن ما يشغل تفكير مالك بن نبي ـ من خلال التحدي المعاصر ـ أمرٌ مختلف عن واقع ابن خلدون ومشكلات عصره، ومع اختلاف المجالين فإن هذا الاختلاف لا يلغي أن كلاًّ منهما قد عالج الحضارة بحسب مفاهيم العصر الذي عاشه ومشكلاته، كما أن كليهما كان متعمقًا في العلوم المعاصرة المرتبطة بحضارة الإنسان.**

إن مالك بن نبي قد تيسرت له الظروف لكي يعبّر عن صراع معاصر كان قد بدأ منذ عصر ابن خلدون واحتدم أوار معركته، وهو صراع الأمة الإسلامية مع الحضارة الغربية، حيث إن تطورات الزمن قد أضعفت بشكل طبيعي أهمية صراع البدو مع الحضر، وبرزت على الساحة مشكلة الحضارة الأوربية التي سلحت نفسها بكل أسباب القوة المادية والعلمية، وسايرت في ذلك مطامعها الاستعمارية مع الحضارة الإسلامية ومع كل الحضارات الأخرى وثقافاتها.

وهكذا نجد مالك بن نبي قد ترك لنا تراثًا مكملاً لتراث ابن خلدون في علم الاجتماع والإنسان (الأنثروبولوجيا) والتراث الشعبي (الفولكلور)، وكل العلوم المترابطة التي تتخصص بتوضيح جوانب المعرفة الحضارية، وهي تدعو جميعها إلى معالجة أعمال الإنسان الحضارية في الماضي والحاضر والمستقبل، وبمعنى آخر تدعو إلى شمولية المعرفة عن الإنسان وحضارته؛ بحيث تقوم بتحليل التراث العلمي الحضاري تحليلاً علميًّا يستوعب جوانب ثقافتنا وعلوم العصر الإنسانية ويهيئ لنا إعداد منهج تربوي، يساعدنا على صنع الحضارة.

ونتساءل أخيرًا وهل سنعمل على تسخير تراث ابن خلدون ومالك بن نبي وأمثالهما من المنتمين إلى الذات الإسلامية والمؤمنين برسالة الحضارة الإسلامية ـ في فقهنا الحضاري وفي تأصيل مناهجنا البحثية والفكرية، أم إننا سنظل مهملين لكنوزنا وقلاع انطلاقنا، فيستفيد منها الخصوم أكثر مما نستفيد، ثم نقف متسولين نجمع نتفًا مبعثرة من أفكار الآخرين، فلا نقوم من مأزق سياسي إلا لنقع في حفرة ثقافية أو اجتماعية. وهكذا دواليك.

قالوا في مالك بن نبي

ابن نبي في الواقع ليس كاتبًا محترفًا، أو عاملاً في مكتب مُكِبًا على أشياء خامدة من الورق والكلمات، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة بمعنى الإنسان في صورتيه الخلقية والاجتماعية.

الدكتور عبد العزيز الخالدي

مقدمة (شروط النهضة) لمالك بن نبي

إن الغبطة التي شعرت بها وأنا أقرؤك، هي من العمق بقدر ما أتاحت لي هذه القراءة أن أدرك من جديد، ذلك الجهد الجاد المستقل والمتجرّد، يقود الباحثين عن الحقيقة إلى نتائج متماثلة بل موحَّدة، رغم المسافة التي يمكن أن تفصل بينهم في المكان والزمان.

الدكتور الشيخ عبد الله دراز

مقدمة الطبعة الفرنسية لكتاب (الظاهرة القرآنية)

لمالك بن نبي

أعلم أن رجلاً أثنى على رجل عند النبيّ ﷺ فقال له: «ويلك قطعت عنق صاحبك» قالها ثلاثًا. ومالك أعزّ عليّ من أن أقطع عنقه بثنائي أو أهلكه بإطرائي.

الأستاذ محمود محمد شاكر

مقدمة كتاب (الظاهرة القرآنية)

لمالك بن نبي

يطرح الأستاذ مالك الإسلام كملهم لقيمنا وقادر على استعادة دور الإنسان مبرأً من ثقل الحضارة الإمبراطورية، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم للعالم ككتاب، وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية.

عمر كامل مسقاوي

يختلف مالك بن نبي كثيرًا عن الدعاة المفكرين والكتّاب، فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمدّ من القرآن والسنة والتراث العربي الإسلامي الضخم، وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراثهم وتاريخهم.

أنور الجندي

الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقية (ص ٦٤)

نحن في العالم الإسلامي، نعاني آثار احتقارنا وتجاهلنا لمالك بن نبي. أكبر مفكر حقيقي منذ ابن خلدون.

نور الدين بوكروح

مقدمة كتاب (من أجل تغيير الجزائر)

لمالك بن نبي

ربط الأصالة بالفعالية في مشروع مالك بن نبي

بقلم: محمد يحياوي

من الصعب أن يتحدث المرء عن فكر مالك بن نبي في صفحات قليلة، أو في مقالة موجزة أو دراسة متعجلة، لأن عمله قام على بناء مشروع حضاري ضخم متكامل بإتقان كبير طوال حياته الفكرية، من خلال استقرائه لمعطيات الواقع الإسلامي أولا. ومن معطيات الواقع الغربي ثانيا. ومن معطيات التاريخ الإنساني ثالثا.

فكر علمي

فكر مالك بن نبي فكر علمي، سواء من حيث الطريقة التي اعتمدها في دراسته للأوضاع الإسلامية والغربية، أو من حيث النتائج التي وصل إليها في هذه الدراسة. لذلك لا يمكن أن نتعرف أو نفهم مضمون العمل الذي أنجزه مالك بن نبي إلا إذا استعنّا بالمناهج العلمية المعمول بها في ميدان العلوم الإنسانية أو العلوم الأخرى على السواء.

والذي يقرأ مؤلفات مالك بن نبي للمرة الأولى، أو الثانية، قد يخطئ فهم مقاصد الرجل. وقد يفهمه على غير حقيقته، خاصة إذا كان هذا القارئ يفتقد النظرة العلمية، ويجهل الأساليب العلمية التي كانت سائدة في بداية القرن العشرين.

وعندما نقول إن فكر مالك بن نبي فكر علمي، لا نعطي حكماً تقويمِيًا، وإنما نقرر واقعًا. ونحن نقول هذا انطلاقا من إمكان اختبار هذا الفكر اختبارًا علميًّا. حيث نجد أن كل الشروط والمواصفات، التي من الواجب توافرها في أيّ بحث علمي، قد استوفاها واستوعبها فكر مالك ابن نبي.

إن مشروع مالك بن نبي ــ في مضمونه ـ هو دراسة علمية **للإسلام، وتطبيقه عبر التاريخ**، وعندما نقول دراسة علمية فإننا نقصد أن مالك بن نبي تناول الإسلام بوصفه حقيقةً تدرس في ضوء مناهج العلوم، وتناول هذه المناهج في ضوء الإسلام. وهذا يعني **أن الذي لا يملك دراية بالإسلام، ولا يملك دراية بالعلوم المعاصرة، لا يستطيع أن يفهم مشروع مالك بن نبي على صورته الصحيحة. كما أن الذي يملك دراية بأحدهما دون الآخر، كذلك، لا يستطيع أن يدرك جميع أبعاد المشروع.**

من كتاب العدد



● **محمد يحياوي**

ـ من مواليد مدينة المديّة في الجزائر عام ١٩٥٧ م.

ـ يحمل (ليسانس) فلسفة من جامعة الجزائر.

ـ يحضر أطروحة ماجستير حول (المنهج في فكر مالك بن نبي).

ـ يعمل حاليا أستاذا للفلسفة في مدينة البليدة.

غياب هذه الحقيقة جعل أغلب الدارسين لفكر مالك بن نبي يبقون على هامش الفكر الذي بناه، فمنهم المتضلع من قضايا الدين والمتفقه في أحكامه، غير أن عدم إلمامه بالعلوم المعاصرة ومناهجها، منعه من الإلمام بمشروع مالك بن نبي، ومنهم رجل العلم التطبيقي، فهو بحكم هذا التكوين يملك دراية بمناهج هذه العلوم، ولكن ضعف وعيه بروح الإسلام ومقاصده، منعه من فهم وإدراك مشروع مالك بن نبي. وهذا ما يفسر لنا كون مشروع مالك بن نبي بقي غامضًا، وغير معروف، سواء في موطنه، الجزائر، أو في العالم الإسلامي والغربي. وهكذا بقي المشروع دون استثمار.

إذًا فحتى نفهم مالك بن نبي ونعرف طبيعة مشروعه يجب أن نجمع بين الفهم الصحيح للروح الإسلامية ومقاصدها، وبين المعرفة العلمية التطبيقية، ومناهجها المختلفة. يقول مالك بن نبي: **«يجب تجديد كيان المسلم طبقًا للتعاليم الإسلامية الحقة ومناهج العلوم الحديثة»**(١).

وإذا أردنا بعد هذا أن نختار نموذجًا من مشروع مالك بن نبي فلنتناول الجانب العلمي فيه وارتباطه بالطرح الإسلامي. إننا نجد ظاهرة تعتبر من أهم الظواهر التي درسها مالك بن نبي، **هذه الظاهرة هي: صدق الأفكار أو عدم صدقها وفعاليتها أو عدم فعاليتها. أي كيف نفسر عجز فكرة ما عن التأثير في حياة الناس، برغم أنها فكرة صحيحة، وصادقة «صدقًا مطلقًا»** في الوقت الذي نجد فيه فكرة فعّالة توجه الناس وتشكل الطاقة الحيوية لسلوك الأفراد برغم أنها فكرة غير صادقة، وغير صحيحة من الناحية المنطقية والنظرية. بل قد تكون فكرة هدامة. ونعطي المثال التالي لتوضيح الموضوع.

القرآن وحياتنا العملية

الإسلام، بمحتواه القرآني، خطاب إلهي صادق في مضمونه، متوازن في بنائه المنطقي، ومتجانس في محتوياته، ويمثل أصدق الأقوال وهو الكلام الرباني الذي لا يوجد ما هو أسمى ولا أرفع ولا أصدق منه، **ومع ذلك نجد القرآن لم يدخل كليا في حياة المسلم**(٢) **العملية. فلا يزال المسلم يتصرف في حياته ـ في الغالب ـ بطرق تختلف عن تعاليم القرآن. وأصبح الخطاب القرآني، وسلوك المسلم في تباين واضح. وعلى العكس من ذلك نجد أن بعض الأفكار تسيطر على حياة الناس وتوجه سلوكهم، ونظامهم**

ملف العدد

مـالك بـن نـبي: من همّ الغربة إلى هموم الوطن !

الاجتماعي، والسياسي، برغم أن هذه الأفكار باطلة وفاسدة، من الناحية النظرية. وخير دليل على هـذا ما نلاحظه من ظواهر في العـالم الإسلامي كالاستلاب الثقافي، والغزو الفكري. وبرغم علم أفراد المجتمع الإسلامي بأن هذه الظـواهر فيهـا من المضار أكثر ممـا فيها من المنـافع، إلا أن سرعة انتشارها تذهل الملاحظين.

إذن هناك إشكالية، تحتاج إلى دراسة وإلى حل، لأن التعارض واضح بين ما هو صـادق، وما هو فعّال. فما هو أسـاس هذا التعارض؟ وكيف يمكن تجاوزه، والتحكم فيه، وفي نتائجه؟.

هنا يبدأ مشروع مالك بن نبي، وهنا تبدأ الدراسة العلمية التي قام بها هذا المفكر. فالحل في نظره[٣] مرتبط بمعرفـة الأسباب التي تغيّر الناس، وتؤثر في حياتهم وأفكـارهم ومشاعرهم. وهذا يمكن أن تسهم في معـرفته مناهج العلوم الإنسانية، مثل علم النفس الذي يتيح لنا معرفة جوانب من النفس البشرية ونظامها الداخلي، ويتيح لنا معـرفة أهم العوامل التي تؤثر في ذوات الناس، وتتحكم في ميولهم واستعداداتهم.

كما أننا يمكن أن نتعـرف أسباب صدق الأفكار وفعاليتهـا من خلال معرفتنا بالشروط الموضوعية التي تؤدي إلى بناء العلاقات الاجتماعية المتينة، أو التي تؤدي إلى تفكك هـذه العلاقات بين الناس. وهـذا جله لا يمكن معـرفته إلا بمنـاهج علم الاجتماع، التي تتيح لنـا إمكان بنـاء مجتمع، أو تهديمه.

إذًا إذا أردنا أن نتعـرف الأسباب التي دفعـت المجتمعات الغـربية إلى الحضارة، أو التي تمنع المجتمعات الإسلامية من الدخول في عالم التطور، فعلينا أن نستعين بمنـاهج العلوم حتى نعرف الأسبـاب التي تجعل الأفراد يقدمـون أقصى ما يملكون من قـدرات عقلية، وإمكـانات ماليـة، لبناء مجتمعهم، أو التي تجعلهم يخرّبون مجتمعهم بأيـديهم. فإذا أردنا أن نعرف لماذا يعمل النـاس ببعـض الأفكـار بـرغم خطئهـا، ولا يعملـون ببعض الأفكـار برغم صدقها؟ علينا أن نعود إلى:

التـاريخ: لمعرفـة أسباب دخـول المجتمعات إلى سـاحة الحضـارة. وخروجهم منها.

علم الاجتماع: لمعرفة أسباب العلاقات الاجتماعية وتفاعلاتها.

علم النفس: لمعرفة أسباب نظام الحوادث النفسية وبنياتها.

أزمة الإنسانية

عندما نلم بهذه العلوم يصبح بالإمكان تفسير الكثير من الظواهر التي نلاحظها. سواء في المجتمعات الغربيـة، أو الاسلامية. فالمجتمع الغربي نتيجة تطـوره التاريخي ضاعت منه القيم الـروحية، وأصبح الإنسان، في هذا المجتمع، يقـاس بقوته المادية. وهـذا المقياس أبرز وضعًا ثقـافيًا مختلاً سبَّبُهُ تـراكم المنتجات الماديـة والإمكانـات الحضارية مـن جهة، وضعف المستوى الروحي والمعاملة الأخلاقية من جهة أخرى. مما جعل هذا المجتمع يعيش أزمـة أخـلاقية هي انتشـار حب التفـوق وروح السيطـرة، والنزعـة العدوانية.

ومن هـذا المنطلق يصل مـالك بن نبي إلى أن «الإنسانية بشطريها: المتخلف والمتحضر تعاني أزمة خطيرة في وجودها على سطح هذه الأرض». والحل الذي يقترحه مالك بن نبي هـو ضرورة ربط الفعالية بالصدق. أي تحويل الأفكار الفعالة إلى أفكار صادقة، والصادقة إلى فعالة. فيتخـلص - بـذلك - المجتمع الغربي مـن عقدِه، خاصة عقـدة التفوق، ويتخلص المجتمع الإسلامي من تخلفه.

إذن فمن يقوم بهذه المهمـة الحضارية والإنسـانية؟ هل هـو الغرب؟ لا. لأن الـروح الاستعمارية المغـروسـة فيـه لا تسمح له بـذلك. هل هـو المجتمع الإسلامي المعاصر؟ لا. لأنـه متخلف يعيش على منتجات غيره فكيف يوجههم ويرشدهم وهو ضائع في مشكلاته.

من هنا يصل مالك بن نبي إلى أن المسلم إذا أراد أن يقـوم بهذه المهمة العظيمة فعليه أن يبدأ بأمرين:

الأول: أن يُعيد بناء نفسه من الـداخل؛ وأن يخلص نفسه من عقدته ويحررها من شر نفسه، وهذا طبقا للفهم النفيس للآية القرآنية ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾ سورة الرعد، الآية ١١.

الثاني: أن يرفع مستواه إلى مستـوى الحضـارة، لأن الأرض - كما يقول مالك بن نبي - لا تسقى من ماء يجري في أسفلها. فالمسلم لا يستطيع أن يقوم بمسؤوليته التاريخية إلا اذا استوعب الحضارة المعاصرة بمنتجاتها فهماً وعملاً؛ فلا يمكن أن يقوم المسلم برسالته الحضارية ومبادئه السامية وهو يعيش على منتجات غيره.

عنـدما يعـرف المسلم المعاصر هـذا الأمـر يكون قـد أدرك مسؤوليتـه التاريخيـة، ويصبح بإمكـانه تقـديم ما تحتـاج إليه المجتمعـات الأخرى. لذلك يـرى مالك بن نبي أنه من العيب أن تكون أمـامنا مسؤولية تـاريخية بهذه العظمة ونحن ننشغل في الأمور الفرعية والثانوية.

المسلم المعـاصر لا يكون مسلمًا صـاحب رسالـة إلا إذا أعطى أحسن صورة للإسلام. ولا يمكن هذا إلا بتجديـد نفسه عن طريق تجديد فكره، وتجديد حياته، وتجديد نظـرة المسلم إلى إسلامه هي التي تسمح بالسير في طريق الحضارة.

إذًا مشروع مـالك بن نبي هـو تجديـد العـالم الإسـلامي وذلك بـربط الأصالة بالفعالية.

الهوامش

(١) وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، ١٩٨١، ص ٣٢. الترجمة العربية.

(٢) المقصود، هنا، هو المسلم المعاصر.

(٣) انظر أهم الأعمال التي قام بها مـالك بن نبي. والتي تنـاول فيها تصـوراتـه وآراءه حول المشكلـة الحضـاريـة. ومن هـذه الأعمال: شروط النهضـة، الظـاهـرة القـرآنيـة، مشكلـة الأفكـار في العـالم الإسلامي، ميلاد مجتمع. وأغلب هذه الكتب نشرتها دار الفكر بدمشق.

إشكالية التخلّف والمعادلة التنموية

عند مالك بن نبي

بقلم: د. عدنان خليل باشا

كيف ينظر مالك إلى التخلف وسماته في العالم الإسلامي ؟

باديء ذي بدء يعرف مالك التخلف بأنه : «نتيجة أو حاصل ضروب اللافعالية الفردية ، فهو فقدان للفعالية على مستوى مجتمع معين» (١) . إذن فالتخلف يعني عند مالك عدم الفعالية أو غيابها لدى الفرد في المجتمع . ويقرن مالك بين النمو والتخلف كحالتين متناقضتين على المستوى الجماعي والفعالية وعدم الفعالية كحالتين متناقضتين أيضا على المستوى الفردي .

وهكذا فإن عدم الفعالية الفردية تقود في النهاية إلى تخلف على مستوى المجتمع بأكمله وهو ما يصدق أيضا على الفاعلية الفردية التي تقود المجتمع إلى النمو.

جغرافية التخلف وتاريخه

وللتخلف جغرافيته وتاريخه عند مالك . أما جغرافيته فهي تشمل المساحة التي تنتظم على وجه التقريب نصف الكرة الجنوبي ، أما من الناحية التاريخية فهناك شكلان للتخلف :

أ ـ الشكل الذي يُعزى إلى عواملَ مَرضية كالتقهقر الذي ينتاب الآن ، أو انتاب في الماضي تطور المجتمعات التي كانت نامية سابقا ، كما هي الحال بالنسبة للمجتمع الإسلامي حتى آخر عهد دولة الموحدين .

ب ـ الشكل الذي يُعزى إلى عوامل دائمة ومزمنة من الركود في المجتمعات البدائية (٢).

سبب التخلف

و إذا كان التخلف هو عدم الفعالية وله عوامل عرضية مؤقتة وعوامل دائمة ومزمنة فما سببه ؟

يُرجع مالك التخلف إلى الإنسان المسلم الذي لم يتعلم طريقة استعمال وسائله الأولية : أي التراب والوقت بصورة فعالة أو أن الإنسان قد نسي ما تعلمه من هذا الاستعمال ، بسبب الانفصال الذي حدث للحضارة الإسلامية بين الفكر والضمير بعد معركة حطين عام ٥٣٨ هـ .

المعالم الرئيسة للتخلف

أولا : التخلف في الفكر والثقافة :

يرى مالك أن معالم التخلف الرئيسة وسماته تتمثل في :

١ ـ تحلل العلاقات بين أشخاص المجتمع (٣) : ذلك أن عوامل الأشخاص والأفكار والأشياء لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديلوجية من (عالم الأفكار) يتم تنفيذها بوسائل من (عالم الأشياء) من أجل غاية يحددها (عالم الأشخاص) يضاف إلى ذلك (شبكة العلاقات الاجتماعية) أو مجموع العلاقات الاجتماعية التي تنظم في إطارها عوامل الأشخاص والأفكار والأشياء (٤)، وبتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية في مرحلة التخلف ، تنقطع العلاقة بين الثقافة وعواملها الأخرى : الأفكار والأشياء ويظهر على السطح عدم استخدام أو سوء استخدام الوسائل بالرغم من وجودها وينتج عن تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم ظهور (٥) :

١ ـ التجزئة في التفكير (Atomism) وما يصاحب ذلك من افتقاد الدقة ، وافتقاد العقل التطبيقي بالفصل بين النظر والتطبيق ، والانفصام بين القول والعمل ، والشعور بالنقص ، والانعزالية ، والانتكاس ، والخواء .

٢ ـ الجمود بسبب الإفلاس الخلقي والاجتماعي والفلسفي وما ينجم عن ذلك من سلبية وفتور ، والقعود عن الواجب والمطالبة بالحق ، والخنوع والاستسلام للواقع ، والركون إلى الماضي والتباهي به ، وكساد الفكر وكساد الطاقات الاجتماعية ، واستنزاف الوسائل الترابية والزمنية .

من كتاب العدد



● د. عدنان خليل باشا

ـ ولد بمكة المكرمة .

ـ حصل على البكالوريوس في اللغة الإنجليزية والآداب من جامعة الملك عبد العزيز ـ فرع مكة المكرمة .

ـ حصل على الماجستير في الآداب التربوية والتخطيط بدرجة ممتاز من جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

ـ حصل على الدكتوراه في الفلسفة من قسم العلوم السياسية بجامعة سالفورد في مانشستر ببريطانيا في موضوع «أدب مالك بن نبي» .

ـ له عدة بحوث في التربية والتخطيط ومؤلف واحد باللغة الإنجليزية .

ـ يشغل الآن منصب مساعد الأمين العام للثقافة والإعلام برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

ملف العدد

مالك بن نبي: من هم الغربة إلى هموم الوطن!

٣ ـ افتقاد الضابط الذي يربط بين الأشياء ووسائلها، وبين الأشياء وأهدافها كالقول بأن العالم الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرآن الكريم بينما هو ـ على الغالب ـ في رأي مالك، مجتمع يتكلم تبعا لمبادئ القرآن الكريم لانتفاء وجود المنطق العملي أي التطبيق الفعلي في سلوكه الإسلامي.

٤ ـ دخول المجتمع المسلم أزمة ثقافية عندما تحلل من قيود الضغط الاجتماعي الذي يمنع أي نشوز فردي في السلوك، وتخلّى عن مبدأ النقد المتمثل في الحديث النبوي الشريف « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده » فكانت النتيجة :ـ

مظاهر سلبية ثقافية أسماها مالك الصبيانية في التفكير، والتناقض، ورفْض الإصلاح، وعدم القبول بالنقد، والخيانة، والتحريف، والمداهنة، والانتهازية، والوثنية، والغلو، وتقديس الأشخاص والأشياء، والتقليد الأعمى، واللامسؤولية، وتضخيم الذات، والخجل من الماضي والتراث، والرومانسية، وما أسماه مالك بـ (التقاطب المزدوج) Polarisstion بين ظاهرة الركون إلى الماضي وتباهي التقليديين به من جهة، وظاهرة خجل التقدميين من التراث والنفور منه من جهة أخرى.

ثانيا : التخلف الاقتصادي :

للتخلف الإقتصادي عند مالك تعريف خاص هو :

(نقص في الوسائل على الصعيد الاقتصادي ينوء حمله الاقتصادي بجانب سلبي جديد من الوجهة النفسية : هو سوء الانتفاع بالوسائل)(٦).

وإذا كان التقدم يُسرًا فإن التخلف عُسر.

(فكلمة عُسر ليست هنا إلا التعبير الأدبي عن الواقع الاجتماعي الذي يعبر عنه مصطلح (تخلف) (٧).

وإذا كان التخلف يمكن تحديده بأرقام متوسط الدخل السنوي فإنه عند ـ مالك أيضا ـ **(الحالة الاجتماعية التي يكون عليها إنسان ما قبل الحضارة، الإنسان الذي يضع مشكلاته في حدود الأشياء)** (١٢).

يعتقد مالك بأن المسلم كان أداة عمل مستمر إبان الفترة الاستعمارية بسبب عدم وجود (وعي اقتصادي) أو تجربة أو خبرة في عالم الاقتصاد الغريب عنه بكل مفاهيمه وبنائه ومصالحه، ومن هنا لم يجد المسلم سبيلا لما ظنّه تنمية اقتصادية إلا بالميل لتقليد (الحاجات) بدلا من تقليد (الوسائل) لأنه فقد وعيه الحضاري فأصبح المسلم في :

المرحلة الأولى : مقلدا بقدر استطاعته للحاجة التي أفرزتها حياة غيره دون أن يفكر في صنع وسيلة إشباعها.

المرحلة الثانية : بعد تحقيق استقلال بلاده أصبح مقلدا للحاجات الواردة مقلدًا للوسائل المستوردة كيفما اتفق له، ولو على حساب سيادة البلاد (٨).

ومن هذا التقليد في الأشياء، يصبح المسلم في المجال النظري مقلدا للأخطار التي صاغتها تجارب وخبرات غيره دون وقوفٍ وعبرة عند أسباب فشل أو نجاح خطط التنمية التي طبقت على أسس ليبرالية أو مادية، بينما كانت القضية ولا زالت ـ عند مالك ـ قضية تطعيم ثقافي للمجتمع الإسلامي، يمكنه من استعمال إمكاناته الذهنية والجسمية بشكل تجعل كل فرد فيه ينشط على أساس معادلة اجتماعية تؤهله لإنجاح أيّ مخطط اقتصادي في الوقت الذي انقسمت فيه النخبة المثقفة في العالم الإسلامي إلى :

١ ـ مجموعة لا تبالي بعقيدتها في انحيازها للماركسية وتلقب نفسها بالتقدمية.

٢ ـ مجموعة تنحاز مبدئيا لليبرالية لأنها ـ أي المجموعة ـ تتجنب المادية وتنفر من الإلحاد بحافز إسلامها.

شروط معنوية ومادية لكي يتقدم أي مجتمع ويتطور

في ظل هذا المأزق الفكري والاقتصادي ينادي مالك بإرساء أسس حضارية لعالم الاقتصاد الإسلاميّ.

كيف يكون ذلك وما الأسلوب والعنصر الأساسي في تلك الأسس الاقتصادية الحضارية؟

الأسس الحضارية لعالم الاقتصاد

بادىء ذي بدءٍ يرى مالك أن الاقتصاد، أيا كانت نوعيته المذهبية، هو تجسيم لحضارة معناها :

مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يقدم جميع الضمانات الاجتماعية لكل فرد يعيش فيه. وهذا التحديد الوظيفي للحضارة يجعل للحضارة جانبين :

١ ـ الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة (إرادة) تحرك المجتمع نحو تحديد مهماته الاجتماعية والاضطلاع بها.

٢ ـ الجانب الذي يتضمن شروطها المادية في صورة (إمكان)، أي إنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهماته، أي بالوظيفة الحضارية.

إذن يستخلص مالك بأن الحضارة هي : هذه (الإرادة) وهذا (الإمكان) بحيث يمكن القول : إن الاقتصاد هو الصورة المحسوسة لهذه الإرادة ولهذا الإمكان في ميدان خاص هو ميدان الاقتصاد. كما يمكن تقديم متوسط الدخل الفردي السنوي كمجرد تعبير عن الإمكان

الحضاري أو على الضمانات الاجتماعية بطريقة الأرقام(٩).

لكن ما العلاقة النسبية بين الإدارة الحضارية والإمكان الحضاري في الظروف الواقعية الموضوعية التي تواجه مجتمعا منذ نقطة الانطلاق ؟

لمعرفة ذلك يضرب مالك مثلا تجربتين :

الأولى : انطلاق الأمة العربية في زمان الرسول ﷺ من نقطة الصفر من حيث (الإمكان)، إذ لم يكن لديها شيء للاضطلاع بمهماتها الجسيمة في المجال الاجتماعي والسياسي والعسكري، ومع ذلك قامت الأمة بهذه المهمات دون إهمال ولا إرجاء حتى يكتمل (إمكانها) البسيط بحيث استطاعت تنفيذ كل خططها في كل المجالات كأنما معامل ضرب COEFFICIENT تدخل في فعالية وسائلها البسيطة فجعلها كافية لإنجاز المهمات.

الثانية : ألمانيا المحطمة بعد الحرب العالمية الثانية وهي تعيد بناءها من نقطة الصفر، أي بلا إمكان يعد بالنسبة إلى ما أنجز فعلا بسبب تدخل معامل مضاعف للإمكان.

فهذا العامل المضاعف COEFFICIENT هو الإرادة الحضارية

النهضة الاقتصادية تعتمد على الجانب التربوي حتى لا ينهار المجتمع

بحيث لو فقد تعطل الإمكان مهما عظم حجمه المادي.

إذن فالعلاقة النسبية بين الإمكان الحضاري والإرادة الحضارية علاقة سببية تضع الإرادة في رتبة السبب بالنسبة للإمكان، بحيث إذا عدنا لعالم الاقتصاد بهذه الاعتبارات فإننا لا نراه ـ كما يقول مالك ـ عالم الكميات وعالم الأرقام إلا في الرتبة الثانية، أي بعدما تبعث فيه الإرادة الحضارية الحركة والحياة. كما أن الإرادة الحضارية لا تحقق النجاح المضمون للاقتصاد إن افتقر هذا إلى عامل نفسي أو روحي ينهض به على أنه التجسيم لتلك الإرادة الحضارية التي يبعثها الإنسان، فهو ـ عند مالك ـ القيمة الاقتصادية الأولى على شرط أن تكون إرادته شرارة مقتبسة من (إرادة حضارية).

وهكذا فإن الحل الاقتصادي لتنمية اقتصادية ناجحة في العالم الإسلامي تقوم على تعبئة الإنسان والتراب والوقت في مشروع تحركهم إرادة حضارية لا تحجم أمام الصعوبات، ولا يأخذها الغرور في شبه تعالٍ على الوسائل اليسيرة التي في حوزة المسلمين، ولا ينتظر العمل بها حقنة من العملة الصعبة ولا أي مشروع من نوع مارشال. ذلك أن قضية العالم الإسلامي ليست قضية إمكانات مالية، فالمعجزة التنموية لا تتوقف على حقنة مالية لأن اليابان في نهضته التنموية لم يتلق أية حقنة من نوع (مشروع مارشال)، ولا تتوقف أيضا على العِرْق ـ كما قال بذلك روزنبرج صاحب كتاب (الدم والذهب) في عهد هتلر عندما ربط التفوق الألماني بالدم الألماني ـ لأن الشعب الياباني ليس من عرق آري إطلاقا، بل إن الأمر يكمن في رأي مالك في الإرادة الحضارية التي مكنت بلدا كاليابان من التحول إلى دولة صناعية عملاقة دون معجزة مالية أو انتساب للعِرْق الآري.

ولذا يرى مالك بأن العالم الإسلامي ليس بيده أن يغير أوضاعه الاقتصادية إلا بقدر ما يطبق خطة تنمية تفتق أبعاده النفسية. ويجب أن تعتمد النهضة الاقتصادية على الجانب التربوي الذي يجعل من الإنسان القيمة الاقتصادية الأولى كوسيلة تتحقق بها خطة التنمية، وكنقطة تلاقٍ تلتقي عندها كل الخطوط الرئيسة في البرامج المعروضة للإنجاز(١٠).

وفي هذه الحالة يكون تخطيط الاقتصاد طبقًا لإرادة حضارية تفترض شبكة توزيع شاملة تشمل كل السكان منذ اللحظة الأولى، عندئذٍ يمكن رسم شروط الحيوية الاقتصادية بوصفها حركة التفاعل بين المنتجين والمستهلكين عبر عملية التوزيع التي تحدد هدف الإنتاج من ناحية، ورقعة الاستهلاك من ناحية أخرى(١١) في صورة مسلمتين :

الأولى : لقمة العيش حق لكل فم.

الثانية : العمل واجب على كل ساعد.

وإذا كانت المسلمة الأولى يفرضها الاختيار لمبدأ معين يلتزمه المجتمع ويسجله في دستوره كأساس، فإن المسلمة الثانية ليست اختيارية بل هي ضرورة تفرضها المسلمة الأولى كشرط لاستمرار التفاعل بين الإنتاج والاستهلاك تفاعلا جدليا يمكن صياغته في صورة منطقية إذا قيل : لا إنتاجَ من دون استهلاك ولا استهلاك من دون إنتاج. ولا يمكن التوفيق بين الإنتاج والاستهلاك إذا لم يتم استيعاب كافة الشروط النفسية والتقنية الضرورية لتحقيق عملية الإنطلاق أو الإقلاع الاقتصادي DECOLLAGE في البلاد التي تعاني، منذ أمد، الكساد في الطاقات الاجتماعية.

تلك لمحات سريعة لإشكالية التخلف والتنمية عند مالك بن نبي بحسب ما يتسع له المقام هنا.

الهوامش

(١) مشكلات الأفكار، ص ٨٤.

(٢) مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ص ٨٣.

(٣) عبد الله العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره ص ٥٣٧ رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العام الجامعي ١٤٠٤/ ١٤٠٥هـ.

(٤) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع ص ٢٤.

(٥) انظر عبد الله العويسي، المرجع السابق الصفحات ٥٣٧ ـ ٥٤٤.

(٦) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد ص ٣٩.

(٧) مالك بن نبي، تأملات ص ٤٨.

(٨) نفس المرجع ص ٥٨.

(٩) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد ص ٧.

(١٠) المرجع السابق ص ٦٣.

(١١) المرجع السابق ص ٧٣.

(١٢) مالك بن نبي، المرجع السابق، ص ٨١.

ملف العدد

مالك بن نبي.. شاهد على العصر

بقلم: د. أبوبكر أحمد باقادر

مالك بن نبي مفكر إسلامي ينتمي إلى الجيل الثاني من رواد النهضة الإسلامية الحديثة، التي قدمت فكرها ورؤيتها في إرشاد وتوجيه الأمة الإسلامية للخروج من مأزق التخلف والفقر والتبعية، تلك الخصائص التي يبدو أن المفكرين الإسلاميين كافة يجمعون على انتشارها وتغلغلها في جسد الأمة. وقد حاول كل واحد من هؤلاء الرواد تقديم تحليل ورؤية يشخص فيها أمراض الأمة، ويحدّد لها طريق العلاج والشفاء لاستعادة دورها القيادي، ولتتمكن من السيطرة على مقدراتها وحياتها.

ومالك يوضح بشكل حاسم تأثره بالفكر وبالحركة الإسلامية في جزائر معركة الاستقلال، فيذكر ارتباطه وتعلقه وتعلمه من جمعية العلماء، إضافة إلى معرفته المباشرة بفكر رواد النهضة الإسلامية من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا. ويوضح أنه تأثر أيضا بالفكر السلفي عند ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم. وهو مفكر إسلامي لاهتمامه بقضايا الأمة الإسلامية وهمومها، وإصراره على أن خروجها من مأزق التخلف والتبعية لا يكون إلا عن طريق استعادتها لهويتها الإسلامية، واستثمار قيمها ومبادئها الإسلامية بشكل فعال. وعلى الرغم أنه مرّ في فترة غلب عليه فيها تبني طروح إيديولوجية لا تعطي للإسلام هذه الأهمية، وما تميزت به خلفيته الثقافية من معرفة دقيقة بالثقافة الغربية إلا أنه، ومنذ بداياته الأولى، كان يفكر من منطلق إسلامي ويحاول معالجة هموم الأمة ومشكلاتها.

يقدم مالك فكرًا إسلاميًّا مختلفًا في الكثير من طروحه ومصطلحاته ومفاهيمه عن معظم التيارات والطروحات الإسلامية المعاصرة له، مما جعل بعض مؤرخي الفكر الإسلامي النهضوي ينتقدونه، وعلى وجه الخصوص في تحليلاته واهتماماته السياسية والفكرية (١). لكنهم على الرغم من ذلك لا يختلفون في أنه مفكر إسلامي يفكر من داخل دائرة الإسلام، وينشد إصلاح حال الأمة ويسعى إلى نصرتها وعزها (٢).

والقارئ لكتابات مالك يشعر بأنه أمام مفكر إسلامي يكتب بلغة تحليلية مختلفة، فهو يتكلم لغة العصر الحديث، ويشخص وضع العالم العربي الإسلامي المعاصر، لكن بروح إسلامية عظيمة الإيمان، تذكرنا بروح شاعر الإسلام إقبال. على أنه يتميز عن سواه من المفكرين الإسلاميين بأنه مفكر الواقع، المعاصر، متجنبًا التفاعل مع هذا الواقع على أساس الأصالة أو الانغماس في التنظير للمجتمع الإسلامي المثالي، أو البكاء على ماضي الأمة وأمجادها الغابرة أو إدانة الغرب أو المؤسسات السياسية والمجتمعات المسلمة لتخليها عن الإسلام، بل كان اتجاهه على العكس من ذلك. فنحن نجد أن مالك بن نبي يفكر في إقامة منهج حازم لإصلاح العالم الإسلامي، ويقيم دعائمه على مستويين.

المستوى الأول: تشخيص أمراض المجتمعات الإسلامية. وهو صارم في تشخيصه هذا، إذ يقدم العلل ويدرس أوجهها المختلفة ومعانيها في ضوء معطيات العلوم الاجتماعية الحديثة. أما المستوى الثاني فهو يتناول فيه وسائل وآليات التحول والتي تجعل الإسلام يؤدي فيها دورًا أساسيًّا ومحوريًّا.

ومالك منذ البداية يرى مشكلات العالم الإسلامي، وهو الذي عاش أحلك أيام تخلف هذا العالم الإسلامي، ومشكلات الحضارة أيضا. وإن

> اكتوى بنار الغرب فعكف على أخذ ما عند "الآخر" وتكييفه لمجتمعاتنا.

عجز المجتمع المسلم عن القدرة على تغيير أوضاعه ومواجهة مشكلاته من ناحية؛ وسعي أعدائه، على إبقائه في حالة عجز وتبعية من ناحية أخرى، كل ذلك يعود لأسباب حضارية لا لأسباب أخرى أساسًا، ولقد انتُقِدَ مالك لتحديده هذه الحدود، وتأكيده أن العالم الإسلامي لا يعاني من أزمة عقدية أو تأكيد انتمائه للإسلام ومعرفته بمبادئه الأساسية، لكن يبدو أنه كان - يرحمه الله - مصرًّا على موقفه هذا حتى أيامه الأخيرة (٣).

يتناول مالك بن نبي المشكلات الاجتماعية والحضارية من منظور العلوم الاجتماعية الحديثة، لكن بعد أن يعيد صياغتها ويلبسها معاني جديدة تجعلها جزءًا من منظوره العام الذي يحلل ويدرس على أساسه المجتمع الإسلامي، مستعينا في ذلك بالبعد التاريخي والاجتماعي والثقافي

والنفسي للمجتمعات الإسلامية والمؤشرات الخارجية العاملة فيها، وهو في تحليله وتعامله ذو أسلوب فريد لا يخلو من إبداع وخصوصية.

إن الأمثلة العديدة التي يوردها مالك سواء تلك التي ينتزعها غالبا من واقع العالم الإسلامي أو من العالم الغربي، وعلى وجه الخصوص فرنسا، هي في غالبيتها أمثلة يومية معيشة، تكاد لتواترها ورتابتها ومألوفيتها لا تعد من الموضوعات التي لا يجهد المفكرون أنفسهم غالبا في العناية بها. لكن هذه الأمثلة ببساطتها وعفويتها تجسد واقع المجتمع بشكل صادق ومؤثر، وفي ضوء تحليل مالك تتحول هذه الحوادث اليومية إلى مفاتيح أساسية لصياغة المفاهيم العديدة التي يتميز فكر مالك بتحديدها مثل: التكديس ــ البناء ـ رأس المال ـ قابلية الاستعمارية ـ المفهومية ـ التراب ـ الوقت.. إلخ، إضافة إلى أن مالكا بتأكيده على المعاش اليومي إنما يكشف على مكامن الحيوية والعجز في الوقت نفسه، في جسد المجتمع، أي مجتمع كان.

كان مالك يريد أن يقدم فكرًا إسلاميًّا واقعيًّا، ولذا نجده يلح على فعالية أو عجز المجتمع المحلي من خلال التأكيد على الجوانب الأساسية المشكلة لفعالية الأفكار وتناولها في المجتمع. وهو يضرب على ذلك العديد من الأمثلة، فيضرب منها مثالا على مجتمع محلي يواجه مشكلة التخلص من نفاياته بشكل جماعي وبمبادرة محلية تمامًا، ليؤكد أن المجتمع بفعله هذا بدأ يخطو وبشكل حثيث نحو مواجهة مشكلاته والقدرة على إعادة البناء. ربما كان المثال متواضعًا جدًّا، لكن مالكا إنما يقدمه ليدرس ويحلّل أبعاده الحضارية والدوافع التي قام على أساسها، وليؤكد بذلك أنها الأسس والدوافع التي يقوم عليها بناء المجتمع.

كان هدفه أن يقدم فكرًا واقعيًا ينقذ مجتمعنا من عثراته.

وكذلك يضرب الأمثلة العديدة على مظاهر افتقاد الفاعلية والرغبة في تعطيلها، والتأكيد بذلك على مبدأ التكديس [٤]. وربما كان من أبلغ المسائل التي يُنظَر إليها بريبة وتوجسّ في الفكر الإسلامي المعاصر، ما يقدمه مالك من الأمثلة الإيجابية والسلبية التي أفادها من حياته في المجتمع الغربي، فهو يذكر وبإعجاب تجربته مع جمعية الشبان المسيحيين، مؤكداً أهمية الدروس الاجتماعية والثقافية والتنظيمية التي تعلمها، بل والتي يمكن للمجتمع المسلم أن يفيدها من مثل هذه الجمعية، دون أن يكون على الإطلاق مستسلمًا أو مبهورًا معجبًا بالغرب، ولا منتقصا للعالم الإسلامي. لقد كان مالك يكتب بروح وعقل متفتح، يأخذ المفيد ويستفيد منه حيث ما كان دون تحدٍّ أو محاذير. وعلى الرغم من أنه ـ عانى وبشكل مباشر من جفوة الغرب وقسوته، إلا أن ذلك لم يثنه عن التعلم والإفادة.

لقد ساعد منهج مالك هذا في تقديم تحليل لواقع المجتمع الإسلامي لا يعتمد كثيرًا على الانغماس في استعادة تاريخية أو مراجعة تفصيلية لأفكار المفكرين الإسلاميين أو العالميين ونظرياتهم، وإنما على العكس من ذلك ساعده على وضوح الفكرة ودقتها وبلورتها بشكل يمكن للقراء وبمستوياتهم الثقافية والعلمية المختلفة أن يستجيبوا لأفكاره، أو على الأقل أن تكون مفهومة وبشكل ميسر. ومكنه تأكيده على الارتباط بتحليل الواقع على الالتزام بمنهج علمي صارم يقنع القراء، فهو لا يعتمد في كسبهم لأفكاره على أساس استدرار عواطفهم أو ميولهم أو طموحاتهم وأمانيهم. ولا يحاول أن يقدم أفكاره مشفوعة بشعارات وأقوال يعلم سلفا أن القارئ العربي المسلم حريص على قبولها والتسليم لها. إن ما يفعله مالك في الغالب هو العكس من ذلك تمامًا، دفعه للقارئ أن يمارس التفكير والتأمل المستقل، وينبه إلى ذلك بقوة لا تخلو أحيانا من التعريض، وأسلوب مالك دافع قوي للقارئ المسلم على هذا النهج والأسلوب. فمالك لا يقدم نتائج أو توصيات جاهزة وإنما يمارس مع قارئه تفكيرًا فلسفيًّا منظما، بصوت مرتفع إن صح التعبير. يؤكد فيه أهمية تأمل الواقع المباشر والتفكير في أسباب تخلفه وتسلط أعداء العالم الإسلامي وتجبرهم عليه. وهو يدفع بقارئه إلى تفكيك وتحليل الوحدات الأساسية اليسيرة التي يقوم عليها الوضع القائم، لينتهي به إلى أن مشكلة الأفكار والممارسات الشائعة تحتاج إلى مراجعة وتغيير، وأن عملية التغيير يجب أن تبدأ من قاعدة الهرم، ليتم التغيير الجذري الذي مرت به مجتمعات إنسانية أخرى ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ الرّعد ١١.

ومالك لا يدّعي الوصاية على المجتمع المسلم، ولا يفرض حلولاً جاهزة له؛ ولا يقول بوجود مثل هذه الحلول؛ ولا يجعل لها تسميات ملزمة مثل الحل الإسلامي أو البرنامج الإسلامي، بل يتميز فكره بنوع من العالمية، فهو مثلاً يحاول في كتابه «شروط النهضة» ـ وهو كتاب ذو روح إسلامية واضحة وجلية ـ أن يقدم أسسًا ومفاهيم أولية تساعد على إعادة بناء المجتمعات الآسيوية والأفريقية (المستعمَرة) وخروجها من مزالق التخلف والتبعية. ويعتمد في كتابه هذا على الإرث الإنساني دون تردد أو وجل، بحيث يصبح الكتاب محضنًا لأفكار من مصادر مختلفة. فيبدأ الكتاب بنشيد يتضح فيه التأثير بنتشه وفكرة السوبرمان، ويستفيد من أفكار ابن خلدون وتوينبي وغيرهم من علماء الاجتماع والإنسان والتاريخ.

لقد أدى هذا التفتح الفكري والقدرة على التأليف بين الأفكار ذات المصادر المختلفة والمتباينة أحيانا في قالب واحد إلى تمكين مالك من أن يقيم أطروحاته وتحليلاته بشكل مختلف عن سواه، مما جعله ـ في أحيان كثيرة ـ ينتهي إلى مواقف تختلف عن مواقف غيره من المحللين والدارسين.

ولتوضيح ما أردنا قوله لنأخذ أمثلة من مواقف مالك وتحليلاته مثل موقفه من حركة عدم الانحياز أو العلاقة مع الهند والصين أو الدولة

مـالـك بـن نـبي:
من همّ الغربة إلى هموم الوطن !

المؤسساتية الحديثة في مصر. . . إلخ. إن مـواقـف مـالك ـ حتى عـلـى افتراض تراجعـه عن بعضها ـ توضح بشكل جلي أنـه ينطلق من تصورات دوليـة وعـالميـة، فتحمسـه لحركـة عـدم الانحيـاز والمطالبـة بكمنـولث أفروآسيوي[٥] إنما ينبع من وعي مالك بأن تخلف العـالم الإسلامي ينتمي إلى العـالم الأفروآسيـوي، وأن المشكـلات التي يعاني منهـا لا تختلف كثيرًا بعضهـا عن بعض، وأن تضـامن العـالم الإسلامي مع هـذه المجتمعـات سيـؤدي إلى قوة هـذه المجتمعات ودعمهـا في الـوقوف صفـا واحدًا ضـد الغرب، المستعمـر المغتصب وبطبيعة الحال لم يـر مالـك على الإطلاق أي تعارض بين المصالح الإسلامية وقيام مثل هذه العلاقة، على عكس ما كان ولا يـزال يـراه العـديـد من مفكـري الإسـلام، ممن يحصرون هموم العـالم الإسلامي ومشكلاته، ومن ثم حلولها داخله، مع قطيعة شبه تامة للعوالم المشابهة لأوضـاعنا. ولا شك أن مالكـا ما اتخذ هـذه المواقف إلا لأسباب جوهريّة دفعته لذلك.

إضافة إلى ما ذكرنا نجـد أن مالك بن نبي مفكر جذريّ التفكير، فهو يرفض، حتى في الحالات التي يجدر بنا حسن الظن فيها، قبول التفكير أو الحلـول العـرضية التـي تنتهك الأصول التـي يجب أن يقوم على أسـاسهـا التحليل العلمي العميق. فهــو يـذكـر مثـلا في كتـابــه «المسلم في عـالم الاقتصاد» أن مـا دفعه لتأليف الكتـاب ما أطلعـه عليه أحـد الطلاب من اجتهاده في رسالة جامعية درس فيها البنوك غير الربوية، وفهم منه مالك أنـه يقدم بحثـه باعتبـاره وسيلة للخـروج بالاقتصـاد الإسلامي من ربقـة التبعية للرأسمالية أو الاقتصاد الغربي عموما، فيعلن مالك مباشرة أن مثل هذا التناول يشكل فهما سقيما لمعنى الاقتصـاد، ومن ثم فإن ما كان ينبغي أن يشغل الباحث به نفسه هو البحث أو الدرس للأسس الأولية التي يقوم عليها الاقتصاد، رأس المال، العمل، قيمة الوقت، الاستهلاك، الإنسان وغيرها من وحـدات أساسيـة. وأنه بـدون فهم وتأسيس هذه الـوحدات الأوليـة لا يكـون الباحث قـد تنـاول جـوهر المشكلـة أو استخـدم المنهج العلمي الـدقيق، وإنما اعتمـد على نسـخ قــوالب فـكــرية جـامــدة واستعـارتها[٦].

وكثيرًا ما كرر مالك أهمية المفاهيم الأساسية في الاقتصاد وفي التخطيط الاقتصادي، وغـالبا ما أورد مثـال الاقتصاد الألماني بعـد خسارة الحرب، وكيف أن التخطيط والفهم الاقتصـادي السـوي الـذي يأخـذ العـوامل الثقافية كافة في حسابه أديا إلى نجاحه وخروج ألمانيا من الخسارة منتصرة، بينما حينما طبق التخطيط نفسـه دون أخـذ العـوامل الثقـافيـة المحليـة في الحسبان في أندونيسيا أدى إلى فشل ذريع، مما يؤكد ـ في نظر مالك ـ أهمية استيعاب تلك العوامل في أي تفكير اقتصادي[٧].

ويعطي مالك مسألة الأفكار أهمية كبيرة، وربما كان أبرز المعالجين لها في العالم الإسلامي. فهو يؤكـد أن الأفكار لا يكفي أن تكون صحيحة أو صادقـة في حد ذاتها لتصبح قـادرة على إحداث التغيير، أو بتعبيره: ذات فاعليـة، وإنما يجب أن تأخذ السيـاق الثقافي المنـاسب الذي يمكنهـا من ذلك. وهذا السيـاق هو الذي يحولها إلى رأس مـال رمزي أو فكـري قابل للنماء أو الازدهار. أما إذا ما أخذت بشكل ناجز منته فإنها قد تكون وبالاً على المجتمع. ويقسم مالك الأفكـار في شكلها الأخير إلى أفكـار ميتة أو أفكار قـاتلة، فـالنوع الأول يمثل الأفكـار الجديدة في ذاتها، ولكن لا يتم التعرف عليهـا سوى في المستـوى النظري، نظـريات وفلسفـات في كتب وليست جـزءًا من الـواقع أو السيـاق الاجتماعي والتاريخي، أمـا الأفكـار القـاتلة فهي التي تمثل الجانب السلبي من حيـاة المجتمع والتي تشكـل مصـدر شقاقٍ في المجتمع يهـدد وحدته وتماسكه[٨].

ومالك ـ وهو الذي عانى واكتـوى بنار الغرب ـ يدرس وبشكل دقيق الكيفية التي ينسق الغرب بها الأفكار في شبكـات معقدة، بحيث يؤكد أن المخترعـات والمكتشفـات الحديثـة إنما تمت على أسـاس انتقـالها في هـذه الشبكات الثقـافية واستفادة الأطـراف المرتبطة بها كـافة منها. إضـافة إلى ذلك فإن العالم الغربي يدرك أهمية الأفكار وانتقالها، لذلك فإنه يعمل على تعطيل فاعليتهـا عند الشعـوب الأخرى مـا أمكن. والأمثلة العـديدة التي يقدمها ربما كانت شواهد مهمة على المستويين الفردي والجماعي، فما عاناه مالك من مضايقات هو وأسرته أو عـدم تمكنه من الالتحاق بالدراسة التي كـان يسعـى إليهـا، إنما هـو نمـوذج لجبروت هـذه الشبكـات المعقـدة وتواطئهـا، ودليل على صراع الأفكار في العالم الحديـث، كذلك ما يـذكره مـالك عن مؤتمر العمّال المغـاربة، وكيف أقحم على المؤتمر كتـاب هونكـه الـذي تمجـد فيـه الحضارة الإسـلاميـة، كما حـوّل المؤتمرين عن منـاقشـة قضـايـاهم وهمومهم إلى التبـاكي والحسرة على الماضي التليـد وإنجـازات الأسلاف. ويوضح مـالك كيف أن هذا التحوّل كان مقصـودًا، وأنه كان فعّـالاً في صرف العمال عن الحاضر وبـؤسـه، والانتقـال بـالماضي الـذي لم يسهموا فيه ولم يتمكنوا من استعادة حضوره. إضافة إلى أن هذا التحول في نظـرة مالك، يـؤكد مـا ذهب إليـه من فهم الغرب لأهميـة شبكة الأفكـار وفاعليتها[٩].

واهتمام مالك بالأفكار اهتمام عميق، فهو يؤكد مثلاً أن أهمية الحفاظ على الحقـوق لا يمكـن أن يخلط بمفـاهيم أخــرى، ولـو كــانت في ذاتها مستحسنة، إذ كما يقال بالنوايا الطيبة ترتكب أحيانا حماقات كبرى، فعلى سبيل المثال يتناول مالك قضية إعادة نشر أحد كتبه في أحد البلدان العربية دون أخذ إذن منـه، وبعد أن يعرف النـاشر عنوان مالـك يرسل له خطـابا يعلمـه بنشره كتـابه ورغبتـه في إرسـال عـوائد الكتـاب إليه، لكن مـالكـا

الحريص على انتشار أفكاره يغضب جدًّا لهذا التصرف، ويوضح أن انتهاك حق المؤلف في نفس أهمية نشر أفكاره، ويؤكد على المعنى الحضاري لتلك الممارسة، وعلى الرغم ما تميز به الناشر من أمانة وطوية مخلصة، فإن مالكًا من خلال ملاحظته وغضبه إنما يريد التأكيد على أن الأمم لا تنهض عندما تتساهل في قواعد تعاملها مع بعضها البعض.

التطبيق العملي للأفكار

ولا يقتصر اهتمام مالك على التناول والتحليل النظري، إنما يسعى إلى تحقيق ذلك على مستوى الواقع وبشكل لا يخلو من إبداع، فما يذكره مالك في كتابه «مذكرات شاهد قرن» من جهود مبتكرة في تعليم المهاجرين، سواء من حيث طرائق التدريس أو من حيث التنظيم تدل على جدية تعاطي مالك للأفكار ورغبته في اختيارها على صعيد الواقع. والمدهش أن أفكاره وأساليبه في تعليم الكبار، والتي يذكر أنها كانت ذات نتائج باهرة وسريعة، لم تلق رواجًا واهتمامًا ممن درسوا مالكًا (١٠) ولتوضيح اهتمام مالك بالجانب الاستشرافي اهتمامه بدراسة الطاقة الشمسية وإمكانات استخدامها للاستفادة منها في إعمار بعض الدول العربية. وهذا الطرح من مفكر يقدم أفكاره لا باعتباره مهندسًا وإنما بوصفه منظرًا اجتماعيًّا وإسلاميًّا، يعد دون شك نقلة نوعية مهمة، نقلة من الفكر التجريدي الذي غالبا ما يهتم بالكليات والنظرة الشمولية على حساب التفاصيل العملية من ناحية، وعدم إعطاء مسألة الجوانب المادية من حياة الأمة ما تستحقه من اهتمام من ناحية أخرى. إن اهتمام مالك بمثل هذه الأمور إنما هو تأكيد عمليّ تطبيقي لطرحه فكرة فاعلية الأفكار، والتأكيد على ضرورة أن يكون روّاد الفكر الإسلامي عناصر منتجة في مجتمعها. إذ لا يكفي - كما يؤكد مالك - أن تكون فكرة ما صادقة أو صحيحة في جوهرها، بل ينبغي أن تقدم لها الضمانات العملية التفصيلية لإنجازها والعمل على فاعليتها.

لماذا هو شاهد على الأمة ؟

لا شك أن مالكًا حاول أن يؤدي دورًا مهمًا في تحريك عقل شبيبة عصره حين تحلقوا حوله، لكنه على ما يبدو لم يحاول أن يتبنى حزبًا أو يتزعم قيادة حركة، على الرغم من أن الظروف التي كان يعيشها كلاجئ سياسي في مصر، وقت كتابته للعديد من كتبه، والتفاف نخبة شابة حوله، كانت ظروفًا مناسبة جدا لمثل هذا النوع من الزعامة، والتي يظهر أنه كان يمتلك كل مؤهلاتها وخصائصها؛ لكن طبيعته التحليلية واشتراطه على من حوله التأكيد على قدرتهم في تفكيك وتحليل بل والتفلسف العميق في القضايا المحيطة، وإصراره على ضرورة تلك الممارسة؛ إضافة إلى سعيه الحثيث إلى توليد المفاهيم وربطها في شكل تصورات نظرية مفسرة لوضع الأمة وحالتها، كل ذلك لم يجعل لفكرة الزعامة سبيلا إلى تفكيره والسعي من أجلها. لذا فإن من تأثروا بفكره أصبحوا على الغالب قادرين على الاستقلال بفكرهم، على الرغم من أننا قد نلحظ فيهم نزعة مالك أو أسلوبه التحليلي دون أن يكونوا نسخًا ممجوجة من مالك على الإطلاق.

لهذا لم يصبح مالك شخصية أسطورية فوق النقد عند من التفوا حوله أو قرؤوا له واهتموا بل وتأثروا به، وربما يُعزى عدم انتشار فكره في أوساط المهتمين بالصحوة الإسلامية من الشباب لهذا السبب، فهو كما ذكرنا لا يقدم مواقف أو رؤى جاهزة، وإنما يحاول أن يقدم أسلوبًا أو تقليدًا للتفكير الإسلامي المنظم. يتميز هذا الأسلوب بالتمسك العميق بقيم الإسلام وأسسه مع التفتح لكل نشاط إنساني يساعد في تحقيق ذلك التمسك، إضافة إلى أن أسلوب التفكير الذي يمهد له مالك يجعل المتلقي قادرًا وبسهولة على تجاوز مالك، فهو غير مقصود وإنما المقصود إصلاح المجتمع، والمجتمع مشكلاته متغيرة متبدلة حسب الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتيارات الفكرية المحلية والدولية. لذلك فإننا نجد من ينتصرون لفكر مالك لا يلزمون أنفسهم بمواقفه وآرائه وتعليقاته واجتهاداته الشخصية، بل ولا يجدون ضرورة للدفاع عن هذه المواقف أو حتى عن الأخطاء التي يمكن أن يكون قد وقع فيها مالك، لكنهم في نظري سيدافعون وبشكل قوي عن منهجه وأسلوبه في تحليل أوضاع الأمة. وهذه مسألة في غاية الأهمية في فكرنا الإسلامي المعاصر.

لذلك فإن تميز فكر مالك في التأكيد على عدم تقديم خطاب ناجز، وإنما تقديم إطار تحليلي يشكل ذهنية قادرة على تحديد المفاهيم والأولويات، مع امتلاكه في الوقت نفسه القدرة على الربط والتحليل، ومن ثم فإن المطلوب مناقشتها في مدى وقدرة وصلاحية هذا الإطار، دون الاكتفاء فقط بمراجعة الأمثلة التفصيلية أو الآراء الخاصة، والتي كما ذكرنا تحددها الظروف السياسية والاقتصادية وغيرها من ظروف كانت قائمة آنذاك. إن هذه الميزة ستمكن لفكر مالك أن يستمر في تشكيل نقطة التقاء للآراء «ندوة». لذا فإن نشر كتبه في طباعتها الأخيرة تحت مسمى «ندوة مالك» إنما كان في واقع الأمر يعكس هذه الخاصة بشكل ذكي. بينما للأسف تختفي هذه الخصوصية العديد من الطروح الإسلامية المماثلة.

الهوامش

(١) انظر على سبيل المثال غازي توبة، الفكر الإسلامي المعاصر : دراسة وتقويم، بيروت دار القلم، ١٩٧٧م، ص ٢١، ومحمد العبده، قراءة في فكر مالك بن نبي، مجلة البيان، الأعداد ١٤ - ٢١ خلال الفترة صفر ١٤٠١هـ إلى صفر ١٤٠٥هـ (مجموعة مقالات).

(٢) عبد الله العروي، أوراق، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، ص ١٣٤-١٣٧.

(٣) انظر تعليقات محمد العبده، مرجع سابق.

(٤) مالك بن نبي، شروط النهضة، دمشق : دار الفكر، ١٩٨٦م، ص ٨٤.

(٥) مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، دمشق دار الفكر، ١٩٨١م.

(٦) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دمشق : دار الفكر، ١٩٨٦م، ص٩-١٠.

(٧) نفس المرجع ص ٩٣.

(٨) مالك بن نبي مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٨م، ص ١٤٦ - ١٥٢.

(٩) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث مكتبة عمار، ص ٢٢.

(١٠) مالك بن نبي، مذكرات شاهد قرن : الطالب، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤م، ص ٢٩٨.

ملف العدد

مالك بن نبي

الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي

بقلم: د. عبد الحليم عويس

ليست المشكلة عندما نتعامل مع فكر مالك بن نبيّ في أن نستوعبه استيعابًا جيدًا، ولا أن نقدمه ـ فقط ـ وفق منهج علمي وأكاديمي سليم، وإنما تكمن الأهمية في تعاملنا مع فكر مالك بن نبي في أن يدفعنا هذا الفكر إلى ثلاث خطوات متكاملة مترابطة لا ينفكّ بعضها عن بعض:

الخطوة الأولى: أن نحرص على تجاوز (مشكلة الأفكار)[١] كمًّا عن طريق الانتقال من مرحلة الفقر الفكري إلى مرحلة إثراء الأفكار، وكيفًا عن طريق تأصيل الأفكار وربطها بالثوابت الفكرية الصادرة عن الوحي أو العقل السليم وإشاعة مفاعل الفكر لكي يرتبط بحياتنا ارتباطا وثيقا. ومن المؤسف أن الفكر قد أصبح عاجزًا في حياتنا، كما أنه انفك عن العمل وأصبح في كثير من الأحيان مجرد ترف تمارسه أقلية بعضها لا يرتبط بثوابت الأمة، وبعضها لا يرتبط بالواقع ومشكلاته الآنية أو الحضارية.

والخطوة الثانية: هي الانطلاق من الفكر إلى الفعالية، فلم يكن مالك ابن نبي في فكره مجرد فيلسوف أو باحث عن الحكمة، إنما كان مفكرًا متفلسفًا يعيش أزمة أمته العربية والإسلامية، ويعيش محنة شعبه الجزائريّ الذي كان في فترة ازدهار مالك بن نبيّ الشبابية وما بعدها يمرّ بأصعب مرحلة في تاريخه؛ إذْ كان على مفترق طرق، فإما أن يستسلم للمخطط الفرنسي الذي كان يوشك على الانتهاء من تحقيق آماله ومخططاته التي ترمي إلى تحول الشعب الجزائري إلى نسخة مشوهة ممسوخة من الحضارة الفرنسية، وإما أن يمضي قُدُمًا في الذود عن عقيدته وأرضه، وبَذْل الأرواح والأموال في سبيل تحرير الوطن من رجس الاستعمار.

الثوابت والفكر الفاعل

في هذه الظروف ظهر مالك بن نبيّ. وكان بوسعه أن يخون أمته، وأن يتظاهر بالتقدمية أو العلمانية ويفوز من فرنسا بأستاذية في السوربون الجديدة، فقد كانت تمنح الخونة من العرب والمسلمين غير المؤهلين درجة الأستاذية وأوسمتها الكنسيّة. كان بوسع مالك بن نبي أن يقهر ذاته وأن يخون دينه وحضارته، وأن يصبح مفكرًا عالميًّا مرشحًا لجائزة نوبل ولجوائز أخرى كثيرة، لكنه آثر دينه وحضارته!

ولمزيد من توضيح جوانب الفعالية نقول: إن الأفكار الجامدة أو الساكنة التي تترجم عن انشغالٍ بالفكر للفكر أو عن انشغال بالفكر ترفًا ومتعة، هذه الأفكار في حدّ ذاتها لا تشكل الحياة الاجتماعية بالفعالية، ولا تحرك المجتمع للإصلاح والبناء، ولا تكفي لسد الثغرات التي تحدث في شبكة العلاقات الاجتماعية بفعل الجمود الزمني والابتعاد عن الثوابت، أو بتأثير هجمات فكرية مضادة، وإنما ينجح في كل ذلك الفكر المرتبط بالاحتساب والخدمة الاجتماعية، أي بالفعالية.

وتمتد مساحة الفعالية إلى كل وسائل الفكر من إعلام وأدب وفلسفة وقصة ورواية. كما تشمل كل المواقع من البيت والأسرة إلى المدرسة والنادي وسائر مرافق الحياة.

فالإنسان الفعال بالفكر المتأجج بالحرارة والعقيدة والإيمان إنسان لا ييأس ولا يستسلم ولا تجعله مساحة الظلام والأخطاء يرتدّ إلى أعماقه مهزومًا مفلول العزيمة.

إنه يعمل لأنه يؤدي واجبًا عظيمًا كلفه به إله عظيم يملك تغيير الحياة في أية لحظة؛ لكنه كلفه امتحانًا له هو، ولكي يعطيه مكافأة سامية خالدة هي رضاه والجنة.

يقول مالك بن نبي في معرض حديثه عن فكرة التربية الاجتماعية في مجتمع ما، وهي إحدى أفكاره الداخلة في نطاق الفعالية: إنه لكي يمكن التأثير في أسلوب الحياة، وفي سلوك النموذج الاجتماعي الذي يتكون فيه، وبعبارة أخرى: لكي يمكن بناء نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن يكون لدينا أفكار جد واضحة عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم الطاقة الحيوية في مستوى الفرد وفي مستوى المجتمع»[٢].

وهذه هي مرحلة بناء الفكر الفاعل، ويجب أن ترتبط بها مباشرة الفاعلية الاجتماعية للأفكار، وهي تتجلى في قوله بعد ذلك مباشرة :-

«إن من الواجب أن نرى هذا النشاط في حيويته، نراه يمنح الفرد القدرة على التكييف حسبما يعرض له من المواقف، ثم هو ينتقل تحت رقابة نظام انعكاساته إلى المجتمع الذي يحيله نشاطًا مشتركًا بفضل شبكة علاقاته»[٣].

وعندما يكون الدين هو الفكر الصحيح المقدم أو يكون الفكر المقدم نابعًا من دين صحيح، هنا تتحقق أعلى شروط الفعالية، ذلك لأن الدين حين يوجد الشبكة الروحية التي تربط المجتمع نفسه بالإيمان بالله، يوجد بعمله هذا أيضا شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح لهذا المجتمع أن

يضطلع بمهمته الأرضية، وأن يؤدي نشاطه المشترك، وهو بذلك يربط أهداف السماء بضرورات الأرض» (٤).

توظيف الأفكار

أما الخطوة الثالثة فهي توظيف الأفكار بعد الخروج بها من الفقر إلى الثراء، وتوظيف الفعالية المعتمدة على زخم فكري متحرك.

توظيفها في إطار مشروع حضاري إسلامي عصري يستجيب لتحديات الحضارة الأوربية والأمريكية منبثقًا من الثوابت الإسلامية، التي تشكل أبجديات التصور الإسلامي وتحدد وسائل الحركة التاريخية انطلاقًا من تلك الخطوة الأولى التي لا يصلح أيّ تحول حضاري من دون البدء من دائرتها. إنها ذلك المبدأ القرآني المتمثل في قوله تعالى على سبيل الحصر الشرطي: **﴿إنّ الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾** الرعد ١٢. فلا تغيير للواقع إلا بعد أن يغيّر الإنسان ما بنفسه. وعن هذه الدائرة، دائرة الانطلاق للمشروع الحضاري الإسلامي يقول مالك بن نبي: « **إننا نجد في القرآن الكريم النص المبدئي للتاريخ التكويني (Bio-Histoire). ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ وينبغي ألاّ نقرر هذا المبدأ حسب إيماننا به فقط، بل يجب أن يكون تقريره في ضوء التاريخ، ومن المعلوم أنه حينما يبتدئ السير إلى الحضارة، لا يكون الزاد بطبيعة الحال من العلماء والعلوم، ولا من الإنتاج الصناعي أو**

المخزون الروحي للحضارة الإسلامية ساعدها على التحليق والإبداع والتطور

الفنون، تلك الأمارات التي تشير إلى درجةٍ ما من الرقي، بل إن الزاد هو «المبدأ» الذي يكون أساسيًا لهذه المنتجات»(٥).

وقد تحتاج الحضارة إلى عدة عقود حتى تكتمل لها هذه الخطوة الأولى، خطوة تغيير ما بالنفس، وطرح كل ضغوط الفلسفات المتعاصرة والمتوارثة والمذاهب (الإيديولوجيات) الضاغطة الزاحفة من الماضي أو من الواقع الحاضر. ومن ثَمّ الانصهار النفسي والفكري والأخلاقي الكامن في بوتقة التصور الحضاري الجديد بكل مقوماته العقدية والتشريعية والجمالية والأخلاقية. وفي الحضارة الإسلامية ــ ومالك بن نبي يقدمها كنموذج أوّل ــ استمرت هذه الفترة (الروحية) نحو أربعين سنة. منذ بعثة الرسول ﷺ وحتى موقعة صفين سنة ٣٨ هـ، وهنا يقول مالك: « **ولا شك في أن المرحلة الأولى من مراحل الحضارة الإسلامية التي ابتدأت من غار حراء إلى صفين ــ وهي المرحلة الرئيسة التي تركبت فيها عناصرها الجوهرية ــ إنما كانت دينية بحتة تسودها الروح»**.

ففي هذه الحقبة ظلّت روح المؤمن هي العامل النفسي الرئيس، من ليلة حراء إلى أن وصلت إلى القمة الروحية للحضارة الإسلامية وهو ما يوافق واقعة صفين سنة ٣٨ هـ.

ولست أدري لماذا لم يتنبه المؤرخون إلى هذه الواقعة، التي حولت مجرى التاريخ الإسلامي إذ أخرجت الحضارة الإسلامية إلى طور القيصرية الذي يسوده عامل العقل، وتزينه الأبهة والعظمة، في الوقت الذي بدأت تظهر فيه بوادر الفتور الدالة على أفول الروح (٦).

لكن الحضارة بعد هذه المرحلة تبقى وقد تبقى طويلا إذا كانت الروح قد انسابت في كل كيانها، لكن القيادة فيها لا تكون للروح وإنما للعقل. إن الروح موجودة، لكن العقل بجموده الوجداني وإبداعه العلمي الحاد الزاوية، ورؤيته العملية (البرجماتية) يحتل مكان الصدارة، ومن ثَمَّ يُخضع العقلُ الروحَ لقوانينه الفكرية ولمعادلاته العملية «وهكذا وجدنا الحضارة الإسلامية منذ العصر الأموي تتوسع وتنتشر فوق الأرض، تتغلب أولاً، على جاذبيتها، بما تبقى لديها من مخزون روحي، حتى إذا ما وهنت فيها قوى الروح، وجدناها تخلد إلى الأرض شيئًا فشيئًا.

وقد بدأ العلم في تلك الحقبة ــ وبخاصة في العصر العباسي ــ ينتشر بفضل أساتذة سطعت أسماؤهم في جو المعرفة، كالفارابي، وابن سينا، وأبي الوفاء، وابن رشد. إلى ابن خلدون الذي أضاءت عبقريته غروب الحضارة الإسلامية في نهايتها»(٧).

القيادة للروح

لكننا نواجه مشكلة أساسية في فكر مالك بن نبي قد يفهمها بعضهم خطأ، فيتصور أن مالكا كان يدعونا إلى البقاء في مرحلة الروح (قبل صفين) وإلا فنحن أسرى العقل بعيدين عن سيطرة الألق الروحي.

والأمر ــ بطبيعة الحال ــ ليس هكذا بالجملة، وبهذا الخيار الحاسم، لأن من شأن عرض كهذا أن يفسر لنا الأمر وكأن هناك نقيضين أحدهما أبيض تمامًا والآخر (ما بعد صفين) أسود تمامًا. وهذا ــ بالطبع ــ غير وارد، لا في فكر مالك بن نبي ولا في أية فلسفة منصفة لحركة التاريخ الإسلامي، بل ولا لحقائق الأمور البسيطة التي علمنا إياها مالك بن نبي وهو يؤكد لنا أن حركة السياسة شيء وحركة الحضارة شيء آخر أعمق وأبعد في التاريخ.

فالعقل إذًا ليس بالضرورة نقيضَ الروح، وبالإمكان ــ وفق معادلة حضارية متوازنة ــ المزج بين الروح والعقل، شريطة أن تكون الروح هي القائدة، وأن يكون العقل مساعدًا للروح لا مدمّرًا لها، ولا مهمشًا لها في مساحة مكانية أو زمانية محدودة لا جدوى منها.

وبالروح والعقل، وبالأشياء التي تولد ولادة طبيعية نتيجة فاعلية العقل الموجّه ــ في تفكيره الإبداعي ــ روحيًا. من هذا المركب الثلاثي المتعاون تعاونًا محكمًا تقوم الحضارة الإسلامية المعاصرة.

وفاعلية الأفكار لن تتحقق إلا بالانطلاق من رسالة روحية، وستكون

الفاعلية أعمق وأروع وأبقى إنسانيا إذا انسجمت مع الحق. فالفاعلية النفعية للأفكار قد تبعث أمة من سباتها وكبوتها، وقد تمنحها قدرة إبداعية هائلة، ومن ثمّ يبدو الفكر مجسدًا في الأشياء التي اخترعها وكأنّه أنشأ حضارة.

لكن هذه الحضارة الناشئة عن فكر فاعل لم تمتدّ جذوره إلى أرضية الحق المطلق ما تلبث بعد وصولها إلى أوج ازدهارها أن تفترس ذاتها، وأن تسبب للبشرية الدمار والتعاسة، شأنها شأن الوحوش القويّة في الغابة.

إنها تحاول الهيمنة الكاملة فتسقط في قاع الاستنزاف الذي قد يطول مداه بطريقة تخدع ساستها ومفكريها عند رؤية حقيقة الموت البطيء الذي تمشي حضارتهم في طريقه[8].

وفي منظور مالك بن نبي تقف الأفكار الفاعلة القادرة على القيام بالوظيفة الحضارية ـ وفق ثوابت الحق ـ واحدة من أبرز مقومات رؤيته الحضارية.

المشروع الحضاري

والإسلام بما يطرحه على الإنسان المسلم من ثوابت فكرية هو الركيزة الأولى التي يجب أن تقلع منها الأمة المسلمة لبناء مشروعها الحضاري الذي يحميها من الهبوط إلى مستوى (بروليتاريا) الحضارة الغربية.

لكن: **هل يسكت الاستعمار حتى تؤدي الأفكار الفاعلة وظيفتها الحضارية في المحيط الإسلامي ويجد نفسه في مواجهة مشروع حضاري يحقق إنسانية الإنسان ويستفيد من كل إيجابيات الحضارة الأوربية ويعطي الروح وظيفتها الغائبة؟**

إن ذلك مستحيل عقلاً بالنسبة لتركيبة الغرب وموقفه الحاقد الأعمى من الحضارة الإسلامية؟!

ويدلنا التاريخ على أن الحضارة الأوربية تقف من الفكر الفاعل في المحيط الإسلامي موقفًا عدائيًّا دائمًا، فهي تقبل بإسلام سلبي يكتفي بالزهد الصوفي أو الوقوف عند حد الأركان الخمسة في دائرة المسجد أو المنزل أو أداء فريضة الحج!

ولئن كان إفقاد الفكر فاعليته الكامنة فيه ليس عملاً سهلاً فإن الدائرة الاستعمارية تلجأ إلى تشويه الفكر أو تشويه القائم بالفكر شخصًا كان أو طبقةً، فضلاً عن دأبها على عزل جماعة الفكر الفاعل في أضْيق الحدود. وهي في هذا الطريق قد تلجأ إلى تحويل المفكر عن أهدافه المنشودة إلى أهداف ثانوية تستنفد كل مجهوداته، وقد تسعى إلى إفراغ الفكرة من فاعليتها بوسائل مختلفة، فيخيل للمفكر أنه يقوم بدوره، لكنه لا يدري أن أفكاره قد حوصرت بمجموعة من عوازل التأثير.

وفي كثير من الأحيان يلجأ الاستعمار في مجال إفقاد الفكرة فاعليتها إلى (القمع) إذا لم تفد الوسائل الفكرية أو العملية في وأد الفكرة، وقد يلجأ إلى (الإبدال) بإحلال أفكار ثانوية هامشية تستقطب الجماهير وتستنزف طاقتهم؛ حتى ولو كانت هذه الأفكار الهامشية ضمن سباق الفكر الفاعل لكن جزئيتها وحرفيّتها ومهنيّتها تبدد الطاقة وتحبط فاعليتها.

وقد يلجأ الاستعمار إلى (التشتيت) وفق معادل نفسي (سيكولوجي) يجعل تمزيق الفكرة يحول بينها وبين فاعليتها الحضارية المنشودة [9].

وكل هذه الصور من الصراع تؤكد لنا ـ من الجانب المعاكس ـ أهمية الفكرة الفاعلة في البحث الحضاري. ولئن كنا في محيطنا الإسلامي والعربي قد قدمنا الأشياء على الأفكار، واستسهلنا الاستيراد على الإنتاج، وجعلنا الأفكار في المؤخرة فوضعنا العربة قبل الحصان، لئن كنا قد وقعنا في ذلك، فإن النتيجة الشاهدة لواقعنا الأسيف توجب أن نعيد النظر بجدّية كافية في مسيرتنا المضطربة، وفي قطارنا الذي خرج عن قضبانه، وهو لا يعرف الآن إلى أين يسير.

ففي بداية كل حضارة ثمة الفكرة الفاعلة القادرة على تغيير ما بالنفس، ومن ثم تغيير ما بالعقل، وتغيير الواقع، والإقلاع الحضاري.

إنها الفكرة المشحونة بالرؤية الكونية وبالوقود العلوي وبالمسؤولية الإنسانية الشاملة. إنها الطريق الشرعي والفطري والمنطقي لصناعة الحضارة الإنسانية.

وقيمة التراث الذي خلفه لنا مالك بن نبي رحمه الله تتجسد ـ أولاً وأخيرا ـ في أنه نقل الأفكار ـ بعد قرون التخلف ـ إلى مستوى الفعل الحضاري الإسلامي العصري

لقد أخرجها من قاع السكون والموت إلى شاطئ الحركة والحياة.

---

(١) عنوان كتاب لمالك بن نبي.
(٢) ميلاد مجتمع ـ دار الفكر ـ ص ٧٢.
(٣) المكان السابق نفسه.
(٤) ميلاد مجتمع ـ دار الفكر ـ ص ٧٣.
(٥) شروط النهضة ـ ص ٤٩ ـ ٥٠.
(٦) شروط النهضة ـ ص ٢٥.
(٧) شروط النهضة ـ دار الفكر ـ ص ٥٣.
(٨) إن نموذج الاتحاد السوفييتي آخر النماذج الملموسة كنموذج مندثر. أما الولايات المتحدة الأمريكية فهي النموذج الثاني. الذي يُنتظر أن يسقط خلال عقود قصيرة، والنُّذُر كلها دالة على ذلك لمن له قلب يفقه به.
(٩) تنظر دراسة مالك بن نبي عن الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وينظر كتاب الدكتور عبد اللطيف عبادة (صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي) صفحات ٦١ ـ ٧٣ طبع دار شهاب باتنة ـ الجزائر ١٤٠٤ هـ الطبعة الأولى.

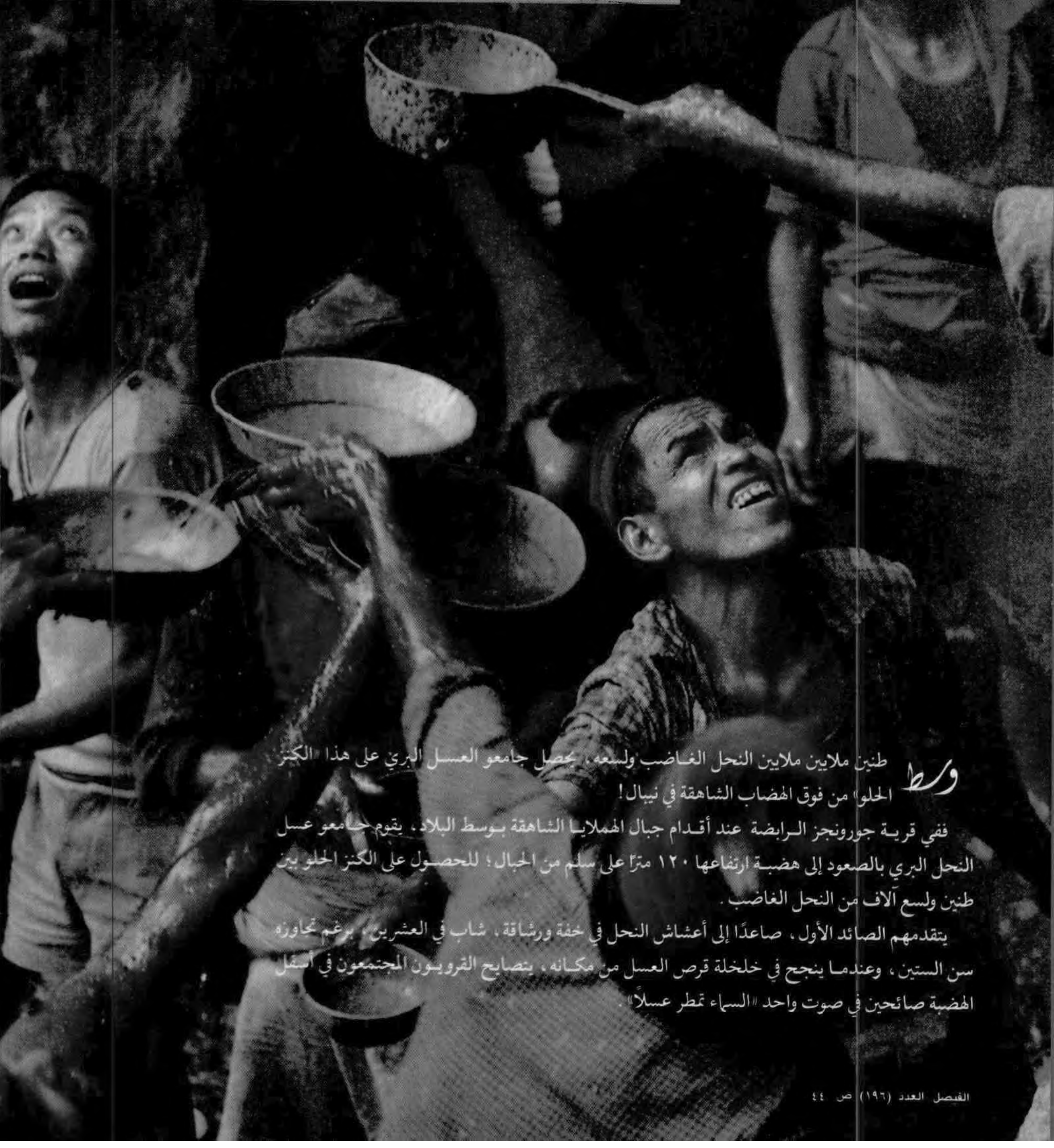


الشرق في عيون الغرب



في نيبال:

السماء تمطر عسلاً



وسط طنين ملايين النحل الغاضب ولسعه، يحصل جامعو العسل البري على هذا «الكنز الحلو» من فوق الهضاب الشاهقة في نيبال!

ففي قرية جورونجز الرابضة عند أقدام جبال الهملايا الشاهقة بوسط البلاد، يقوم جامعو عسل النحل البري بالصعود إلى هضبة ارتفاعها ١٢٠ مترًا على سلم من الحبال؛ للحصول على الكنز الحلو بين طنين ولسع آلاف من النحل الغاضب.

يتقدمهم الصائد الأول، صاعدًا إلى أعشاش النحل في خفة ورشاقة، شاب في العشرين، برغم تجاوزه سن الستين، وعندما ينجح في خلخلة قرص العسل من مكانه، يتصايح القرويون المجتمعون في أسفل الهضبة صائحين في صوت واحد «السماء تمطر عسلاً».



قرص العسل وقرص التربية الهلالي يبدوان بوضوح



أكبر نحل

يُعد العجوز ماني لال ـ ٦٤ سنة ـ قائد زمرة جامعي عسل النحل في قرية جورونجز في قلب نيبال، ومثله مثل آبائه وأجداده، لا تعوقه سنوات عمره المديدة عن ارتقاء سلم من الحبال ارتفاعة نحو ١٢٠ مترًا؛ ليصل إلى الهضبة المرتفعة، حيث توجد أعشاش النحل البري المعروف باسم **Apis Laboriosa** أكبر نحل عسل في العالم.

وعندما يدفع عصا طويلة من البامبو داخل العش، يمتلئ الهواء حوله بآلاف من النحل الغاضب، يطن طنينًا مخيفًا تكاد تنخلع له القلوب، وبرغم هذا لا يرتدي لحمايته سوى قلنسوه قديمة تنسدل على رأسه، وسروال ثقيل يغطي ساقيه، أهداه له ابن عمه الذي يعمل في الجيش.

وبعد أن ينجح في خلع قرص العسل من مكانه، يضعه بسرعة داخل سلة من البامبو مكسوة من الداخل بجلد الماعز، وعندما تمتلئ إلى آخرها يقوم بإنزالها إلى الرفاق المنتظرين عند قاعدة الهضبة.

من بين كل جامعي عسل النحل في قرية جورونجز يوجد تسعة فقط، تضمهم زمرة ماني لال يمكنهم جمع العسل من الأعشاش، وكل منهم ورث هذا الحق من أبيه الذي علمه مهارات خاصة، فأحدهم يحمل سلم الحبال المصنوع من نسيج البامبو الذي يبلغ طوله ١٢٠ مترًا على سبيل المثال، بينما يتولى الباقون أعمالاً أخرى مهمة تتعلق بجمع العسل.

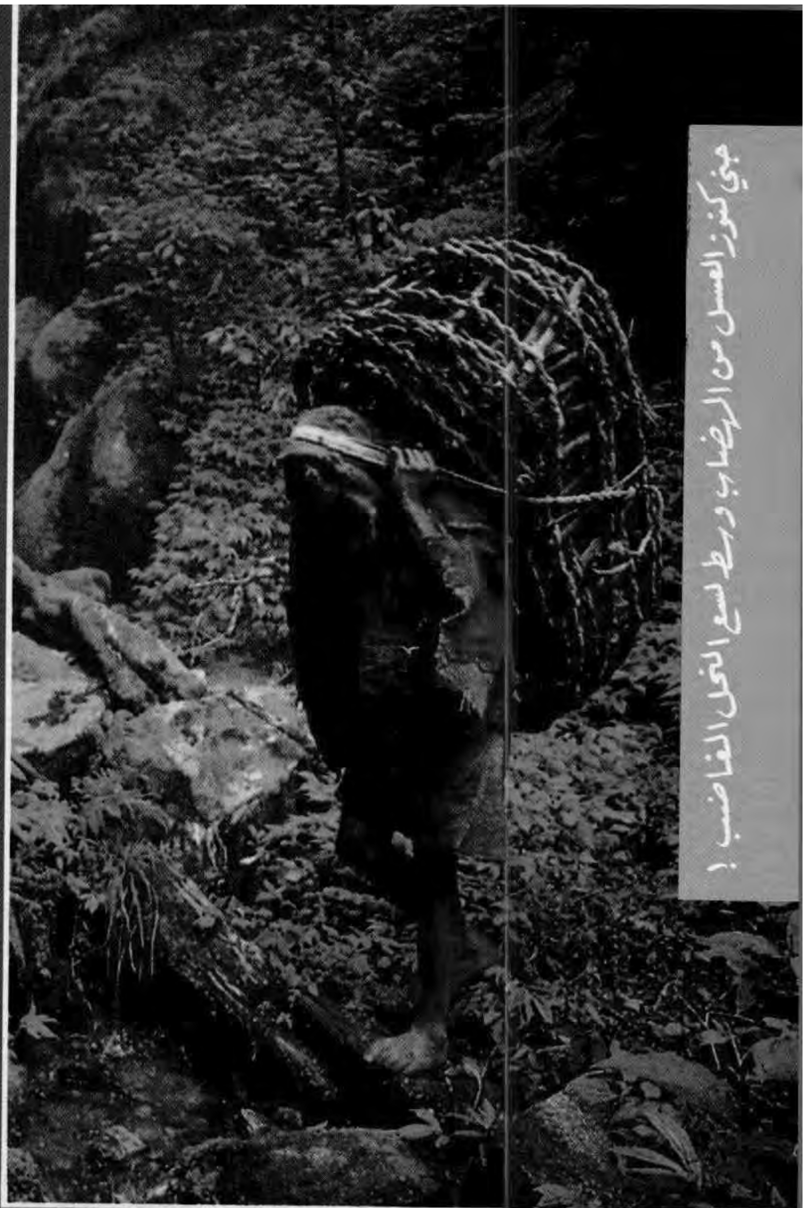
وفي المكان الذي تشغله القرية بين التلال، لا توجد طرق ممهدة أو معبّدة، ولعقود طويلة كان ومازال الحمالون المصاحبون لهواة تسلق الجبال يرتادون هذا الطريق، الذي تفترشه الغابات وحقول الأذرة اليانعة الخضراء، من لون الزمرد لمسافة تزيد على ٢٥٠٠متر.

أما الآن فقد أزيلت معظم الغابات، باستثناء المنحدرات الشديدة الانحدار التي مازالت توجد بها الأشجار السامقة، وكلما قلت الأشجار تقل بالتالي أعداد النحل، فمثلاً «أبو ماني لال» كان يجمع ٦٠٠ عش في العام بينما يجمع ماني لال ٨٠ عشًا فقط في العام.

والغريب أن طرق صيد العسل لم تتغير إلا قليلاً على مر العصور، ففي رسم على جدران كهف يوجد بالقرب من فالنسيا ـ أسبانيا عمره ١٠,٠٠٠ سنة ـ يبين رجلاً على سلم يمسك سلة بجانب عش للنحل، كذلك توجد مشاهد مشابهة عُثر عليها في أفريقيا والهند.

موسمان للعسل

تنقسم حملات جمع العسل إلى موسمين: الأول في الربيع والثاني في الخريف، ويستمر الموسم الواحد نحو ثلاثة أسابيع.



سلم الحبل محمولاً على الظهر في طريقه إلى الهضبة



بواسطة عصا طويلة يخلخل قرص العسل من مكانه قاذفًا به داخل سلة من البامبو



قرص العسل القمري مطوي ليسهل حمله إلى المخيم

قبل البدء في جمع العسل يأخذ ماني لال حفنة من الأرز ينثرها في الهواء جلبًا للفأل الحسن، بعدها يتحول اهتمامه إلى داخل العش، منتبهًا إلى أقل حركة، وبدون أي كلمة يبدأ في صعود سلم الحبال في خفة ومهارة يحسد عليها، مثل عنكبوت يتسلق خيوطه متوجهًا إلى عشه، فأقل خطأ هنا يعني الهلاك.

وعندما يقترب الرجل من العش الذي يبلغ مثل حجمه إلى أقرب مسافة ممكنة والمغطى بطبقات كثيفة سوداء من النمل، يقوم اثنان من الرجال التسعة بالصعود على سلم الحبال إلى ثلث المسافة؛ لضمان اقترابه من الهضبة حيث الأعشاش إلى أقصى درجة، ويعمل كذلك على جذب السلم نحو الهضبة لجعل قائدهم يتمكن من العش.

في هذه الأثناء توقد نيران أسفل الهضبة لتشتيت النحل بالدخان ودفعه إلى مغادرة العش، وإذا ما كانت الرياح شديدة، ولم تفلح هذه الوسيلة في دفع النحل بعيدًا، يقوم القائد الأول بوضع أوراق شجر مشتعلة أسفل العش، بعدها يصبح القرص الذهبي في متناول اليد وينقسم العش إلى قسمين: قرص العسل وهو متصل بالهضبة، وقرص التربية وهو الجزء المنخفض من قرص العسل، ويتخذ شكل الهلال ويمتلئ باليرقات والبيض والشرانق، وهذا القرص هو مصدر قيم للشمع.

مطر العسل

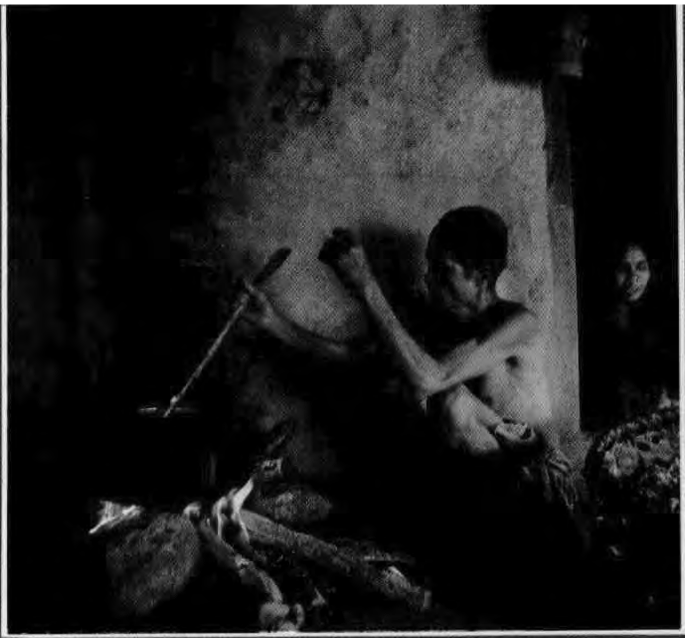
السماء تمطر عسلاً!

هكذا يصرخ القرويون المتجمعون أسفل الهضبة في فرح، ووجوههم متطلعة إلى أعلى ممسكين في أيديهم أواني مختلفة الأحجام والأشكال ليسقط فيها السائل اللزج عندما يسيل من القرص.

ولا ينتمي هؤلاء القرويون إلى زمرة جامعي العسل، ومع ذلك فهم أشخاص مرحب بهم لنيل قطرات من السائل الذهبي؛ لأنهم في الماضي ساعدوا في الوفاء بالضرائب الحكومية السنوية المفروضة على العسل. وعندما يكون العائد من بيع العسل قليلاً، ستة سنتات من كل قروي حسب رغبته وهؤلاء الأشخاص، يكون لديهم الحق في تذوق العسل في موسم جمعه التالي.

عند الفراغ من ملء السلة الأولى بقرص العسل ويزن نحو ١٥ لترًا، يدفعها «ماني لال» نحو الأسفل وعند بلوغها الأرض يهجم الفلاحون عليها، ويدفعون أوانيهم داخلها ويكسرون قطعًا صغيرة من القرص، ليمضغوها بما فيها من يرقات وبيض فهو عيد العسل.

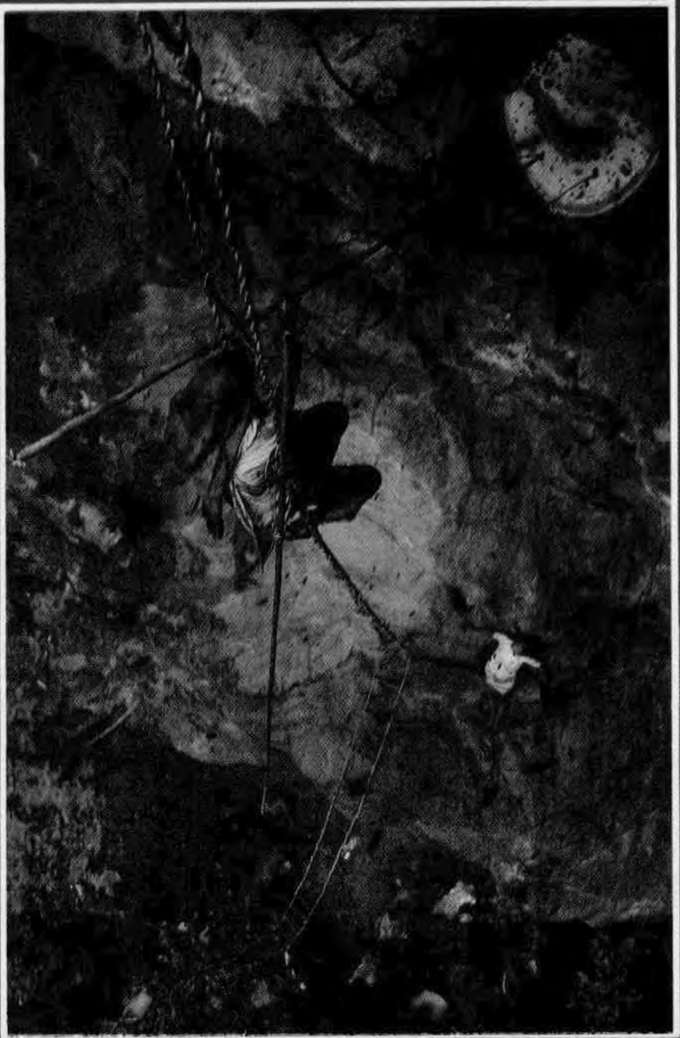
فيما بعد يفحص «ماني لال» لون العسل، ويصب كمية صغيرة في راحة يده، ليرى ما إذا كانت تترك احمرارًا على الجلد، أو تشعره بوخز



اثناء العمل في صهر الشمع



رسم عمره أكثر من ١٠,٠٠٠ سنة يبين طريقة جمع العسل



اثناء خلخلة قرص التربية بينما القرميون ينتظرون في الأسفل

مؤلم، وإذا ما كان الأمر كذلك يعني أنه غير صالح للأكل؛ لأن من المعروف أن النحل أحيانًا يحط على نباتات تفرز مواد سامة.

وفي أحيان كثيرة يقوم القرويون بتناول بعض العسل قبل اختباره، وفي هذه الحالة يصابون بالانهيار ويظلون يعانون من عدم القدرة على السير، والعرق البارد والقيء وازدواج الرؤية لعدة ساعات.

قسمة عادلة

وفي أقل من ساعة يتمكن «ماني لال» من جمع نحو ٤٠ لترًا من العسل، و١٠ كيلوجرامات من الشمع، من حصيلة عمله في أكثر من أربعة أعشاش.

وبعد الانتهاء من الحصول على قرص العسل يطوي قرص «التربية»، الذي يحوي صغار النحل إلى نصفين كي يمكن حمله إلى المخيم الكائن في الغابة.

على الرغم من أن الصيادين يتركون أعشاشًا للنحل لا يقتربون منها، لتكون بمثابة بذور للمستقبل، إلا أن تدميرهم لأقراص التربية يؤدي إلى انخفاض أعداد النحل وتدهوره، غير أن الخسارة الفادحة المتمثلة في تدمير الغابات تمثل تهديدًا أسوأ لسكانها من النحل.

عند العودة إلى المنزل يقوم ماني لال بصهر شمع العسل على النار، وعندما يذوب بالفعل يصبه في مصفاة من البامبو داخل بئر صغيرة من الماء البارد، ثم يفرك الشمع مثل العجين لكي يتخلص من الماء الزائد، بعدها يشكل على هيئة قوالب زنة الواحد كيلوان ونصف.

ويقوم عمدة القرية بوزن محصول العسل مقدرا نصيب كل فرد، وبالطبع يحصل ماني لال على أكبر كمية يليه رفاقه الثلاثة الذين كانوا يمدونه بالأدوات اللازمة من أعلى الهضبة، يليهم الاثنان اللذان أشعلا النيران، ثم الاثنان اللذان قاما بتصفية العسل، وأخيرًا الرفيق التاسع في الزمرة، وبرغم أنه لا يفعل شيئًا إلا أن الباقين في الزمرة يصرون على اصطحابه معهم في كل مرة لأنهم يتفاءلون بالرقم ٩.

ثمن باهظ للشمع

يحتفظ جامعو العسل بكميات صغيرة منه لعائلاتهم، ويتاجرون بمعظمه للحصول على اللبن أو الحبوب أو يوم عمل.

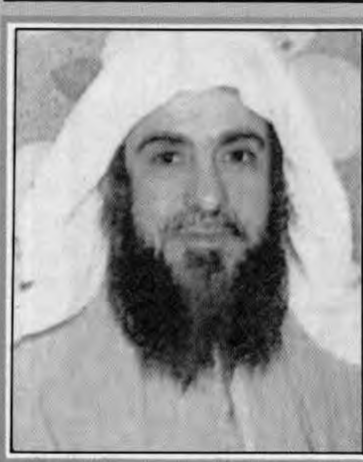
ويحمل الشمع إلى كاتمندو عاصمة نيبال، ليباع للفنانين الذين يستخدمونه في صنع أغلفة للتماثيل المصنوعة من البرونز كي لا تخدش أو يتأثر بريقها.

ويُباع قالب الشمع الذي تبلغ زنته كيلوجرامين ونصف الكيلوجرام بمبلغ ١٥٠ روبية (٧دولار)، وهو مبلغ طائل في بلدٍ يباع فيه كيلو الأرز بمبلغ ١٠ روبيات فقط.

يرى ماني لال أن موسم العسل التالي سيكون هو آخر موسم عمل له، بعدها سيتقاعد، ويقول متحسرًا إن مهنته التي بدأت ولم تتوقف ستنتهي بلا خليفة، لأن العاصمة بزخرفها تجتذب شباب القرية، ومنهم ابنه الذي رفض الاستماع إلى نصائحه بتعلم أسرار جمع العسل، وبدلاً من ذلك فضل العمل في العاصمة وإن كان هو شخصيًا لا يهوى الذهاب إلى العاصمة، فلم يذهب إليها منذ أكثر من ١٥ سنة!

عن مجلة ناشيونال جيوجرافيك

صداع العقول



الأشكاليةُ الدّينيةُ المفتراةُ!

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

الرقعة العربية كلها، والرقعة الإسلامية كلها قبل انتشار عقد الخلافة الإسلامية، لا يوجد فيها على الأصعدة الرسمية والأجهزة الحكومية والمؤسسات العلمية أي طرح في السلوك أو التصور لا يكون منتسبًا للإسلام بنص أو إجماع أو اجتهاد أو دعوى.

وإذا تعددت الطروحات واختلفت فليس أساس الترجيح أن هذا إسلامي أو غير إسلامي، وإنما مقياس الترجيح القرب من المراد الشرعي أو مطابقته.

وقد يترجح المرجوح وفقًا لمذهب أهل الحل والعقد في البلد، ومذاهب أهل السنة متعددة فقهًا، ومذاهب أهل القبلة متعددة تصورًا. أما اليوم فالرقعتان العربية والإسلامية صعيد لطروح إسلامية، ولطروح غير إسلامية أكثر وأشد غلبة.

حتى الطروح الإسلامية تُلقى من أطراف يوصف بعضها بأنه ذو منطلقات دينية غير خالصة. وَمَنْ يوصف بأنه ذو منطلقات دينية خالصة ـ وغرتهم أهل السنة والجماعة ـ يوصف مذهبه بأنه يعترف للنص الديني بالقداسة والمطلقية. واستنتجوا من هذا الوصف الصحيح:

أ ـ أن لدى أهل تلك المنطلقات تصورًا محددًا للكون والمجتمع والفرد.

ب ـ أن ذلك التصور ذو طبيعة لاهوتية حيث يشكل الكون دائرتين هما الدنيا والآخرة. وحيث يشكل المجتمع مجالاً لظهور إرادة الله.

ج ـ أن الاختيار الفردي مجرد كسب. ومن ثم تنتفي السببية العقلانية وتحل محلها سببية لا تغفل الرعاية الإلهية للكون والبشر.

د ـ النهاية دُوْنِيَّةُ الإنسان والعقل والحرية!

قال أبو عبد الرحمن: لخصت هذه العناصر، وفقطتها ورقمتها من بحث لا يزال بالآلة الكاتبة لمحمد أبي القاسم حاج حمد بعنوان «الإشكالية المعرفية وعالمية الثقافة المعاصرة» قدمه في إحدى الندوات.

وهذا نموذج لطروحات كثيرة نشطت في بلدان المغرب ـ ولهذه النماذج مناسبة تأتي إن شاء الله ـ تتمظهر بحلية الفكر والاستقراء، لكنها تحسن منطق الأغلوطة كما في النص السابق الذي ذكر التصور الصحيح لذوي المنطلقات الدينية الخالصة، ثم رتب عليها نتائج كاذبة باطلة تنطلي على العامة، لأن حيل المغالطة محكمة.

ومهمتي اليوم إبطال الحيل اللئيمة وإظهار خيوط المغالطة الدقيقة. فمن ناحية الوصف لمذهب ذوي المنطلقات الفكرية نرى صحة الحكم عليهم في اعترافهم للنص الديني بالقداسة والمطلقية.

هذا صحيح لا غبار عليه ولكن بالشروط التي يعتبرون بها النص دينيا، وبالمفهوم للمطلقية عندهم.

فإن أطلق النص الديني بغير شروطهم وقيودهم، وإن فسرت المطلقية بغير مفهومهم فسينتج عن ذلك نتائج ليست من مذهبهم. ولا يضير حينئذ أن تكون النتائج باطلة، لأنها ليست من مذهبهم.

وشرط النص الديني عندهم أن يكون صادرًا عن الله، وأن يكون المعنى المأخوذ منه مرادًا لله بيقين أو رجحان.

ولإثبات صدور النص عن الله، ولإثبات نسبة المراد من الله، قوانين علمية في علمي التفسير ومصطلح الحديث، وأصول الفقه، وفقه اللغة، وعلم البلاغة. وهذه القوانين هي مرجع علماء الملة المحمدية وأداتهم عقيدة وشريعة، وهذه القوانين ذات بناء فكري تمنع من دونية الإنسان وعقله وحريته والمعنى المعتبر للدونية أن تعطل قدرات الإنسان وإيجابيات فكره. أما الاستعلاء بالعقل وقدرات الإنسان وحريته على قدر خالق الكون، وعلى غيوب الله في كونه فالإنسانُ دونٌ ما في ذلك شك، هو دون في قدراته، ومدارك عقله، وطموحات حريته.

وإذن فالخرافة ليست نصًا له تقديس ومطلقية عند ذوي المنطلقات الدينية الخالصة.

وينفي الإسناد إلى الشرع ـ لفظًا أو معنى ـ ارتفاع المعقولية بيقين أو رجحان.

وأما مطلقية النص عند ذوي المنطلقات الدينية الخالصة فمعناها أن النص إذا صح عن الشرع دلالة وثبوتا على مراد ما فهو حقيقة قطعية في دلالته على

ذلك المراد، وأن ذلك المراد خبر خالق الأشياء العليم بحقيقة نفسه وحقائق مخلوقاته، ولا شيء في الكون يخرج عن مخلوقاته.

وكل علم من العلوم فيه حقائق مطلقة وهي من اكتشاف البشر، فكيف لا تكون مرادات الشرع حقائق مطلقة وهي خبر الخالق العليم المنزه عن السهو والجهل والكذب وكل عيب؟!

وليس معنى المطلقية أن في النصوص الشرعية الخبر التفصيلي عن كل حقائق الوجود بحيث يستغني الإنسان عن معارف حواسه وعقله ومهاراته. بل ندب الله السمع والبصر والفؤاد للبحث والتفكر والاعتبار، وجعل سبحانه من سبل عمارة الكون الإنتاج البشري كشفًا واختراعًا مما يتكفل الشرع المطهر بتعليمنا إياه من أمور دنيانا كالصناعة والزراعة والطب . . . إلخ.

ولله غيوب لم يطلع عليها أحدًا، ولن يطلع عليها أحدًا من البشر، فلا تكون المطلقية بمعنى احتواء النص الشرعي على تفصيل كل شيء في الوجود.

وإنما تكفل الشرع ببيان ما يلزم البشر من معرفة مقاصد الدين التي يبلغهم العمل بها واعتقادها الجنة ويزحزحهم عن النار.

وإنما تكفل الشرع ببيان توظيف سلوك الإنسان ليسعد في دنياه وآخرته، فإذا كان الشرع لم يعلم الإنسان صنع المدفع فهو لم يحجر عليه ذلك، بل أمره بإعداد القوة، وكل تدبر عقلي وعمل حسي ينتج قوة فهو مأمور به. فإذا صنع الفرد بحسه ومواهبه ومهاراته - بعد توفيق الله - المدفع والرشاش فدور الشرع توجيه السلوك في استعمال القوة والعدة.

قال أبو عبد الرحمن: وإذ اتضح معنى مطلقية النص عند ذوي المنطلقات الدينية الخالصة فستتضح المغالطة في دعوى أن تصور الكون محدد عند ذوي تلك المنطلقات.

ووجه المغالطة أنهم استعملوا كلمة «محدد» وهم يريدون معنى محدود، لأن معنى «محدود» هو اللائق بدعواهم على ذوي تلك المنطلقات انتفاء السببية العقلانية ودونية الإنسان التي مر نقاشي لها.

فانكشفت مغالطتهم وتضليلهم وتلبيسهم على القراء بأن معنى مطلقية النص عند ذوي المنطلقات الدينية الخالصة تعني احتواء الشرع على تفصيل الأمور الدينية والدنيوية بحيث يغني النص عن كل جهد بشري.

ومن ثم يكون تصور الكون محددًا محدودًا بمعطيات النصوص الشرعية بحيث لا يُحتاج إلى محصلات علم أخرى غير النصوص الشرعية!

ومن ثم تنتفي من دنيا ذوي المنطلقات الشرعية الخالصة كل معاني السببية العقلية، ويعيشون دونية إنسانية!

قال أبو عبد الرحمن: فهذه الدعاوى معروف أنها مجرد كذب وافتراء بمجرد العلم بمعنى كون النص شرعيا، ومعنى كونه مطلقا، ومعنى أن التصورات محددة بمقتضاه، وذلك في مذهب ذوي المنطلقات الدينية الخالصة.

قال أبو عبد الرحمن: وقد مر معنى كون النص شرعيًا، ومعنى كونه مطلقًا. ويبقى الآن تبيان معنى التصور المحدد.

قال أبو عبد الرحمن: المحدد المميز المحصور الذي لا يختلط بغيره. وهكذا معنى المحدود إلا أنه يعلق به دلالة أدبية استعمالية، وهي معنى القلة وضيق النطاق.

والواقع أن ما في نصوص الشرع المطهر من تصورات عن الكون والمجتمع والفرد فهي محددة بمقتضى علم الدلالة. ولكن ليس كل تصور عن الكون والمجتمع والفرد محدودًا بما ورد به النص الشرعي. بل خلق الله الأنفس والآفاق، واستحث السمع والبصر والفؤاد والعقل للإصغاء والنظر والوعي والتفكر. ونتج عن ذلك مصنوعات ومخترعات واكتشافات كونية من تمكين الله القدري الكوني، وليست من تعليمه التفصيلي بالنص الشرعي.

وميزة ذوي المنطلقات الدينية الخالصة أن التصورات المحددة لهم في دينهم عن الكون والمجتمع والفرد لا تُوْقِفُ طموح السمع إلى الإصغاء، ولا طموح البصر إلى النظر، ولا طموح العقل إلى التفكر، ولا طموح الأنامل إلى الصناعات والمهارات. وإنما المهم في النهاية توظيف السلوك البشري لإسعاد البشرية في دنياها وآخرتها.

هَلَّ هِلالك



كانت الكائنات في البدء مجموعة أخلاط ثم تشكلت، وكانت السماء دخانا ثم استوت، وكانت الأشياء بلا أسماء ثم تحددت.

كان الكل بلا هوية، ثم أخذ يبحث عن هوية.

ويوم أن اكتشف هويته، اكتشف وجوده.

فالهوية هي الوجود، نكون أو لا نكون، تلك هي القضية.

نظر إلى السماء، أبصر مجموعة من السحب متناثرة، كنتف القطن البيضاء.

قال لها: كذلك كان الإنسان: جماعات متناثرة كقطيع الأغنام فوق الأعشاب، ويوم أن تجمع وتماسك، تميز من الأغنام، وأصبح سيد الكائنات، ورمقته الملائكة بتطلع، وقال الله تعالى لها: ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾.

أخذت السحب تتجمع وتتلاقى، وتشكل تكوينات وزخارف كأنها ثياب العيد.

وقال لها: كذلك تتشكل الحضارات، في البدء كانت المجتمعات البشرية مجرد تكتلات ضبابية بلا معنى، ويوم أن اكتشفت معناها اكتشفت هويتها، ويوم أن اكتشفت هويتها عرفت حضارتها، وأصبح طريقها ممهدا.

ما الحضارة إلا معنى، ودون هذا المعنى يعود المجتمع إلى البدء، كقطيع من الأغنام، أو كنتف القطن البيضاء.

فجأة ظهرت سحابة سوداء، كقطعة حبر كبيرة تلطخ رقعة السماء.

قالت له: دع عنك تشكيلات السماء، وتكتلات السحب الزرقاء والبيضاء، وانظر حولك، ألا تجد الناس أخلاطا لا يتميزون، وكتلا تتراكض كأشباح المساء؟

قال لها: ولكن الأرض تندي برائحة مطر تأتي من بعيد، ألا تشمين؟

قالت له: هل أصبحت نبيًا تبشر وتنذر؟

قال لها: فقدنا أنفسنا يوم أن فقدنا حاسة الأنبياء، وتركنا النظر نحو السماء.

تركته بلا وداع، ولكن حبات تائهة من مطر السماء رطبت الغصة في حلقه المكلوم.

د. عبدالحميد ابراهيم

صوت الجهاد

شعر: أحمد عبد اللطيف

أَلحائطِ المبكى الجديدِ وُجودُ ؟   وبأرضِ هِرْسِكَ قد أناخ يهودُ
أم أنَّ في العَهْدِ القَديم تمائمًا   تُنْبي بأَنَّ القادِمينَ قرودُ؟!
فالضِّربُ في شَرْعِ الأَنام حُثالة   ونجاسَةٌ وجَهَالةٌ وعَبيدُ
أَوَكُلَّما جفَّتْ مَدامِعُ صِبيَةٍ   وظَنَنْتُ أَنِّي بُلْبُلٌ غِرِّيدُ
وبدأتُ أحلم بالهناءة في سنا   مسرى الحبيب وسرَّني تغريدُ
راحتْ جِراحُ المسلمين تهزني   من كُلِّ صَوْبٍ والبلاءُ يزيدُ
وبدَتْ مآسي البائسين تذيبني   والأرض تحت التائهين تميدُ
وتلفنِي الأشجان تجأر حسرة   ويئنُّ في القلب الحزينِ وَريدُ
يا سوأةَ العُمرِ المُدَنَّس بالخنا   أَتُحررُ الوطنَ السليبَ وُعودُ
وحبائل الشيطانِ بدَّدَتِ القُوى   وأذلَّ أعناقَ السُّراةِ قُعودُ
بِتْنا نِعَاجًا تُسْتَباح دِيارُنا   بلظى الصَّليب يحُثُّه التَّلْمودُ
والمسلمون على أرائك وهْنِهم   خَلْفَ الزَّمانِ على الشِّفاه قُيودُ
يا من سلاحُهُمُ الأجلُّ قصيدةٌ   حيْرى وذروةُ بأْسِهم تَنْديدُ
أتُذَلُّ أُمَّتُنا وبين ضُلوعنا   آيُ الكتابِ وطارفٌ وتليدُ
و«اللهُ أكبرُ» في السماءِ منارةٌ   وصَليلُ سيفكَ يا أُخيَّ نشيدُ؟!
لو كان لي بين الضُّلوع حُشَاشة   وصدقتُ إيمانًا وفيَّ صُمودُ
ما بتُّ بين القاعدين وفي دَمي   نَغَمُ الجهادِ وفي القلوب بنودُ
يا رَجْعَ مؤتَةَ في جحافل بَدْرِنا   أين الأُباةُ فَيَوْمُنا مَشْهودُ
والسَّيفُ غرَّد في صحائف مَجْدنا   فمتى تزغردُ أَيُّها البارودُ؟!
فبطاحُ يثربَ نبع كلِّ فضيلة   وبطاحُ مكَّة بالكُماة تجودُ
ومآذنُ الحرَمَيْن ترسمُ فجرنا   وَ«اللهُ أكبرُ» في الجِواءِ خُلودُ
فَالنَّصْرُ آتٍ لا محالةَ والذي   فَطَرَ الوُجودَ، فَنَصْرُنا مَعْقُودُ
في سورة الإسراءِ تُشْرِق آية   سَيجوس أرجاءَ الدِّيار أُسودُ
فَترقَّبي يا قدسُ صَحْوةَ أمَّة   خطَّ البقاءَ لِصَرْحِها توحيدُ
وتزيَّني يا أَرضَ هِرْسِكَ واهتفي   إطلالةُ النَّصْرِ المؤزَّرِ عيدُ
فطلائعُ الرَّحمنِ قَلْقَلَت الرُّبى   وبشائرُ الغيْثِ العميم رُعودُ

رحلاتي ليست للسياحة وإنما للبحث عن كنوز تراثنا



أجرى اللقاء في القاهرة : إيهاب الحضري

بعـــد متـابعـة من القــراء لـرحـلات الشيخ حمد الجاسر التي نشرتها «الفيصل» على مــدى سبعـة وعشرين عــددا، وانتهت في العـدد الماضي بعد أن طـاف بقـرائه معظم بلاد العـالم، غربا وشرقا وراء كنوز المخطوطات، يسعد المجلة أن تلتقي بالشيخ الجاسر في هذا الحوار المهم؛ ليلقي أضـواء حول رحـلاته، خـاصة وأن شيخنـا قـد ارتبط بـالتراث العـربي، فأحب الترحـال فيـه ومن أجلـه، وأصدر على نفقتـه مجلته (مجلـة العـرب) بهذا الغرض منـذ سبعة وعشرين عاما، وانطلق يجوب العالم من أجل مكتباته الزاخرة بدرر تراثنـا واضعا منهجا جديدا للرحـلات، ومبرزًا مدى الفائدة التي يمكن أن تعــود على البشر من ورائهـا إذا استغلت بطــريقـة موظفة.

من المعـروف أنه بـالنسبة لـلأديب تـوجد عـلامات مميـزة، تجعل الناس من حولـه يشعرون بإبداعه منذ طفـولته. فهل ينطبق الأمر على الرحالة؟

الأديب في أي فن من فنون الأدب يبرز إبداعـه بما يقدم من ثمار أدبه لا بما يتعـاطاه؛ فما كل من تعـاطى الكتابـة يصح أن يدعى أديبـا، ولا كل من نظم الشعر يصـح أن يقال: إنه أبـدع في فن الشعر، ولهذا لا يصـح أن يقال: إن كل من تصدى للتأليف في الرحلات، وفي وصف ما شـاهده أنه مبدع في هذا المجال؛ لأن الإبـداع أمر يقصـد منه تجاوز مـا هو مألـوف ومعروف إلى مـا هو أسمى وأعلى. فكلمة بدع وأبدع في مجال تأتي بمعنى أتى بما لم يسبق إليه، من هنا لا يصـح أن تطلق كلمة الإبداع على مجرد ممارسة العمل، أي عمـل كان سواءً كان فنيا أو فكريًّا أو جسمانيًّا، أو غير ذلك من الأعمال التي يقوم بها المرء في هذه الحياة.

هل تذكرون أول رحلة قمتم بها؟

ويسترجع الشيخ التاريخ؛ قائلا:

أول رحلة قمت بها خـارج المملكة كانت سنة ١٣٥٨من الهجـرة، أي منذ أكثر من نصف قرن حينما أتيت إلى مصر ملحقا للبعثة السعودية، ودخلت في كلية الآداب بالجامعة المصرية، وكنت آنذاك أول طالب يلتحق بكلية الآداب؛ حيث كان الطلبة السعوديون يلحقون بكليات الأزهر أو دار العلوم، أما أنا فقد أتيت إلى القـاهـرة لأدخل إحـدى كليـات الأزهـر. إذ إن تخصصي هـو الـذي يـؤهلني لـذلك؛ لأنني أكملت دراستي في الشريعـة، وتخصصت في القضـاء الشرعي، ومن ثم فمديرية المعارف بعثت لي كي ألتحق بإحدى كليات الأزهر، ولكنني في الحقيقة كنت أطمح إلى الالتحاق بكلية الآداب، فأتيت إلى مصر في ذلك العام، ولما أراد مـراقب البعثات السيـد ولي الدين أسعـد إلحاقي بإحدى كليات الأزهر، قلت: إنني لا أريد إلا أن ألتحـق بكلية الآداب، وكانت كلية الآداب في ذلك العهد تحوم حولها الشكوك ويتخوّف منها، وقد حدثت في تلك الأيام فيها بعض حوادث تتعلق بحرية الفكر وفي أشياء رأى بعض العلماء فيها ما يحاذر منه.

وفي ذلك الـوقت قال مـدير البعثـات: دعـوا لفلان الالتحـاق بأية كليـة يريدها، واتصل مدير البعثات بالـدكتور طه حسين، الذي كان قد فصل فيها من إدارة الكلية، وعين خلفا له الأستاذ محمد شفيق غربال، وبعد وقت قصير تمت الإجراءات والتحقت بكلية الآداب في تلك السنة ١٣٥٨هـ، إلا أنني بعد أن أمضيت فترة شهور قليلة في الكلية، وحضرت كثيرا من الدروس، أصبحت ذا قناعـة بأنني لا أحتاج إلى الاستمـرار في هذه الكليـة، وأما مـا كنت أتصور عنها كان فيه شيء من عدم مطابقة الواقع، حيث إنها لا تختلف عن غيرها من الكليـات كما أن فيهـا أساتـذة ومحاضرين بهذه الصفـات. وحـدثت في تلك الأثناء الحرب العالمية الثانية واستعادت المعارف العامة بعثتها من القاهرة وكنت ممن عاد، وبعد أن أعيدت البعثة لم أرغب في العودة ثانية.

وراء كنوز التراث

وفي هذه الأثنـاء ألم تكن بدأت في تـدوين رحلاتك التـي امتدت بعد ذلك؟

في تلك الفترة لم تكن لي صلـة بأدب الـرحلات ولا بغيرهـا، ولكن كـانت عنـدي هوايـة الحرص على أني أطلّع على كتب التراث، فسلفنا الصـالح خلف ثروة عظيمـة في العلوم والآداب، وهـذه الثروة كنـت أتصور أن بعضهـا في هذا العهد لا يزال مجهولا، فكنت حريصًا على أن أنهل من معين هذه الثروة، فكنت أتردد على دار الكتب المصرية ومكتبة الأزهر وعلى مكتبة الجامعة، وأعنى عناية خاصة بالاطلاع على ما بها من مخطوطـات، هذه الرغبة القوية إلى هذا الجانب جعلتني لا أقتصر على الاطلاع على ما بدور الكتب التي شـاهدتها في القاهرة، بل تتوق نفسي إلى أن أزور محلات أكثر وأكثر، وأزور مدنًا تحوي مكتبات أكثر. كنت عرفت فيها عـرفت أن البلاد التركية ضمت كثيرًا من تـراثنا عندمـا سيطروا على بعض بلادنا العربية، فكنت شـديد الشوق إلى أن أزور هذه البلاد؛ ليس رغبة في السياحة نفسها، وإنما رغبة في الاطلاع على نفائس تراثنا القديم، هذه الرغبة جرتني فيما بعد إلى أن أزور لنـدن؛ لأن فيها المتحف البريطاني وفيه قسم عظيم من تــراثنـا، وبـرلين وكثيرا من مـدن العـالم سـاعيـا وراء البحث عن



رحلاتي ليست للسياحة وإنما للبحث عن كنوز تراثنا

المخطوطات، التي قد تكون نادرة أوقد تضيف إلى ثقافتنا وأدبنا وعلومنا شيئا جديدا، هذه هي الحوافز الأولى التي كانت تحفزني لمواصلة الرحلات، لهذا لا تجدني أهوى الرحلة إلى بلد لا أثق بأنني سأجد فيها مكتبة قديمة، وإنما البواعث الحقيقية هي زيارة البلد للاطلاع على ما فيها من مخطوطات قديمة، وزرت بلادًا أخرى من قبيل السياحة بمرافقة أسرتي أو للمرور من بلد إلى بلد، وزياراتي هذه لا أجد فيها المتعة الشيقة التي أجدها عندما أزور مدينة فيها مكتبة عامة، فيها شيء من نفائس المخطوطات التي تستهويني، وفي كثير من زياراتي لبعض المكتبات قد تسبب لي الزيارة متاعب، لكنني مع ذلك أرتاح وأرى تلك المتاعب تبدو يسيرة جدا.

من خلال تجاربكم في الرحلات والكتابة عنها، هل يمكن القول بأن حب الترحال في القديم هو الذي يقود الرحالة العصري عبر المدن الحاضرة؟

يجيب الشيخ الجاسر، قائلا:

معروف منذ القدم أن الرحلة وسيلة من وسائل طلب العلم، فعند العلماء المتقدمين نجد من يقطعون المسافات الطويلة جدا لكن يزوروا عالما يتلقون عنه العلم، فنجد الإمام الشافعي سافر من مكة إلى صنعاء؛ ليجتمع بالإمام عبد الرزاق الصنعاني ويتلقى عنه، ثم يأتي إلى بغداد والقاهرة؛ ويطوف في الحرمين بين مكة والمدينة، وكل ذلك لطلب العلم. وأكثر علماء الأندلس عندما يقصدون الحج يقصدون من وراء ذلك أمرًا ثانيًا، أن يستفيدوا علمًا، ولرحلات علماء الأندلس إلى الحج آثار عظيمة في ثقافتنا، فقد حفظوا لنا من آثار هذه الثقافة ما لو لم يحفظوه لفقدناه، بل هناك بعض علماء أجلاء لهم مؤلفات، لولا علماء الأندلس ورحلاتهم وما دوّنوا في كتبهم لما عرفنا عنهم شيئا. وأذكر من بين هؤلاء عالمين جليلين عاشا في جزيرة العرب، التي كانت بعد صدر الإسلام توشك أن تكون مجهولة بين الأقطار العربية الأخرى ما عدا المدينتين المقدستين اللتين يقصدهما الناس للحج: مكة والمدينة، فحالة الجزيرة منذ العهد الأموي إلى القرن الثاني عشر الهجري إذا بحثت عن معالم لها فيما بين يديك في كتب الثقافة العربية الضخمة هذه لا تجد إلا نزرًا يسيرًا، إما منقولا عن بعض الأعراب الذين يفدون على المدن، لكنك لا تجد شيئا مؤلفا عن الجزيرة نفسها وعن سكانها وحياة أهلها وحالتها الاجتماعية، لا تجد شيئا، بل أكثر الذين يؤلفون ويتعاطون في بعض ما يتصل بها يعيشون خارجها، إما في العراق أو الشام أو مصر، لكن علماء الأندلس عندما اتصلوا بالحجاز اتصلوا ببعض علماء يعيشون بالجزيرة نفسها، وهؤلاء العلماء قليلون جدا في الحقيقة، وكذلك آثارهم، ولكن مع ذلك فيها فائدة، ولولا هؤلاء العلماء لأصبح مجهولا، وهناك عالمان أحدهما يدعى الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، هذا العالم اليمني ولد سنة ٢٨٠ هجرية، وتوفي في منتصف القرن الرابع الهجري بسنة لم تحدد، وقد عني الحبر عناية بتاريخ اليمن فألف عن تاريخه القديم كتابًا في عشرة أجزاء، وفي هذا الكتاب دراسات وافية عن آثار اليمن القديمة عما فيه من سدود، وما كان فيه من آثار قديمة، وهذا الكتاب بواسطته استطاع المستشرقون في آخر الأمر أن يحلوا رموز الحروف الحميرية، التي كان قدماء اليمن يكتبون بها، لأن الرجل كان يحسنها ووضع لها صورًا في أحد أجزاء هذا الكتاب، الذي كان أول من عرفه وأرشد إليه علماء الأندلس، وهذا الكتاب وغيره من مؤلفات الهمداني وصلت إلى الأندلس في حياته، بينما المشارقة لا يعرفون عنه شيئا، علماء المشرق من الشام أو بغداد أو مصر لا يعلمون عنه شيئا، ولولا، أتاهم من الأندلسيين لما عرفوا شيئا عنه، ولم تقتصر مؤلفات الهمداني على كتاب الإكليل في تاريخ اليمن، بل لم يدع جانبًا أو بابًا من أبواب العلم ولا جانبا من جوانب الثقافة في عهده إلا وألف فيه مؤلفا، كما ألف في الحيوان وألّف في التعدين كتابا يعد من أجل ما ألف في التعدين في بلاد العرب، وتكلم عن صناعته وكيف تستخرج المعادن، وبين المعادن الموجودة، وبين مقادير ما يستخرج منها في عهده بالتقدير، وحددها تحديدًا دقيقًا، وألّف في نواحي العلم الأخرى.

والعالم الثاني من علماء الجزيرة مجهول لدى علماء المشارقة، ويدعى هارون بن علي بن زكريا الهجري، هذا العالم أراد أن يسجل علوم الجزيرة ومعارفها في عهده (عاش في آخر القرن الثالث وأول الرابع الهجري، أي عاصر الهمداني وأحدهما يعرف الثاني) وطبعا ليست هناك علوم عميقة جدا كالفلسفة وغيرها، وإنما فيها شعر وأدب وعلم حيوان وطريقة علاجه وهكذا، وضع كتابا أسماه (النوادر والتعليقات) طريقته فيه أنه يزور أهل البادية ويأتي إليهم، فيكتب ما ينطقون وما يقولون وما يفسرون دون أن يرتبه أو يبوبه. هذا العالم أيضا لم يعرفه علماء المشارقة، وقد زار مكة سنة ٢٨٨ هـ عالم أندلسي يدعى قاسم بن ثابت السراقوسطي من سراقوسطا ويسمونها سراقوسيا - وقد زرتها خاصة للتعرف على مدينة هذا الرجل - فاجتمع بالهجعي ونقل كتبه إلى الأندلس واستفاد منها الأندلسيون في كتبهم وعرفوها قبل أن يعرفها غيرهم من العلماء.

المقصود بإيجاز هو أن رحلات علماء الأندلس إلى المدينتين الكريمتين لم تكن لمجرد الحج، فالحج هو المقصد والأسمى، ولكنهم يقصدون - مع ذلك أيضًا - أن ينقلوا العلوم إلى بلادهم وأن يستفيدوا من علماء المشرق وعلماء الحديث، ويشترطون أن من صفات العالم الرحلة في طلب العلم، ويقولون: إنه إذا بقي طالب العلم في بلده فإنه لا يكتب إلا جزءًا يسيرًا من العلم، لأن العلم أصبح مشتتًا في الأقطار، وما تعرفه في بلد لك ليس كل العلم، فهناك في البلاد الأخرى علوم أخرى يجب الذهاب إليها للاستفادة منها.

مشهورون . . . ولكن

حبك الشديد للتراث هل جعلك تتأثر بأحد الرحالة القدامى مثل ابن بطوطة على سبيل المثال؟

يجيب العلامة الشيخ الجاسر، قائلا:

„ لولا علماء الأندلس لضاع على ثقافتنا الكثير "

ينبغي أن ندرك أولا أن ابن بطوطة رحالة معروف ومشهور حقًا هو وابن جبير وغيرهما من الأندلسيين، ولكن يلاحظ أمور: أولا أن ابن بطوطة لم يدّون رحلته بنفسه وإنما دونها ابن حزين الكلبي، وهو من تلاميذه، ولذلك وقعت في الرحلة أشياء ينبغي لنا أن نقف عندها موقف المتحفظ، وأذكر من ذلك ما ذكره عن بعض علمائنا، ما قاله عن ابن تيمية مثلا، حيث قال : إنه حضر أحد مجالسه، وإذا طبقنا هذا الكلام الوارد في الرحلة على تاريخ ابن تيمية نراه لا يطابقه في الحقيقة؛ فابن بطوطة دخل دمشق في الوقت الذي كان فيه ابن تيمية في الحبس، إذا دققنا لأن من حسن الحظ أنه في رحلة ابن بطوطة يقول ودخلت دمشق في اليوم (الفلاني) وخرجت منها اليوم (الفلاني) وعندما نطابق ذلك اليوم على ترجمة ابن تيمية نفسه نجده قد أدخل الحبس قبل ذلك بزمن؛ إذن كيف هذا؟ هذا منشؤه أن مدون الرحلة أضاف إلى كلام ابن بطوطة ما ليس منه. وكذلك يمكن أن يقال أشياء أخرى لا تنطبق عقليا بصرف النظر عن الناحية التاريخية، ومن هنا فإن الرحالة ابن بطوطة تحدث عن أشياء وأتى بأمور تضيف معلومات جديدة عن حالة العالم في عهده وتمدنا بمعلومات واسعة جغرافية وأشياء اجتماعية، ولكن ينبغي لنا أن ننظر إليه نظرة فيها حاجة إلى التثبت والتحقيق وبخلاف رحلة ابن جبير التي هي أقرب إلى الواقع، لأنه هو الذي دوّن رحلته بنفسه، وابن بطوطة وابن جبير لهما عشرات الرحلات. وقد حاولت من خلال (مجلة العرب) أن أنشر وصف كل رحالة في زيارته لبلادنا؛ لأنني أرى في الرحلات من معلومات مصدرًا من أهم مصادر الباحث المؤرخ، لأن الرحالة يتحدث عن البلد من مختلف جهاتها، عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فهو ليس كالمؤرخ الذي نراه يكتب اليوميات، في اليوم (الفلاني) حدثت الحرب و. . . .، فهو يصف ما يشاهد، لذلك فالرحلات تصير موردًا غزيرًا لمن أراد أن يدرس حالة البلد، فإذا أردت أن تدرس حالة مكة والمدينة فينبغي لك أن تدرس الرحلات التي دونت في العصور السابقة، ففي كل عصر من العصور لن تعدم أن تجد رحلة من هذه الرحلات، تستطيع أن تطلع على حالة البلدة في جميع جوانبها بخلاف الاستعانة بمؤلف لأحد علماء البلدة عن تاريخ البلدة، فإنك لن تجد فيها إلا ما اعتاده الكاتبون على النمط التاريخي المعروف. ومع الأسف الشديد أن تاريخنا تاريخ أفراد لا شعوب وجماعات، هو يعنى بحوادث النبي أو الرسول أو المسؤول أو السلطات وما عدا ذلك فيذكر من قبيل الآتي به عرضًا، أما الرحالة فيصف مشاهداته.

وأولئك المغاربة لهم عشرات الرحلات وقد اطلعت على عدد كثير من رحلاتهم ولخصت منها في (مجلة العرب) ما استطعت تلخيصه، ومنهم علماء أجلاء لهم رحلات تفوق رحلتي ابن بطوطة وابن جبير، من أولئك الرحالين: العياش ورحلته مطبوعة في مجلدين في المغرب، وفي رحلته علم غزير وقد حج في القرن الحادي عشر الهجري، ومن أولئك الرحالين ابن ناصر الدرعي؛ وهي مطبوعة أيضا، ومن الرحلات المهمة جدا رحلة ابن عبد السلام الدرعي وله رحلتان الأولى حافلة بالمباحث الأدبية والفقهية والجغرافية وغيرها، ومع الأسف لم تطبع حتى الآن، والثانية مختصرة من هذه، وهناك عشرات من علماء المغاربة لهم رحلات مدونة وتحفل الخزانة العامة في الرياض بعدد من هذه الرحلات المخطوطة.

رحلات من نوع آخر

نلاحظ أن رحلاتك حتى الآن مقتصرة على النوعية البحثية المتعلقة بالتراث فهل هناك رحلات ذات طبيعة أخرى ؟

غالبا. فهناك نوعية من الرحلات لم أتحدث عنها أو أكتب عنها وهي الرحلات سعيا وراء الصحة ومحاولة الاستفادة من الحياة، فقد اضطرتني حالتي الصحية إلى أن أقوم برحلات أخرى للعلاج، فرحلت إلى أمريكا وإنجلترا وإلى أكثر بلاد أوربا وإلى اليابان وبلاد كثيرة، ولكن هذه الرحلات ليست خاصة بالحافز الحقيقي الذي يدفعني إلى الرحلة ذاتها، وإنما تُعد رحلات اضطرارية ولذلك لا أعنى كثيرا بتدوين مشاهداتي فيها.

ومتى ـ إذًا ـ كانت بداية تدوينك لرحلاتك ؟

منذ أن بدأت فى أول رحلة لي سنة ١٣٥٨ هجرية كنت أعنى بتدوين بعضها ونشرها في بعض الصحف، ولم تجمع في كتاب حتى الآن، فهي كغيرها مما يشاهده المرء العادي، وجل ما فيها من فائدة هو ما استطعت اقتناءه من هذه المخطوطات، وليس ما استطعت نشره منها (الرحلات)، فأنا أحس سعادة أن أنشر بعض الكتب ذات الفائدة وما من الكتب التي استطعت أن أقتني صورا منها.

أهداف وحوافز

هذه الإجابة تستدعي سؤالين الأول ــ هو هل المسافر العادي مثله مثل الرحالة في مشاهداته وانطباعاته ؟

الرحالة لا بد أن تكون لرحلته أهداف وحوافز في نفسه، فهو يحاول أن يبرز هذه الأهداف والحوافز، ولكن المشاهد العادي قد لا يسترعي نظره مما يشاهده إلا ما هو ذو أهمية قصوى تجذب نظره ونظر غيره، فهناك فرق بين إنسان متجه إلى الرحلة وهو يحمل في فكره من الحوافز ما يجعله يهتم، ويحاول ربطها ويحاول إبرازها، وبين إنسان يسير دون اتجاه ودون قصد فيبدو الأمر من قبيل الصدفة.

والسؤال الثاني حول سبب عدم تدوين بعض هذه المشاهدات حتى الآن ؟

أنا أرى أن كل ما يستفاد منه ينبغي أن يدون، ولكن ليس كل ما يحدث من



رحلاتي ليست للسياحة وإنما للبحث عن كنوز تراثنا

المرء ذا فائدة، فأرى أنه من لغو القول، ومن الحديث عن النفس أن يتحدث الإنسان عن أشياء تعد خاصة به، ويحاول من ورائها أن يبرز جوانب أخرى ليس من المستحسن أن يبرزها، وأنه لا فائدة إلا بما يستفيد منه القارئ وهذا هو ما ينبغي أن يدرج، فالتاريخ لا يعنى بتسجيل ما يُشاهد من خلال نظرة عابرة وعرض جوانب خاصة : زرت البلد الفلاني ونزلت في الفندق الفلاني وقدم لي من المآكل كذا وكذا ورأيت المسرح الفلاني. لا أعتقد أن فيها من الفائدة ما يتلاءم مع نشرها وذكرها.

أعز من بيض الأَنُوق

نقتصر في حديثنا على رؤيتك لفائدة الرحلة وهي المكتبات. فما أفضل المكتبات التي رأيتها من خلال التجوال الطويل؟

ويستعيد الجاسر سنوات وذكريات :

أحفل المكتبات بالمخطوطات العربية المكتبات التركية، أما من حيث التنظيم ففي المتحف البريطاني مجموعة طيبة في القسم الشرقي من المخطوطات، كما أن في مكتبة باريس العامة أيضا مجموعة أخرى، وفي إيطاليا مؤسسة كيتاني للعلوم أو ما يسمونه المجمع العلمي الإيطالي مجموعة طيبة أيضا منها، وعندنا في الشرق أحفلها على الإطلاق دار الكتب المصرية وإن كان مما يؤسف أن حالة دار الكتب في عهدنا الحالي تأخرت كثيرا عما كانت عليه قبل أربعين عاما* فقد كانت ملتقى لكل رواد الثقافة من كل البلاد العربية، بل من كل بلاد العالم، فيلتقي المرء فيها بعدد من العلماء الباحثين في مختلف العلوم ويجد الباحث فيها من التيسير والتسهيل وتقديم ما يحتاج إليه ما يرغبه في التردد عليها. أما الآن فقد تغيرت الحال وأصبح من العسير جدا على المرء هنا أن يطلع على المخطوط الذي يريده، وإذا اطلع عليه فأعز من بيض الأنوق أن يحصل على صورته.

وقد شكوت من هذا قبل بضع سنوات في مجمع الحضارة الإسلامية بالأردن، وفي مجلس ضم الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر، والشيخ عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصرية وقتها، والدكتور سمير سرحان الرئيس الحالي لهيئة الكتاب، وسألني الدكتور النمر عن سبب عدم تكرار زيارتنا لمصر كما في السابق، فقلت: فقدت أهم شيء فيها، فسألوني عنه فقلت : السير في دار الكتب، فطلبوا مني السكوت لوجود الدكتور سمير سرحان، فقلت: إنه ليسعدني أن يسمع، فأخرج بطاقته وقال لي : عندما تمر بشيء من هذا فاتصل بي، فجرى لي شيء من ذلك، وجرى ما لست أذكره، فظن خيرا ولاتسأل عن الخبر، لهذا أقول لك : إن دار الكتب كانت قبل أربعين سنة منتدى علميا متفوقا، وليست مكتبة تقدم كتابا فحسب، بل تجد فيها أقساما من العلماء وخصوصا في القسم الأدبي، الذي كان يحفل بكبار علماء مصر مثل الشيخ العدوي محمد أبي الفضل والعلماء الجزائريين والدمشقيين، الآن تدخل وكأنك غريب، المقصد، ولا نريد أن نتحدث بها لإخواننا من فضل علينا في إسباغ فضل هذه الدار، وما استفدناه منها ولا نريد أن ننسى ذلك وأن نطمسه بشيء آخر.

هل توجد مكتبات أخرى على مستوى العالم ترغب في زيارتها قريبًا؟

ليت ذلك يحدث من الآن، فأنا مصاب بداءين في نظري الماء الأزرق والماء الأبيض ولذلك لن أستطيع أن أقرأ.

وراء التعليقات والنوادر

هذا عن الرحلات فماذا عن المؤلفات ؟

لي كتابان في المطبعة، أحدهما يقع في أربعة أجزاء، صدر الجزء الأول منها وهو دراسة لكتاب (التعليقات والنوادر)، هذا الكتاب الذي يعد ذخيرة من ذخائر العلم، التي لم تأخذ ـ بعد ـ حقها من الدراسة وقد حاولت أن أقرب فهمه وإدراكه وتناوله للقارئ، فعمدت إلى المخطوطتين الموجودتين لهذا الكتاب اللتين في دار الكتب المصرية، وفي مكتبة الجمعية الجغرافية في كلكتا في الهند وضمت أخيرا إلى جامعة كلكتا، فرتبت ما تحويه هاتان المخطوطتان من الشعر مفردا، وكذا تحديد المواضع الجغرافية، وما يتحدث عن الأنساب، وجعلت كل قسم من هذه الأقسام مفردا لتسهل الاستفادة وصدر الجزء الأول فعلا والباقي تحت الطبع.

والكتاب الثاني يتعلق بتحديد المواضع الجغرافية المتشابهة في المرسم، فالإمام أبو بكر الحازمي من أئمة علماء الحديث وقد ألف كتابا أسماه (ما اتفق لفظه وافترق معناه في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار)، وقد حققت هذا الكتاب وقدمت القسم الأول منه، والتحقيق ليس معناه تقديم نسخة صحيحة تطابق أصل المؤلف، وإنما زدت على ذلك محاولة تحديد الموقع الوارد ذكره في الكتاب، وتبيّن موضعه في بلادنا بطريقة تسهل للباحث الإحاطة به ومعرفته معرفة تامة.

إضافة إلى هذا فإن (مجلة العرب) التي أكملت عامها السابع والعشرين لا تزال مستمرة في الصدور. وقد صدر الجزء الأول من السنة الثامنة والعشرين في شهر رجب من هذا العام، والإشراف على تحقيق مجلة خصصت للتراث العربي الفكري يتطلب جهدا، وأجدني مسرورا بأن القارئ عندما يتصفح جميع أجزائها في سنواتها الماضية لا يقع نظره على كلمة يمكن أن يقول عنها ليت (فلانا) لم يكتبها لأنني أسير على هدف :

فلا تكتب يمينك غير حرف ... يسرك في القيامة أن تراه

وأحمد الله الموفق على ذلك.

---

* انتقلت دار الكتب المصرية منذ عامين من مبناها العتيق إلى مبناها الجديد بالهيئة العامة للكتاب المطل على النيل وجهزت تجهيزا طيبا مستخدمة التقنية الحديثة.

المُجتَمعُ الإسلاميُّ والتّفاعُلُ الحَضاريُّ

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم السايح

المجتمع الإسلامي الذي يطبق شريعة الله في كل جوانب الحياة هو وحده المجتمع المتحضر. والمجتمع المتحضر هو الذي تكون القيم الإنسانية والأخلاق الإنسانية التي تقوم عليها هي السائدة فيه. وهذه القيم هي التي تنمي خصائص إنسانية الإنسان، وهي التي تميزه عن غيره من المخلوقات.

وهذه القيم إنما هي قيم إنسانية ذات ميزان ثابت. وهي مقررة في الشريعة الإسلامية منذ جاءت، وما على الإنسان إلا أن يمضي في بنائها وصيانتها في كل المجتمعات التي يقيمها حضرية كانت أم بدوية؛ صناعية كانت أم زراعية. فالمهم في كل الأحوال هو الارتقاء صعدًا بالخصائص الإنسانية وحراستها من النكسة إلى الحيوانية التي تؤدي إلى التخلف.

إن الحضارة الإسلامية تقوم بهذه القيم، وبهذه الأخلاق، في كل مكان، وفي كل بيئة. أما أشكالها وصورها المادية، فهي كثيرة، ومتنوعة. لأنها في كل بيئة تستخدم المقدرات والمعطيات الموجودة بها فعلاً، وتنميها وفقًا لميزان الله الثابت، وقيم الإنسان المقررة في شريعة الله (٢).

وإذا كان هذا هو مفهوم الحضارة الإسلامية، فإن التخلف الحقيقي - في مفهوم المجتمع الإسلامي المتحضر - هو تحويل منجزات العلم الهائلة إلى قوى باغية للتدمير والتسلط، وتسخير إمكانات العلم غير المحدودة في نشر الفوضى والعادات غير الخلقية، بدلاً من استخدامها في إعلاء القيم الإنسانية، وفي خدمة الإنسان دون بغي أو ظلم أو تحكم أو إبادة.

إن مهمة العلم في مفهوم المجتمع الإسلامي المتحضر ليست قهر الطبيعة أو الانتصار عليها، بل التلطف مع الطبيعة، والجد في اكتشاف قوانين الله فيها (٣).

وإذا كان هذا هو عمل الإسلام حينما ينشئ حضارة، فإن هذه الحضارة التي دعا إليها الإسلام، تتميز بأنها منفتحة الحدود الفكرية، والنفسية، والمادية. والنصوص الإسلامية التي تعلن هذه الحقائق كثيرة، منها :

عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال : «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة» (٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسوله الله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (٥).

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق؛ ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها يعلمها» (٦).

ويقول ابن رشد : «إن الفينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرًا في الموجودات واعتبارًا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم. فما كان منها موافقًا للحق قبلناه منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم» (٧).

وسيرًا في ضوء هذا المنهج الإسلامي وجدنا العصور الذهبية للمسلمين تفتح صدورها لامتصاص المعارف الإنسانية المختلفة التي خلفتها في الأمم والشعوب حضارات سالفة (٨).

واللقاء الحضاري الإسلامي، مع حضارات الأمم المختلفة، تم بناء على أن العالم هو أقرب ما يكون إلى «منتدى» عالمي لحضارات متميزة، تشترك أممها في عضوية هذا المنتدى. ومن ثم فإن بينها ما هو «مشترك حضاري عام». وأيضًا فإن هذه الأمم تتمايز حضاريًّا (٩). الأمر الذي يستدعي الحفاظ على الهويات الحضارية المتميزة. لما لهذه الخصوصيات من قدرات على شحن شعوب هذه الأمم بالكبرياء المشروع، والطاقات المحركة في معركة الإبداع، ولما للتعددية الحضارية من دور في إثراء مصادر العطاء العالمي (١٠).

والذين يعايشون حياة الشعوب والأمم ذات الحضارات الغنية، والتاريخ القديم، والتراث العريق، أو يغوصون في تراث هذه الأمم وفلسفتها، ومذاهبها، وتقاليدها، وأعرافها. يدركون أن العالم الإنساني به أمم متعددة، تتميز كل منها بشخصيتها القومية، والحضارية المتميزة.

وإننا إذا نظرنا في مذاهب هذه الأمم وأعرافها، وفي معايير الحلال والحرام، والمشروع والممنوع لدى أبنائها، وفي موازين الأذواق والحاسة الجمالية، وفي تصوراتها لمكان الإنسان من الكون، وتصوراتها لمصيره بعد الموت، وتصوراتها الفلسفية لهذا الكون، وما وراء المادة والطبيعة، إذا نحن نظرنا إلى مذاهب هذه الأمم في هذه القضايا الأمهات أدركنا السمات التي تمايز بينها - جنبًا إلى جنب مع سمات تشترك فيها، فتجمع بينها (١١).

ولا يخفى أن الباحث الذي يسبر أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم، ويتتبع خيوط هذا التمايز الحضاري، يجد أنها تضرب بجذورها في أعمق أعماق التاريخ. حيث كان البابليون، والآشوريون، والفينيقيون، والمصريون، وغيرهم ممن أسهموا في الفكر الإنساني، وكان لهم تمايز حضاري (١٢).

وكذلك الحال إذا نحن تأملنا الحضارة الغربية، منذ اليونان، وحتى نهضتها الحديثة، والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كثمرة لاندماج هذه المواريث في الفكر الإسلامي، الذي استصفاها وطورها وفقًا لمعاييره (١٣). حيث لم يكن

المسلمون مجرد نقلة. ولكن إضافاتهم للأصول التي نقلوا عنها تشهد بأنهم زادوا، وابتكروا لأنهم كانوا ينظرون بعين إلى الحضارات التي أخذوا عنها. وبالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية (١٤).

إذن: لا بد من التصور الذي يقوم، على أن الفكر إذا نظرنا إليه، على المستوى العالمي الإنساني. وجدنا في هذا الفكر «ما هو مشترك إنساني عام» لا يختص بحضارة بذاتها. وفي هذا الفكر أيضًا ما يتميز بالخصوصية والاختصاص.

والتمييز في الفكر بين ما هو مشترك إنساني، وبين ما هو خصوصية حضارية. إنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية.

فكل العلوم التي تكون الطبيعة موضوعها وظواهرها، والمادة وخصائصها، هي من قبيل الفكر، الذي هو مشترك إنساني عام. وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمي، ولأن التجربة الملموسة بالحواس المادية، هي السبيل لاكتشاف حقائق هذه العلوم. تلك الحقائق التي هي بنت الدليل، والتي لا تختلف باختلاف مذاهب، وعقائد، وأجناس، وفلسفات المكتشفين. ومن ثم فهي لا تتغاير بتغاير الحضارات. بل هي واحدة على المستوى الإنساني. كما أن موضوعاتها ـ المادة وظواهرها ـ واحدة هي الأخرى. لا تختلف ولا تتغاير باختلاف الحضارات وتغايرها. فعلوم مثل الرياضيات بفروعها، ومثل الكيمياء، والطبيعة، والطب، والجيولوجيا. قد تتمايز وظائف استخدام قوانينها، ونظرياتها، ومكتشفاتها، لكن حقائق علومها أي «فكرها العلمي» سيظل واحدًا، مهما اختلفت المذاهب، والعقائد، والحضارات (١٥).

ويلحق بهذه المنظومة من حقائق العلوم الطبيعية الخاصة بدراسة المادة وظواهرها وأسرارها، على نحو ما، وإلى حد كبير، العديد من ثمرات التجارب الإنسانية في الوسائل، والنظم، والمؤسسات، والخبرات. التي ترشد أداء الإنسان وهو يسعى إلى تحقيق المقاصد والغايات.

فعلى الرغم من تمايز المقاصد والغايات والمثل، فإن تجارب الإنسانية في الوسائل، والنظم، والمؤسسات قد تكون صالحة في أحيان كثيرة للاقتباس ـ مع التطويع ـ والتمثل، والاستلهام.

والعرب هم وارثو الحضارات القديمة، إذ لم يكونوا قبل الإسلام معزولين عن جيرانهم أصحاب الثقافات العريقة عزلة كاملة. فقد انفردت الصحراء العربية بين صحاري العالم أجمع بأنها أحيطت منذ القدم بأرقى حضارات العالم.

ففي الشمال ازدهرت حضارة ما بين النهرين، وحضارات الإغريق، والكنعانيين، والآراميين، وجزر بحر إيجه.

وفي الغرب ازدهرت حضارة المصريين القدماء، وفي الشرق كانت الحضارة الفارسية، ومن ورائها الحضارات الآسيوية الأخرى، وفي الجنوب كانت حضارة اليمن.

وكانت القوافل العربية دائبة الحركة بين مراكز هذه الحضارات، عند أطراف الصحراء تنقل البضائع والسلع، وكان لا بد أن تتحرك المعارف والثقافات مع السلع والبضائع، وأن تختلط هذه الثقافات وتتزاوج في حركة بطيئة ولكنها ثابتة مستمرة. وأن يؤدي كل ذلك إلى تصفية الأفكار والمعارف وتقدمها تبعًا لهذا الاختلاط والتزاوج (١٦).

في هذه البيئة جاء الإسلام. إنه لم ينتشر في فراغ. فالأمم التي صادفها أو اتصل بها، في حركة المد الكبيرة، أو تلك التي اعتنقته ودانت به. أمم عرفت حضارات شتى، وثقافات متنوعة، ومرت بتجارب روحية، وخبرات مادية متعددة.

وكان اختلاط العرب بهذه الأمم اختلاط قتال وحروب ومعارك أولا. ثم اختلاط حضارة وثقافة وأفكار بعد ذلك. ومن هنا كان التأثير والتأثر. ومن هنا كان التفاعل والإخصاب، وكان الأخذ والعطاء، وتبادل الأفكار والآراء.

فالتقاء الحضارات ـ وهو مَعْلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية ـ وتفاعل هذه الحضارات ـ عندما تلتقي ـ هو قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه. لكنه تم دائمًا وأبدًا وفق هذا القانون الحاكم، التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام، تفتح له الأبواب والنوافذ، بل ويطلبه العقلاء، ويجدون السعي في تحصيله، وبين ما هو خصوصية حضارية. يدققون ـ في حذر ـ قبل استلهامه وتمثله. ويعرضونه على معايير حضارتهم، لفرز ما يقبل منه ويتمثل، من ذلك الذي يرفضونه، لما فيه من تناقض مع هويتهم الحضارية فيمهم الاعتقادية (١٧).

والمدرك لأبعاد هذا اللقاء والتفاعل، يلحظ بوضوح، أن المسلمين لم يكونوا يومئذ أخلاء من أي تفتح عقلي، إذ كانت نواة التفكير فيهم قد تكونت. كما كانت بين أيديهم نظرية كونية شاملة أمدهم بها القرآن فكانت بمثابة العمود الفقري لكل تفكير عقلي، وتحرك عملي وعلمي.

ولهذا أقبل المسلمون على حضارات الأمم يمتصون بسرعة فائقة ما خلفه الفرس من حكم وآداب وخبرات سياسية، وما خلفه اليونان الإغريق من علوم فلسفية وعقلية، وما كان لدى مختلف الأمم التي التقت مع المسلمين، لقاء مودة، أو لقاء خصام.

لقد قام المسلمون بتحرير هذه العلوم، وتنقيتها من الشوائب، وتطويرها، وتنميتها، وصقلها، وإصلاح فاسدها. مسترشدين بالمنهج العلمي العام، الذي رسمه للمسلمين مصدرا التشريع الإسلامي العظيمان: القرآن والسنة.

إن الدولة الإسلامية الجديدة التي عملت على نشر الإسلام في الممالك المختلفة، والتقت بحضارات الأمم لم تأخذ من الحضارات إلا لكي تعطي، إنها لم تقبل التراث الفكري اليوناني وغير اليوناني إلا لكي تهضمه بعقليتها الجديدة، وتتمثله بمنطق تفكيرها، وروح عقيدتها، وبكل أصالة تاريخها وخصبه، وترده بعد ذلك أضعافًا مضاعفة.

لقد أخذ المسلمون ما أخذوا لأنهم طلاب حقيقة وهذا حسبهم، إنهم لم يقدموا على النقل والاقتباس للتجمل والزينة، وليباهوا الناس بكثرة الأحجار الكريمة، والأساور والعقود، والخلاخيل، بل لبناء الذات، واستدراك ما فات، واستكمال أسباب الحياة.

لقد كان المسلمون ينظرون في كل شيء، ويبحثون في كل فج، ويستفيدون بكل حديث

وقـديم، ينقبـون عن كل علم، ويسيرون وراء كل حكمـة، ويأخذون العبرة من الماضي، وينطلقـون للمستقبل، يستفيـدون مـن القـديم، ويبنـون الجديد. وكانت لهم جولات وجولات في كل ناحية من نـواحي الحيـاة، في العلم، وفي الحكمـة، وفي الأخـلاق، وفي الفلسفـة، وفي الطب، وفي الهنـدسـة، وفي الجغـرافيـا، وفي الفلك، وفي الصنـاعـة، وفي الكيميـاء، وفي الصيـدلـة، وفي الزراعة، وفي التاريخ، وفي القصص، وفي اللغة، وفي الحيـوان، وفي الفيـزيـاء، وفي الأحجـار، وفي البحار، والمعادن(١٨).

ولم يدخر المسلمون جهدًا في البحث عن تراث الأمم السابقـة. واضطلع المسلمون برغم ما عـانوه من جهـد بتعـرف الثقـافـة اليـونـانيـة القـديمـة، والفارسية، والهندية، وغيرها من الثقافات التي نما إلى علمهم أنها موجودة في أي صقع أو قطر(١٩).

لقد امتصت العقليـة الإسلامية الغـذاء الذي قدمـه ميراث العالم القـديم الضخم بعد أن أصبح متوافرًا باللغة العربية. فأدى ذلك إلى قيام مدارس الفلسفـة، والعلـوم، والفنـون المختلفـة، التي سيطرت على أفق الحضارة الإسلامية نتيجة لتطبيق مبادئ الإسلام على أشكال المعـرفة المختلفة، التي ورثهـا المسلمون عـن الشعوب، ذات الحضـارات العريقة(٢٠).

وممـا لا يحتـاج إلى بيـان أنـه كلما استلهمت الحضارات «مـا هو مشترك إنسـاني عام» تقـدمت الحضارات واستفادت وازدهرت، وانتشر الأمن.

والتفاعل الحضاري ضرورة إنسانية، لابد منها لقيـام الحضارات، وتقـدم الإنسان في كل مـا من شأنه أن يأخذ بيد الإنسان، ويشيع في المجتمعات الإنسانية السلام والأمن.

أما الانغلاق الحضاري، فهو قاتل للإنسان. والتبعية الحضارية هي الأخرى قاتلة لكل إبداع.

وإذا تأملنا في حال الأمة الإسلامية في العصور المتأخرة وجـدنا أنها ـ من وجهة نظـرنا ـ محاصرة بين غربتين: غربة زمان، وغربة مكان.

أما غـربة الزمـان. فهي بعد الأمـة عن ماضٍ حضاري مشرق، لم تعـد تربطه بـه عوامل الثقـافة الفاعلة أو البانية.

وأمـا غربـة المكـان، فهي بعد الأمـة عن واقع حضـاري معاصر، تجهل عنـه كل شيء. مما مثل فجـوات حضـاريـة كبرى. ليس من السهل على الأمة الإسلامية تجاوزها أو تجاهلها.

ولذلك إذا كـان لا بد لهذه الأمـة، أن تعود إلى التفـاعل الحضـاري، وتستفيـد من حضـارات الإنسانية. فلا بد من خـروج الأمة الإسلامية، من الاغتراب الزماني والاغتراب المكـاني، وذلك بالربط بين الواقع والثـوابت في الحضارة الإسـلامية، وبين مصادر وعوامل التقدم المعاصر(٢١).

وإن التقـدم البشري في مختلـف المراحـل والمجـالات ليس إلا حصيلـة الابـداع الفكـري والتعاون، والاحتكاك بين المجتمعات.

ولا عيب أن نأخـذ من حضـارات الأمـم مـا يفيدنا. ولكن العيب أن نظل عالة على أمم الأرض نأخذ منها ولا نعطي.

ويجدر أن نـدرك أن الانغـلاق ليـس بـالموقف اللائق بالعقلاء، ولا التبعية الحضارية بمفيدة، أو مـلائمـة لمن يمتلكـون خصـوصيـة حضـاريـة إسلامية.

ويكاد يكون مؤكدًا أنه لا توجد حضارة قامت بذاتها، واكتفـت بذاتها مستغنية عـن غيرها. وإنما هي نتيجـة تطـور حضـاري دائم وتفـاعل بين حضارات أخـرى تفاعلت هي بدورهـا وغيرها من الحضارات في الزمان والمكان.

والنمـو الحضـاري إنما يعتمـد على التجـارب الحضـاريـة الأخـرى. وكلما ازدادت فرص الالتقـاء والتفـاعـل بين الحضـارات ازدادت فـرص الحيـاة والنمو والاكتساب والتعلم.

والأمـة الإسـلاميـة وهـي تتطلع إلى مستقبل مشرق، لابـد وأن تخوض معـركـة بنـاء الـذات وتجديدها مسوقة بقيم وأفكار ومواريث لها في وعيها فاعليتها القوية.

ولا يخفى أن الأمـة الإسـلاميـة تملك رصيـدًا ضخمًا من القيم الهادفة وتوجيهات الإسلام، وهذه القيم كفيلـة عنـد استثمارهـا بأن تجعـل الأمـة الإسـلاميـة في وضع يسمح لها بأن تنمي فلسفتهـا الحضاريـة الإنسانيـة، وتتسابق مع أمم الأرض في بناء حضارة إنسانية، وممـا هو معروف أنه ليس كل عمل يصـدر مـن الإنسـان يسهم في الحضـارة الإنسانية، وإنما ذلك العمل الذي ينمي الحضارة، وينطلق من الإنسان للإنسان.

المصادر والمراجع

(١) سيد قطب، معالم في الطريق، ص ١٣١، ١٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣١.

(٣) الدكتور علي أحمد مدكور، الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي، مجلة الدارة، عدد رقم ٤، ص ٩٩، س ١٤.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

(٦) متفق عليه.

(٧) ابن رشـد، فلسفـة ابن رشـد، فصل المقـال، ص ١٧، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٨) عبـد الرحمن حسن حبنكـه الميـداني، أسس الحضـارة الإسلاميـة ووسائلها، ص ١٢٢، ط. دار القلم، دمشق ١٤٠٠هـ.

(٩) الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص٨.

(١٠) المصدر السابق، ص ٧.

(١١) انظر الـدكتور محمـد عمارة، الغزو الفـكري وهم أم حقيقـة، ص٨، ٩.

(١٢) راجع الدكتـور أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسـلامية، ص ٧٨، ط. دار اللواء بالرياض، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(١٣) انظر الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص ٩ «بتصرف».

(١٤) انظر الـدكتور تـوفيق الطويل، الحضـارة الإسلاميـة والحضارة الأوربية، ص ١٥١ ط. مكتبة التراث الإسلامي، مصر ١٩٩٠م.

(١٥) انظـر الدكتور محمـد عمارة، الغزو الفكـري وهم أم حقيقـة ص١٦.

(١٦) انظر الدكتـور محمد عبد الرحمن مـرحبا، أصالة الفكـر العربي، ص ١٦٤، ط. منشورات عويرات ١٩٨٢، بيروت فرنسا.

(١٧) الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص ٢٠٥ بتصرف، ط. الأزهر ١٩٨٨م.

(١٨) انظر الدكتور توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٣٨٩.

(١٩) المصدر السابق، ص ٣٩٠.

(٢٠) انظر الدكتـور محمد عبد الرحمن مـرحبا، أصالة الفكـر العربي، ص٢٢١.

(٢١) الدكتور محمود قمبر، هدفية العلم في الإسلام، مجلة حولية كلية التربية، عدد رقم ٨ ص ٦٣، سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م كلية التربية، جامعة قطر.

□ □

مدائن الفجر

إلى الوطن الإسلامي الكبير وهو على أبواب مدائن الفجر الجديد ...

معلّق بين تاريخي وأحلامي   وواقعي خنجرٌ في صدْر أيامي

أَخْطو.. فيرتدُّ خطوي دون غايته   وما بأفْقي سوى أنْقاض أنْغامِ

تناثرت في شعاب الحُلم أوردتي   وفي دمائي نَمَتْ أشجار أوْهَامِي

مدائن الفجر لم تُفتحْ لقافلتي   والخيل.. والليل.. والبيداء قُدَّامي!!!

والسيف والرمح في كَفَّيَّ من زمنٍ   لكنَّني لم أغادر وقْع أقْدامي!!!

تشُدُّني لمدار الجذي أسئلةٌ   يشبّهها سرطان الحيرة الدامي!!!

وتحتمي باستواء الريح أشرعتي   والموج يقذفني أشلاء أنسامِ!!!

أدور منقسماً في غير دائرتي   ولستُ أُبْصِرُ إلاَّ ظلَّ آلامي!!!

ودورة الزَّمن المنكوب تلقفني   وإنني في دجاها بَعْض أرقام!!!

الأربعون تُوافيني وما بلغَت   رُؤاىَ مَشرق أسفاري وأحْلامي

صَرَخْتُ أُعلن أنّي جئْتُ فابتسمت   أُمّي لصبْح أتاها جدّ بَسَّامِ

ويُبْصرُ الطِّفلُ في العينين أوديةً   من الأمان وما ناءَتْ بأسْقام

وحين ينشب في الأيام رؤيته   يرى مرايا المنى أوهام أقلام!!

(ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يُدركُهُ)   فالرُّمْحُ يَطْعَنُ ما لا يبْتَغي الرامي!!

وفي انكسار المرايا حُطِّمت سُفُني   وفي انحراف الزَّوايا غابَ إقْدامي!!!

وغبت يا وطنا.. ضاعتْ هويتُهُ   والأرض تَنْبُش عن أشلاء أقوامِ

هذا لسانك مسجون تقيِّدُه   مواقف الوهم من زيْف وإحْجَامِ

وذي خطاك بلا دربٍ يصاحبها   وذي رؤاك بلا لَوْن وأعْلامِ

غيَّرتَ جلدك لا شيء أُميِّزُه   به سوى أنه من صُنْع أعجامِ

أعرتهم منك أذْنا غير واعية   فحنطوك وقالوا: الصاعد النَّامي!!

وما وعيت سوى أمشاج فلسفة   وكُنْتَ سهمًا بها لم يَرْمِه رامِ!!!

شعر: د.صابر عبد الدايم

وكنتَ تخطر في الأرجاء منطلقًا ... فصرت عبد «الحدود» الحارس الحامي!!!
فكم رُميتَ على الشطآن يا وطنا ... ضاعت هويته في تيه أكامِ!!!
وكم سقتك سلاف الذرّ طائفةٌ ... من المجانين عاشوا مثل أنْعامِ
لهم قلوب بلا نبْض يحركها ... مثل الدُّمى سقطت في كفّ فحَّامِ
عيونهم من زجاج لا ترى وهجًا ... من الحقيقة يروي العالم الظامي
في حمأة الطين لا يَحْلُو لهم نَغَمٌ ... سوى انفجار الرزايا فوق أيتامِ
ودار في فلك الشيطان موكبهم ... يُسقى بفكر لقيط النَّبْع هَدَّام
لمركب الشمس طاروا وامتطوا لهباً ... وأمطروك بأحقاد وآثام
فأورقت بالمنايا الحُمر ساحتُنا ... ولُوِّنتْ بدماءِ الحر أعلامي
وشوِّهت أوجه الأطفال يا وطني ... والموت طارد أطفالاً بأرحام
فهل نعود.. كما كنا.. بَنِي رحمٍ ... نقضي على هاتفٍ في النفس قسَّامِ؟
نعود من غُربةٍ للتيه تُطْعمنا ... ونرقب الفَجْر يأتي بَعْد إظلامِ
ونحمل السَّيْف في كفٍّ مُوَحِّدَةٍ ... تذود عن وطنٍ في فكِّ إجرامِ
ترنو لِبَدْرٍ وفَجْر الحق في أُحُدِ ... تَهْفُو إلى «بطلٍ» للشرك قَصَّامِ
فمن هناك تعود الآن قافلتي ... وتُبْصر الفجر في آفاق إسلامي
تعود في ثبج الإيمان سابحةً ... والموج حول ضياها مثل أعلام
ملآى حدائقها بالعشق يسكننا ... وفيه نَسكنْ قومًا بعْد أقْوامِ
هذى الأمانيُّ لا تخبو بذاكرتي ... وقد تَدَاعتْ إليها أوَّل العام
فهل أظل كما أقْبلتُ من سفري ... معلقا بين تاريخي وأحْلامي؟؟
وفي شعاب المنى تنداح أوْردتي ... وفي دمائي تُرى أشْجار أوْهامي؟؟
والسيف والرمح في كَفَّيَّ من زمنٍ ... لكنني لم أغادر وقْع أقدامي!!

حوار مع:

المؤرخ التركي يلماز أوزتونا

بلادنا جسر تعبر عليه الحضارة الإسلامية للغرب

حاوره في أنقرة: د. عبداللطيف بن محمد الحميد


يلماز أوزتونا

أكد المؤرخ التركي يلماز أوزتونا أن بلاده تُعَد جسرًا ثقافيًا بين العالم الإسلامي والغرب، وأن علاقاتها - أي تركيا - بالعالم العربي والإسلامي يجب أن تكون أكثر قوة وقناعة عما هي عليه الآن.

جاء ذلك في الحوار المهم الذي أجرته «الفيصل» مع هذا المؤرخ صاحب الكتابات والمؤلفات المهمة مثل كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) الذي نقل إلى العربية مؤخرا - عن طريق دار الفيصل للتمويل في إستنبول - في ١٥٥٥ صفحة، ويضيف جديدا إلى تاريخ هذه الدولة التي أسهمت في نشر الإسلام في أوربا.

فهذا المؤلف الضخم يعد إضافةً جديدة وجادة للمكتبة العربية فيما يتعلق بدراسة تاريخ الدولة العثمانية، خاصة وأن الدراسات حول تاريخ هذه الدولة لا تزال تفتقد إلى الموضوعية والعلمية.

ومن خلال قراءة هذا الكتاب، وعبْر الحوار مع مؤلفه، يتبين لنا أن هذا المؤرخ يمكن أن يصنّف إلى جانب المؤرخين الرّواد الكبار، برغم ما يمكن ملاحظته في أطاريحه من روح قد تميل إلى النرجسية بالقومية التركية والعنصر التركي، ومع ذلك فإن الزخم الموسوعي للمعلومات الواردة في هذا العمل، وبقية كتبه التي تربو على خمسين كتابا يتيح للباحث الفاحص المدقق الاستفادة من المعلومات المتوافرة والإحصاءات الدقيقة والتحليل الجيّد لمسيرة التاريخ العثماني.

وهذا ما يتضح بجلاء عبر الحوار:

الفيصل: نوّد لو قدمتم للقراء عن سيرتكم وحياتكم العلمية.

- اسمي عبد الله تحسين يلماز أوزتونا، من مواليد إستنبول في ٢٠/ ٩/ ١٩٣٠م، والدي من مواليد إستنبول أيضًا، وجدّي نور الدين محمد أفندي حائز على ميداليات عثمانية ومجيدية. وأسرتي في الأصل من نبلاء زغرا وسمندرا في البلقان، وقد عانت كثيراً من تسلط الصربيين.

أكملت تعليمي الثانوي في إستنبول، ودرست في باريس مدّة سبع سنوات؛ حيث تخرجت في كلية العلوم السياسية في جامعة باريس. وبعد العودة عملتُ لفترة طويلة صحفيًا ومديرًا عامًا للنشر في مجلة الحياة (التركية). ثم انتُخبتُ نائبًا عن محافظة قونية عام ١٩٦٩م عن حزب العدالة.

وعملت مستشارًا للشؤون الثقافية في كل من وزارة الثقافة وفي الراديو والتلفزيون، وخبيرًا في لجان عديدة في وزارة المعارف، ثم مديرًا عامًّا للنشر للموسوعة التركية الكبيرة التي نشرتها وزارة المعارف.

أمضي أكثر أوقاتي في المطالعة والبحث والتأليف؛ حيث تبلغ مؤلفاتي ستة وخمسين كتابًا في مختلف المواضيع، وخاصة في التاريخ والثقافة والفنون والآداب والأنساب والمذكرات، ولعل أهمها كتاب: «الدول الإسلامية» في أربعة أجزاء، وكتاب «تاريخ الدولة العثمانية» في جزءين، وكتاب «تاريخ تركيا الكبير» في أربعة عشر جزءًا.

وبالإضافة إلى ذلك أعمل حاليًا نائبًا لرئيس جمعية الصداقة التركية السعودية.

مشوشة.. لماذا؟

الفيصل: هناك صورة مشوشة عن تاريخ الدولة العثمانية الذي استغرق ثلث التاريخ الإسلامي تقريبًا، أي خلال فترة

خمسة قرون . . فما الحقيقة تجاه هذا التصور ؟

ـ السبب في ذلك ـ في الحقيقة ـ يعود إلى جملة من الأمور تشترك فيها تركيا نفسها ودول أخرى كثيرة . ومنها :

١ ـ أن تركيا اتبعت سياسة استصغار العثمانيين ، وخاصة في أوائل العهد الجمهوري ، وذلك بغية إضفاء صبغة الشرعية على النظام الجديد .

٢ ـ وفي بعض الدول العربية تم تضمين الكتب المدرسية معلومات معادية للعثمانيين من قبل المستعمرين الفرنسيين والإنجليز ، خلال الفترة التي حكموا فيها أغلب البلاد العربية ، والجهود التي بذلوها من أجل بث الشقاق بين تركيا والعرب . ثم السياسات الثقافية التي رسمتها التيارات القومية والعنصرية في بعض هذه الدول العربية التي كانت تحت ظل الحكم العثماني ، وذلك بعد حصولها على استقلالها .

٣ ـ أما في الغرب فنجد أن الغربيين يحقدون على الأتراك ، الذين يعتبرونهم سيف الإسلام منذ القرن الحادي عشر ، والذين تمكنوا من تحقيق تقدم كبير ضد المسيحية ، وكذلك يحقدون على الدولة العثمانية التي تعتبر أفضل نظام أقامه الأتراك ، ويخافون من إحياء هذا النظام ، ولذلك يعملون على الإساءة إليه . ولكن على الرغم من كل هذا فهناك أيضاً مؤرخون حافظوا على حيادهم في تركيا والدول العربية والغرب .

توسع إسلامي

الفيصل : إذن هل يمكنكم أن تعطونا لمحة موجزة عن النواحي الإيجابية لفترة الحكم العثماني للعالم الإسلامي ؟

ـ كانت إستنبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية ، ولذلك فإنها كانت دولة أوربية على الرغم من امتدادها في قارتي آسيا وأفريقيا . لقد دافعت عن أقصى حدود الإسلام ، وحاولت توسيع هذه الحدود ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وتمكنت من هدي أقوام كثيرة في البلقان والقوقاز إلى الإسلام .

"الغرب يحقد على تركيا ولا ينسى لها أنها كانت سيف الإسلام"

في القرن السادس عشر قامت بطرد أسبانيا والبرتغال من شمال أفريقيا ، وبذلك حالت دون أن تلقى دول المغرب العربي مصير الأندلس نفسه ، وأن تتحول هذه الدول إلى بلدان (أمريكية لاتينية) تعتنق المسيحية الكاثوليكية وتتكلم الأسبانية والبرتغالية . ولذلك فإن الغرب الاستعماري الذي لم يتمكن من هدم السدّ العثماني لم يتمكن على مدى عصورٍ من الوصول إلى الإسلام في المناطق الجنوبية .

دون صراع !

الفيصل : ولكن ما سر صمود الدولة العثمانية ، على رغم ما اعترض تاريخها من عقبات وكوارث . ومن ذلك على سبيل المثال غزو تيمورلنك ، وعداء الدولة الصفوية الشيعية ، والحملات الصليبية من الغرب ؟

ـ يعود السبب ـ بعد الله ـ في استمرار الدولة العثمانية مدة طويلة على الأسس المتينة التي قامت عليها منذ تأسيسها . وأحد الأسباب الرئيسة هو انتقال السلطة بين أفراد واحد من العائلة الحاكمة ، وبالتالي غياب الصراع على السلطة في القمة ، وهو الأمر الذي كان سببًا في انقراض العديد من الدول الإسلامية . كما أن هناك أسبابًا عديدة أخرى ، عسكرية وقانونية ومعنوية واجتماعية . أما بالنسبة للغزاة القادمين من الشرق أمثال تيمورلنك والشاه إسماعيل الصفوي ، فإنهم لم يتمكنوا من القضاء على النظام العثماني ، على الرغم من قوتهم وخطورتهم ، ولكنهم كانوا فقط بمثابة سدٍّ أمام الدولة العثمانية .

الفيصل : هناك اتهامات ربما لا يمكن تصديقها ، ولكنها تظل اتهامات مطروحة وردت في كتابات المؤرخين الأوربيين خاصة . ومن هذه الاتهامات على سبيل المثال : مسألة قتل بعض السلاطين العثمانيين لإخوتهم الصغار خوفًا من منازعتهم مستقبلاً ، ومسألة أبناء النصارى الذين يجمعون لضمهم إلى فيالق الإنكشارية العثمانية . فما الحقيقة تجاه مثل هذه الاتهامات ؟

ـ لقد اندثرت دول إسلامية وتركية عديدة بسبب صراع الأفراد على السلطة ، أمّا الدول التي تمكنت من الوقوف على قدميها فقد تم إدارتها بشكل جيد دون الصراع على السلطة . الدول العثمانية رفضت بشكل قاطع الصراع على السلطة ، وقامت بتأسيس أول إمبراطورية مركزية ، وفي سبيل ذلك لم يتوان أولاد عثمان ، الذين أسّسوا الدولة ، عن التضحية بدمائهم وأرواحهم . أما بالنسبة لضم أولاد النصارى إلى الجيش الإنكشاري ، فإنه يمكن اعتباره امتدادًا لنظام الغلمان الذي كان قائمًا في العديد من الدول الإسلامية مثل المماليك والسلجوقيين ، ولكن بشكل أكثر نظامًا . ولقد تم

من كتاب العدد

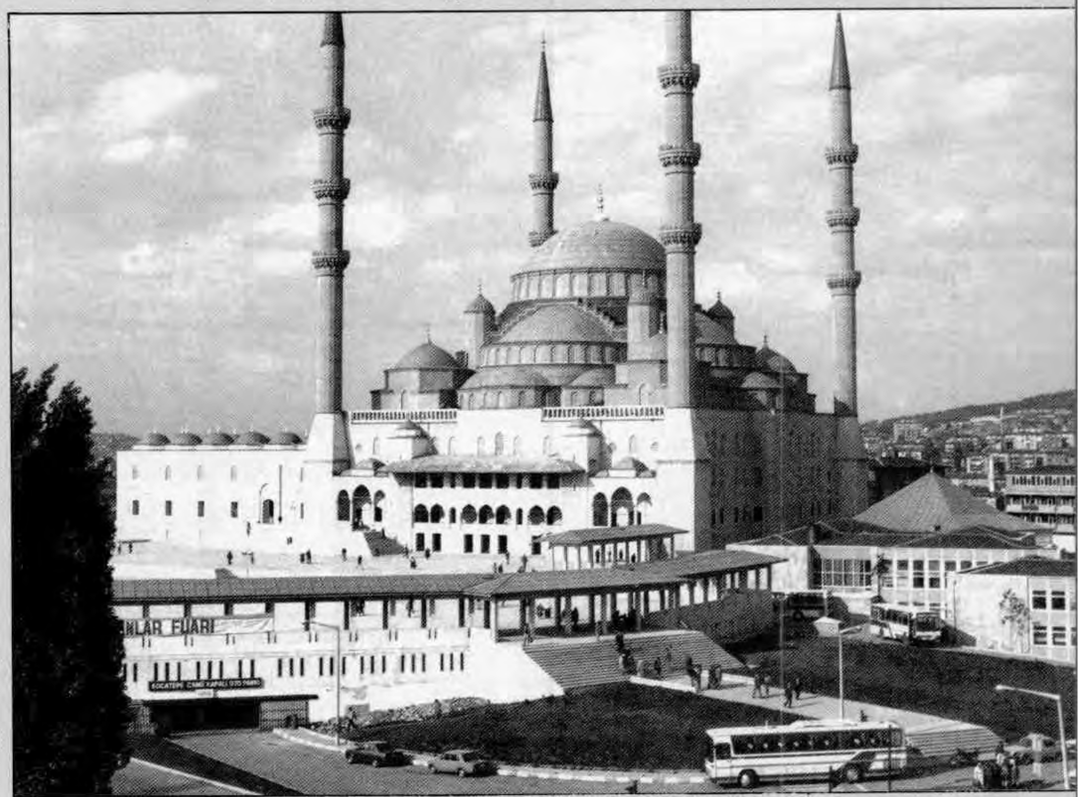


● د. عبد اللطيف بن محمد الحميد

ـ من مواليد ١٣٧٥ هـ شقراء
ـ عضو بهيئة التدريس بقسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
ـ حاصل على الماجستير في التاريخ الحديث من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والدكتوراه من جامعة إسكس في بريطانيا .
ـ عمل وكيلاً لعمادة المعاهد الخارجية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
ـ له بعض المقالات المنشورة ، وبعض الكتب قيد النشر .

حوار مع: المؤرخ التركي يلماز أوزتونا





جامع السلطان أحمد (الجامع الأزرق) في إستنبول

تشكيل فرقة إنكشارية قوامها عشرة آلاف شخص في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ولكن الذين التحقوا بالفرقة الإنكشارية فيما بعد لم يكونوا من أولاد المسيحيين وإنما كانوا أولاد الأتراك. وقد اهتم المؤرخون الغربيون كثيرًا بالفرقة الإنكشارية؛ نظراً لأن أولاد النصارى أصبحوا جنودًا مسلمين على أكمل وجه يشتركون في الغزوات والجهاد، وكونهم فرقة مشاة ذات تأثير كبير في إستنبول، وتدخلهم المستمر في السياسة، ولأنه كانت لهم موسيقى ومراسم عسكرية خاصة بهم.

قوة عسكرية

الفيصل : الدولة العثمانية متهمة أيضًا بأنها دولة عسكرية من الطراز الأول، ولكن على حساب المعطيات الحضارية الأخرى وخاصة في العلم والثقافة، يا ترى ما رأيكم؟

ـ القوة العسكرية تحتل المرتبة الأولى في تأسيس كافة الإمبراطوريات، ولا توجد أبدًا إمبراطورية لم يتم تأسيسها عن طريق القوة العسكرية. من الطبيعي أن يولي العثمانيون اهتمامًا خاصًا بالجيش؛ نظرًا لأنهم قاموا بتأسيس إمبراطوريتهم في أوربا، وحاربوا دولاً كثيرة. إلاّ أنه ليس صحيحًا أنهم أهملوا العلم والفن والثقافة. إن هذه الادّعاءات تأتي على لسان المؤرخين الذين لا يعرفون جيدًا الثقافة العثمانية.

الفيصل : ما الدور الذي قام به العرب في الإدارة العثمانية ذاتها؟ وهل كان هناك غياب عربي عن الساحة المحلية والدولية في أثناء الحكم العثماني؟

ـ العرب بالنسبة للعثمانيين «قوم نجب». هكذا سَاهم العثمانيون. ذلك لأن سيد المرسلين ﷺ خرج من بين ظهرانيهم. لقد تم تعليم واستخدام اللغة العربية كلغة ثانية في كافة الأنظمة التعليمية العثمانية وعلى كافة المستويات، وكانت لغة لا يستغنى عنها أبدًا. غير أن موضوع بقاء العرب في المرتبة الثانية بالنسبة لإدارة الإمبراطورية صحيح. والسبب في ذلك هو عدم اهتمامهم بالشؤون العسكرية التي تشكل العمود الفقري لشؤون الدولة، وعدم انضمامهم إلى صفوف الجيش العثماني ذي النظام الشديد، وعدم رغبتهم في ترك بلادهم والذهاب إلى أماكن بعيدة مثل أوربا التي كانت مسرحًا لتكوين السياسة الأساسية للدولة العثمانية. ولكن على الرغم من هذا فإن هناك الآلاف من كبار العثمانيين في مختلف المجالات من العرب أو من أصل عربي، ولكن مع هذا فإن الواقع هو أنهم لم يشتركوا في شؤون الإمبراطورية على مستوى الأتراك. لقد تم إرسال بعض الإداريين إلى الدول العربية من إستنبول، ولكن في الوقت نفسه كان العثمانيون يقومون بتعيين الإداريين من إستنبول للمجر والقوقاز أيضا. لم تتدخل الدولة في شؤون الأسر العربية الحاكمة وأشرافهم وعلمائهم ما لم يتمردوا ضدها، وحافظت على كل امتيازاتهم، كما عاملت الدولة العثمانية الحجاز ومكة المكرمة والمدينة المنورة معاملة الإنسان لبؤبؤ عينيه.

الفيصل : ما الأثر الذي تركه غزو نابليون الفرنسي لمصر من وجهة النظر الحضارية، وهل تعرضت الدولة العثمانية نفسها ـ أي في المركز ـ لمخطط مماثل؟

ـ لقد أدّى احتلال نابليون لمصر إلى تسهيل تعرف مصر على الحضارة الأوربية. في مركز الدولة العثمانية أيضًا كانت هناك حركة تنظيمات تحت تأثير أوربا، وقد ظهر ذلك على شكل برنامج إصلاحات عام ١٧٩٣م، أي في وقت مبكر وسابق لاحتلال نابليون لمصر.

وضع دفاعي

الفيصل : هل تخلفت الدولة العثمانية عن ركب الحضارة المدنية الحديثة في جانبها

”العرب بالنسبة للعثمانيين "قوم نُجُب".. ولكن!“

التكنولوجي أثناء فترة الانقلاب الصناعي في أوربا ؟ وهل لعلماء الدولة العثمانية خصوصا أثر في بلورة موقف ما ؟

ـ في الحقيقة لم تتمكن الدولة العثمانية من مواكبة ركب الثورة الصناعية التي عاشتها أوربا في القرن التاسع عشر، ولكنها مع ذلك كانت الأولى من بين الدول الإسلامية التي أدركت ضرورة اللحاق بهذا الركب. لقد كانت آنذاك في وضع الدفاع باستمرار، الأمر الذي جعلها تتأخر في مضمار الصناعة. بدأ الغرب يتقدم على الدولة العثمانية في مضمار العلم والتقنية اعتبارًا من القرن السابع عشر. لم يكن للدولة العثمانية أي دور في الاكتشافات الكبيرة التي تمت في القرن التاسع عشر، والتي جعلت عالمنا الراهن يختلف تمام الاختلاف عمّا كان عليه في القرن الماضي. لقد حصلت هذه الاكتشافات خلال فترة قصيرة وبسرعة مذهلة، ولم تتمكن الدولة العثمانية من اللحاق بها. إلا أنه على الرغم من ذلك تمكنت الدولة العثمانية من تحقيق خطوات كبيرة في بعض المجالات، فقد حققت تقدمًا كبيرًا في مجال الطب خلال القرن التاسع عشر، بحيث أصبحت كليات الطب في إستنبول تجاري مثيلاتها في فيينا وباريس في أواخر القرن التاسع عشر. كما أنها كانت على المستوى نفسه في مجال الصناعات الحربية والبحرية أيضًا. وكانت هناك اختراعات عثمانية في مجال المدفعية على سبيل المثال. ولكن يجب الاعتراف بأن دور العثمانيين في القرنين التاسع عشر والعشرين يكاد يكون معدومًا. ويمكن قول الشيء نفسه بالنسبة للإسبانيين والصينيين واليابانيين أيضاً. ففي الوقت الذي كان العثمانيون يمتلكون آلاف الكيلومترات من السكك الحديدية وشبكات البرق، لم يكن هناك سكك حديدية ولا شبكات البرق في الصين واليابان إلى أن انتهى العهد العثماني في عام ١٩١٩م.

الفيصل : المعروف أن مرحلة التنظيمات أو الإصلاحات العثمانية بدأت في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي واستمرت إلى نهاية القرن تقريبًا. ما أهم النتائج الإيجابية والسلبية لهذه التجربة ؟

ـ حركة التنظيمات مصطلح يطلق على عهد التجديد الذي بدأ عام ١٨٣٩م، وهي بمثابة امتداد لحركة «النظام الجديد» الذي أعلنه السلطان سليم الثالث عام ١٧٩٣م و «الواقعة الخيرية» التي أعلن عنها السلطان محمود الثاني عام ١٨٢٦، وهي حلقة في سلسلة الإصلاحات التي كانت تستهدف تحديث الدولة. غير أن هذه التنظيمات مثلها مثل كل حركة تجديدية، تعرضت للنقد سواء من الناحية المعنوية أو من حيث عدم إيفائها بالغرض الذي عملت من أجله.

اتحاد إسلامي

الفيصل : ما وجهة نظركم حيال السياسة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد ـ في مرحلة ما بعد التنظيمات ـ وهل نجح في ذلك ؟

ـ نعم لقد انتهج السلطان عبد الحميد الثاني سياسة الاتحاد الإسلامي (الوحدة الإسلامية) التي أرعبت وأقلقت الغرب الذي كان في أوج مرحلة الاستعمار والإمبريالية، والتي أكسبت العالم الإسلامي الأمل وروحًا جديدة. وبذلك فقد حمل لقب «الخليفة» عن جدارة.

الفيصل : هل لكم أن تحدثونا عن مجمل أسباب سقوط الدولة العثمانية ؟ وهل يمكن القول إنها أسباب داخلية أم خارجية أكثر ؟ أو بكليهما معا ؟

ـ انهارت الإمبراطورية العثمانية بسبب تهوّرها في اتخاذ قرار خوض حربي البلقان عام ١٩١٢ ـ ١٩١٣م والعالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨م. كان بإمكانها الحيلولة دون وقوع حرب البلقان، وكذلك عدم الاشتراك في الحرب العالمية الأولى. خلال هذه الفترة كانت الإمبراطورية تحت إدارة حزب ليست لديه أية خبرة في الإدارة، وعدّة أشخاص في عنفوان شبابهم، الأمر الذي أدى إلى انتهاج سياسات خاطئة، ومن ثَمّ انهارت الإمبراطورية. أعتقد أنه لو لم تتصدع آنذاك لاستمرت حتى الخمسينات مع إجراء تحديث في بنْيتها الإدارية. ولكن مع ذلك كان تفككها قدرًا لا مفر منه، اعتقادًا مني بأن عهد الإمبراطوريات قد ولّى. الأسباب الداخلية كانت مهيئة لاقتسام الإمبراطورية من قبل الدول الاستعمارية. ولذلك فإن الإمبراطورية لم تنه حياتها بإرادتها ـ كما فعلت ذلك فيما بعد إنجلترا وفرنسا، وهولندا نوعا ما ـ بل انهارت جبرًا بعد أن منيت بالهزيمة في الحرب. وقد أدى ذلك إلى وقوع العديد من الدول الإسلامية تحت سيطرة الدول الاستعمارية المحتلة.

الفيصل : في الختام، ما تصوراتكم لآفاق التعاون العربي التركي حاليًا ومستقبلاً تحت المظلة الإسلامية ؟

ـ علاقات تركيا، سواء مع العالم العربي أو العالم الإسلامي، ليست على المستوى المطلوب. ويجب أن تكون هذه العلاقات أكثر متانة وكثافة. وفي هذا الشأن هناك تقصير من تركيا ومن العالم العربي وبقية الدول الإسلامية على حد سواء. وقد أدى هذا الإهمال من الجانبين إلى تبادل الاتهامات، الأمر الذي تسبب في أضرار للإسلام. تركيا بمثابة الجسر بين العالم الإسلامي والغرب. طبعًا هناك جسور أخرى أيضًا، ولكن أمتن جسر هو جسر تركيا. غير أن جيران تركيا عاملوها بفتور على أساس أنها وريثة العثمانيين وخلفهم، في حين أن هناك دولاً كثيرة سوى ــ تركيا إسلامية ـ ومسيحية كلها وريثة العثمانيين. يجب تطوير تنمية العلاقات بين الدول الإسلامية أكثر مما هي عليه الآن.

□ أسهم في الترجمة : د. آدم أمين/ صدقي سردار.

د. أندريه روماني

مهاجر إلى الله

في إيطاليا حيث توجد مدينة روما معقل الفاتيكان يندر أن تجد شخصًا يستطيع أن يزعم مازحًا أنه لا يتبع الكاثوليكية، فالتعصب لهذا المذهب خصوصا يجبر النصاري الإيطاليين على أن يكونوا كاثوليكيين، ليس هذا فحسب، بل وأن يظهروا تمسكهم بهذا المذهب أيضا في ظل هذا التعصب المقيت وُلد د. أندريه روماني عام ١٩٠٤م لأبوين كاثوليكيَّيْنِ شديدَيْ التعصب لمذهبهم الباطل.

عدم اعتقاد بالنصرانية

ووسط هذه الأجواء نما **أندريه روماني**، وكانت أسرته تجبره في طفولته وصباه على القيام بالواجبات والطقوس الكاثوليكية، والتردد على الكنيسة كل يوم أحد، والركوع على ركبتيه أمام تلك التماثيل الوثنية التي لم يؤمن بها قط وأمام القسس ليمنحوه «بركاتهم».

ويحكي **روماني** في مقال عنوانه: «**كيف دخلت إلى الإسلام؟**» نشرته له **مجلة الأزهر** في القاهرة في نوفمبر ١٩٦١، «**شعرت دائمًا بنفور شديد وكراهية عميقة لبعض الطقوس القائمة أساسًا على الاعتقاد في الصور والتماثيل، لقد كانت مظاهر تترك في نفسي فراغًا روحيًّا حادًّا وعدمَ رضاء متواصلاً دائمًا**».

إلا أنه لم يكن بإمكانه أن يجهر أو يبوح لأحد بما يعتمل في صدره، إذ كان ما يزال طالبًا يعتمد على أهله لإكمال تعليمه، إضافة إلى ذلك كان يعلم أن القسس والرهبان ومتعصبي الكاثوليك لن يتركوه وشأنه لو تجرأ على مجرد التفوه مزاحًا بما يجول في عقله من رفض لدينهم، مما أخّر قراره باتخاذ الإسلام دينًا.

تناقضات

انكب أندريه على دراسته في محاولة للهروب من الفراغ الروحي الذي يحياه، واستطاع أن يحصل على درجة **الدكتوراه في الطب وأخرى في علم النفس**، بعدها بدأ يسعى إلى القراءة الواعية للكتب التي تتناول عقيدة التثليث في محاولة منه لاستجلاء الحقيقة، وفي مقدمتها ما كتبه **توما الإكويني** المنظر الأكبر لعقيدة التثليث على المذهب الكاثوليكي، وهاله أن يجد تلك الكتابات تدفعه دفعًا بما حفلت من متناقضات إلى الإيمان بوحدانية الله ونبذ عقيدة التثليث لما بها من فساد واضح.

الخطوات الأولى نحو الإسلام

وأخذ يخطو خطواته الأولى نحو الإسلام، الشريعة الوحيدة التي تُنَزِّه خالق الكون - جل وعلا - عن الشريك والمثيل، وتقر له بالربوبية والوحدانية، ويسر له الطريق أن **اطلع على ما كتبه سوشينودا سيينا، وسيرفيتو، وبيتشي ديلا ميراندولا، وغيرهم من المفكرين الأوربيين إبان زمن النهضة الأوربية، الذين أنكروا فكرة تثليث الإله**، وهاجموا مذهب الصور والتماثيل الذي يعلي الوثنية تحت راية النصرانية وشعارها.

طافت بذاكرة أندريه روماني تلك الدروس التي كان يتابعها في الجامعة للمفكر **آلدو براندينو مال ثازي** أستاذ الشريعة والتاريخ الإسلامي، التي من خلالها تعرف على عناصر كثيرة من مقومات شريعة الله الخالدة.

وبدأ يستزيد في مطالعاته عن الإسلام؛ قرأ عن تاريخه ومبادئه الإلهية وشريعته، فرأى فيه بساطة غير متناهية، وفكرة دينية واضحة صافية تشكل أسس حضارة كاملة، ووجد في العقيدة الإسلامية وحدها ما يهدي روحه الحيرى، ويخفف من عذابها، **وصار القرآن الكريم رفيقه الدائم الذي يجد فيه شفاء روحه وانطلاقاتها**.

إسلامه

حين وصل إلى هذا الاقتناع بادر **أندريه روماني إلى إشهار إسلامه**، غير عابئ بما ينتظره من بني قومه الذين ما كادوا يعلمون حتى لاحقوه بالأذى والاضطهاد، وذاق في عهد الفاشيست طعم السجون، وأمضى بها زمنًا طويلاً، وكانت تجربة السجن كافية لإقناعه بأن لا بقاء له في وطنه يمارس أبشع أنواع التنكيل العقدي، وكان بين ثلاثة خيارات:

الأول: الارتداد عن دينه الإسلام والعودة إلى الكاثوليكية، والثاني: تحمل الاضطهاد من أجل الحفاظ على دينه والبقاء في وطنه، والثالث: الهرب بدينه إلى خارج بلاده، واختار الحل الثالث، فاتجه إلى فرنسا، ومنها سافر إلى أفريقيا حيث زار السنغال والكونغو وتنجانيقا، ثم ارتحل إلى آسيا

بحثًا عن المعرفة، فأقام لفترة في اليابان، ومنها إلى أندونيسيا، حتى استقر به المطاف في الصومال فتزوج من صومالية وعمل مدرسًا للغة الإيطالية في معهد الدراسات الإسلامية في مقديشيو.

في المهجر الصومالي

لكن، هل انتهت رحلة الصعاب بالاستقرار في الصومال؟

كلا. حقيقةً وجد أندريه من أبناء الصومال المسلمين كل الحب والترحاب، إلا أنه لم ينج من مسلسل الاضطهاد، لأن السلطات الاستعمارية التي كانت تحتل الصومال آنذاك لم تدعه وشأنه وعمدت إلى مضايقته واضطهاده، وإن كان ما تعرض له لا يرقى بأية حال إلى ما ناله من أذى في بلاده.

وكان لزواجه من صومالية أثره الكبير في تخفيف المعاناة عنه، إذ تمكنت تلك الزوجة المسلمة من تخفيف آلامه، والتهوين مما يلقاه من إهانات جنود الاحتلال، وما يعانيه من مرارة فقد وطنه.

”وجد في صلاة الجماعة ما أشعره بتضامن الأخوة الإسلامية“

نصارى أوربا وتناقضهم

وكان يحلو لأندريه روماني أن يروي إسلامه لكل من يأنس فيه الرغبة الصادقة في تعرف الإسلام عن كثب، ومما يروى عن تجربته في رحلته من الضلال إلى الهدى قوله: «لقد كان طريقًا طويلاً ذلك الذي أدى بي إلى الإسلام، وأستطيع أن أؤكد أن لتحولي جذورًا دينية عميقة وأسبابًا ثابتة».

ويقول فاضحًا تعصب النصارى: «في أوربا يتحدث الناس عما يسمى بالتعصب الإسلامي، لكنهم ينسون أن يقولوا إن النصارى استطاعوا الحياة بين المسلمين، بينما لم يقدر المسلمون قط على أن ينالوا حظًّا من ذلك، ولنفكر فقط فيما حدث للمسلمين في أسبانيا وصقلية لنصمت عما بقي كله».

مهاجر في سبيل الله

لقد كان إسلام د. أندريه روماني - كما عبر بنفسه في مقالته - نقلة أسبغت على وجوده صفاء ووضوحًا، خففا من المرارات التي عاناها والإهانات التي تعرض لها. وكان كلما ألمّت بنفسه ذكرى وطنه تذكّر هجرة الرسول ﷺ، وما تعرض له عليه الصلاة والسلام من أذى وآلام، تهدأ نفسه ويدرك أنه ما خسر امرؤٌ كانت هجرته إلى الله ورسوله ﷺ، فهو لم يأت إلى الصومال بحثًا عن منصب أو جاه أو نفوذ، وإنما جاء ليمارس حياته بحرية باعتباره مسلمًا.

وكان دائمًا يردد لكل من يعرفه: «**إن الصلاة في الإسلام التي هي عامل خضوعي عظيم تُرضي روحي تمامًا وتسكنها بجعلها على اتصال مباشر بالله، وفي صلاة الجماعة بالمسجد راحة لي وطمأنينة فهي تجعلني أشعر بتضامن الأخوة الإسلامية**».

لقد استفاد الصوماليون من وجود شخصية مثل د. أندريه روماني معهم، إذ رأوا فيه إنسانًا ترك بلده مهاجرًا بدينه، ملتزمًا بما أمر به الله، صادقًا مع نفسه وغيره، وتعلم هو منهم بساطة المسلمين وتواضعهم، والروح الأسرية التي تجمع بينهم، كما تعلم منهم اللغة العربية كي يتمكن من قراءة القرآن الكريم بلسانه العربي الذي نزل به الوحي على محمد ﷺ، وكان حريصًا على أن يضع كتاب الله على منضدة صغيرة بقرب فراشه ليكون دائمًا في متناول يده.

إن قصة إسلام أندريه روماني تعيد إلى الذهان ما تعرض له المسلمون الأوائل من تشريد وتعذيب اضطرهم إلى الهجرة حتى أعز الله دينه ونصر نبيه، وما أجدرنا أن نتلمس أمثال هذه القصص.



طريق الهدى[1]

د. صالح بن سعد اللحيدان

كلام عمر

● قرأت كلامًا منه هذا: «وإنما نؤاخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم» وهو منسوب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فهل صَحَّ؟ وما هي مُناسبةُ هذا الكلام؟

س. م. أ. الدوحة - قطر

□ أصل ما تسأل عنه وهو سبب الكلام هذا أن **عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطب** فقال: «إنّ أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وأن الوحي قد انقطع، وإنما نؤاخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم».

وقد رواه **البخاري** - رحمه الله - ويُعلم بهذا صحته.

وللحديث إتمام هو: فمن أظهر خيرًا أمناه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء؛ الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة».

ولعلي أُفيد القارئ الكريم أنني حسب إطلاعي على أحوال كلام أمير المؤمنين هذا وجدته كلامًا في جمع من الصَّحابة - رضي الله عنهم - فكان كلامه هذا **قول جماهير الصحابة**، ولم يخالف أحد، فيُعلم من هذا أن كلام **عمر** مأخوذ به، وبالتحقيق منه لا يوجد ما يدل أنّه يُخالف نصًّا شرعيًّا صحيحًا. قلتُ فيكون بهذا حُجَّةً، والله أعلم.

افتراءات المتشيعين

● قرأت في الكتاب «العقد الفريد م ١-٢ ص٦١ من المجلد الأول ما نصه «وكتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية حين كبر وخاف أن يستبدل به، إلخ... فهل ثبت هذا؟

م. درويش، الزقازيق - ج. م. ع

□ عدتُ إلى الكلام المذكور فوجدته كما ذكرت، وكانت النتيجة أن **معاوية** - رضي الله عنه - أبقى **المغيرة** - رضي الله عنه - في عمله أميرًا ولعل موضع سؤالك هو: وخاف أن يستبدل به!

الذي هو معلوم أن **معاوية والمغيرة** صحابيان موثوقان، وكل الصحابة ثقات عدول حتى المجهول من الصحابة مجهول الاسم إذا ورد في رواية حديث فلا يسأل عنه لطرح الشك عنهم.

إذا وقفت على هذا فإن الكلام حول: **معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة** كثير جدًّا تزعَّمَهُ صاحب كتاب «**مروج الذهب**» **للمسعودي** وهو مؤرخ متشيع واضح كرهه لبعض الصحابة؛ ولهذا أورد أخبارًا مكذوبة جدًّا عن **معاوية، وعمرو ابن العاص، والمغيرة بن شعبة**، «**ومروج الذهب**» كتاب تاريخ جيد لولا أن **المسعودي** انطلق على أساس ليس بحميد دنيا وآخرة.

وكذلك صاحب كتاب «**الأغاني**» وهو **لأبي الفرج الأصفهاني** وهو مؤلف شعوبي كذوب **أورد في كتابه هذا أكاذيب** وأباطيل كثيرة يجب التنبه لها.

وصاحب كتاب «العقد الفريد» وإن كان الأخير أخف بكثير إلا أنه - رحمه الله - أورد أقوالاً وحكاياتٍ رديئة مكذوبة، لعل سببها التساهل وضعف البضاعة في علم السند وعلل الكلام.

ومن المتأخرين: **عبد العزيز سيد الأهل**، صاحب كتاب «**الخليفة الزاهد، عمر بن عبد العزيز**»، والأهل شيعي وله كتاب آخر عن أحمد بن حنبل لم أقف فيه على شيء ظاهر حسب فهمي.

ولكي يقف المسلم على حقيقة ما جرى بين الصحابة فيقرأ كتب الأخيار مثل «**البداية والنهاية**» **لابن كثير**. و«**العواصم من القواصم**» **لابن العربي**.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن المسلم يَقِفُ من مثل هذا موقف عدم التصديق لكونها أخبارًا لا تستند إلى سند صحيح، ولأن أقوال الصحابة محفوظة، وكذلك فإننا نرى بخاصة الكلام حول هؤلاء الثلاثة كثيرا، كله باطل لأن الذين يقولون عنهم ليسوا بذوي ثقة فإن صَحَّ بعضُ القولِ وبعضُ الأحداثِ فإننا يجب أن نقف عند حدنا فلا نسب صحابيًّا ولا ندخل فيما بينهم رضي الله عنهم.

وقد استنكرت على **عباس محمود العقاد** كلامه حولهم دون تثبُّتٍ أو تحقيقٍ سندي موثوق. ومثل العقاد كثيرون وقعوا في مخاطر سيئة، كان لهم مندوحة عنها لو سألوا ذوي الاختصاص من علماء الحديث والمتخصصين في دراسة الأسانيد، وكل عصرٍ لا يخلو من رجال ثقات أُمناء حتى قيام الساعة.

والمقصود أني تتبعت الكلام المنسوب إلى المغيرة فلم أجد له سندًا صحيحًا لكنه كلام ينقل من لسان إلى لسان ومن كتاب إلى كتاب ليست بشيء في بابها، ثم إن قول صاحب «العقد الفريد»: «وخاف... إلخ» يقال هنا إن الخوف حالة نفسية فكيف اطلع عليها قائل هذا الكلام وأدرك خوف المغيرة، سبحان الله.

إذا خاصم فجر

● «وإذا خاصم فجر» هل وردت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه؟

أ. م. ي. جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض.

□ سؤالك هذا يدل على فهم جيد لحديث (آية المنافق) الذي ورد عن **أبي هريرة** - رضي الله عنه - في الصحيحين، لكنك تسألين عن «**وإذا خاصم فجر**» وهل وردت في حديثٍ صحيح؟ نعم وردت هذه العبارة في **الصَّحيحين**، لكن عن: **عبد الله ابن عمر** رضي الله عنهما.

ردود قصيرة

● الأخت. هـ. م. ل. - جدة:

الذي تسألين عنه رجل طيب، ومحمود السيرة. أما كتاب (حياة محمد) لمحمد حسين هيكل، فيغني عنه سيرة ابن هشام.

● الأخ الطالب نواف. م - الرياض:

ليس هناك مرض كما تتصور، آمل أن تخرج من الدائرة، حتى تحاكم نفسك كأنها شخص آخر، واحرص على دوام الذكر.

من تجاربهم

تجربتي مع القصة

بقلم: رفقي بدوي

من كتاب العدد



● رفقي بدوي

- من مواليد ١٩٥٢م
- ليسانس آداب/ دراسات فلسفية
- دبلوم الدراسات الإسلامية
- عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر
- عضو نادي القصة بالقاهرة.
- من مؤلفاته :

● هرمونيا الحزن والعبقرية / مجموعة قصص ١٩٧٦م
● أنا ونورا وماعت/ رواية ١٩٧٨م
● البحث عن حقيقة ما يقال / مجموعة قصص ١٩٨٣م
● هذا ما حدث أولا / مجموعة قصص ١٩٨٣م
● صباح الحب الجميل / مجموعة قصص ١٩٩١م

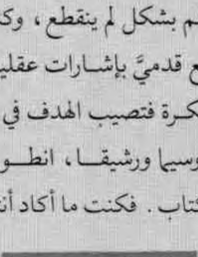
عليَّ أن أؤكد - بداية - على أن القاصّ الحقيقي موهوب بالضرورة في المقام الأول، وبعد ذلك تأتي محفزات الكتابة ودوافعها. فالموهبة قد تكون في حالة كمون، والدوافع والمحفزات هي التي تُخرجها من هذا الكمون، وحين يشرع الكاتب في الإمساك بالقلم للتعبير عن دوافعه ومثيراته، التي تدفعه دفعًا للتعبير عنها؛ تتحقق تلك الموهبة وتتجلى في صورة قَصّ، فيصفها النقاد بأنها كتابة فنية موهوبة، بخلاف الكتابات الأخرى.

ارتبطت تجربتي الإبداعية بتجربتي الحياتية، حيث كنت طفلا أعيش طفولتي، وأُفرغ طاقتي في اللعب بالقدم والرأس، ففي سن الثالثة عشرة كنت اللاعب الأساسي بفريق كرة القدم في المدرسة وأنا بالصف الأول الإعدادي، وكانت قدمي اليمنى شديدة التصويب، وكأنها تمارس العزف بالكرة، لتخرج في نهاية المباراة سيمفونية الأهداف، أما رأسي فكان يؤلمني لدرجة أنني كنت أحس أنه سينفجر من الداخل، لعدم مفارقته للحلم، حلم يقظة لا ينقطع إلا في فترات اللعب بالقدم، حلمي أن أكون نجما من النجوم، وقبل أن أبلغ الرابعة عشرة، وفي ١٥ فبراير ١٩٦٤م سقطت تحت عجلات الترام، فبُترت قدمايَ، «اليمنى واليسرى»، لكن رأسي، حتى في لحظة الحادث نفسه كان يحلم بشكل لم ينقطع، وكنت قادرًا على تحريك أصابع قدميَّ بإشارات عقلية من رأسي، وكنت أدفع الكرة فتصيب الهدف في رأسي، ولما لم أعد طفلا وسيما ورشيقا، انطويت على ذاتي وحلمي، والكتاب. فكنت ما أكاد أنتهي من قراءة خاصة قراءة ديستوفيسكي وتشيكوف، **وهوجو وكازنتزاكيس، وهرمان هسه وهمنجواي وحياة فان جوخ، ونجيب محفوظ وفتحي غانم وسعد مكاوي ويوسف إدريس وصبري موسى وغيرهم.** ثم كان الحزن ثالث المحفزات، فلقد كان كثيفا، فكانت الكتابة، ومن «دواية ذاتي» نقشت الحروف فتشكلت قصصًا قصيرة بعد نكسة ١٩٦٧م.

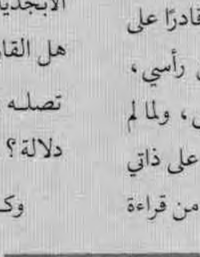
علاقتي بالقارئ

قد يرى القارئ أن هناك فترة زمنية كبيرة بين المجموعتين القصصيتين الأخيرتين **(هذا ما حدث أولا ١٩٨٣ - و - صباح الحب الجميل ١٩٩١)** فلم تكن فترة توقف أو مخاصمة للقصة، بل كانت استغراقا فيها وفي مشكلاتها، استغراقا في اللغة وفي الأبجدية العربية وحروفها، كان السؤال يلح عليَّ، هل القارئ يشاركني مشاركة كلية فيما أكتبه؟ وهل تصله دلالات النص القصصي المحمل بأكثر من دلالة؟.

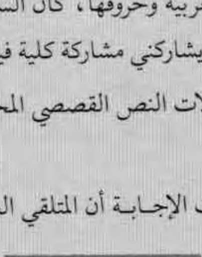
وكانت الإجابة أن المتلقي العربي لم يتحقق



هوجو



يوسف إدريس



همنجواي

كتاب حتى أبدأ في كتاب آخر، وفي ثلاث سنوات قرأت ما يقرب من خمسمئة كتاب، فكانت القراءة امتدادًا طبيعيًا لحلم اليقظة الذي يتخللني.

ولما كان الحادث الذي أصابني أحد محفزات الكتابة، كانت القراءة أيضا من محفزات الكتابة، طموحه على المستوى الواقعي برغم كثرة المكتوب، إذن العيب ليس في المتلقي، ولا بديل عن الأبجدية نفسها، إذن العيب في الكذب الفني، ولا بد أن تكون الكتابة حاملة لشحنة الصدق، مجسّدة الحالة القصصية من الداخل، ويجب على القاصّ



أن يمدّ يده ليأخذ بيد قارئه ويدخله «داخله» كي يستشعر ذلك الدفء والحنين أو تلك الوحشة أو ذلك الهم الجواني، بنفسه، دون وسائط بلاغية أو تصويرية، أن تكون الكتابة بلا زيادة ولا نقصان، وهذا ما قمت به في مجموعتي الأخيرة **«صباح الحب الجميل»**.

« القصة / الحالة »

أنا غير مشغول بقضايا وأفكار قصصية، حيث أعتقد أن القضايا والأفكار قد تم طرقها كثيرا، ولكنني مهموم فعلاً بحالة قصصية، عندما أنجح في أن أضع القارئ في ذات الحالة القصصية، أكون نجحت في إعادة الخلايا الحسية والشعورية إلى أحاسيسه التي ذبلت بفعل الصراع المادي والطموحات غير الأخلاقية التي تفشت في مجتمعاتنا بشكل يدعو للخوف، وكانت القصة بالنسبة لي هي الوسيلة لإعادة صياغة الحياة بشكل قد لا يكون مخالفا للواقع بقدر ما هو مواز له، وكما قامت الكتابة بإعادة صياغة ذاتي بعد بتر قدميّ بشكل آخر، فلم تعد قدمي هي الحلم الذي في الرأس، بل أصبحت القصة هي الحلم.

والقصة عندي تشبه الاعتراف، وفعل الكتابة بالنسبة لي ضروري، حيث إنني لا أقدر على القيام بأي دور سوى الكتابة، وأنا أعاني في وجودي بصفة عامة، لذلك أعاني في التحقق الإبداعي، فلحظات التحقق قصيرة جدًا وغالية، وعندما كنت أرى تجاهل معظم الحركة النقدية لما أكتبه، حيث انشغلتْ تلك الحركة في الستينيات والسبعينيات بتقييم النتاجات الإبداعية الزاعقة تحت دعوى الواقعية الاشتراكية والأدب الهادف والأدب الملتزم بقضايا الطبقة العمالية أو الملتزم بقضايا المجتمع! وكتاباتي في نظرهم ذاتية، وأنا أرى أن الالتزام يكمن في بنية الكتابة القصصية لا في ظاهرها، وهو ليس آنيًا يهتم بالعابر الوقتي، أما الالتزام كما يفهمه السياسيون بصراحة فأنا لا أفكر إطلاقًا في دخول زنزانة براقة واختيارية ولا أطمح في مديحهم، وأوجه طاقتي الإبداعية لقارئ يرى أبعد من تحت قدميه، فلست عبدًا لأي رؤية أو أيدلوجية أو مفهوم سابق، إذ أكتب كما أرى وأحب دونما محاولة مني لصبغ ما أكتبه بصيغة ما، فالالتزام بالشكل السياسي في الأدب تبناه نقاد النظريات السلطاوية الميتة ليقف كفزاعة الطيور في الحقل لكل مبدع حقيقي، برغم أنه قضية فارغة غير قادرة على توصيل رؤية إبداعية جديدة.

نعم أنا كاتب، كاتب الذات، إن أروع الأعمال الإبداعية ذاتية، **«فراشة» هنرى شاروبير، «مقامر» دستوفيسكي، «دكتور زيفاجو»، «بسترناك»، أيام طه حسين، أشعار هالدرلين** وغيرهم.

«هموم الكتابة»

أنا مهموم بانكسار الذات، ومهموم بفقدان اللغة لدلالتها الأمر الذي يمثل خطرًا على القيم لأن الكلمات الخاصة بالقيم يتم تفريغها من محتواها وبالحروف نفسها لتحمل معنى مناقضا لمعناها عن طريق الخطاب العام السياسي والإعلامي، فالقيم التراثية الراسخة يتم تدميرها، فكان لا بد لي من استنهاض الذات والتأكيد عليها ثم الاهتمام باللغة غير المراوغة القطعية الدلالة، وذلك للحفاظ على القيمة، ولا يمكن استنهاض القيمة من مفردات الواقع السائد، بل من الحفر في الذات، في الداخل حيث هي كامنة من آلاف السنين، فكانت مجاهدتي وهمي في الاستغناء عن الآخر المزيف السائد المسيطر إلى التناص الديني والتراثي والتاريخي والشعبي في آنٍ معًا.

كتبت أول قصة قصيرة عام ١٩٦٧م بعنوان **«الحب والجمجمة»** ونشرت في مجموعة قصصية بهذا العنوان في السنة نفسها، صدرت على نفقتي وكلفتني «عشرين جنيها» ٢٤ صفحة، مكونة من أربع قصص قصيرة، وكنت طالبًا، وكنت مصرًّا على أن أكون كاتبًا، وأحفظ ما كتبه عنها الكاتب المرحوم إبراهيم **الورداني** في ٨ أبريل ١٩٧٠م بجريدة الجمهورية قال: «الحب والجمجمة» والثمن ثلاثة قروش والكتاب بحجم البطاقة العائلية في ٢٤ صفحة والمؤلف تلميذ اسمه رفقي بدوي طبعه من مصروفه وكتب لي يقول: «إن هذا يدل على إصرار الجيل الجديد من الكتاب». وياله من إصرار.

وكانت هذه أول مرة أرى اسمي في صحيفة، وفي سنة ١٩٧٠م صدرت روايتي القصيرة **«الغيبوبة»** على نفقتي أيضًا وأنا أعتقد أن **«الحب والجمجمة»** و**«الغيبوبة»** هما تمرينات قصصية، لذلك لا أذكرهما في أي مناسبة ولا أسجلهما في أية بيانات تطلب عني.

ثم نشرت أول قصة لي في جريدة الجمهورية في ٢/ ١٢/ ١٩٧١ وتوالى النشر في معظم الصحف والمجلات المصرية والعربية، وترجمت بعد ذلك بعض قصص إلى الإنجليزية والفرنسية.

وأعتبر مجموعتي القصصية **«هرمونيا الحزن والعبقرية»** التي صدرت عام ١٩٧٦م هي مجموعتي القصصية الأولى بحق، حيث تمت مناقشتها والكتابة النقدية عنها والاحتفاء بها، وكانت مرجعًا من مراجع الدرس الأكاديمي في رسالتين للماجستير ضمن أعمال بعض كتاب القصة القصيرة في مصر.

وفي عام ١٩٧٨م صدرت عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية قصتي الطويلة **«أنا ونورا وماعت»** ونشر هذه القصة الطويلة دفعني للأمام وعلمني أن على الكاتب أن يكتب بصدق وبجدية وسوف يأتي الحصاد بالضرورة، فلقد تقدمت بهذه القصة لمسابقة القصة الطويلة بنادي القصة عام ١٩٧٦م - وهي المرة الأولى والأخيرة - وكنت متأكدًا من الفوز، لكنها لم تفز، وكان الأديب **يوسف الشاروني** أحد أعضاء لجنة القراءة وبهرته القصة ومنحها أعلى الدرجات، وعندما فوجئ بعدم فوزها اتصل بي لنشرها في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وصدرت عام ١٩٧٨م وكانت مكافأة نشرها ضعف قيمة الجائزة.

● وفي عـام ١٩٨٣م صـدرت لي مجمـوعتـان قصصيتان بعنوان «**هذا مـا حدث أولا**» عن الهيئة المصرية العامـة للكتاب و«**البحث عن حقيقـة ما يقال**» عن المركز القومي للفنون والآداب.

● وفي يناير ١٩٩١م صـدرت مجموعة «**صباح الحب الجميل**» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ولابـد أن أُذكّـر أن الحصاد يأتي نتيجـة الجهـد والمثابـرة، ودون إلحاح، وكلما أتى دون أن تسعى إليه كان أعظم وأفضل، فأنا دائما ما أحاول وأجاهد في أن يكـون لي وجـود ومساحـة على رقعـة القصـة القصيرة المصريـة، دون أن أسعى لـدى ناقـد كبير ليسـاعدني أو يفتح الأبـواب أمـامي، أو.. أو.. كنتُ مشبعًا دائما بروح الاستغنـاء والتعفف، وكان مثالي **العقاد** بكبريائه، فكما تم لقصتي الطويلة «أنا ونورا وماعت» وطريقـة نشرها وصدورها، وكنت لم أقابل الأديب **يوسف الشاروني** ولا أعرفه من قبل، تم أيضا عندما فـوجئت وأنا جالس على مكتبي في الشركـة التي أعمل بها بـرجل يسأل عني ويعطيني بطـاقـة دعـوة لحضـور حفل العيـد الأول للفن والثقـافـة ٨ أكتـوبـر ١٩٧٩م حيث سيتم منحي

” ارتبـاط شَرْطي بـين الكتابـة وتجربتي الحياتية “

شهادة تقديـر من رئيس الجمهورية تقـديرًا لدوري وجهودي في مجال القصة.

أيضا فلقد حاضر **الدكتـور عبد الله أبـو هشة** أستـاذ الأدب الألماني بجـامعة الأزهـر وقـدم عـدة بحوث ألقـاها في جامعـات بامبرج وفـورتس بورج في ألمانيا بعنـوان «**أزمـة الهويـة في النثـر القصصي المصري والألماني، دراسة مقارنة**» تناول فيها نتاجي القصصي ونتاج الأدبـاء **عبـد الحكيم قـاسم وأحمد الشيخ ومحمد جبريل** ومن الأدباء الألمان **نيكولاس بورن وجونتر جراس وفولف** وغيرهم.

وأنــا عضـو مجلس إدارة اتحاد كتـاب مصر، وعضو نادي القصة.

أما الكتـابة نفسهـا فهي حالـة تظل الفكرة أو الحالة القصصيـة تدفعني دفعًـا لكتابتهـا، لكنني أبتعـد عنها، وأراوغهـا، فأصاب بحـالة اكتئـاب وحزن شفيف، إمـا أن أكتب أو أكتئب، وقبل أن أمسك بالقلم أجد الفكرة تبخرت ثم أمسك بالقلم فأجدني أكتب في تـدفق وانسيابيـة، كأن سيلاً من الكلمات ينهمـر على الـورق، ولا يتـوقف القلم في يـدي إلا عنـدما مـا أضع النقطـة الأخيرة في نهايـة القصة. فـالقصة عنـدي تكتب دفعـة واحدة وفي جلسـة واحـدة، وإذا قمت من على المكتب أثنـاء الكتابـة، فلن تكتب هذه القصة أبدا. أمـا القصة الطـويلـة فتكتب على فترات، قـد يكتب فصل في شهر أو فصل في يوم وفصل آخر بعد سنة، وأكتب الآن رواية بدأتها منذ ثلاث سنوات، وأعد مجموعة قصصية جديدة للنشر بعنوان «**لا تحزن**».

وأعترف أن القصـــة متعتي وعـــذابي، قلقي الـدائم ولهفتي المستمـرة لتحقيق المثـال القصصي الـذي أنشده. دائما مـا أكتب في وقت متأخـر من الليل، فـور انتهـائي من القصـة، لا أنـام قبل أن أقـرأهـا على قـارئي الأول صـديقي القـاصّ حسن الجوخ لأعرف رأيه، كنت كمن ولد طفلا ويريد أن يستخرج له شهادة ميـلاد، أوقظه من النوم أولا ثم أرجـوه أن يستمع إليّ جيدًا، ثم أقـرأ له القصـة في التليفون، أو أذهـب إليه، والأمر الغـريب أنني لا آخـذ برأيـه أبـدًا، كنت فقط أقلب وجهة نظره في رأسي بعـدما تنتهي المكـالمة ولا أغير من القصـة أو أعـدلها سوى وضع الهمـزات أو تصحيح الأخطـاء الناشئـة عن سرعة الكتـابة أو الـدفقة الإبـداعية، لذلك كنت أسرع في نسخها في ذات الليلة لإرسالها للنشر في صبـاح اليوم التـالي، هناك جماليـات وراء القبح، هـذا مـا تعـودت عليـه حتى من خـلال تشوهات جسدي اكتشفت جمالياته الأخرى، فبعد فقدي لقدميَّ، ظهرت جماليات التحدي والإصرار بذات الجسد العـاجز أحيانا تفُـوق إصرار الأجساد المكتملة.

إلا أنني في السنوات الثـلاث الأخيرة أصبحت أعــدل وأغير في بعض الكلمات، وأتــردد كثيرًا في إرسـال القصـة للنشر إلا بعــد قـراءتها لأكثـر من صديق.





قراءة في ديوان شاعر سعودي شاب:
«أشياء من ذات الليل»

عرض وتحليل: د. حسين علي محمد

« أشياء من ذات الليل » هو الديوان الأول للشاعر السعودي الشاب عبد العزيز العجلان، الذي نشر قصائد معدودة في عدد من الدوريات السعودية قبل أن يجمعها، ويضيف إليها بعضا لم ينشر، ويقدمها لنا بين دفتي ديوان.

ومن الملاحظ أن همومه في التأكيد على خصوصية هذه البلاد تحتل مقدمة اهتمامه في هذه المجموعة، فنراه في قصيدته «ملامح لبدوي عريق» يؤكد انتماءه لهذه الأرض العريقة (ص ص/ ١٣ ـ ١٤) :

أنا هنا، قبل بئرِ النفطِ كنتُ هنا   قبل البداياتِ قبل الريح والحقَب
أطوي المدى وجراحاتي مضمَّدة   بالأقحوان ونبض الرَّمل في هدبي
ونجمة الصبح في قلبي معلّقة   زهو الرحيل وميعادا لمغترب
أنّي استدرت تلقاني المدى ظللا   وأومأتْ غيْمةٌ للظامئ : اقترب

وفي قصيدة «تلويحة للوطن» (ص ٣١) نراه يمتزج بهذا الوطن، ولا غرو فهو يعشق هذا الوطن، وفي ذاكرته مواكب الأبطال التي انطلقت منه تبني الحضارة وتصنع التاريخ، ويصير الوطن هو الحلم، وهو الإضاءة الدائمة وسط جهامة الحياة.

أحيّيه، تهتزُّ الحروفُ على فمي   ويرحلُ في صوتي الصدى والتوائب
وأغفو، وفي الأهداب تختالُ دمعةٌ   وخلف مدار الظَّنِّ تزهو مواكبُ
وفي شرفات الليل ينأى بنا الهوى   توشوشنا ريحٌ، وتدنو مجاهلُ

ثم يختم القصيدة بالإشارة إلى التحام الأرض بالإنسان. فالأرض «زهرة الدنيا» والإنسان «من لا يساوم» و «من زها طهرا» (ص٣٢) :

هنا تبدأ الدنيا، هنا زهرة المدى   هنا من زها طهرا ، ومن لا يساوم

وهو يرنو إلى لحظات الإشراق في هذا الوطن، كما يرنو إلى أحزانه ويتسمع شكاته. فهذا الوطن العربي تتسع أحزانه كالجرح القديم الذي لا يبرأ!

فنراه يغني لأطفال الحجارة في قصيدته «نقوش فوق عش الرخ» المهداة إلى الطفل الفلسطيني الذي حمل حجره وبراءته يقذف بها وجوه الطغيان (ص ص٣٣ ـ ٤١). ويتوهج في قصيدة «العبور في الدوائر المغلقة التي يهديها إلى توهجات الضمير العربي سليمان خاطر في حضوره الموسمي المهيب» (ص ص٤٢ ــ ٤٩)، ويكتب في «أوراق للريح والمنفى» : عن ارتحال معين بسيسو الشاعر الفلسطيني المعروف (ص ص ٥٠ ــ ٥٦)، ويغني غناء حزينا لبيروت التي اشتعلت الفتنة فيها بين أبنائها خمسة عشر عاما (ص ص٥٧ـ٥٩).

هذا الصوت يهتاج حينما يجتاح صدام الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠، يشعر وكأن الأرض فقدت دورانها، والأشياء لم تعد هي الأشياء. يقول في قصيدة «عابر فوق جرح الخليج» (ص ٥١) :

لم يبق في الظل متسعٌ للمقام
ولم يبق في الصمت متكأ للكلام
لم يبق للظل نبض
ولم يبق للصمت إغراؤه المتدفّقُ.
أنكرت الأرض أطرافَها
تكسَّر وهْجُ المرايا
تساقط بين الدنوِّ وبين الختام
فكيف المقام . . وفيك المقام ؟
سلامٌ عليك

وإذا كانت هموم الوطن والجماعة تحتل المرتبة الأولى، فإن الشاعر يجسد أحزانه الخاصة، حيث نلحظ حزنا شفيفا يكشف عن نفس محبة، معذبة قلقة، يمضها الترحال، كما يقلقها المكوث. يقول في قصيدة «انثيال» (ص١١) :

مُذْ رَحَلْنَا تساقَطَ الحزنُ فينا   وتلاشى هوى وجفت بروقُ
وحدها الريحُ في المداخلِ تغدو   وتروحُ ووحدَهُ التحديقُ
أين نمضي . . وكلُّ دربٍ خَوَاءُ ؟   أين نأوي وكلُّ ليلٍ يضيقُ ؟
المسافاتُ حولنا تتدلّى   والنداءاتُ خيبةٌ وعقوق
والذُّرا الشُّمُّ في المدى نافرات   مرهقاتٌ استوطنتها الشقوقُ
تتلاشى الطيوف في كلِّ أفق   إن هممنا به وينأى البريق
تَعِبَ الدربُ. لا الرؤى اعتنقتنا   في مداها ولا السكونُ يحيقُ

وإذا كان بعض الشعراء يضعون الملح على الجرح فلا تبصر بارقة أمل في أشعارهم، وكأن الخطايا أحاطت بأطراف الأرض فلم يعد إلا سيف الهلاك

”
عندما يصبح الوطن حلمًا وإضاءة دائمة وسط جهامة الحياة .
“

مسلّطا على رؤوس الجميع ، فإننا نجد وسط لحظات القتام والجهامة ـ وعلى الرغم من المثبطات ـ نورًا يلمع ، أو قل : شمسا تضيء في أشعار **عبد العزيز العجلان** .

إن شخصية المسلم آملة ، فهي قد شاركت بقسط وافر في الحضارة الإنسانية منذ أن التقت السماء بأشواق الأرض ومنحتها الهدى والأمان وأنقذتها من دياجير الظلام .

ولذا لا نعجب إذا وجدنا **ومضات التفاؤل تشرق بين ذُرا قصائده .**

يقول في قصيدة « أوراق للريح والمنفى » التي كتبها « في ارتحال معين بسيسو » الشاعر الفلسطيني (ص ٥١ ، ٥٢) :

اهدري يا ريحُ ، إن شئتِ
انتفضْ يا ليلُ إن شئتَ
وطُلْ إن شئتَ
زُلْ إن شئتَ ، فالحلمُ اقتربْ

لكن هذه الومضات المشبعة بالأمل قليلة في شعر عبد العزيز العجلان ، ربما بسبب الواقع الشرس الذي يحاصر المبدع ، ويتسلّل إلى إبداعاته فلا يترك للحظات الإشراق والأمل إلا هذا المنفذ الضيق يتنفس منه روح الحضارة والجماعة . **فحينما تجتاح جحافل الظلام الكويت في أغسطس ١٩٩٠ ، يكتب** (ص ٨) :

رأيت الذي أشعل الموت في الذاكرةْ
عرفت الذي كان
رأيت الذي لم يُرَ
بصرت بهم يحرقون المشاعل فوق المداخل
والليل يقطرُ من حزنـهِ ما يشاء
بصرتُ بهمْ يحملون العروبةَ بئرًا من النفطِ ،
يُلقونها في الجحيم
ويستوثقون الرتاجْ ،
ثم يهيلون من دمها الطهر فوق الدماءِ

أي رؤيا مفجعة أحاطت بشراستها شجرة الوحدة ، وداست بأظلافها الغليظة ذلك الحلم الجميل ؟ وأي طغاة هؤلاء الذين أوصدوا كوى النور وبشروا بالظلام ، حيث العروبة لا تساوي لديهم أكثر من بئر بترول ، لا يحافظون عليه ، بل يلقون به إلى الجحيم ؟

برغم هذه الرؤية المفجعة فإن قصيدته تنتهي بالأمل الذي ينبثق من الظلام واليأس كواحة ظل في هجير الصحراء (١٤) :

لا تبك عينك
لا تبك عينك
موعدنا الشمس
والحُـلُم العربيُّ الممرَّرُ في صَخَبِ الشمسِ
والعابقان : سلامٌ وحبٌّ

من العناصر الفنية التي تلفت النظر في هذا الديوان **«الموسيقا »** ؛ فقد تنوعت تجارب الشاعر بين القصائد الخليلية ، وقصائد شعر التفعيلة .

فالقصائد التي تنتهج النهج الخليلي خمس قصائد هي «انثيال » ، و«ملامح لبدوي عتيق » ، و «تلويحة للوطن» ، و «بقايا الفجر النافر» ، و «تباريح» ، على حين أن شعر التفعيلة يحتل تشكيليا وأداءً معظم قصائد الديوان (تحتل القصائد الخليلية ثماني صفحات فقط من الديوان الذي يقع في مئة وثلاث وأربعين صفحة) .

وقصائده الخليلية يكتبها برؤية بِكر صافية ، ويترقرق فيها ماء الشعر .

وتتوزع بحور التفعيلة الواحدة وبحور التفعيلتين ، فنجد قصيدة «بقايا الفجر النافر» من «بحر الوافر» ، و «تباريح» من «بحر الكامل» ، و «تلويحة للوطن» من «بحر الطويل» ، و «انثيال» من «بحر الخفيف» ، و «ملامح لبدوي عريق» من «بحر البسيط» .

وتتنوع قصائد التفعيلة وزنا ، كما تنوعت القصائد الخليلية ، وهذا التنوع الموسيقي يكسب تجربة الشاعر ثراء وتنوعا .

وقد استخدم الشاعر أسلوب **« التدوير»** استخداما طيبا في قصائده ، وكان يستخدم التقفية في أبياته القصيرة داخل إطار التدوير ليحدث نوعا من الموسيقا كما في قصائده «نقوش فوق عش الرخ» (ص ٣٣ وما بعدها) ، و«مقاطع للحزن النافر» (ص ٦٨ وما بعدها) ، و «انكسارات لحظة مسائية» (ص ٧٢ وما بعدها) ، وغيرها .

إن ديوان «أشياء من ذات الليل» للشاعر السعودي الشاب عبد العزيز العجلان ، يضع أيدينا على شاعر جديد ذي إمكانات متفردة . شاعر يكتب القصيدة الخليلية بجودة وإتقان ، ويكتب قصيدة شعر التفعيلة باقتدار . إنه شاعر له قضية ، نضعه في مدرسة البساطة والتلقائية التي ينتمي إليها شعراء كثر في التراث العربي منهم : جرير ، والسيد الحميري ، وعلي بن الجهم . وشعراء معاصرون منهم : أمل دنقل ، ومحمد إبراهيم أبو سنة ، ومحمد مهران السيد ، وفاروق شوشة . . . وغيرهم ؛ على اختلافهم جميعًا في الأسلوب والرؤية والوسيلة .

وهذه المدرسة قادرة على أن تنقذ الشعر العربي من الوهدة التي يريد «العبثيون» أن يسقطوه فيها (*).

(*) عن ظاهرة العبث في الشعر العربي ، انظر : فاروق شوشة ، عذابات العمر الجميل ، ط ١ ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م ، ص ١٨٢ وما بعدها ، ورجاء النقاش : ثلاثون عامًا مع الشعر والشعراء ، ط ١ ، دار شعار الصباح ، القاهرة ١٩٩٢ م ، ص ٤٦٩ وما بعدها ، ومحمد عبد الواحد حجازي : ظاهرة الغموض في الشعر الحديث ، مخطوط ، الفصل الثاني «فتنة الشعر الحديث» ، ص ٦١ وما بعدها .

من المكتبة السعودية





د. عبدالمحسن الداود

- العنوان: المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم.
- المؤلف: الدكتور عبد المحسن بن سعد الداود.
- الناشر: على نفقة المؤلف.

أرقام وإحصاءات عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الأقليات الإسلامية في العلم يقدمها الدكتور عبد المحسن بن سعد الداود رئيس قسم التربية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في كتابة التوثيقي (المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات الإسلامية في العالم) ليعرّف بالجهود الصادقة والكبيرة التي تقدمها هذه البلاد لمسلمي العالم سواء في صورة معونات أو معاهد وأكاديميات علمية أو مساع حميدة لنصرة المستمسكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

يقول المؤلف: إنه منذ أن قام المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ بتوحيد هذه المملكة المترامية الأطراف، وأقامها على التوحيد والعقيدة الصافية، وهي تسعى جاهدة لخدمة الإسلام ودعم المسلمين في كل مكان. وما الصورة التي تصدرها غلاف هذا الكتاب إلا دليل أكيد على اهتمام قيادة هذه البلاد بالمسلمين وبالأقليات المسلمة في كل مكان، فها هو ذا الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ وقبل توحيد المملكة العربية السعودية يستقبل وفدا بولونيا مسلما في عام ١٩٣٠م.

وتأتي دعوة خادم الحرمين الشريفين ـ يحفظه الله ـ لعقد مؤتمر عالمي للأقليات المسلمة في رحاب مكة المكرمة الطاهرة لمناقشة أوضاعها، والتحدث عن احتياجاتها وتدارس شؤونها مؤكدة الامتداد التاريخي لقيادة هذه البلاد الطاهرة في الاهتمام بالمسلمين والعناية بقضاياهم ومتابعة شؤونهم في كل مكان.

ماضٍ.. وحاضر

يتناول الكتاب بالتفصيل الجهود التاريخية لقادة هذه البلاد في دعم الأقليات المسلمة.. كما يتناول الجهود الحاضرة المخلصة في تقديم الخدمات ودعم المسلمين في كل مكان مبتدئا بالاستعراض التاريخي لأوضاع الأقليات المسلمة وظروف نشأتها ومشكلاتها الحالية. ولهذا فالكتاب ينقسم إلى قسمين رئيسين: الأول، يتكون من تسعة فصول، تبدأ بتقديم عن الدعوة إلى عقد المؤتمر العالمي، مع رصد لردود الفعل التي جاءت مؤيدة ومرحبة بها من قبل زعماء العالم الإسلامي ورجال الدعوة وقادة الأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم.

بعد ذلك يقدم الكتاب في فصوله الثمانية الأخرى معلومات عن الأقليات المسلمة وأماكن وجودها وأعدادها، مع استعراض لأهم مشكلاتها الاقتصادية والثقافية والتعليمية مبتدئا بأفريقيا ثم آسيا وأستراليا وأوربا مُفْرِدًا فصلا كاملا عن دول أوربا الشرقية التي تخلصت من الشيوعية، وفصلا آخر عن جمهوريات الكومنولث المستقلة. وأخيرا يتعرض للأقليات المسلمة في الأمريكتين وهمومها ومشكلاتها.

أما في قسمه الثاني ـ ومن خلال فصوله الخمسة ـ فيقدم الدكتور عبد المحسن الداود في كتابه معالجة توثيقية ورصدًا تاريخيًّا لجهود المملكة في دعم العمل الإسلامي، ومساعدة الأقليات المسلمة والتخفيف من معاناتها والإسهام في حلّ مشكلاتها.

ويبتدئ بعرض تاريخي لجهود موحد الجزيرة الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ الذي حرص على إرساء دعائم هذه الدولة الفتية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما حرص على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم. ويؤكد هذا التوجه المبارك في الاهتمام بأمور المسلمين المؤتمر الإسلامي الأول الذي دعا إليه ـ طيب الله ثراه ـ يوم الاثنين ٢٩ من ذي القعدة سنة ١٣٤٤هـ في مكة المكرمة، ويستشهد المؤلف بقوله للوفود التي حضرت المؤتمر: (إن كان ما نطمح إليه أن يتحد العالم الإسلامي، نريد اتحادًا قويا متينا، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعا تاما لأحكام القرآن والسنة). ثم يعرض ما قدمته المملكة في عهده من خدمة وتوسيع للحرمين الشريفين وخدمة لحجاج بيت الله الحرام على الرغم من الظروف الاقتصادية القاسية في تلك الأيام حيث بلغ ما أنفق على توسيع المسجد النبوي ـ في ذلك الوقت فقط ـ ستة ملايين جنيه مصري، وأتبعه ـ يرحمه الله ـ بإلغاء رسوم الحج في عام ١٣٧١هـ. ويختتم هذا العرض التوثيقي لجهود الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ بما عبر عنه مدير إدارة الحج الأندونيسية العامة من الشكر والتقدير من المسلمين كافة لجهود المملكة في خدمة الحرمين الشريفين.

وينتقل الكتاب لعرض جهود الملك سعود ـ يرحمه الله ـ في متابعة ما بدأه موحد المملكة في خدمة الدعوة الإسلامية وخدمة المسلمين في أنحاء العالم كافة راصدا التبرعات والمساعدات التي قدمت في عهده للدول الإسلامية. بعد ذلك يتناول ما قدمه الملك الشهيد فيصل ـ رحمه الله ـ لتحقيق الانطلاقة الكبرى نحو التضامن الإسلامي، وما قام به من رحلات مستمرة في سبيل ذلك، وما أعقب هذه الرحلات من استحداث مؤسسات مالية ومنظمات اقتصادية لدعم الدعوة الإسلامية، وتقديم العون للأقليات المسلمة. ويعرج الكتاب ليتحدث عن الملك خالد ـ يرحمه الله ـ وكيف حمل لواء التضامن الإسلامي الذي أرسى دعائمه الملك فيصل ـ رحمه الله ـ ومن ضمنها رعايته لمؤتمر القمة الإسلامي الثالث الذي انتهى بالقرار التاريخي وتأسيس لجنة المساعي الحميدة لإنهاء الخلافات بين المسلمين، وتبرعت المملكة في أثنائه بما يقرب من مليار وستمائة مليون ريال لتدعيم التضامن الإسلامي ومساعدة الدول الإسلامية ودعم الأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم.

ويأتي هذا القسم ليتحدث عن الامتداد الطبعي لخدمة الأقليات المسلمة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ الذي بدأ عهده الميمون بتغيير اللقب ثم بتوسعة الحرمين الشريفين فيتحدث عنها بشكل مفصل. كما يعرض جهود خادم الحرمين الشريفين في خدمة القرآن الكريم وخدمة الأقليات المسلمة.

أصدق دليل

وبالأرقام يتابع المؤلف ما قدمته المملكة لخدمة العالم الإسلامي والأقليات المسلمة حيث بلغت المساعدات التي قدمتها المملكة أكثر من سبعة وسبعين بليون ريال وفقا لتقرير الوحدة الاستشارية للدراسات الفنية والاقتصادية، استفادت منها سبع وتسعون دولة إسلامية خلاف الدول ذات الأقليات المسلمة.

وتم بهذه المساعدات إقامة عشرة ومائتي مركز من المراكز الإسلامية، وبناء (١٢٥٩) مسجدا، و(١٠٦٩) مدرسة إسلامية ومائتي معهد، وأربع وثلاثين ومائة جامعة. وثمانية وأربعين مستوصفا، وستة وسبعين

مستشفى وخمس وسبعين وثمانمائة جمعية إسلامية، هذا إضافة إلى ما قدمته المملكة من مساعدات للمسلمين أثناء الكوارث الطبيعية ومساعدات المجاهدين واللاجئين في فلسطين وأفغانستان. وكنموذج لهذه المساعدات يقدم الكتاب جدولا متكاملا وبالأرقام لأهم المساجد والمراكز الإسلامية في أوربا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا والتي أنشأتها المملكة أو أسهمت في إنشائها.

وفي الفصل الرابع من القسم الثاني يتحدث الكتاب عما قدمته المملكة من جهود جبارة، لنشر التعليم الإسلامي بين الأقليات المسلمة لإدراكها أهمية التعليم، وأنه الأساس لتحقيق الهوية الإسلامية والمحافظة عليها من التيارات والضغوط التي تتعرض لها، ومن ذلك إنشاء المعاهد الإسلامية والمدارس، ومشاركتها في تقديم سبعين مليون ريال للإسهام في تأسيس معهد تاريخ اللغة العربية في ألمانيا، ومعهد العالم العربي في باريس، وقسم الدراسات والبحوث القانونية الإسلامية في جامعة هارفارد، ومركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة جون هوبكنز، ومركز الدراسات العربية والإسلامية في جامعة هاوارد والجامعة الأمريكية ومركز الدراسات الإسلامية في جامعة هو، ومركز الطاقة والتنمية الاقتصادية في جامعة كولورادو.

ولا يغفل الكتاب الإشارة إلى الدور الفاعل الذي تؤديه الجهات المساندة للدعوة الإسلامية وخدمة التعليم الإسلامي فيتحدث عن جهودها في خدمة الدعوة الإسلامية وخدمة التعليم الإسلامي، وذلك مثل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، والأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والجامعة الإسلامية، والهيئة العامة لاستقبال التبرعات في سفارة خادم الحرمين الشريفين في واشنطن. واستكمالا لهذا الفصل يتحدث الكتاب عن الأكاديمية الإسلامية السعودية في واشنطن وعن أكاديمية الملك فهد التعليمية في لندن كجزء مكمل لجهود هذه البلاد في خدمة التعليم الإسلامي.

وفي نهاية فصوله يتحدث الكتاب عن المنظمات الإسلامية التي تحتضنها أرض المملكة العربية السعودية مثل رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي والندوة العالمية للشباب الإسلامي وصندوق التضامن الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية مقدما جدولا رقميا متكاملا لجهود المملكة في دعم المؤسسات والهيئات العاملة في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي.



● العنوان: نحو إعلام أفضل
● المؤلف: عبد الرحمن الشبيلي
● الناشر: د. ن/ الرياض: ١٤١٣/ ١٩٩٢م.

عبر ثمانين ومائتي صفحة يبحر بنا الأستاذ عبد الرحمن بن صالح الشبيلي في رحلة إعلامية فكرية بكتابه (نحو إعلام أفضل) الذي يتضمن ثلاثة فصول تحتوي على مقالات ودراسات ومحاضرات في الإعلام، نشرت وألقيت في مناسبات مختلفة، يغلب على تلك المقالات ويميزها الجانب التطبيقي، مع أن المؤلف استشهد بالقواعد والنظريات الأكاديمية والعلمية، واعتبرها محطة تجارب عبر عقدين من الزمن في رحلته مع الإعلام.

يقارن المؤلف بين الاهتمام بأستاذ الجامعة واشتراط أن يكون مؤهلا بأعلى الدرجات وبين مدير البرامج أو رئيس التحرير، ويقول: إنه لو فكرنا في تأثير الأول المباشر والقريب؛ فإنه لا يتعدى عشرات الطلاب، بينما يصل تأثير مدير البرامج في الإذاعة والتلفزيون، أو رئيس تحرير في الصحافة أو إدارات الأخبار إلى الآلاف والملايين (خاصة وأن بين جماهيرهم نسبة عالية من الأميين الذين يتطلبون تعاملا خاصًّا معهم) ويضيف قائلاً ونحن نتوقع دائما من وسائل الإعلام العربية أن تقدم عطاء توجيهيا وتثقيفيا مميزا، وطبيعي أن يكون (نتاج) الإعلام - من كلمة مقروءة أو مسموعة أو مرئية — انعكاسا لكفاءة القائمين بهذه الوسائل ومقدرتهم — وضعت الكفاءة الإعلامية — وخاصة في مجال التخطيط والتقديم والمراقبة - قد يجعل الكثير من المفكرين والأدباء والكتاب يحجمون عن تقديم إسهاما، أقصد مع وسائل الإعلام، فالدكتور الشبيلي - بخبراته الواسعة والمتنوعة - يركز على تأهيل الإعلاميين وخبراتهم وفتح الطريق أمامهم.

أما قضية تسرّب الكثير من الخبرات الإعلامية المتدربة فله عدة أسباب، إما بسبب التطورات الاقتصادية وعدم توافر الإغراءات أو لعوامل إدارية، وهذا يجب أن نكتبه إليه فالكفاءة الإعلامية نادرة، ليس بسبب التعليم ومستواه، بل لأن الإعلام موهبة بالدرجة الأولى، ثم رغبة وقدرة على التحمل والتجديد والعطاء والابتكار، فالبلاد العربية ليست لديها القدرة بعد على إنجاب الكفاءات المتخصصة بدرجة النمو المادي نفسها، ولذا فإن تسرب الكفاءة النادرة في أي مجال يعتبر خسارة وطنية.

وبمشرط الخبير المدقق الفاهم وصاحب التجربة يشخّص الدكتور الشبيلي أزمة بعض وسائل الإعلام لدينا (هذا التشخيص من منطلق الحب ورغبة تطور هذه الوسائل).

مثلا نلاحظ فيها (أو في أغلبها بالتحديد) عدم تبلور الشخصية الذاتية، وتبرز هذه الظاهرة بشكل واضح في المملكة ومعظم دول الخليج، والمقصود عدم استطاعة المستمع أو المشاهد أن يلمس الشخصية الوطنية لبلده والطابع المميز له، ولعل محدودية الإنتاج المحلي والاستعانة بكفاءات غير محلية والاعتماد إلى حد كبير على الإنتاج الخارجي ربما سبب بعض هذه المشكلات، فهوية الإذاعة وشخصيتها جزء من طابع البلد، مثلها في ذلك مثل عاداته وتقاليده ونمط السكن والأكل والملبس، وهذا لا يتعارض مع مظهر الحشمة والوقار الذي تحرص عليه وسائل إعلام المملكة.

تجديد في تحرير الأخبار

يطرح الدكتور الشبيلي سؤالاً مهمًّا: هل من المجدي إعلاميا واقتصاديا أن تسمع الإذاعة العربية في الخارج برغم محدودية مستمعيها؟ ويجيب قائلا: إن الإرسال إلى الدول الإسلامية واجب لاعتبارات معروفة، أما في البلدان الأخرى فقد أصبح شيئا مرغوبا فيه، خاصة إذا نظرنا إلى المكانة السياسية والاقتصادية المتزايدة للمملكة العربية السعودية مثلا والحملات الإعلامية المغرضة المتفاقمة مع ازدياد أهمية هذه البلاد ودورها في المجتمع الدولي.

والسؤال الآخر: لماذا يتجه المستمع إلى وسائل الإعلام الغربية؟ هل لأنها وثيقة أكثر بأخبارها وتحليلاتها، أم لأن وسائل الإعلام العربية في معظمها تتركز على الشكليات عند إعداد الخبر قبل اهتمامها بالحدث والموضوع وخلفية الخبر؟ وسادت مصادر الأنباء عندنا روح الركود والسلبية والجمود، بسبب هاجس ووهم بأن التغيير والتجديد في أسلوب الخبر الذي تعودت عليه قد لا يلاقي الرضا والقبول من

من المكتبة السعودية

المسؤولين. والواقع أن القيادة تتمنى فعلا أن تجتذب وسائل الإعلام اهتمامَ النـاس وانتباههم عبر أسلوب إعلامي رفيع المستوى، وعلى هذه الوسائل أن تطور نفسها حتى تكون على مستوى المناقشة.

صحافة مقروءة

وينتقل الدكتور الشبيلي إلى سؤال آخر حول كيفية أن تكون لنا صحافة مقروءة، ويقرر أنه لا يعني بالضرورة أن ذلك يتصل بتسهيل المواصلات وتوفير وسائل النقل والإعفاء الجمركي، ومظاهر أخرى مهمة بالمادة الصحفية التي تتضمنها الجريدة أو المجلة، بل إن هناك عوامل أخرى تؤثر في كون الصحافة مقروءة أو قابلة للقراءة، من هذه العوامل ما يتصل بالصحافة نفسها، أي بالجهات المصدرة للصحافة وكذلك الصحفيين، ومنها ما له صلة بجمهور القراء، وأهم عنصر من عناصر الضعف يكمن في عدد الصحف عندنا، فبلادنا لا تستوعب هذا العدد الكبير من الصحف اليومية، وكثير من الدول التي تقدمت علينا في مستوى الثقافة والتعليم، وتفوقنا عددًا في السكان، يقتصر عندها إصدار الصحف على عدد أقل مما عندنا.

ويشخص المؤلف أبرز أهم أسباب الضعف في الصحافة عندنا في التالي:

ـ عزوف العناصر المؤهلة عن ممارسة الأعمال الصحفية، وقد ساعدت الظاهرة على عزوف أكثر من جانب المؤهلين أو المحترفين، وتسربت أعداد كبيرة خارج هذا الميدان، فالصحافة لم تعد موردًا كافيا لدخل «الطموحين» وجاءت الوظائف وفرص القطاع الخاص لتنافس الصحافة، وأصبح أبرز عيب تتفق عليه الآراء في صحافتنا هو انعدام الدافع الشخصي وراء الصحف.

ـ صار أحد أوجه النقص الحاد في صحافتنا حاليا هو غياب الصحافة المتخصصة، فالمجتمع النسائي مثلا لا يجد صحيفته، وهكذا بالنسبة للطفل، ولكن لمساعدة الدولة دور كبير لنجاح الصحافة، وقد حققت صحافتنا تقدما ملموسًا في مجال الخبر، وفي مجال توفير الإمكانات الفنية والبشرية، وأصبحت مؤسسات ذات كيان مرموق، وأصول وبنية أساسية جيدة، وصار الوضع الاقتصادي للصحف والمجلات المتمثل في تحسن موارد صناعة الإعلان، يشهد ازدهارًا لم تشهد الصحافة السعودية له مثيلا منذ نشأتها، ومن ثَمَّ فإن حل قضية التوزيع كان متوقفا فقط على جهد مشترك وتعاون من قبل المؤسسات.

وفي نظرته المتفحصة لوكالات الأنباء يقول الدكتور الشبيلي في كتابه (نحو إعلام أفضل):

ـ المتتبع خلال السنوات الماضية للأخبار والتطورات والمشكلات والأوضاع كافة لعدد من أماكن الحروب فإنه لا يلحظ وجود مراسل لأية وكالة أنباء أو صحيفة عربية، فالأنباء التي ترد تجدها منسوبة في معظمها إلى وكالات الأنباء والصحف الأجنبية، أما وكالات العالم العربي وصحفه فهي تتعامل وتترجم وهي مرتاحة في موقعها، مع أن الأحداث عربية، والحقيقة أن وكالات الأنباء العربية عامة تنقصها أهم مقومات النجاح والتأهيل كوسائل لمتابعة ونقل الأحداث وهو «المبادرة» والبحث عن الخبر في مواقع الحدث، أيضا نقص الاحتراف المهني، ليست في النظرة إلى الخبر وأسلوب الصياغة، ولكن في السعي إليه، والإقدام والوقوف على الطبيعة حيث الحدث ساخن وعمل المستحيل في السبق واقتناص الفرصة وإيصال الحدث إلى المستفيدين.

أيضا المقومات الإدارية والمالية التي تجعل من مراسل الوكالة العربية موظفا روتينيا لا يتحرك إلا بقرار انتداب، ولا يتصرف إلا بموافقة صاحب الصلاحية ويتساوى المنتج الفذ مع محدود الإنتاج.

ويتجول الدكتور الشبيلي عبر هذا الكتاب المهم الذي يجمع بين الأكاديمية والممارسة المهنية، يتجول بين الوسائل الاتصالية المتعددة، حتى عالم الفيديو، حيث يتساءل قائلا: هل كان يخطر على بال مخترع جهاز الفيديو المنزلي، قبل عدة أعوام أنه يمكن أن ينال كل هذا الحظ؟ وأن يستخدم بمثل هذا الأسلوب الذي نراه الآن في مجتمعنا السعودي؟ فصحيح أن شركات الفيديو فكرت فعلا أنه يصلح للأغراض الترفيهية، ولكن لم يصل بهم التصور إلى أن يصبح أحد الكماليات ـ وفي منزل كل أسرة تقريبا ـ بل إن في بعضها ثلاثة أجهزة مختلفة الأنظمة ومكتبة لمختلف البرامج والتسجيلات، ويلعب جهاز الفيديو دورًا أساسيًّا واحتكاريا في بلادنا ـ في مجال الترفيه ـ وخاصة في المناطق التي لا تتوافر فيها كثافة بث تلفزيوني من الدول المجاورة كمنطقة الخليج.

ومع الأيام تزداد اكتشافات صلاحية جهاز الفيديو لأغراض مختلفة، ويقدم إمكانات لا حصر لها في مجال الترفيه والتربية بالذات، وهو في ذلك كالتليفزيون ذاته له سلبياته وإيجابياته، إلا أنه بسبب طبيعته (الخصوصية) التي ينفرد بها يمكن أن يكون ظاهرة مقلقة، خاصة وأن إمكان ضبطه ومراقبته شبه متعذرة والمسؤولية الكبرى تقع في نظري وفي الدرجة الأولى على جهتين:

○ الأب والأم اللذين يجب أن يكونا قدوة لأولادهما، وأن يحرصا على اختيار المادة النافعة، أو على الأقل الترفيه غير الضار.

○ وزارة الإعلام (ممثلة بالتلفزيون) حيث إن القناعة متوافرة لدى كل المسئولين أن السبب الرئيس في ظاهرة غزو الفيديو لمجتمعنا ـ بهذا الشكل المفاجئ والسريع والكثيف ـ هو مستوى برامج التلفزيون.

ويبقى أن تتنبه وسائلنا الإعلامية إلى هذا الكتاب، وتتلافى سلبياتها وصولا إلى المنافسة أمام الوافد الذي لا يناسب قيمنا وخصوصية مجتمعنا المسلم.

صرخة مسلم

شعر: محمود مفلح

دمي في كل ناحية يسيل   وإخوتي المشرّدُ والقتيلُ

ووحدي غائصٌ في القهر حتى   كأنَّ القهر بي أبدًا كفيلُ

ولا تهوى المعاولُ غير بيتي   ولا يدعو سوى ولدي الرحيلُ !

وكلُّ الثاكلات نساءُ قومي   هنا النوح المُمضُّ، هنا العويلُ

لماذا يحجرون عليّ صوتي   يقول الآخرون ولا أقول ؟

وكلُّ جريمتي أنّي مُصِرٌّ   على الإسلام، ليس له بديل

وأني مؤمن بالله ربًّا   وأنّ محمدًا عبدٌ رسول

وأني لا أعيش على النفايا   كما عاش المرقَّعُ والعميل

علوت علوت بالإسلام شأنا   وشأنُ الملحدين هو النزول

قليلٌ أن أزف إليه روحي   ومالي حين أبذلُه قليل

وأرجم ما استطعت شرور قومي   لعل الشرَّ بينهم يزول

* * *

أسرّح في شعاب الأرض طرفي   ويرجع وهو من قرع كليلُ

لماذا المسلمون هم الضحايا   وفي أكبادهم ترعى النصول ؟!

لماذا تستبدّ بهم مآسٍ   وتجرفهم على عجلٍ سيول ؟

وتأكل لحمهم كل الضواري   ولحمُ الجاهلية مستحيل...

لماذا الفقر والحرمان فيهم   وهذا الظلم والفَزَع المَهُولُ ؟

ففي الصومالِ أجسادٌ عرايا   وفي البلقان تاريخٌ يزول

* * *

وفي شفتيّ حين أقول جمْرٌ   وفي عينيَّ من هلعٍ ذهولُ

تنام القادسية في ضلوعي   وسيفُ الله من زمني خجولُ !

كأنا والجهادُ على خصام   فلا زحفٌ هناك ولا صهيلُ !

وليس لنا على اليرموك شمسٌ   ولا وثبت مُطَهَّمَةً خيولُ..

ولم نسقِ التراب دمًا زكيًّا   ولا حطين كان بها شبول

وليس بديننا جنّاتُ عدْنٍ   بها حورٌ وماءٌ سلسبيل !

ولا الشهداء كان لهم عبيرٌ   ولا أرض النخيلِ ولا النخيل !

* * *

ستزحف أرضُنا لا بد يوما   ولن تبقى الفصولُ هي الفصولُ



مأساة إنسانية اسمها: الأكراد

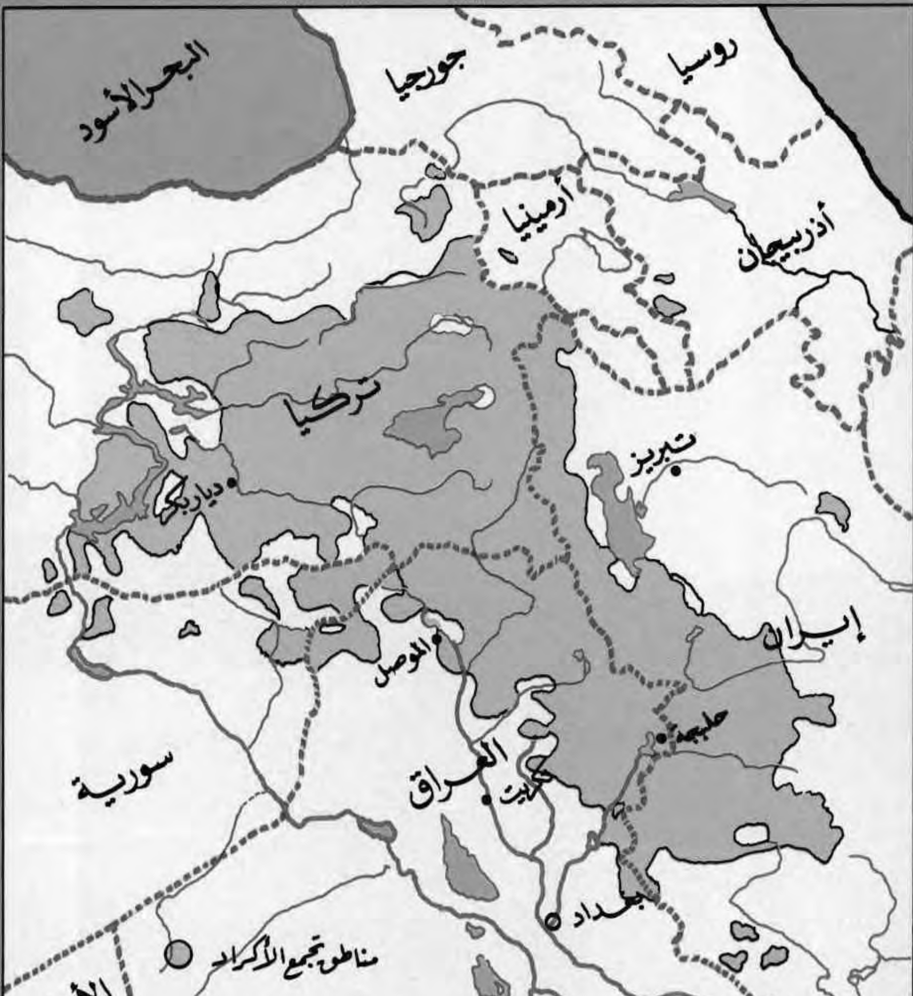
نضال

الأكراد أو « Struggle of Kurds » هو عنوان الموضوع الذي كتبه مؤخرًا الصحفي كريستوفر هيتشنز، متحدثًا عن الأصل التاريخي للأكراد وما لاقوه من مذابح وحشية على يد قوات صدام حسين الهمجية، حيث تراوح عدد القتلى والمفقودين منهم بين مائة ألف وثلاثمائة ألف، الأمر الذي وصفته الأمم المتحدة بأنه «مُخْزٍ للغاية» ولم يتكرر منذ الحرب العالمية الثانية.

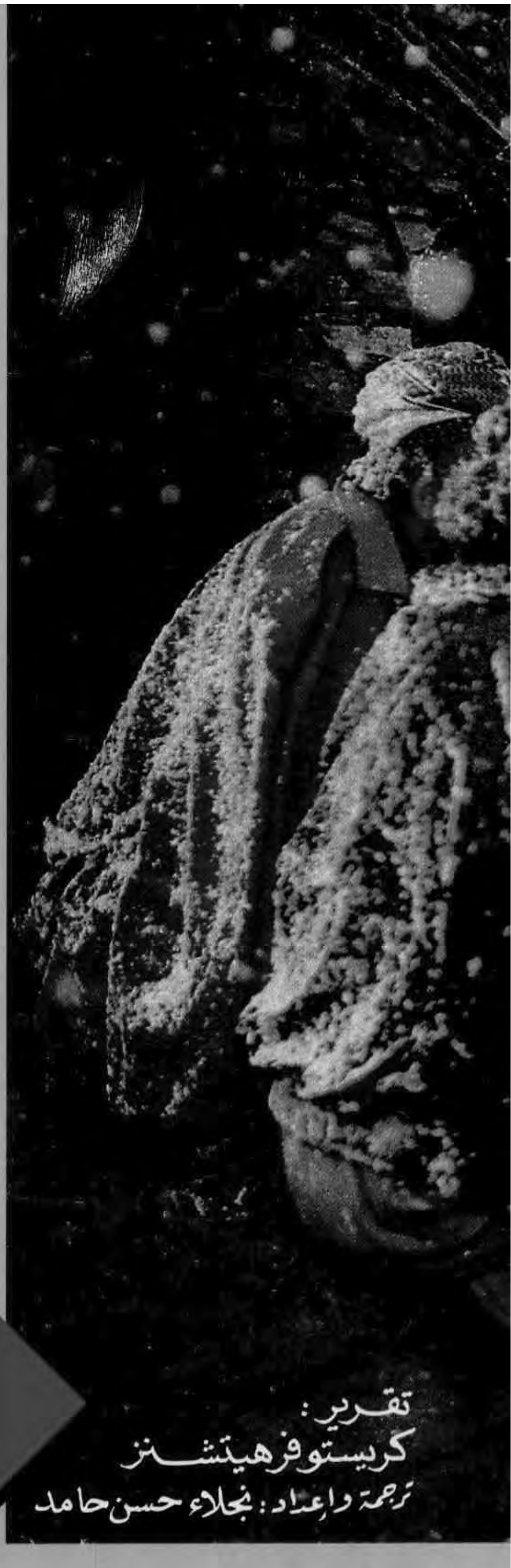
كذلك تحدث عن دولتهم المؤقتة وأحزابهم السياسية ومعاناة اللاجئين في الدول الأوربية وأمريكا، فلنر الأفعال الهمجية ضد هؤلاء المسلمين بعيون غربية محايدة، ولنترك هتشنز يروي الأحداث والانطباعات والحقائق على لسانه كما جاءت في موضوعه.

ديار بكر

يبدأ كريستوفر هيتشنز موضوعه فيقول: إذا ركبت طائرة من إسطنبول وطارت بك في اتجاه الجنوب الشرقي قاصدة ديار بكر، ستجد نفسك أنك مازلت في البلد نفسها، ومع ذلك أنت تغادر أوربا إلى الشرق الأوسط، وبهذا أنت تدخل «عالم



أماكن تجمع الأكراد



"تقاليد العائلة" مكوّن أساسي لربط هذا الشعب المسلم

تقرير:
كريستوفر هيتشنز
ترجمة وإعداد: نجلاء حسن حامد

الأكراد» حيث يعيشون في ديار بكر في مدينة مزدحمة مغلقة داخل جدران قديمة مصنوعة من أحجار البازلت السوداء وسط مجموعة من المحاذير، فالعلم الكردي ممنوع واستخدام اللغة الكردية محظور. جئت باحثًا عن الأكراد، الذين برزوا عام ١٩٩١م على الساحة الدولية بعد معركتهم مع قوات صدام حسين، أولئك الناس الذين شعر الغرب بالتعاطف معهم.

ولكن من هم الأكراد؟

يبلغ عددهم ٢٥ مليون شخص متناثرين في دول العالم، من الشرق الأوسط إلى أوربا وأمريكا الشمالية وأستراليا، **وهذا ما يجعلهم واحدة من أكبر الجماعات العرقية في العالم دون أن تجمعهم دولة معينة.** وفي الماضي كانوا رحلا، أما الآن فغالبيتهم فلاحون أو مهاجرون إلى المدن.

ومثل غالبية جيرانهم، الأكراد مسلمون سنّة، وقلة قليلة منهم يهود أو نصارى، ولغتهم ممزقة مثل الأكراد أنفسهم ـ بالمنطقة واللهجة ـ ولكنها مميزة

عن التركية والفارسية والعربية، وهم كذلك ليسوا أتراكًا ولا فرسًا ولا عربًا، ويعتبرون أن بقاءهم دليل في ذاته على الكمال المؤكد.

كردستان الحرة

منذ أكثر من ألفي سنة تحدث الرحالة المتجهون إلى قلب الإقليم الكردي عن أناس بعيون زرقاء أو خضراء وشعر ناعم مسترسل يتصفون بالعنف بين الأكراد. وقبل الميلاد بأربعة قرون بينما كان الإغريق يتقهقرون أمام الفرس صوب البحر الأسود، ذكر المؤرخ والقائد العسكري زينوفون بأنهم كانوا يُرهقون باستمرار بغارات مزعجة على الطريق الطويل بواسطة Kardouchi «الناس الذين يسكنون بين الجبال، ناس مولعون بالحرب، وهم ليسوا أدوات للملك» وقد رأى معظم العلماء المعاصرون أن هذا إشارة إلى الأكراد.

ويعيش نحو ثلاثة ملايين كردي في منطقة في العراق الآن يطلقون عليها اسم «كردستان الحرة»، تقع في الجبال حيث تتلاقى حدود تركيا وإيران وسورية والعراق. وهنا بعد هزيمة قوات صدام الحاسمة، أنشأ الأكراد أكبر منطقة شعبية للحكم في تاريخهم الحديث، تمتد لمسافة ١٥,٠٠٠ ميل حيث يعطي الأكراد أوامرهم ويجمعون الضرائب ويعقدون محاكم أولية ويديرون انتخاباتهم البرلمانية بين حزبين رئيسين هما «الاتحاد الوطني لكردستان» ويتزعمه جلال طلباني «والحزب الديمقراطي الكردستاني» بزعامة مسعود بارزاني.

ولكن الأكراد نادرًا ما يتكلمون بصوت واحد وكثيرا ما يتبادل الحزبان مكانهما، والقضية الرئيسة اليومية التي يواجهها الحزبان هي: هل يوقع الأكراد اتفاقية استقلال محدود مع صدام (رأي بارزاني) أم يجب أن يناضلوا من أجل مزيد من الأراضي والتنازلات السياسية (موقف طلباني)؟

كذلك يوجد حزب كردي في لبنان يُسمى حزب العمال الكردستاني PKK، يديره شخص يُدعى عبد الله أركلان من خلال مخيم في سهل البقاع،

تقليد العائلة

يمكن للأكراد أن يصابوا بالإحباط والانكسار إذا لم تكن قوة «تقليد العائلة» موجودة، فكل شخص يبدو متصلاً بالآخر، وهو أمر أيضًا حقيقي في بعض الأحيان، وأبناء العمومة يُشجعون على أن يتزاوجوا فيما بينهم لكي تبقى المزارع والبساتين في العائلة.

والرابطة الكردية هي رابطة تضامنهم وبقائهم، وحتى هذا ـ ولهذا السبب ـ أمر مرتبط بالكفاح. وعندما قابلت رجلا مسنًّا في قرية خليفان، كان جالسًا وبندقيته الآلية معلقة وراء مقعد وكان يراقب أحفاده يتقافزون من خلفه، ثم علق عليهم قائلا: «إنهم سوف يكونون مقاتلين أكفاء». وهناك شعار كردي له أصول أقدم من أن يتذكرها أي امرئ تقول: «الأكراد ليس لهم أصدقاء»، وحتى بين الأكراد الذين يعيشون في ظروف تبدو عادية يوجد دائمًا من يذكرهم بهذا الواقع.

ففي المدينة القديمة لديار بكر على سبيل المثال، تركت الضوضاء والدخان في الشارع ومرقت عبر جدران سميكة تفتح على فناء مظلل بالأشجار، وجلست ملتمسًا قسطًا من الراحة بجانب طاولة في حديقة الشاي Trafics Cay Bahcesi، وعلى مقربة جلست فتاة عمرها عشرون سنة تقريبًا تدرس القانون يصحبها شقيقها، وبينما كانت تقرأ في كتاب القانون، كان أخوها يتطلع بشغف إلى وقت الظهيرة ولكن الصفاء دائمًا ما يكسوه أزيز طائرات نفاثة مقاتلة، واحدة إثر أخرى أثناء عودتها إلى قواعدها.

وللغريب عن المدينة يبدو أن النفاثات تذكرة للأكراد بأنهم لا ينتمون إلى مكان ما حقيقة، ولكن لمعظم الأكراد يبدو أن الموقف يعبر عن فكرة «ماذا يفعل الأغراب في بلادهم؟».

قبور جماعية

عبر كردستان العراقية يمكن للمرء أن يقود سيارته بضعة أميال قليلة وبمساعدة الخارطة يمكنه وضع علامة على كل كومة حجارة خلفها وراءه،



بعض أفراد من مخيم بيرنان الصيفي بالقرب من كارليوفا ـ تركيا

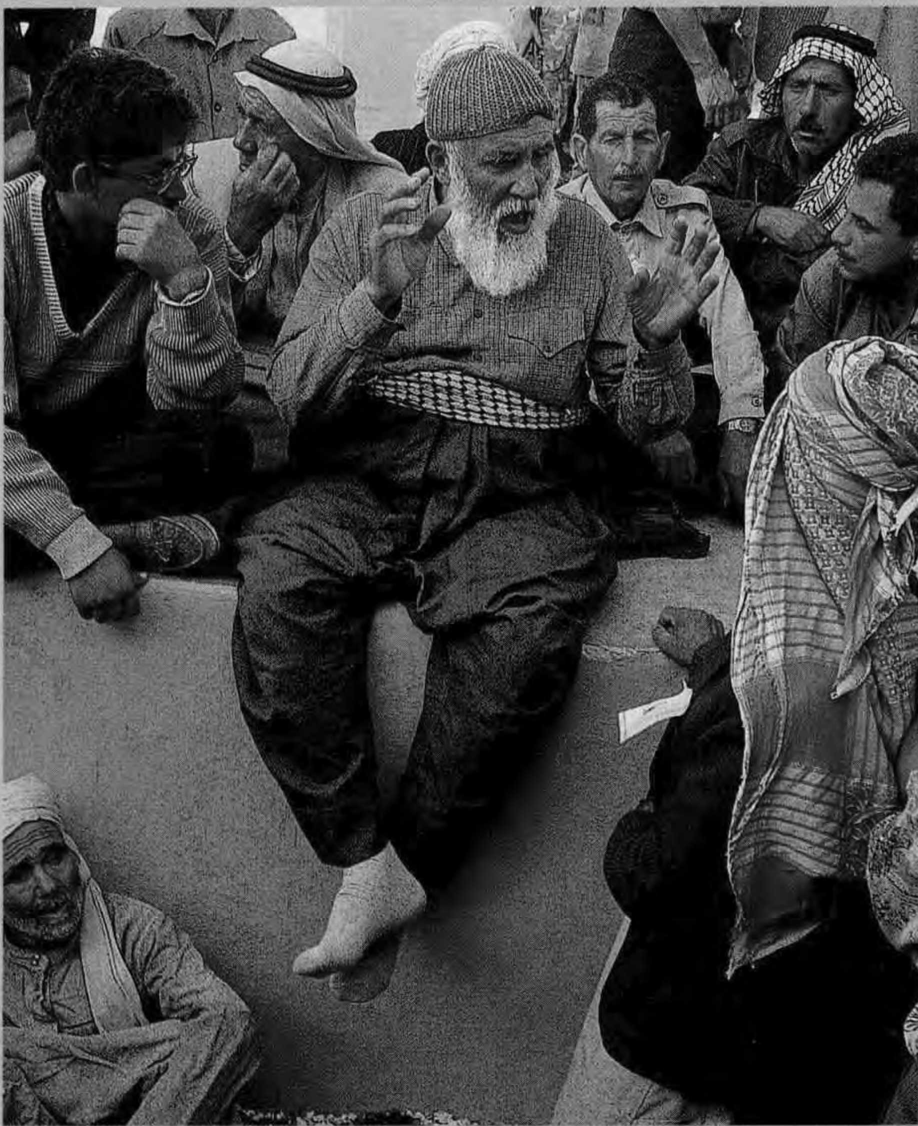


فـرض النظـام العـراقي قيـودا شـديـدة على الطعـام والماء والـوقـود بـالنسبـة للكـردسـانيين

على أنها كانت قـرى موجودة في الماضي، قريـة تلو الأخـرى، قام العـراقيـون بنسفهـا بالمتفجـرات أو قصفها بالقنابل أو تسميم الجماعات باسم قمع تمرد الأكراد، ونُقل السكان إلى مراكز إسكان جديدة. وحتى الآن بإمكـان الفرد رؤيـة تجمعـات سكانيـة مكشوفة ومحاطة بالأسلاك حيث كان الناس الذين عرفوا بأن لا سيد لهم كانوا يسجنون ويراقبون.

وكـان الأكـراد يُـرغمـون على حفـر القبـور الجماعية، وتتراوح تقـديرات الموتى والمفقـودين بين مائة ألف وثلاثمائة ألف شخص، وقد كشف تقرير لـلأمم المتحـدة عن أن الـوحشية والفظـاعـة التي ارتكبت على يد نظـام صدام كانت «مخزية للغـاية» ولم تحدث منذ انتهـاء الحرب العالميـة الثانيـة. ومن بين كل المراكـز المدمرة والمهجـورة يصر الأكراد على أن الـزائر يجب أن يـرى مكـانين هما قـلات ديـزاه وحلبجة.

وقـد جاء دور قـلات ديـزاه في يونيـة ١٩٨٩م وكـانت البلدة عبـارة عن سـوق كبير بالقـرب من الحدود الإيـرانية، ومن المحتمل أنها أظهـرت نزعـة نحـو الاستقـلال أزعجت مخططي السيـاسـة في العراق، لـذا جعلوا المكـان عبرة لمن لا يعتبر، فقد



الكردي ميل عبد الرحمن (٩٨ سنة) الذي يحكي للأولاد والأحفاد - قال إنه لن يعيش حتى يرى كردستان الحرة وتوفي منذ شهور

○ قبور جماعية لم تحدث منذ الحرب العالمية الثانية

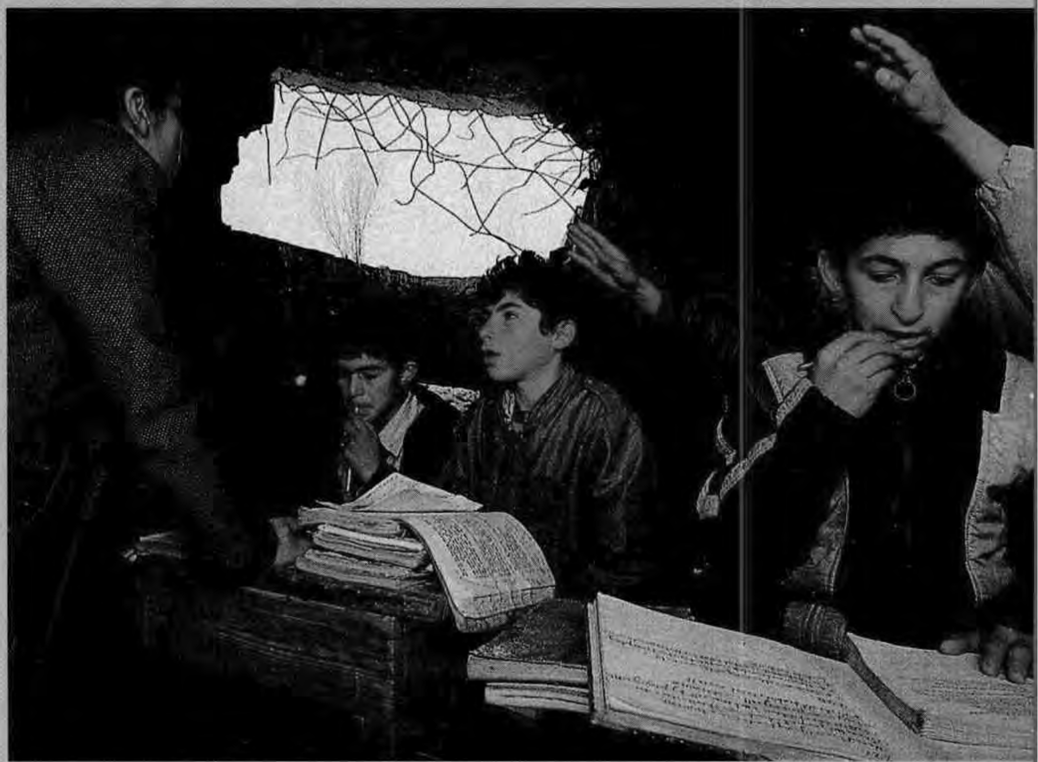
أحضروا الحفارات والمتفجرات، وبعد طرد السكان - نحو ٧٠,٠٠٠ شخص - سُويت البلدة بالأرض من منزل لآخر، فقط الأشجار تُركت قائمة. وبعد مـرور فترة مـن الـوقت، وجـد كثير مـن السكـان السابقين أن الحيـاة غير ممكنه في مخيمات الـلاجئين قرب الحدود، لـذا عادوا ثـانية ليسكنـوا الأطلال، يخدمهم مستوصف مجاني وحيد يديره طبيب يُدعى عثمان سـالم يحاول أن يقطع الطـريق على الملاريـا والتيفـود وسوء التغـذيـة، وهي الأعـداء، الثلاثـة للطبيب والتي يحاول أن يحاربها بموارد تبلغ صفرًا في الغالب.

ويقـول الطبيب: «لا شيء تقـريبًـا يمكن تقديمه للناس في قلات ديزاه، وحتى جهود الإغاثة الغـربية التي تنشر مـلايين الدولارات في عمليـات ناجحة لم تصل إلى هنا، والأحيـاء الباقون يواجهون شتاءً صعبًا مع مياه غير نظيفة وطعام قليل مع عدم وجود كميات كافية منها».

مأساة حلبجة

أما حلبجة فقد دخلت عـالم الشهرة فجأة منذ يوم ١٦ مارس من عـام ١٩٨٨م، عندما انطلقت قاذفات القنابل العـراقية وأطلقت على سكانها غاز الأعصاب وغـازات أخرى سامـة، وفي تلك الغارة قتل ستة آلاف شخص.

وتقـول السيدة أمينـة محمد أمين: «لقـد رأيت القنـابل تسقط وتنفجـر، وحـاولت الخروج من المدينة، ولكن عندئذ شعرت بإحساس حارق على جلدي وفي عينيّ».



أطفال قرية بنجوين يدرسون بين الأنقاض المكتظة المتجمدة والتي تبقت بعد قصف الجيش العراقي عام ١٩٧٠م.

وكانت النتيجة أنها عـانت حروقًا من منتصف رَبْلَة الساق حتى الإبط، المنطقة كلها كانت ممتلئة بحروق متـوهجة كـالنار، وكانـت مازالت تحترق، كان من الصعب ألا أنظـر، وكان من الأصعب أن أنظر.

وتضيف السيدة أمينـة أن الهلال الأحمر أخذها إلى مستشفى في إيـــران، وبعــدهـــا انتقلت إلى مستشفى لنـدن لمدة خمسة شهـور ولكن الحروق في حاجة لأن تُعالج كل يوم، وفي هذه الغارة قُتل ٢٥ فردًا من عائلتها.

وخوفًا من السقْط الناتج عن العمل الطائش، دخلت قوات صدام حلبجـة وحملوا كل دليل أو في الغالب معظم الأدلة، ولكن في مبنى أصابه الضرر من الغـارة الجوية، وفي جـانب من الـدور السفلي سقط من قاذفة قنابل تابعة للقوات الجوية العراقية قنبلة على أحد جانبيها علامات من الإسْتَنْسيل، لم يلتفت إليها جنود صدام ولكنها كانت شاهدًا كافيا على جرائمه.

وهكذا كانت هناك القنبلة وكان هناك الأحياء الذين يذكرون وسيسردون ما حدث على الدوام.

وعود كاذبة

يستطيع الكـردي المتعلم أن يحكي لأولاده عن تضليل الـدولتين الاستعماريتين بـريطـانيـا وفـرنسـا لـلأكـراد، وعن تـدخل إسرائيل في كـردستـــان لإضعاف الأنظمـة العربيـة، وكذلك عن الـوعود التي منحتها الـدولتان العظميـان في الحرب الباردة والتي تحولت إلى زيف.

وحتى الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون كان قد تحدث عن وعـود بشأن استقلال كـردي في نقاطـه الأربع عشرة التي جاءت في أعقـاب الحرب العالمية الأولى، ولكن شيئًا منها لم يُنفذ.

وينظـر الأكراد إلى الـولايات المتحـدة على أنها المنقذة القديمة من المظالم، وكان الرئيس ـ السابق ـ بـوش قد أظهـر تعـاطفًـا معهم خـلال «عاصفـة الصحـراء»، ولكن نقص الدعـم المتوالي تـركهم في حيرة من أمــرهم، كـذلك يبـدو أن السيـاسيين الغربيين غير قادرين على تقدير عمق حنين الأكراد لأرض الوطن.

وكان عدم وجـود أرض وطن اختيارية من أي نوع للأكراد قـد جعلهم دائمي الهجرة لأي مكان. وفي ألمانيـا يعيشـون في حـزام المصانع الممتـد بين منطقتي سبانداو وشـارلتون بيرج، وهم يعملون في مصـانع فولكس فـاجن وسيمنز وأوسرام وغيرهـا. والحكـومـة الألمانية لا تنظـر إليهم على أنهم أكـراد ولكن على أنهم يحملون جـواز سفر تركي، ويتركز الأكراد أساسًا في مناطق معينة مثل كروز بيرج.

ويعـاني أولئـك المهـاجـرون مـن الفـاشيين الألمان الذين يطلقون النار على الأجانب ويكتبون الكلمات المعادية على جدران منازلهم.

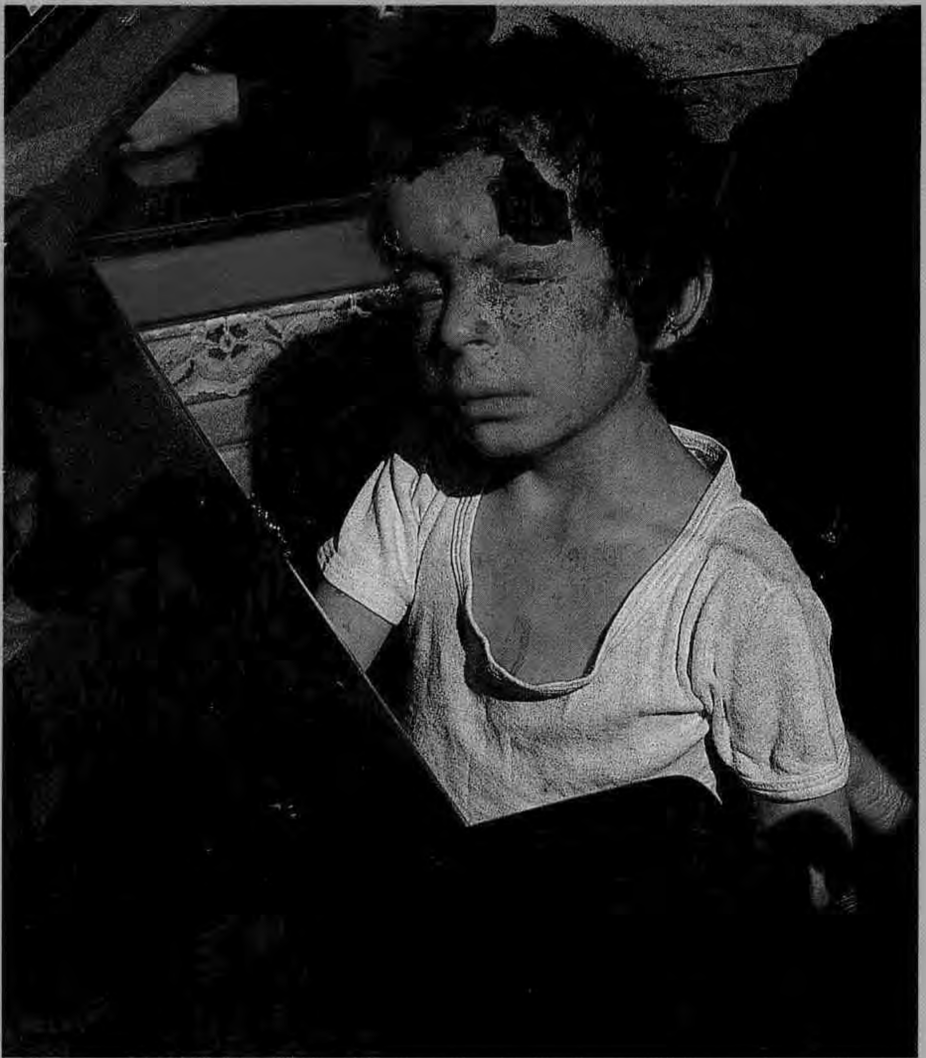
وقد قمت بزيارة إلى هنبون وهي مركز للنساء في سبـاندو أُسس في الأصل لتعليم القـراءة والكتابـة ولكنه الآن يستخـدم كمركـز للمعيشة الجماعيـة في الأيـام الصعبة، ومعظم الأكـراد جاءوا من مكـان يسمى ميس في منطقـة بحيرة فـان في شرق تـركيـا وتستطيع غـالبيتهم التحـدث بالألمانية ولكنهم لا يكتبـونها، لذا يحتـاجـون إلى مسـاعدة عنـد تعبئـة البيـانـات الـرسميـة، وحتى في المدارس لا تعتبر الكردية لغة. وفي المركز يتم تعليم النساء الكرديات كيف يصبحن ربـات منـازل وسيـدات عـامـلات يشعرن بالأمان.

من الصعـب على أي غـــريب أن يـــدرك أسـاسيـات النمط الثقـافي الكـردي وذلك لسبب واحد، فعلى الرغم من أن معظم الأكراد الذين هم مسلمون ينتمون في غالبيتهم إلى الطائفة السنية، إلا أن بعضهـم شيعـة

بالإضافة إلى هذا، فإن اللغة الكردية نفسها مقسمة إلى لهجـات ولهجـات فرعيـة، فـالأكـراد في شمال العـراق وشرق تـركيـا والاتحاد السـوفييتي السـابق يتحدثون Kurmanji، بينما الأكراد الذين يعيشون في غرب تركيا يتحدثون Zaza، وفي جنوب العراق تسـود لهجـة Sorani، وفي إيـران تـوجـد لهجتـا Guran و Laki، غير أن الأكـراد يستطيعـون



كردي يحتضر من إصابته الناتجة عن انفجار لغم عراقي



طفل في السابعة من عمره، أصابته قنبلة فوسفورية بالعمى التام

التعرف على اللغة الكردية في أي لهجة.

ويعكف العلماء في المعهد الكردي في باريس الآن على إنتاج قاموس كردي - فرنسي يحوي نحو ٥٠,٠٠٠ كلمة، وبرغم اختلاف اللهجات وتنوعها، يرتبط السواد الأعظم من الأكراد بنوع من الموسيقى والأغاني الكردية، فأشرطة التسجيل التي تحمل أغاني لمغنٍّ سوري كردي يدعى جيوهان هاجو تنتشر في كل أنحاء المنطقة.

كردي لكل الفصول

الأكراد الذين اتخذوا من الولايات المتحدة وطنًا لهم، يعيشون في كاليفورنيا وتكساس وبروكلين ونيويورك حيث تمثل المكتبة والمتحف الكردي نقطة مركزية للصناعات والشؤون الكردية.

ويعيش غالبية الأكراد بالقرب من سان دييجو حيث بدؤوا في الاستقرار بعد فشل آخر تمرد كردي في العراق عام ١٩٧٥م، وكان الراحل مصطفى بارزاني - والد الزعيم السياسي الحالي مسعود بارزاني (زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني) - قد جاء إلى الولايات المتحدة أولاً متبوعًا بمئات قليلة من بطانته.

○ قاموس كردي/فرنسي - قيد الإعداد - يحوي خمسين ألف كلمة

وكنت - والكلام لكاتب المقالة - تقريبًا قد تخليت عن حلم العثور على كردي نموذجي، إلى أن قابلت الشيخ طالب برزنجي في لوس أنجلوس وكان واحدًا من أتباع الزعيم مصطفى بارزاني، والشيخ نفسه من منطقة السليمانية، وهو يُقسم وقته حاليًا بين إدارة مغسلة في لوس أنجلوس وهو عمل لا بد أن يؤديه لكي يعيش، وبين كتابة المسرحيات وترجمتها، وقام بالفعل بترجمة مسرحية «تاجر البندقية» لشكسبير إلى اللغة الكردية. ولكن أيامه حافلة بمسؤوليات لا نهاية لها بحكم أنه كردي، فهو يشرح للصحف وقنوات الإذاعة من هم الأكراد، وكم من الوقت مر عليهم وهم يحاربون، بجانب جمع التبرعات للاجئين.

وفي البداية بدا لي حديث الشيخ غامضًا، ولكن عندما تمعنت فيه فهمت بالضبط ما يعنيه وهكذا في رأيي - يقول الكاتب - يكون الرجل المسن المتمسك بكرديته في اختيار من البيئات غير المكترثة والمعادية هو بالفعل الكردي لكل الفصول.

عن مجلة ناشيونال جيوجرافيك

الغدة الدرقية وتأثيرها على الجسم الإنساني

بقلم: د. محمد هنيدي الحريري

الغدة الدرقية عضو مهم من مجموعة ما يدعى بالغدد الصم، هذه الغدد تفرز إفرازات داخلية تدعى الهرمونات، لها تأثيرات شتى في الجسم، وتختلف هذه التأثيرات حسب نوع الغدة، ووظيفتها المكلفة بها لخدمة البدن. ونحن هنا نقتصر على الغدة الدرقية، وتأثيرها على جسم الإنسان.

تعد الغدة الدرقية من أكبر الغدد الصم، وتزن عند البالغ نحو ٢٠ ـ ٣٠ غ، وتنشأ في المرحلة الجنينية، مما يدعى الوريقة الداخلية.

وتظهر الغدة على الوجه الأمامي السفلي من العنق أمام الرغامي، وهي في شكلها تشبه درقة المحارب، ومنها استمد اسمها، وتتكون من فصين جانبيين، يصل بينهما برزخ يدعى **المضيق** Isth-mu's شكل [١]، وفي بعض الأحيان يشاهد على الحافة العلوية للمضيق استطالة عمودية هرمية الشكل تدعى الفص الهرمي **Lubus Pyramidalis**، له دور مهم في النُكاس بعد العمل الجراحي.

يكون حجم الغدة في الإناث أكبر مما في الذكور، كما يكون وزنها عند المولودين كبيرًا بالنسبة لأجسامهم، ومع ذلك فإن وزنها يتغير حسب مكان ولادة الطفل، فوزن الغدة في الأطفال المولودين في السهول يقارب ٥٥/ ١غ، وفي الأطفال المولودين في الجبال يقارب ٤/١ ـ ٦ غ.

وللغدة الدرقية تروية دموية غزيرة، بالنسبة لوزنها، ويبلغ الدم الوارد لها ما يقارب ٤٠ ـ ٦٠ مل في الدقيقة، يزداد في حالات فرط نشاط الغدة الشديد إلى ما يقارب ١٠٠٠ مل/ د. وهذه الكمية تعادل ربع نتاج القلب تقريبًا، كما تعادل كمية الدم المار إلى الكليتين معا.

وتتغلف الغدة بمحفظة، ويحيط بها أيضًا غمد صفاقي، يتمادى مع صفاق العنق المتوسط، ويفصل المحفظة عن الصفاق فراغ مملوء بنسيج ضام رخو، يساعد على تسليخ الغدة أثناء العمل الجراحي.

تتكون الغدة نسيجيا من جريبات تحاط بنسيج ضام، والجريبات خلاياها ظهارية منظمة بطبقة واحدة، يتغير شكلها من مكعبي إلى أسطواني إلى مسطح حسب نشاط الغدة، وهذه الجريبات تمتلئ عادة بمادة غروية لزجة شفافة، تشبه الصمغ تدعى الغراء الدرقي شكل [٢]، كما وجد خلايا مميزة حول الجريبات تدعى بالخلايا حول الجريبات أو الخلايا Calle.



شكل رقم (١) الغدة الدرقية تشريحيا

وظيفة الغدة الدرقية

تقوم الغدة بتكوين ثلاثة هرمونات:

١) **التيروكسين** Thyroxine ويلخص بـ (T4)

٢) **التيرونين ثلاثي اليود** Trijodthyronin ويلخص بـ (T3)

٣) **التيركاسيتونين** Thyrocalcitonine

وهذا الأخير يتكون في الخلايا حول الجريبات، وهو ينقص كمية الكالسيوم في المصل الدموي بشكل مباشر وسريع، كما يثبط من امتصاصه في العظام بشكل عابر أو قصير.

أما الهرمونات الآخران فيؤثران في عملية الاستقلاب الخلوي بشكل عام، وإذا تركنا الهرمون الثالث المحدود العمل، فإننا نستطيع القول إن الوظيفة الرئيسة للغدة الدرقية تقع في تركيب الهرمونين الأولين، ثم خزنهما وإفراز الكمية اللازمة للاستقلاب الخلوي في الجسم.

ويحتاج الإنسان لتركيب الهرمونات الدرقية إلى عنصر معدني هو اليود، الذي يُعَد حجر الأساس لهذا البناء، ويُحْصَل عليه عادة من الطعام والشراب، وتقدر الكمية الكافية للجسم بما يقارب ٧٠ ـ ١٥٠ ميكروغرام يوميا، كما تقدر كمية اليود المستعملة خلال حياة الإنسان بثلاثة غرامات يوميا، واليود الذي تستعمله الغدة يؤخذ من الدم بعد امتصاصه في الأمعاء، ثم يُخزَّن في الغدة الدرقية، وهنا يُوكْسَد وبعدها يتحد مع أحين ثنائي اليود، ثم يحدث عملية اندماج بين جزء من التيروزين أحادي اليود مع جزء من التيروزين ثنائي اليود، فيتكون تيروزين ثلاثي اليود والذي هو الهرمون(T3)، كما يتجد جزآن من التيروزين ثنائي اليود مع بعضهما ليتكون تيروزين رباعي اليود والذي هو الهرمون (T4).

هذان الهرمونان يرتبطان أثناء تخزينهما في الغدة ببروتين سكري يدعى **غليكوبروتين** Glykoprotein، ويخزنان بشكل تيرغلوبولين Thyeoglobulin، وعند الحاجة وبتأثير الهرمون الحاث للدرق، (TSH)، والمفرز من الفص الأمامي للغدة النخامية والذي يحرض الخمائر الحالة للبروتين، يتحرر هرمونا الغدة وينطلقان في الدم.

وتخضع الغدة الدرقية لتنظيم وظيفتها لعوامل فيزيولوجية عدة، أهمها ما يدعى **بمحور ما تحت السرير البصري** Hypothalamus ـ الغدة النخامية

ـ الغـدة الدرقية ــ مقدار الهرمون الـدرقي واليود في الدم .

فمن مراكز في منطقـة ما تحت السرير البصري وبطريق عصبي هـرموني، يُفـرَز ما يسمى **بالهرمون المطلِق** لمغذي الـدرق (TRH). وهـذا يصل إلى الفص الأمامي للغدة النخـامية، وهذا يحرض على تكوين و إطـلاق الهرمون الحاث للـدرق إلى الدم، وهـو بدوره يـؤثر على الغـدة الدرقيـة، فتزيـد من تركيب و إطـلاق الهرمونات الدرقيـة للدم، وزيادة هـذه في الـدم يـؤثـر بشكل مثبط لتركيب الهرمـون الحاث للدرق في الغدة النخامية شكل [٣].

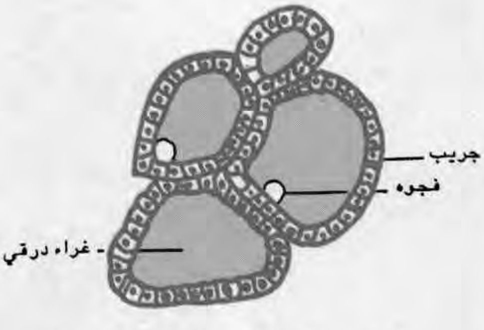
أمـا كم يـؤثـر الهرمـون الـدرقي في كبح إفـراز الهرمـون المطلـق لمغـذي الـدرق مـن تحت السريـر البصري ؟ فلم يمكن توضيحه وتقديره إلى الآن .

والغدة الدرقية تكون (T4)أكثر بكثير من (T3) ونسبة (T3) إلى(T4) في المصورة الـدموية تقـدر بـ (٧٠/١) أي واحــد على سبعين وقـد وجــد أن ٩٩,٩٪ من (T4)و ٥٪ من (T3) يكونان مرتبطين ـ كما ذكـر سابقـا ـ بشكـل تيروغلوبيلين، وبما أن الشكل الحر هــو الفعــال فقط في الاستقــلاب الخلـوي، فإن هـذا يفسر لماذا (T3) يؤثـر بشكل أسرع على الاستقلاب من (T4) .

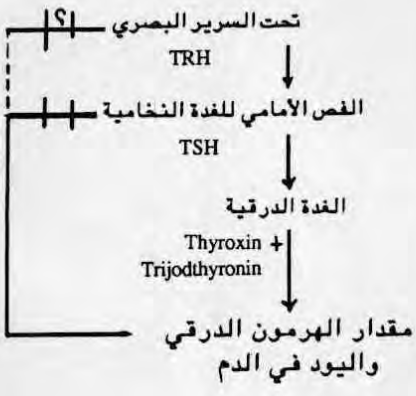
أما بالنسبة للفرق في التأثير بين (T3) و (T4) فإنـه لم يمكن إثبات أي فـرق بينهما، ولذلك فإننـا عندمـا نتحدث عن تأثير الدرقيـة على الجسم تبعًا لنشـاطهـا، سنطلق اسم الهرمــون الـدرقي ونعني بذلك الهرمونين السابقين معًا .

وعندما تعمل الغـدة الدرقية بشكل طبيعي لا نشـاهـد أي اضطــراب في عمل وظـائف أعضـاء الجسم، ولكن هذا الاضطراب يظهر بشكل واضح تبعا لزيادة أو نقص نشاط الغدة ، **فقصور الإفراز الدرقي** يؤدي عند الأطفـال إلى الإصابة **بالفدامـة**، وهي نوع من أنواع القـزامة المترافقـة بالبلاهـة، كما أن نقصـه عنـد الكبــار يحدث مـا يـدعى **بالوذمة المخـاطية، والتي تتصف ببطء عـام، وخاصـة في التفكير، مع التعب السريع ونقص الاهتمام بالمحيط الخارجي، مع عدم تحمل البرد، وشحـوب وانتفاخ الجلـد، خاصـة في الـوجه والجفنين، مع أعـراض أخرى، ليس هنا مجال لذكرها كلها .**

أما **فـرط الإفراز الـدرقي** فيؤدي إلى أعـراض



شكل رقم (٢) الغدة الدرقية نسيجا



شكل رقم (٣) الآلية المنظمة لوظيفة الغدة الدرقية

معاكسة، مثل زيادة عصبيـة الإنسان واضطرابه، مع ارتجاف في اليــدين وتسرع دقـــات القلب، وزيادة شهية المريض على الرغم من نقصان وزنـه ، وعـدم تحمل الحرارة، واضطراب النـوم مع زيـادة التعـرق، وتسـاقط الشعر، وأعـراض كثيرة أخـرى تتبع نوع إفراط النشاط الغـدي .

التشخيص

تشخص أمـراض الغـدة الـدرقيـة بـالقصـة المرضيــة، والفحص السريــري الــدقيق أولاً ثم بالفحـوص المكملة، وهي تخطيـط الغدة الـدرقية بالومضان Szintigramm، واختبـار اليـود المشع وعيار الهرمونات والبزل بطريقة المص والأمواج فوق الصوتيـة . وقبل إنهاء هذا البحث فإنه من الضرورة بمكـان إعطـاء لمحـة سريعـة عن أمـراض الغـدة الدرقية .

١) السلعة الدرقية ذات الوظيفة السوية : وهنا يشـاهد ضخـامـة في الغـدة، مع نشـاط هرمـوني طبيعي، وسببهـا يعـود إمـا إلى نقص اليـود الـوارد للجسم، أو زيادة الحاجة للهرمون الدرقي مع عدم الحصــول على زيـادة منــه، وقـد يكــون السبب اضطـراب في استعمال اليـود داخل الغـدة ذا منشأ ولادي أو خارجي .

٢) قصور الغدة الدرقية : وله نوعان : ولادي ومكتسب . وقد سبق ذكر هذا المرض .

٣) فرط نشاط الغدة الدرقية : وهنا يقسم إلى ثلاثة أنواع :

- سلعـة مع فــرط نشـاط الغـدة الــدرقيـة Hyperthyreose
- داء موربـوس بازدو M. Basdow . وهنا يشاهـد بالإضـافة لأعـراض فرط النشـاط الهرموني للغدة جحوظ واعتلال عيني .
- النوبة الدرقية Thyreotoxische : وهذه قد تحدث بعد استئصال غدة درقيـة مفرطة النشاط وغير مهيأة جيـدًا، أو بعد علاجهـا باليـود المشع، كذلك من المحتمل حدوثها بعد إنتانات شديدة أو اضطرابات عاطفيـة .

٤) أورام الغـدة الدرقيـة : وهي نوعـان :

أ) حميدة Adenom .

ب) خبيثة Malignom .

٥) التهابات الغدة الدرقية : ولها ثلاثة أنواع : **حاد، تحت الحاد، مزمن، وقد عددت أمراض هذه الغـدة لكي لا يخطـر على بـال القـارئ أن للغـدة الدرقية مرضا واحدا وبالتالي علاجا واحدا .**

المعالجـة

تعالج أمراض الغدة الدرقية بثلاث طرق :

١ ـ الـطريقة الدوائيـة وهي تختــلف حسب إصابة الغدة .

٢ ـ الطرق الجراحية .

٣ ـ الـعـلاج باليــود المشـع . كما قـد تشترك طريقتان في العلاج معًا .

فسبحان الله الـذي كون الإنسـان على أحسن تقويم، وجعل لنا في أنفسنا عبرة للمعتبر والسلام .

المـراجـع

1. Chrurgie von M. Reifferscheid u. Siegfried W. 1986.
2. Current Of Surgery 1985.
3. Chirurgische Thrapie Pichlmayr, Grotelschen 1978.
4. Spezielle Chirurgische Therapie M. Saegesser 1976.
5. Spezielle Chirurgie für Praxis Baumgartel, Kremer, Schreiber 1972.
6. Lehrbuch der Chirurgie : Hellner, Nissen, Vosschulte 1970.



الفقمة

في آخر خطوطها الدفاعية!

الفقمة الشهيرة بـ«فقمة الناسك» بدأت أعدادها في التناقص، ولهذا السبب خصصوا لها جزيرة في هاواي لكي تتناسل وتتزايد.

تخاطب الإناث صغارها بأصوات تتراوح بين الفأفأة والنخر. تطرح إهابها القديم مرة كل عام لتتجدد فراءً جديدا، ذلك الفراء الذي كان سببًا في ذبحها بأعداد كبيرة.

هذه هي فقمة الناسك التي كانت تعيش في أسراب عديدة في البحر المتوسط والكاريبي والمحيط الهادي وتقترب الآن من الانقراض، تعيش الآن في آخر ملجأ لها في جزيرة صغيرة في هاواي اسمها French Frigate Shoal التي تبدو على


أثناء قتال الأم مع الذكر الغريب يبقى الوليد في رعاية ثلاث إناث من فقمة الناسك

شكل منقار مالك الحزين .

يطلق بعضهم على فقمة الناسك اسم «الحفريات الحية» فهي قديمة عمرها ١٥ مليون سنة، وهي نادرة وخجول تبدو في الغالب غامضة، وقد كانت البوادر الأولى للفقمة وأسود البحر التي سجلها **أرسطو،** كذلك كانت أول نوع من الفقمة التي شاهدها **كولمبس** في العالم الجديد، ومن وقتها بدأت عمليات ذبحها بأعداد كبيرة بسبب فرائها الثمين، وقد شوهدت آخر واحدة من هذا النوع في البحر الكاريبي عام ١٩٥٢م.

للفقمة رأس بصليّ الشكل، مُغطى بشعر فضي، به عينان سوداوان، وخَطْم به فتحتان للأنف تبدوان مثل علامتي الاستفهام عندما تكونان مفتوحتين إلى آخرهما، وأذنان صغيرتان ضيقتان، أما لونها فبني داكن تشبه شعر الحصان بغض الشيء، والبطن أصغر شاحب، أما الصدر فأخضر بسبب طحالب الماء.

وتطرح هذه الفقمة إهابها القديم مرة كل سنة، لذا يبدو فراؤها لفترة من الوقت ذا لون رمادي داكن ضارب إلى الأرجواني.

مشكلة مع العطس !

تستطيع فقمة الناسك أن تظل عشر دقائق دون تنفس، فهي تأخذ شهيقًا وزفيرًا ثلاث مرات في موضع مسلوخ عند الجلد، ثم يظل صدرها بدون حركة عشر دقائق، وعندئذ ترفع رأسها الثقيل و«تعطس» بصوت مرتفع مع ثني رقبتها في حركة واسعة، ثم تستقر على الرمال. وتعاني من وجود مخلوقات صغيرة جدًا في أنفها، وهو ما يبدو أنه يسبب لها مشكلات في الفجوات الأنفية، لذا «تعطس» بصوت عالٍ.

ولأنها تتناول طعامها ليلاً، تقضي النهار في الاستمتاع بحرارة الشمس، ولكنها تحفر ممرات عميقة في طبقات الرمال الرطبة وخاصة عندما تنطلق إلى الماء عندما تضايقها الحرارة الاستوائية.

وعلى عكس أنواع الفقمة الأخرى التي تميل إلى الازدحام، تميل فقمة الناسك إلى العيش في مجموعات صغيرة وهي أكثر عزلة وميلاً إلى الوحدة.

وتختار فقمة الناسك العيش في المياه الضحلة وذلك لحكمة في موضعها، ذلك أن نوعا من أسماك القرش تتراوح أطوالها بين ١٠ و١٦ مترًا تجوب المياه العميقة في شمال الجزيرة بحثًا عن صغار الفقمة والطيور ولكنها لا يمكن أن تكشف عن نفسها في المياه الضحلة، وبالتالي لا تقترب منها.

حديث متبادل

تختار الفقمة مكانها على الشاطىء بعناية وتتوخى أن يتميز بالمياه الضحلة، وعندما تخاف من الإنسان على صغارها تبحث عن مكان آخر يوجد به أقل عدد من الناس.


صغير فقمة الناسك وقد قضم القرش جزءًا منه

تصدر الإناث أصواتًا تتراوح بين الانعطاف الحاد والنخر - مثل الخنزير - والفأفأة وحتى الصراخ العالي، وتتقاسم الأمهات والصغار القسم الأكبر من الأصوات المتبادلة بينها.

وقد شوهدت إحدى إناث الفقمة وهي تنادي صغيرها ولم يلبث الصغير أن رجع بسرعة كبيرة من الرمال ثم تهادى في مشيته إلى الماء واتجه صوبها.

وللحصول على الطعام، تغطس فقمة الناسك على عمق يتراوح بين ٣٥ و١٢٥ مترًا بين الشعاب المرجانية للبحث عن المحار المكتنز، وعندما تحصل عليه ترفعه إلى سطح الماء ثم تكسره وتأكل الذيل الغض الريان.

كذلك تشمل وجباتها الإنكليس والأخطبوط وبعض أسماك الشعاب المرجانية.

حشد الغوغاء

اكتشف العلماء أن فقمة الناسك تمارس «طرق التربية الحديثة»، فعندما تقترب الأمهات الحاضنات بعضهن من بعض المحتمل أنهن يتبادلن الصغار فيما بينهن حتى لا يمكن معرفة «من ابن من ؟» وهذا نوع من الإيثار.

ولمدة أربعين يومًا تقوم الأنثى بإرضاع صغيرها وتظل هي بدون طعام، وخلال هذه الفترة يزيد وزن الصغير إلى ما بين ١٢٥ و١٧٥ رطلاً بينما تفقد الأم نحو ٣٠٠ رطلاً، وفي نهاية فترة التجويع هذه تذهب إلى حفل طعام تعويضًا عما فقدته من وزن. ثم تجد الأنثى ذكرًا آخر وتبدأ الدورة ثانية، وبعد ذلك تقضي سبعة أو عشرة أيام في طرح الإهاب القديم عنها.

ويلاحظ أن عدد الإناث أقل من عدد الذكور وهي ظاهرة طبيعية يُطلق عليها اسم «حشد الغوغاء»؛ فقد يهاجم عدد كبير من الذكور - عشرون ذكرًا - أنثى واحدة ويزاوجونها، ويستغرق هذا الأمر عدة ساعات، وخلال هذا يسلخون جلدها وينتزعون الدهن من العضلات.

وفي بعض الحالات يُكشَف العمود الفقري وأحيانًا تموت الأنثى بسبب هذه الجروح.

عن مجلة
National Geographic



بقلم: د. حسن ظاظا

تخبط صهيوني

أكتب من باريس منذ عدة أشهر، خلال رحلة علاجية بدأت بجراحة دقيقة في فقرات الظهر، اقتضت أن أقيم شهرا في المستشفى، ثم عدة أشهر للعلاج الطبيعي، أتردد من أجله على مركز متخصص عدة مرات في الأسبوع، وأرجو ـ وأنتم بعافية ـ أن أنتهي قريبا من هذا العذاب.

وأتاحت لي هذه المدة، على الرغم من قسوتها، أن أخرج من قوقعتي قليلا، وأن أقرأ كثيرا من الجرائد الفرنسية، والصحف الإسرائيلية التي تصل إلى هنا بسرعة، وتباع في أكثر من مكان. وهكذا جلست في مقهى الحيّ اللاتيني، حيث عشت من شبابي سبع سنين عجاف أتلقى العلم من شيوخ (السربون).

وبدأت بالصحف الصهيونية، وماكدت أتصفح إحداها (يديعوت أحرونوت) حتى اقترب مني شاب وسألني بالعبرية، واحترام شديد: الشيخ من إسرائيل؟ ـ لا! ـ إذن يهودي؟ ـ لا ـ قال: اسمي (دان مزراحي) يهودي فرنسي، طالب في السربون، وأنت؟ قلت: اسمي حسن، أستاذ مصري، بالمعاش. فابتسم الشاب بلطف قائلا: طال عمرك ظننت من قراءتك جريدة عبرية أنك يهودي! قلت: أنا كما ترى أعرف هذه اللغة كما يعرف كثير من علماء اليهود اللغة العربية. قال: هل تحبّ اليهود؟ أجبت: اسمع ياعزيزي دان: لو أنك سألتني هل أكره اليهود، لأجبتك: لا، باستثناء الصهيونية ـ ولماذا؟ ـ لأنها ـ في رأيي ـ تنظيم سياسي رجعي متطرف استعماري يجاهر بالعداء للعرب. خذ مثلا هذا الخبر: طرد أكثر من أربعمائة عربي مسلم من أبناء فلسطين، وتركهم منفيين في عراء الأرض، تحت الثلج والعواصف، في الشريط الحدودي من صميم الأراضي اللبنانية، الذي تحتله إسرائيل. قال: لأنهم متطرفون إسلاميون من منظمة ـ (حماس) قلت: من أجبرهم على هذا التطرف؟ من أشعل نيران الانتفاضة منذ خمس سنين؟ أليس العسف والبطش والقهر الصهيوني؟ قال: لعلها تدبير أمني من جانب حكومة إسرائيل قلت: أنت فرنسي كما أخبرتني، ووطنك هذا مملوء بالعصابات: اللصوص، وتجار المخدرات، وسماسرة الدعارة، واللادينيين، وأعداء اليهود، فهل تستطيع فرنسا أن تسوق هذه الآلاف المؤلفة وراء حدود جيرانها: إيطاليا، إسبانيا، سويسرا، بلجيكا، أو ألمانيا؟ ألا يكون ذلك مثار حروب طاحنة مع أولئك الجيران؟ ثم إنك في الدين اليهودي ـ وفي الدين الإسلامي أيضا ـ لا تستطيع العقاب لمجرد الشبهة. وأنت تعلم مبلغ استنكار الرأي العام العالمي لهذا التصرف الأرعن، صادرا من هيئة الأمم المتحدة، وهي مليئة بجهابذة القانون من مسيحيين ويهود ومسلمين!

قال وهو يبلع ريقه متلعثما: ربما كان هذا التصرف نابعا من سيادة الدولة صحت: يا الله! أنت الفرنسي، أما قرأت من تصريحات الجنرال ديغول وهو يعلق على إنتاج فرنسا للأسلحة الذرية، والصواريخ الطويلة المدى، قوله: إن الهدف من هذا الإنتاج الهائل المكلّف ليس العدوان، فهو قوة ضاربة، أي قوة رادعة، أي قوة حارسة للأمن والسلام. وعلى إثر ذلك كان يعطي الاستقلال لجميع المستعمرات الفرنسية التي طالبت به، دون أن يلجأ إلى استخدام هذه (القوة الضاربة) لإقرار الأمن، وفرض إرادته على مستعمرات تريد الاستقلال والدنيا كلها تعلم أن الدولة الصهيونية تملك الأسلحة الذرية، وتملك الفنيين الذين ينتجونها أو يستخدمونها، وسيادة الدولة التي تشير إليها قد نال منها صمود أولئك المنفيين في الصميم. فإسرائيل التي تحلم بالسلام قد دمرت بنفسها خطوات طويلة في مباحثات السلام، دون أن تجني أية ثمرة من تصرفها مع أولئك الفلسطينيين العرب المسلمين. بالعكس، أصبح أمنها مهددًا أكثر مما كان، حتى بدأت تتخبط وتتناقض، فحصلت أولا على حكم من المحكمة الصهيونية العليا بجواز ذلك، ثم عادت فاستثنت سبعة من المرضى، والأحداث، وأعادتهم إلى فلسطين، معتذرة بأنهم كانوا ضحية خطأ من دوائر الأمن عندهم! لقد رأيت بنفسي في التلفزيون الفرنسي شابا من أولئك السبعة يقول لمندوب التلفزيون : إنه منذ عودته إلى أهله والدار يحاصرها جنود الجيش الصهيوني، وشاهدناهم فعلا أمام باب الدار! فهذا الولد العربي الفلسطيني يثير كل هذا الرعب في الحكومة الصهيونية؟ وأمام هذا الفشل، وأمام عاصفة الاستنكار العالمي لهذا الظلم، وأمام توقف الجانب العربي عن استئناف المحادثات التمهيدية للسلام، عادت الدولة الصهيونية تتخبط من جديد، فأعلنت عن استعدادها ـ إرضاءً للولايات المتحدة ـ لإعادة مائة من المنفيين إلى فلسطين وأبى المنفيون هذا الحل واتفقوا جميعا على البقاء في هذا الجو الشتائي الجبلي القاسي إلى أن يعودوا جميعا إلى وطنهم أو يموتوا جميعا. لقد رأيتهم في التلفزيون الفرنسي مرارا يصلّون الجمعة، ويصلّون الجماعة، ويرتلون القرآن، ووجدت من بينهم من يشرح القضية لمندوبي الإعلام بالإنجليزية أو الفرنسية بشكل واضح ولغة سليمة. فأنت ترى، يا مسيو دان، أن الصورة التي رسمها المسؤولون عنهم من أنهم مجرمون وجهلة ومتخلفون ومتسترون بالإسلام، لم تكن إلاّ كذبا وافتراءً.

فنقر الشاب بسبابته على المائدة وقال: أنا لا أدافع عن الصهيونية، فأنا فرنسي، وميولي إنسانية قبل كل شيء، لكن مادمنا نتحدث بصراحة فإن نسبة الجريمة في العالم العربي أكثر منها بين اليهود قلت بهدوء: هذا أيضا غير صحيح، لا في الجريمة ولا في التعصب العنصري ولا في الوعي الحضاري، فهم في إسرائيل يشكون في هذه الجرائد من تفشي المخدرات والسرقة وجرائم المال والاحتيال، والتزوير والتهريب. قال الشاب: لكن جرائم القتل هناك أقل بكثير. فقلت مجيبا إياه: إن الآلاف من الصبيان والنساء الذين سقطوا قتلى رصاص الشرطة الإسرائيلية أو بنادق الجيش الصهيوني، لم يدخلوا في الحساب، لأن العنصرية اليهودية هناك قد أهدرت دمهم، ولم يكن ذلك في حرب، ولم يطلقوا الرصاص أمام رصاص، أو ضد جنود محاربين، ولكن على نساء وأطفال لا يملكون للتعبير عن رفضهم للظلم والإذلال إلا الحجارة، وذلك بعد أن رأوا

العسكريين الصهاينة يقتحمون بيوت الأسر العربية فيطردونهم منها، ثم ينسفونها بالديناميت ويسلمون الأرض التي كانت عليها إلى مستوطنين جدد من أوكرانيا وبسرابيا وروسيا وليتوانيا ورومانيا وغيرها.

قال الشاب: ألا تظن أن تدفق أولئك المهاجرين اليهود على إسرائيل يمثل ظرفا مخفّفا للحكومة هناك؟ أجبته بأن ذلك يمثل ظرفا (مضخّما) لجريمة النيل من حقوق العرب، فالعالم الآن، فيما عدا بعض الأمم المتخلفة، قد استراح من حكم الدكتاتوريين يمينا ويسارا. فلم يعد هناك هتلر بنازيته الألمانية ولا موسوليني بفاشيته الإيطالية، ولا فرانكو في إسبانيا، ولا سالازار في البرتغال ولا ستالين أو بريجنيف في ما كان روسيا الشيوعية، ولا بيرون في الأرجنتين ولا حتى شاوشسكو أو ماركوس، وبدأ العالم يتنفس الصعداء ويستقبل عصرا من الشورى والديمقراطية والحرية والعدالة، وكلما عاود الحنين إلى العنصرية والعدوان بعض العقول المتحجرة هب في وجهها مدافعون عن كرامة الإنسان كما رأينا في انتفاضة سكان مدينة (روستوك) الألمانية في وجه نازية جديدة متحفزة، وكما رأيت يا أخانا (دان) من اشمئزاز الفرنسيين جميعا من عدوان أشياع ما يسمى (الجبهة الوطنية) وهي النازية الاستعمارية العنصرية التي يقودها في فرنسا المهرّج السياسي (جان ماري لُبين). هذا العدوان الذي راح ضحيته عدد من العرب المسلمين والفرنسيين اليهود في المطاعم والمقاهي ومواقع العمل والمدارس، بل تعدى ذلك إلى الموتى في مقابرهم، فانتهكت حرمة هؤلاء الأموات في عدة مقابر يهودية، وفي مقبرة عسكرية إسلامية تضم رفات جنود مسلمين مغاربة وأفارقة سقطوا في الحرب دفاعًا عن الأرض الفرنسية، ونحن نقول في المثل العربي: إن أول النار من مستصغر الشرر، والمجتمع الأوربي نفسه يشعر بالعار والخجل من تلك الحركات النذلة، لدرجة أن الزعامات التي تحرك هؤلاء المجانين دأبت دائما على أن تكذب وتتبرأ من عار هذه الجرائم! وفي إسرائيل الصهيونية فِرق متخصصة في قتل كل من يدعو إلى السلام بنشاط ملحوظ مهما كان عربيا أو يهوديا أو مسيحيا.

ورأيت جليسي الشاب يرفع عينيه إلى سقف المقهى حائرا، ويقول بصوت خافت: عجيب! فقلت له: هذه جريدة باريسية فرنسية أمامك، اقرأ يا سيدي: اختفى إبراهيم الشوش ممثل المجلس الوطني الفلسطيني في فرنسا هو وعائلته، ولم يخطر باريس بالجهة التي قصدها، وفي آخر نبأ من الشرطة الفرنسية أنه رحل فجأة إلى جهة غير معلومة بعد أن تلقى أخيرا عدة تهديدات بالقتل! فقال الصديق دان: ربما كان ضالعًا في عمليات عدوانية في داخل إسرائيل؟ فسألته: هل تعرفه؟ قال: لا قلت: فأنا أعرفه: هو شاب فلسطيني فنّان، درس الموسيقى الأوربية في فرنسا، وقدم حفلات في أرقى قاعات الاستماع في باريس، وفي كل تصريحاته الإعلامية - التي كان يمليها مرتجلا بلغة فرنسية على أعلى درجة من البلاغة - كان يؤكد تعلقه بالسلام بين العرب واليهود في فلسطين، وبالإخاء مع أمم البشر جميعا، وينادي بالإنسانية والحرية والعدالة. فابتسم (دان) قائلا: ربما كان العرب هم الذين هدّدوه فقاطعته محتجا: لقد كان يمثل منظمته هنا، وكان في إمكان المنظمة أن تعزله من منصبه وكفى الله المؤمنين القتال، ثم إنني - ومعذرة في ذلك - لاحظت أن كل تعليقاتك تبدأ بربما ولعل وقد يكون، وأريد أن أقول إن هذه الكلمات في أفواه الصهاينة تكفي لقتل العرب! فقاطعني مذعورا: أنا لم أفكر في ذلك قط!

أجبت: أنا متأكد من ذلك، ولكنهم هناك يقتلون بالشبهة، بعكس جميع الشرائع في العالم كله. فالمتهم أمام أي قانون بريء، حتى تثبت إدانته، وفي ممارسة نبينا محمد ﷺ للقضاء أن الشبهة تدرأ الحد، أي تفيد المتهم في إبعاد العقوبة عنه. وفي القوانين الوضعية الأوربية كم حكم القضاة بإخلاء سبيل المتهم بسبب (عدم كفاية الأدلّة)، وخليفة المسلمين عمر بن الخطاب يقول: البيّنة على من ادّعى، واليمين على من أنكر، فهذه كلها شرائع الحضارة، أمّا القتل للشبهة فمن شرائع الغابات وأعراف الهمج.

وبصراحة يا عزيزي دان لقد حيّرني أمر هذه الصهيونية. الحضارة المادية عندهم من أقوى المستويات المعروفة في الشرق الأوسط: الطاقة الذرية، الصناعات العسكرية، الهندسة المعمارية، الفنون والعلوم، الطباعة والنشر، ولكنهم بكل أسف مرتدّون عن شريعة موسى ووصايا الأنبياء، نعم! مرتدّون وكفّار. فقال محدثي: البينة على من ادّعى، قلت: انظر يا سيدي هذا الخبر، وهذا الإعلان في الصحف الصهيونية. يقول: تم الاتفاق على إنشاء مكاتب في جميع جهات العالم التي يعيش فيها يهود حتى يستطيع كل منهم أن يراسل (الله) سبحانه وتعالى - إي والله! - أن يبعث إليه جل شأنه رسالة بطريق (الفاكس) يأخذها موظف رسمي خاص ويدسّها في بعض شقوق (حائط المبكى)! تصور يا عزيزي دان، الله الذي يسمونه (الأبدي) ينزل معهم إلى ذلك الحضيض؟ قال: لأنهم يصفون أنفسهم ــ أو نحن اليهود ــ نسمي أنفسنا (الشعب الأبدي). صحت ضاحكا: وهذا أشد كفرًا، فلا تشاركه - جل وعلا - في أبديته نزوة شعبية حتى لو كانت من اليهود، إلا إذا كانوا قد تخبطوا في معنى (الأبدي) حتى أصبح عندهم بمعنى (المؤقت)؛ فليذهب المؤقت إلى الشيطان، ويظل (الأبدي) منزها عن الشريك حتى في أبديته تعالى.

قال: أنا بكل أسف غير متبحر في هذه الأمور اللاهوتية، ولو كان معنا أحد أحبار التلمود لشرح لك الموضوع. أجبت: أنا لا أثق بعلماء التلمود المعاصرين. وبهذه المناسبة اقرأ يا سيدي: أفتى مجلس من رجال الدين اليهودي (الأصوليين) بتحريم الفيديو - حتى للأغراض التعليمية، بل قالوا إن الجرائد المطبوعة حرام أيضا، ويلحق بذلك كل مستحدثات الحضارة التكنولوجية المعاصرة، فكلها في نظر الشريعة اليهودية رجس من عمل الشيطان. فرفع كفيه بارتياح وقال: هم أحرار. قلت: أنا أتحدّاهم أن يفتوا بأن القنبلة الذرية حرام، وأعرف مقدما ملخص الفتوى! قال: وما هي؟ قلت: سيقولون (فيها قولان) فهي إن نزلت على دمشق أو القاهرة أو المدينة المنورة أو ما يشاكلها من بلاد المسلمين فهي حلال، أما تفجيرها في أحد بلاد الكفار (الغوييم) فإذا كانوا يؤيدون إسرائيل فهي حرام، وإن كانوا ضد إسرائيل حلّت وعليها أجر وثواب، وإن كانت على بلد يتجاهل إسرائيل فلا مسؤولية على استخدامها لأن الكفار (الغوييم) لا روح لهم، كالبهائم.

واستأذنت دان في الانصراف، فقال وهو يودعني: أنا أعود إلى بيتي بأكثر من علامة استفهام على الصهيونية! قلت لا تجاهر بذلك حتى لا يقتلوني!

الطفل والحاسبات الإلكترونية

كانت البدايات الأولى للأخذ بتعليم الفنون رسميًا من خلال مناهج التعليم في عالمنا العربي، في الربع الأول من القرن التاسع عشر. حيث ارتبط تعليم الفنون بالسياسة، فقد كان الغرض من إدراجه ضمن المناهج الدراسية في بعض الدول، خدمة أغراض الجيش من رسم للخرائط وكشوف للبلدان، وبيان لقطع السلاح وغيرها من الامور العسكرية. والتي لا زالت قائمة حتى اليوم في عالمنا العربي على الرغم من الثورة المذهلة في عالم الإلكترونيات واستخدام أشعة الليزر والأقمار الصناعية والتحكم عن بعد وحرب النجوم والشتاء النووي. حيث لا زال التعليم يسير سير السلحفاة وهو ما يزيد الهوة بين الشرق العربي والغرب الأوربي وغير ذلك من دول عرفت الطريق للتقدم العلمي.



استخدام الطفل الكمبيوتر يفتح آفاقًا جديدة للإبداع وتطوير أنظمة المرئيات

ولقد ظهر مفهوم التربية الفنية كمصطلح Art Education ـ بعد مؤتمر باريس الدولي عام ١٩٣٦م. حيث أظهر فرانز تشنرك التربوي السويسري. **إن للطفل عالمه الخاص وينبغي إتاحة الحرية له في التعبير عن ذاته، وينبغي على العلم أن يسعى جاهدًا لإزالة الغطاء عن فن الطفل.** وأعلن **جون ديوي** من خلال أفكاره التربوية وفلسفاته بأن الغاية من دخول الفن مجال التعليم، إنما هو وسيلة للتربية Education through Art، وكانت الدول العربية وبخاصة مصر أول دولة في العالم تطبق هذا المفهوم الجديد مما ترتب عليه إنشاء معاهد عليا للتربية الفنية، جاء بعد ذلك العديد من الكليات المتخصصة والنوعية لإعداد معلم التربية الفنية، سبق ذلك في الربع الثاني من القرن العشرين تغير مفاهيم كثيرة في الفنون وإنشاء كليات متخصصة للفن كان أولها كلية الفنون الجميلة عام ١٩٠٨.



تبدأ التربية الفنية بنشاط يستهوي ويثير الطفل ثم يحدث التحول التدريجي لاستثمار الزمن جماليًا وثقافيًا وماديًا

وفي البداية أصبح من يريد أن يكون معلمًا عليه أولاً التخرج في كليات الفنون الجميلة أو التطبيقية ثم الالتحاق بمعهد التربية الفنية ليعد عامين أكاديميًا وتربويا وثقافيا ليصبح مؤهلاً للقيام بعملية التعليم في مجال التربية الفنية، التي ازدهرت وتقدمت كثيرًا في عالمنا العربي، ثم ما لبثت في الانحسار التدريجي وفقد دورها في المجتمع نتيجة لمتغيرات في البنية الثقافية والاجتماعية. ولنظرة المجتمع للفن ومعلمه نظرة ازدراء، في الوقت الذي لو فكر فيه الإنسان لوظيفة الفن في حياته يجد أنه بدون الفن لعاد لحياة الغاب ولسكن الكهوف، فكيف يغفل دور الفن وما حياتنا إلا ترجمة له في أنظمة سلوكياتنا.



أسرتي-(طفلة عامين) بدأت التعبير عن الأسرة ويمكن أن تكون مخططه للميادين مستقبلاً إذا تم التخطيط لذلك بوعي تام

تربية فنية

إن الغاية من التربية الفنية للطفل إنما تهدف في اكتشافه لذاته واكتشافنا له، فنضع له الاستراتيجيات المناسبة لاستثمار أفكاره وإبداعاته إلى أقصى سعة ممكنة، حيث يتم التخطيط للمبدعين والمبتكرين والمخترعين، وأصحاب الاتجاهات الفنية، كل وفق قدراته وميوله واستعداداته، في ضوء معايير ومقاييس واختبارات للذكاء والإبداع. وفوق ذلك كله التخطيط الهادف لاستثمار السلوكيات جماليًا بتزويد الطفل بالمعارف والمعلومات والمدركات والرموز والأفكار والمفاهيم والخبرات والتقنيات اللازمة لهذا الاستثمار في ضوء السياسة العامة للدولة وهدفها من بناء الإنسان في الغد طفل اليوم.

والتربية الفنية في بعض دولنا العربية لا علاقة لها باستثمار السلوكيات البشرية أو تطويعها لتحقيق عائد إنساني بالدرجة الأولى ومادّي في الدرجة الثانية فهي (التربية الفنية) على مايبدو مجال لاستنزاف وقت الفراغ، فكثيرًا ما تشير المناهج الدراسية إلى أن التربية الفنية غايتها شغل وقت الفراغ. هكذ تشير ٩٠٪ من المناهج الدراسية. والحقيقة لم ولن يظل الشرق يحلم ويترجم أحلامه إلى سلوكيات لاستنزاف الزمن، الذي سيحاسب عليه أمام الخالق، ويحاسب عليه، لأنه لم يمهد الطريق للتقدم ولأجيال قادمة عليه أن يستثمر كل فعل وكل سلوك من أجل الغد الذي لا يعلمه إلا الله، ولكن يكفينا أن نحمل الأمانة جيدًا في تنشئة الأجيال لنضع ملامح وليس خطوات لتقدم أمة. **لننظر إلى الطفل الياباني كيف**

د. يوسف خليفة غراب



يخططون له منذ الصغر بأشكال بسيطة تأخذ طريقها معه تدريجيًا في الارتقاء والنضج، وهو منتج لأشكال جمالية يتم توظيفها عن طريق الكبار واستثمارها وتحقيق عائد منها على المجتمع. كذلك الحال في الصين والعديد من الدول الآسيوية فالفنون موجهة والسلوكيات موجهة والمصب هو قمة التقدم التي ينبغي أن يسعى لها الجميع.

ولا زال الطريق في مجال تعليم الفنون مضطربًا إما لضغوط اجتماعية أو ثقافية أو غيرها، أو لأمور مرجعها إلى واضعي السياسات التعليمية ومكانة الفن في حياتهم ونظرتهم للفن بأنه مجموعة من الألوان والخطوط التي لا معنى لها، وما الفن إلا وسيلة وقناة للتربية وتخريب الوسيلة والتقصير فيها جريمة في حق التربية وتخريبها. والدليل على ذلك لو سأل كل مسئول عن علاقته بالفن وأهميته ودوره في حياته لتحدد الهدف.. !

إن الطفل العربي يملك من الإمكانات ما لم يملكه شعب في العالم من حيث قدرة المجتمع على اقتناء التقنيات المتقدمة وبخاصة في مجال التعليم وبالتحديد في مجال تعليم الفنون (التربية الفنية Art Education)، فالحاسب الإلكتروني الذي يعمل عليه الطفل في الدول المتقدمة، لا يجعل أطفالنا في مكانة أقل منهم بكثير حتى لو اقتصدت المجتمعات من قوتها اليومي ووفرت لهذا الجيل وغيره أدوات إحداث التقدم. **إن الغاية من الحاسبات الإلكترونية تحقيق أهداف من أهمها:**

١ - إنها توجد علاقة وثيقة بين الذكاء والإبداع، وأن الحاسب الآلي الالكتروني بما يتيحه من قدرات تصورية وخيالية وتفكير متقارب ومتباعد-Convergent and divergent thinking يسهم في إثراء الخيال الإبداعي وما يصاحبه من قدرات فعلية.

٢ - نحن في حاجة إلى تطوير أنظمة تناولنا للمعلومات وتقديمها للطفل وما يتيحه الحاسب الآلي، هو استثارة التفكير وجعل الطفل شغوفًا بالعبث عن الجديد من الحلول المبدعة بدلاً من عمليات التلقين والعشوائية في الفن.

٣ - إذا كان الفن تعبيرًا وأن الفن لا يعلم، فإن ما يحدث داخل المجال التعليمي هو تعليم له أهدافه ونحن نقدم للطفل تقنيات تناول الفنون وليس تعليمها. فالفن نهر دافق متجدد لا تستطيع وضع تعريف له بدقة. أو ثبات.

٤ - من الضروري مواكبة العصر بأن تكون بدايتنا من حيث ما انتهي إليه الآخرون. وأن الطفل العربي لن يكون أقل ذكاء من أطفال العالم وهو يتقبل الجديد، فلماذا تضيع هذه الثروات التي لا تعدلها ثروات ؟ لماذا لا تغتنم هذه الثروات قبل فوات الزمان ؟

٥ - إن السبيل لوضع بصمات الإنسان العربي على الزمان والمكان عالميًا الأخذ بسبل التقدم وتقنيات العصر، ولتكن البداية من الطفولة.

اقتراحات وآمال

١ - ضرورة إعادة النظر في مفهوم تعليم الطفل في مجال التربية الفنية في أغلب دولنا العربية والإسلامية.

٢ - أن يصبح تعليم الفنون أكثر ارتباطًا بالعصر وبطبيعة الطفل العربي.

٣ - أن يكون إعداد الطفل للحياة المستمرة والمتطورة هو الغاية من تعليم الفنون.

٤ - إن التعليم الذي لا يحقق عائدًا استثماريًا سلوكيا واستاطيقيا ومعرفيا وعلميا وماديا لا قيمة له. ومن ثم كانت الضرورة للمراجعة.

٥ - التعليم هو الحياة والفنون هى مرآة الحياة الثقافية ومن ثم كان الارتباط بالعصر ومواكبته غاية ينبغي الوصول إليها.

٦ - آن للأمة العربية أن تحتل مكانتها تحت الشمس بإعداد أطفالها لعالم متغير متطور متجدد كالنهر، ركود مائه يصيب المجتمع بالكثير. والفكر والعطاء والإبداع ومعرفة السبل لذلك أمثل طريق للتقدم.



تعبير عن رؤية ثعبان. لاحظ قوة التعبير في شكل الثعبان ولونه بينما الخوف كله يكمن في صورة الطفل في الزاوية اليسرى من العمل، قد يكون الخوف معوقًا للإبداع



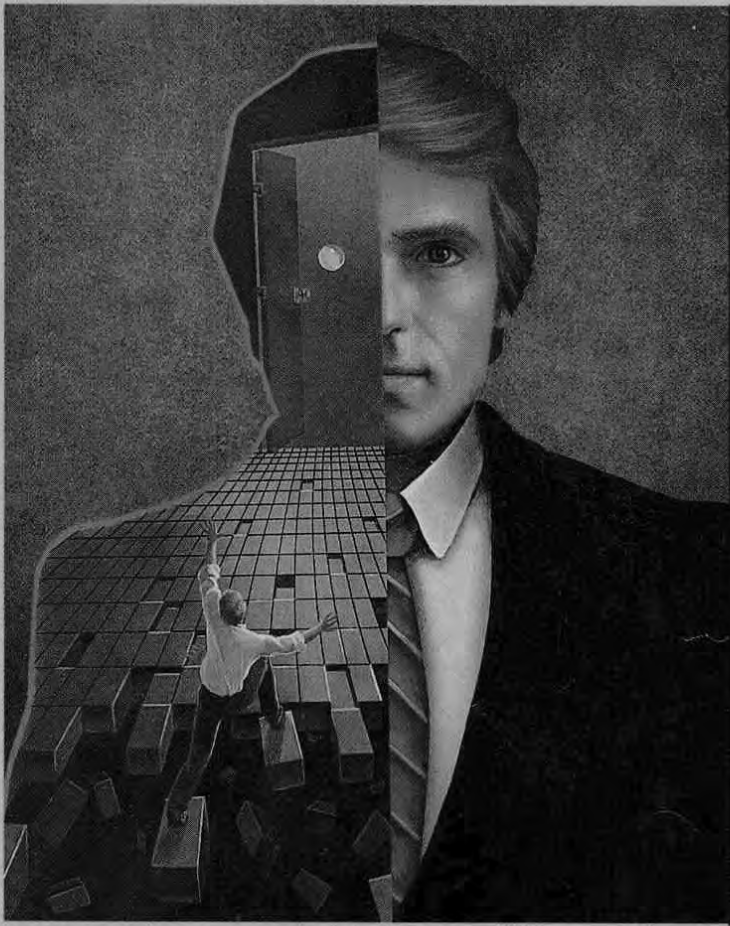
إبداع الطفل على الحاسبات الآلية يفتح آفاقاً خيالية رحبة ويزيد من سعة تصور الطفل



يتعلم الطفل الابتكار بخامات يسيرة ما تلبث أن تزداد وتنمو مع خبرة الطفل المتجددة

أهمية العلاج المبكر للحالات النفسية

د. حسان المالح



من المعروف أن العلاج المبكر لمختلف الأمراض هو من الوصايا المهمة، التي يجب أن نتذكرها دائماً، ولا تشذ الاضطرابات النفسية والعصبية عن هذه القاعدة.

وإن إضاعة الوقت، وتأخير عرض الحالة على الطبيب المتخصص له انعكاسات كبيرة على سير المرض وإمكان الشفاء من الناحية الطبية. وفي بعض الحالات النفسية قد يكون من المفيد أن يحاول الإنسان السيطرة على أعراضه كالقلق مثلاً، وأن يحاول الاسترخاء ويكثر من الدعاء والاستغفار، أو أن يأخذ إجازة قصيرة للترويح عن النفس، أو أن يقوم ببعض الهوايات الرياضية والحمام الساخن والإكثار من شرب العصيرات.. وغير ذلك من العلاجات الشعبية الشائعة. وإذا لم تتحسن الحالة فيجب عندها استشارة الإخصائي ليقوم بتقدير الحالة وما تحتاج إليه من علاجات متعددة كالعلاج النفسي أو الدوائي أو غير ذلك. ولا يتعارض عادة العلاج النفسي مع جهود المريض الذاتية، بل على العكس فهو يوجهها ويدعمها من خلال الحوار والبرنامج العلاجي الطبي.

من كتّاب العدد



● د. حسان المالح
- إخصائي الطب النفسي.
- دبلوم تخصصي.
- زميل الجمعية الطبية الأمريكية في الطب النفسي.
- عضو الجمعية النمساوية للأمراض النفسية والعصبية بفيينا.
- عضو الجمعية الدولية للطب النفسي.

وأما في الحالات النفسية الشديدة فإن التأخير في تلقي العلاج الطبي المناسب قد يكون له تأثيرات سلبية كبيرة، لا تعود فقط على المريض وحده بل على أهله وأصحابه وعلى المجتمع بشكل أعم.

وقد بينت دراسة أمريكية حديثة أن العلاج المبكر للحالات الذهانية العقلية عند الذكور والإناث بواسطة مضادات الذهان أو الأدوية المنظمة للجهاز العصبي المركزي، يؤدي دورًا إيجابيًا من حيث تحسن الأعراض والشفاء والتقليل من الانتكاس وإنذار المرض العام في المستقبل. وقد تمت المقارنة بين مجموعات من المرضى ممن تلقوا العلاج باكرًا بعد ظهور المرض وبين آخرين تلقوا العلاج بعد مدة أطول من ظهور الأعراض المرضية. وتمت المقارنة من حيث استجابة الأعراض للعلاج وظهور الانتكاسات فيما بعد، إضافة إلى درجات التكيف العام والتحسن من حيث العمل والعلاقات الاجتماعية وغير ذلك من مظاهر الشفاء.

وكانت المقارنة من الناحية الإحصائية واضحة الدلالة باتجاه التأثير الإيجابي لبدء العلاج مبكرًا. وهذه النتيجة تبرز أهميتها المباشرة والعملية بالتوصية بالإسراع في العلاج.

وأما الأمور الأخرى بفهمنا لما يجري داخل الدماغ في الحالات الذهانية الفصامية وآلية تطور المرض وتثبته، فإن نتيجة هذه الدراسة تفتح المجال أمام عدد من الفرضيات والتفسيرات والأبحاث الإضافية المرتبطة بالتغيرات في النهايات والمستقبلات العصبية الدماغية؛ حيث إن الإنسان يمكن أن يصاب بحالة مؤقتة من الهذيان والانهيار النفسي نتيجة أسباب متعددة، وإذا تم علاج ذلك مبكرا فإنه قد يقطع الطريق على حدوث تغيرات كيماوية وفيزيولوجية وعصبية شديدة أو دائمة في بعض الحالات يصعب معها العلاج، أو يكون العلاج أقل فعالية من الحالات الأخرى.

وهكذا تضيف هذه الدراسة عاملاً إضافيا وهو التأخير في العلاج إلى عدد من العوامل الأخرى حول مرض الفصام، وحول أسباب تدهور حالة المريض وعدم استجابته الكافية للعلاج. وهذه العوامل الأخرى حددتها كثير من الدراسات السابقة مثل الظهور المبكر في سنوات المراهقة، وضعف التكيف الاجتماعي قبل بدء المرض والبدء التدريجي للمرض وليس البدء الحاد أو السريع. إضافة إلى غياب الأعراض الانفعالية كالحزن أو الفرح. والذكور أكثر تعرضا لهذه الأمراض والأعراض من الإناث. وكل ذلك يلعب دورا سلبيا في تطور المرض وإنذاره. ويستمر البحث العلمي والدراسات في مجال الطب النفسي لتحقيق فهم أوسع وأعمق في مختلف جوانب الاضطرابات النفسية النظرية والعلاجية، مما يعود بالفائدة على الجميع والشفاء بإذن الله.



بيرم التونسي

بيرم التونسي شعره العاميّ ظلم إبداعه الفصيح

بقلم: محمد سلامة

هذا شاعر اعتصرته الحياة فقرًا وتشريدًا ونفيا، فإذا به يعتصرها شعرًا وزجلا، يلهب بهما أعداء الإنسانية وهواة احتلال الشعوب. ذلك هو محمود محمد مصطفى بيرم التونسي، الشهير بـ «بيرم التونسي».

تضاربت الآراء حول تاريخ ميلاده، فقد ذكر د. **محمد صالح الجابري** أنه ولد في يوم ٢٣ مارس ١٨٩٣م، بناء على ما ذكره بيرم نفسه، بينما تؤكد مصادر أخرى أنه ولد في ٤ مارس ١٨٩٣م استنادا إلى البطاقة العائلية لبيرم التونسي.

والمرجح أن **محمود بيرم التونسي** قد ولد في ٤ مارس عام ١٨٩٣م، بحي «السيالة» بالإسكندرية.

وكما اختلفت المصادر في تاريخ ميلاده، اختلفت في أصول عائلته وأفراد أسرته وربما يرجع السبب إلى الظروف العائلية لأسرة **بيرم التونسي** من جهة وتنقلها بين أكثر من بلد من جهة أخرى.

ويرى د. الجابري أن بيرم تونسي الأصل، وأن إبعاده عن مصر كان بسبب حمله الجنسية التونسية التي لم يتنازل عنها في حياته. بينما يذكر كتاب «**أغاني بيرم التونسي**» من حوار مع الشاعر قوله: أنا مصري مائة في المائة ولكن جدي لأبي كان تونسيا ونزح إلى مصر منذ مائة وعشرين عاما أي في عام ١٨٣٣ في عهد محمد علي الكبير، ومنذ ذلك التاريخ استوطنت أسرتي حي «السيالة» التابع للأنفوشي بالإسكندرية.

وقد استغلت سلطات الاحتلال البريطاني لمصر في ذلك الوقت حمل بيرم الجنسية التونسية ذريعة لنفيه من مصر ومن تونس أيضا وقد حصل بيرم على الجنسية المصرية عام ١٩٥٣م وكان عمره ستين سنة.

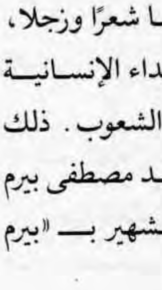
إن لهذا الشاعر الكبير تراثه الضخم شعرًا فصيحًا أثناء إقامته في تونس، وشعرًا عاميًّا أثناء إقامته في مصر وسورية ثم في منفاه بفرنسا، علاوة على القصة والمقال والنقد، كما أصدر صحفًا متعددة، منها «المسلة» و«الخازوق» و«السردوك» أي الديك باللغة الدارجة لأهل المغرب العربي.

وهناك دراسات جامعية متعددة حول هذا التراث الشعري لهذا الشاعر منها دراسة الدكتور يسري العزب الذي تتبع آثاره الشعرية وتقدم بها لجامعة القاهرة تحت عنوان «**أزجال بيرم التونسي: دراسة فنية**». والبحث الذي نال به **الدكتور محمد صالح الجابري** درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث في الجزائر عن «**محمود بيرم التونسي في المنفى: حياته وآثاره**».

وكانت قصيدة (المجلس البلدي) التي نشرت في جريدة «الأهالي» لعبد القادر حمزة **عام ١٩١٧م بداية صعود نجمه في الشعر والزجل**، وقد أحدثت رد فعل عنيف لدى السلطات المحلية، أما الناس فقد أحسوا أن ابن

من كتاب العدد

● **محمد سلامة عبد الواحد**
- من مواليد ٩/ ٢/ ١٩٥٥، الشرقية، مصر
- رئيس تحرير جريدة «الأمة المصرية» (سابقا)
- عضو المجلس الأعلى للصحافة المصري «سابقا»
- رئيس قسم الشؤون العربية والدولية بجريدة السياسي المصري في مصر
- يعمل حاليا باحدى مؤسسات الإعلام بالرياض.



بيرم التونسي



حيهم قد ترجم معاناتهم مع الفقر والضنك. وبسبب القصيدة طبعت الجريدة ٤ آلاف نسخة بعد أن كان توزيعها لا يزيد على المائتين وغدت قصيدة «المجلس البلدي» حدًّا فاصلا بين بيرم التونسي الذي يبحث عن نفسه ويتحسس الأرض التي يقف عليها، وبين بيرم الشاعر الساخر، الذي يتقدم بثبات نحو الشهرة.

لا جريدة ولا مجلة!

أيقن بيرم التونسي أن سلسلة الكتب التي كان يوزعها على أصدقائه وتضج بالنقد الاجتماعي والسياسي لن تفي بالغرض، فتقدم بطلب لإصدار جريدة ولكن السلطات رفضت بعد أن بدأت تضع أعينها عليه، فأصدرها وجعل لها عناوين مختلفة مثل «**المسلة**» و«**الخازوق**» ولكي يمررها إلى الصدور كتب عليها «إنها لا جريدة ولا مجلة» مع أنها أعداد حقيقية من جريدته التي رفضتها الرقابة وعندما سئل لماذا أطلقت عليها «**المسلة**» رد قائلا:

ـ كنت أريد بتلك التسمية أن تكون الصحيفة بمثابة «الإبرة» تنخس البلداء المفسدين! وحققت أعداد صحيفته نجاحا كبيرًا، وبدأ الناس يرددون أشعاره وأزجاله التي كانت أقرب إلى لغتهم اليومية مثل «يا متعتع الحجر» في إشارة إلى الإنجليز واحتلالهم لمصر إثر نشوب ثورة ١٩١٩م بقيادة سعد باشا زغلول..

وشنت السلطات البريطانية حملة على الإسكندرية للقبض على بيرم التونسي بتهمة إثارة الجماهير وتحريضهم على مقاومة الاحتلال البريطاني، فتوجه إلى القاهرة هربا من السلطات وبمجرد وصوله، أخذ يكتب وينشر أشعاره ويستعد لإصدار صحيفة من جديد، بينما البلاد من الإسكندرية إلى أسوان تشتعل بالمقاومة ضد الإنجليز.

تعاون دولي للقبض على بيرم!

لم يستمر الوضع طويلا في القاهرة. فقد أحست السلطات المصرية بوجوده، وتتبعت تحركاته.. وفي ذات يوم من أيام ١٩١٩ داهمت قوات الشرطة مقره وألقت القبض عليه في حضور ضباط من البوليس الإنجليزي والبوليس الفرنسي، وأشرف ضباط الدول الثلاثة على اعتقال بيرم التونسي في حراسة مشددة إلى محطة قطار القاهرة ومنها إلى الإسكندرية حيث نفي إلى فرنسا.

وتعد تلك هي المرة الأولى التي تشترك فيها ثلاث دول في اعتقال شاعر بسبب نقده للاحتلال والظلم والاستغلال ولم تكن تلك المرة الأخيرة التي تتدخل فيها الدول الكبرى لإبعاده عن وطنه، فعندما استقر في تونس قادما من فرنسا، رفعت السلطات الإيطالية قضية ضده وأخرجته من تونس.

كانت أشعاره أقوى من السلاح والرصاص، تقلق مضاجع سلطات الاحتلال.

المنفى

وفي منفاه بباريس قاسى بيرم التونسي ألوانا من الجوع والعطش والتشريد، وكتب عن تلك السنوات التي بلغت ثلاثة أعوام نام فيها على الأرصفة، التحف السماء، وافترش الأرض وجاءت عليه أيام كان عشاؤه يتكون من بصلة جرداء، وذات يوم لم يجد شيئًا يشوي عليه البصلة إلا مذكراته، فأشعل فيها ثقاب الكبريت ليكسر حدة الجوع.

استقر به المقام في مدينة ليون بفرنسا وعمل في بعض مصانع الحديد والصلب والحرير، وكان أجره اليومي لا يكفي لوجبة طعام واحدة. وعن أحواله يقول:

(يا قرن عشرين يا ليتك كنت قرن الفيل)
وفيك محمد بعث بالوحي والتنزيل
وفيك عمر يرعب العالم بلا أساطيل
جيت والتقينا جعائده بالجاروف نبياع
لا المشتري بالثمن مكسي ولا البياع
ومين في سوق الدلالة يشتري الصياع
إلا لمسح الجزم ويدحرجوا براميل

وحينما ذهب إلى تونس في أواخر عام ١٩٣٢، كتب أروع قصائده باللغة العربية الفصحى، مدافعًا عن الحرية ضد القهر والاستبداد. وظل بها خمس سنوات رأس فيها تحرير عدة صحف، وتعد تلك الفترة من أنشط فترات حياته. فقد أصدر جريدة «**الشباب**» فعطلتها السلطات فأصدر (**السردوك**) وهكذا ظل شعلة متقدة من الحماس بلا هوادة.

ويرى بعض المتتبعين لحياته أن دخوله في صراع سياسي مع بعض الأحزاب والسياسيين التونسيين والسلطات الفرنسية في وقت واحد قد أدى إلى تكالب الجميع ضده. فاتجه إلى سورية قبل أن يتوجه مرة أخرى إلى مصر.

واقعية مبكرة

وكما كانت روايات **نجيب محفوظ** مرآة واقعية للحارة المصرية، **كانت أشعار بيرم التونسي أيضا مرآة حقيقية لظروف مجتمعه ومعاناته**، وترك بيرم رصيدًا زاخرًا بلغ أكثر من ٥٠٠ أغنية شعبية و١٢ أوبريت وقصة «السيد ومراته في باريس ومصر» و١٢ مجلدا يحتوي على أشعاره بخلاف ما كتبه في الصحف.

شعره الفصيح

المتتبع للشعر الفصيح عند بيرم التونسي يدرك أنه قد صال فيه وجال،

> **«ثلاث دول تشترك في نفيه للتخلص من أشعاره!»**

وأكد أنه أهل للقافية والتفعيلة، ومثلما ظُلم بيرم في أشياء كثيرة، فقد ظلم أيضا في طغيان العامية والزجل عليه، بينما **أشعاره بالفصحى تشير إلى مدى تمكنه من أدوات اللغة ومضامينها**، فقد استطاع أن يطوع شعره الفصيح أيضا في اتجاه النقد اللاذع والسخرية الهادفة إلى التغيير والإصلاح، وكانت لغة شعره مزيجا من الرثاء والسخرية والتحدي في وقت واحد، لذا كانت تصل إلى أعماق الناس، مثلما كانت تلدغ أهل الظلم والفساد.

في أثناء وجوده في تونس، حقق بعض التجار التونسيين حلم شعبهم بإنشاء «البنك التعاضدي الإسلامي الوطني» رمزًا للاستقلال الاقتصادي ونفض التبعية، متأسين بتجربة المصريين في إنشاء بنك مصر على يد طلعت حرب. وكانت أهم مميزات البنك الجديد ضرب البنوك الأجنبية التي تقوم على الفوائد الباهظة التي كانت تثقل كاهل الشعب التونسي. إلا أن خلافا حدث بين المشرفين على البنك حول صحة الفوائد وموقف الإسلام منها، وتعثر البنك.

فنشر بيرم قصيدة في جريدة **«الزمان» عام ١٩٣٣م، يقول فيها**:

بنك التعاضد لم أدع السماء على ... مناوئيك ولم أضرع بآمالي
ولم أحوقل كمسكين وعاجزة ... ولم أحسبل كموتور ومكسال
بل افتديتك بروحي كلما نضبت ... مواردي واستخار الدهر أموالي
يفديك كل غني بالذي ملكت ... يداه من درهم باق ومثقال
تفديك كل فتاة بالغدائر إن ... لم تملك الحلي من قرط وخلخال
فلم تزل بنت قرطاج مضحية ... إذا سفينتها احتاجت لأصال
يفديك كل قوي الزند معتصم ... بالحزم والعزم لا بالقيل والقال

وحينما يعود الزعماء السياسيون من المنفى إبان الاحتلال الفرنسي لتونس يحييهم بيرم في قصيدة نشرت أيضا في جريدة الزمان عام ١٩٣٦م، قائلا:

تهتز بالفرح القلوب ... يهزها المشهد المهيب
أكباد شعب تقدمنه ... ثم لأحشائها تؤوب
في كل دار أقيم عرس ... وكان يعلو بها النحيب

ويقول:

أيها المشتكي سقاما ... مهلا فقد جاءك الطبيب (١)
وأنت ما من شكوت هجرا ... يهنيك قد جاءك الحبيب
عادوا لأفلاكهم بدورا ... جانبها الخسف والمغيب

ويقول في نعي صديق له:

هذا الفقيد صديقي ... ومن كبار ثقاتي
أتلو عليه جميعا ... دلائل الخيرات
وكرروا كل حين ... «أعوذ» و«النازعات»

وعن الصبر على التشريد والاضطهاد والجوع والفقر ونوائب الدهر، يقول:

يا صبر أنت عزائي حين يكمدني ... سير الحياة على ما لست أختار
وأنت سيفي ودرعي إن خرجت إلى ... عرض القفار وإن شطت بي الدار
وأنت أنت عتادي كلما ذهبت ... بها أدعم أنواء وإعصار

مقالات كالمطارق

وإذا كان بيرم التونسي قد غلبت على شهرته الأدبية الأزجال، فإن مقالاته التي سطرها بمعاناته، وبكل الصدق والوطنية تعد معينا لا ينضب لفكره أينما حل سواء في مصر أو تونس أو سورية أو لبنان، فقد كان قلمه لا يرحم، وسطوره وهج يتنقل لهيبها إلى أولي الأمر وسلطات الاحتلال فتهبط على رؤوسهم كالمطارق. وتنتشر كالنار في الهشيم بين طبقات الشعب.

في إحدى مقالاته عن البغاء وتجارة الرقيق الأبيض التي شاعت في تونس إبان الاحتلال الفرنسي عن طريق التجار الأجانب الذين أشاعوا الفساد والفجور، وروجوا للمخدرات والخمر والدعارة، يسخر من الشرطة وقوات البوليس التي تلقي القبض على الباعة المساكين بينما التجار يعيشون في البلاد فسادًا، يقول مقالته بجريدة الزمان عام ١٩٣٤م:

(نريد من البوليس أن يرفع يده عن أقفية الباعة الجياع، ويهبط بها على هذه الأصداغ الجديدة الممتلئة دما وصفاقة، نريد أن يتعلم الرفس في ظهورهم، ويعيدهم من حيث جاؤوا، لأنهم على ما يظهر غير مقتنعين بسوء الحالة الاقتصادية، وإن كان لبعضهم من الجواري من تحصدله جيوب «الإنديجين»(٢) مائة فرنك في اليوم، فالبقية لا يجدون ثمن القهوة، والرحيل خير لهم).

لقد كان مرآة عصره ولذلك بقيت أشعاره حتى بعد الرحيل.

الهوامش

(١) الطبيب والحبيب: أسماء الزعماء الذين نفوا، ثم عادوا لبلادهم.
(٢) اسم أطلقه الاستعمار الفرنسي على سكان المستعمرات التي كان يحتلها.

المراجع

- «محمود بيرم التونسي في المنفى.. حياته وآثاره» د. محمد صالح الجابري (رسالة دكتوراه) بيروت - لبنان: ١٩٨٧.
- «**محمود بيرم التونسي: قيثارة الأدب الشعبي**» محمد كامل البنا، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب: ١٩٨٠م.
- **محمود بيرم التونسي**، عبد العليم القباني، دار الكتاب العربي بالقاهرة: ١٩٦٩م.
- **أزجال بيرم التونسي**.. دراسة فنية، يسري العزب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٨١م
- **صفحات ضائعة من حياة بيرم التونسي**، كمال سعد، المكتبة العصرية، صيدا/ لبنان.
فنان الشعب بيرم التونسي، أحمد يوسف، القاهرة، دار النهضة العربية: ١٩٦٢م.

قصة قصيرة

عِطرُ الأيّامْ

بقلم: عبد الرحمن شلش

كنتُ عائدًا من بلاد بعيدة إلى حدائق الوصال وأرض السكينة، تشعبت أمامي الطرق حيرة وضياعًا، لكن لم يضع من تحت قدمي الطريق. أتطلع إلى المآذن، فأراها ترتفع شامخة في الأفق، بعضها عليه غبار القدم والعراقة، وبعضها يحمل لمسات التجديد. أرى زحامًا لم أره من قبل، وتتقاذفني أكتاف الناس من ناحية اليمين، وناحية اليسار. أنبأني رجل عجوز بصوت مغمور بالحزن والأسى: «يا بني، تغيرت الدنيا، ضاعت أشياء، وجاءت أشياء. سبحان مَنْ له الدوام».

آخر زيارة لهذه المنطقة كانت منذ ربع قرن، كنت ـ يومئذ ـ في الثلاثين من عمري. الآن، الشيب غزا شعر رأسي، لكنني لما أزل أحمل في قلبي إحساسات الشباب.

مغتربًا كنت، البُعدُ ظل نارًا تحرقني. كان انتظاري لهذه اللحظة طويلاً. لكم تمنيت لو امتلأت الدنيا فرحًا، لو انتشر في كل الأرجاء الأمان.

الناس يتحركون ببطء، بينهم الكبير والصغير، بعضهم من أقطار شقيقة. ويبدو المكان مهرجانًا إسلاميًا كبيرًا. سرت بين الوجوه أتأملها، وأتأمل المنطقة مسافرًا عبر الزمان. في الماضي كنت أقضي نُهُر أيام الجُمع وجزءًا من لياليها في رحاب الأزهر والحسين. لشهر رمضان منزلة خاصة في نفسي. كنت معتادًا أن أغادر بيتي في وقت مبكر ـ وأجيء إلى هنا، أؤدي صلاة الجمعة في الجامع الأزهر، وأمكث في رحابه لحين تأدية صلاة العصر وصلاة المغرب، وعقب الصلاة أتوجه إلى أحد المطاعم، مازلت أذكر اسمه، مطعم «الدّهان» أتناول فيه إفطاري، وبعدئذ، أتجه إلى مقهى «الفيشاوي» فأجلس به، وألتقي ببعض الأصدقاء، نشرب الشاي، ونتحدث في السياسة والأدب والفن، ثم نتناول سحورنا بأحد المطاعم الصغيرة، ولا أعود إلى البيت إلا قرب الفجر.

أجيء ظامئًا للارتواء، فاليوم أعود بعد سنين طويلة، طويلة كأنها بلا عدد. لطالما سرت في هذه الحارات والأزقة التي أدب فوقها، الآن، وأراها جزءًا مني وقطعة غالية من حياتي. وشهر الصوم هو الشهر الكريم، له ذكريات وذكريات تسكن أعماقي.

قطعت شارع الأزهر سائرًا، وكان فيما مضى يصل المدينة القديمة بالمدينة الحديثة. كثيرًا ما تجولت في هذا الشارع مع أبي، ومع أصدقائي، أو بمفردي. تلوح لي صورة الحي الجديدة، فالميدان الفسيح لم يكن هكذا قبل خمسة وعشرين عامًا. وبدا باب الجامع الأزهر متصلاً بباب المسجد الحسيني. لأول وهلة، ظننت أنني ضللت الطريق، لكني حين حدقت في المنطقة اطمأن قلبي، وأخذت أواصل المسير والتأمل.

تعلو الشارع الجسور، وتطاول العمائر القديمة، لم تكن هذه الجسور موجودة، هنا، من قبل، لعلها أقيمت كي تمتص زحام السيارات، وتؤدي إلى سيولة حركة المرور.

هبطت الدرج إلى نفق، وسرت تحت الأرض، هذا الإنجاز لم أره فيما مضى، ويؤمن العبور للمشاة. وراقت لي رؤية الرخام الجرانيتي الذي يكسو الجدران مضفيًا عليها لمسة جمالية.

صعدت إلى الطريق، وأبصرت تجديدًا في المساجد، الفنادق، المطاعم، المصارف، المكتبات، ولمحت الجديد مزاحمًا القديم. ولكن يبقى للقديم عراقته وروعته. ما إن وصلت إلى الميدان حتى شردت بعيدًا، أتنسم عطر الأيام وعبق



المكان، وفي أعماقي شلالات من انفعالات شتى وتساؤلات: أأحزن على القديم الذي كان يروي تاريخ الأجداد ويحمل روائح أزمنة متباينة مسجلاً عراقة شعب وأصالة أمة، أم أفرح بالجديد الذي أراه يولد من رحم القديم وتشرق تحسينات عصرية جمعت ما بين عتيقين: جامع الأزهر والمسجد الحسيني؟

يملؤني الإحساس بأنني أحيا في هذه المنطقة وهي تعيش مجدها القديم وعصرها الذهبي. وأدرك أنه لا جديد بلا قديم، ولا معاصرة بلا أصالة.

ووجدت نفسي أتجه إلى الجامع الأزهر، كما كنت أفعل في الزمن الفائت، صليت، ثم استمعت إلى خطبة الجمعة، ودار موضوعها حول وحدة الصف ووحدة الهدف، المؤذن يؤذن للصلاة، وتقف الصفوف في استقامة.

ولم أغادر الجامع الكبير إلاّ بعد أداء صلاة المغرب كما اعتدت من قبل، ذهبت إلى المطعم ذاته، وتناولت إفطارًا رمضانيًا شهيًا بين أصداء الماضي، ويا لها من أصداء.

وفي طريقي إلى «الفيشاوي» رأيت توسعة في المنطقة، ولمست تغييرًا في معالمها، لم يعد المقهى كما كان، واختفى معظم البناء، أزيلت بعض المباني القديمة، وحل محلها أخرى ذات طراز حديث. لكني

أشعر أن للماضي حضورًا في حياتنا، سواء رضينا أم لم نرض.

جلست في مقهاي الأثير، كنت أرى في هذا المكان بعض القمم، مثل نجيب محفوظ، وزكريا الحجاوي، كان المقهى منتدى للفكر والأدب والفن، وكنت أسعد برؤية أصحاب هذه القمم وحواراتهم، كنت ذوّاقة للأدب، أقرأ كثيرًا في الأدب والتاريخ والفكر، وأحضر الندوات مستمتعًا بفكر الكبار.

وبينما كنت جالسًا متأملاً المكان والناس، توقف رجل أمامي، وأخذ يتفرس في وجهي، ثم تقدم مني أكثر من ذي قبل، وبادرني قائلا:

ـ سامح عبد الوهاب، أليس كذلك؟

○ نعم، أنا هو، لكن مَنْ الأخ؟

ـ ألا تعرفني؟! أنا محمد منير، زميلك في ديوان وزارة التعليم، ألا تذكرني؟

تعانقنا، ثم قلت:

○ تفضل اجلس يا صديقي محمد، معذرة لأنني لم أعرفك من أول وهلة.

ـ أعرف أنك سافرت منذ فترة طويلة مضت، لكن متى كانت عودتك؟

○ منذ أيام قليلة.

ـ أين كنت طوال هذه الفترة؟

○ في كندا، أعيش وأعمل.

ـ أعودتك نهائية أم في إجازة؟

○ الواقع أني في إجازة، لكني مللت حياة الغربة، وقررت أن أعود.

ـ أجل حياة الغربة مريرة، فكيف وجدت وطنك بعد هذه الغيبة الطويلة؟

○ لمست تغيرات في أمور كثيرة، اليوم اتخذت قرارًا بيني وبين نفسي من أجل الاستقرار في الوطن، الوطن هو الأصل، والجذور، والأمان.

ـ لكن ما الفرق بين الواقع هنا ومثيله هناك حيث كنت؟

○ هذا موضوع يطول حوله الحديث، باختصار هناك المادية تطغى على كل شيء حتى علاقات الناس، بينما هنا الروحانية هي الأساس.

ـ الحمد الله أننا مازلنا أحسن حالاً من غيرنا.

○ نعم، إن التماسك عندنا أقوى، وهذا يجعلنا شعبًا غير مفكك، ولكنه مطالب بأن يكون عمليًا، وأكثر إنتاجًا حتى يرتقي.

ـ لعل حرصك على زيارة هذه المنطقة يدل على ما أثرته، يا سامح، حول تماسكنا.

○ قد تكون زيارتي هذه دلالة على ذلك، ولكنها في الحقيقة عادة قديمة أو فضيلة من فضائل، نسيها معظم الناس في هذه الأيام.

نظرت إلى ساعاتي، فوجدتها تشير إلى منتصف الليل، قلت:

○ الحديث معك، يا أخ محمد، ذو شجون، ولا يمل، لنذهب الآن لنتجول في المنطقة حتى وقت السحور.

ـ وهو كذلك.

غادرنا «الفيشاوي» ورحنا نسير معًا، في أزقة سوق «خان الخليلي» ونثرثر.

وحينما وصلنا إلى الميدان الكبير، ألقيت نظرة على المآذن الشامخة، وألفيتها مضاءة بأنوار متلألئة، كأنها سواعد مرفوعة بأكف الضراعة.

كذبة أبريل!



يتعمد بعض الناس في أبريل الكذب، على سبيل المزاح أحيانًا، أو على سبيل المداعبة، ونشر المقالب فيما بين الناس، إما تندرًا أو تغفيلاً، أو مزج ذلك بنواح أخرى من أساليب الحياة، وقد يكون من بين تلك الحالات ماله حدان، فالظاهر المزاح، كما يحصل بين الناس اقترانًا بهذا الشهر، فإن كشفت الحالة أصبحت من الأكاذيب التي يجد لها مقترفها تفسيرًا، بأنه في شهر أبريل، وهذه من أكاذيبه التي لا شيء فيها، وما هدف القائل من وراء ذلك إلا توثيق الصلة الأخوية بإزالة الحواجز، وإن لم تكشف عن ذلك الأمر، واعتبره مكسبًا، حيث يصبح الأمر حقيقة راسخة.

والباطن منبعث من القناعة التي تهدف لأمور من وراء الكذب، فكم سمعنا عن سرقات حصلت لدى بعض الناس، ومن بعض من يعدونهم أصدقاء، وكم قيل لنا أو قرأنا عن آثار سيئة تركها هذا التقليد، سلوكيًا وخلقيًا واجتماعيًا.

وكذبة أبريل، عادة نشأت في بلاد الغرب، من منطلق يرتبط تاريخيًا بهذا الشهر، الذي هو من أشهر الرومان، وهو الشهر الرابع من سنتهم الشمسية.

وفي تتبع الكتب التي تهتم بالعقائد، وما طرأ على الديانات من دخائل، نرى الغربيين خاصة من كتاب ومؤرخين يتحاملون على رجال الكنيسة، وما يفرضونه على المجتمع عندهم من أمور، فضلاً عن تشكيك بعضهم في صحة الديانة النصرانية، لمخالفتها ما يمليه العقل، وما تتطلبه الحياة الحاضرة، ولذا كثر نقاد كتابهم المقدس، وصحة روايته وصدقها، يقابل ذلك جهود قوية لإثبات الأسس التاريخية للديانة النصرانية، وصراعهم هذا يتسم بالكذب كل من جانبه ليؤصل ما قصد إليه. يقول ديورانت عن هيرود الأكبر: كانت أخلاقه مثالاً من أخلاق عصره الذي أنجب كثيرًا من الرجال الذين كانوا أذكياء لا أخلاق لهم، قادرين لا ضمير لهم، متحدثين لا صدق عندهم، شجعانًا مجردين من الشرف، فلقد كانوا صورة مصغرة من أغسطس في بلاد اليهود.

كما كانت أسس الصراع بين اليهودية والنصرانية، ورجال الدين فيهما تنطلق من قاعدة راسخة في الكذب، ولذا حركت الحرب الأهلية في فرنسا هذه الجذور، فصارت ثورة أوربية ضد تسلط رجال الكنيسة وسلطتهم، ورجال محاكم التفتيش.

أما في الإسلام فقد جاء في مصدر التشريع في عقيدة الإسلام، على لسان رسول الله ﷺ من مقت للكذب، وأن الله لا يحب الكاذبين، وأنه من علامات النفاق، حيث أبانت شريعة الإسلام ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ سوء عاقبة المنافقين، وأنهم في الدّرك الأسفل من النار، ولا نصير لهم، لأنهم يكذبون، ويفترون على الله، ويخادعونه وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.

وتبرير كذبة أبريل ما هو إلا موسم يريدون منه، تنشيط هذه العادة، وترسيخها لدى الناس، وحماية ما يصدر عنهم من أغاليط وافتراءات، ولتعويد الآخرين هذا المنهج الذي أنكره مفكروهم.

والمسلم مأمور بعدم التساهل في الصغائر لأنها تجر إلى الكبائر، ومأمور بالابتعاد عن أعداء دينه ومنهجهم، لأن ذلك يجر إلى محبتهم وموالاتهم، ومأمور بأن يعرض كل ما يعترضه على مصدري التشريع في دينه، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما خالفهما يجب نبذه، وما رآه المؤمنون حسنًا فهو حسن، وما رآه المؤمنون قبيحًا فهو قبيح. والشاعر يقول:

كل الكبائر مبداها من الصغر   ومعظم النار من مستصغر الشرر

د. محمد بن سعد الشويعر

فاجنر وحركة التجديد في المسرح العالمي

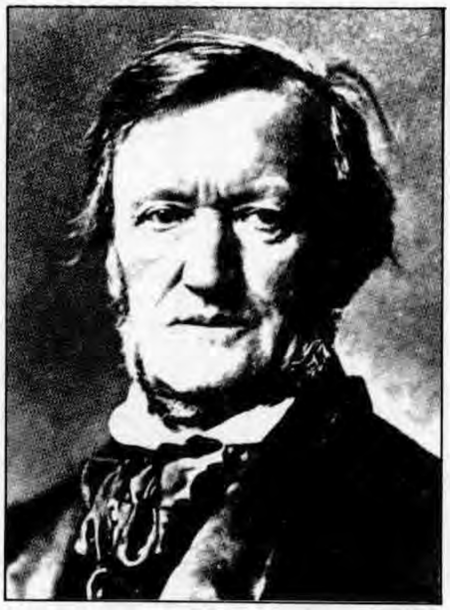
بقلم: د. محمّد أبوبكر حميد

شهد الثلث الأخير من القرن التاسع عشر عدة حركات جددت دماء المسرح العالمي وبذرت اتجاهات المسرح الحديث. وكان من أهم إنجازات حركات التجديد هذه إفساح الطريق أمام الواقعية في مجال الكتابة المسرحية والعرض المسرحي معًا من جهة والتمهيد لظهور «المخرج» كعنصر قيادي مهم في توحيد كافة العناصر البشرية والفنية لخدمة العرض المسرحي وجعل العمل المسرحي يظهر في وحدة واحدة جمعت كل الفنون لتحقيق هدف محدد.

الأوبرا والدراما

وقد كان ريتشارد فاجنر Richard wagner (١٨١٣ ـ ١٨٨٢) المسرحي الموسيقي الألماني الشهير من أبرز رواد فكرة العرض المسرحي المتكامل، تقوده شخصية منظمة توحد عناصره وفنونه كافة من كلٍّ منسجم. وقد استطاع فاجنر بعبقريته الموسيقية ووعيه الدرامي أن يجمع بين المسرح والموسيقى، وأن يجدد دماء الأوبرا في عصره ويخرجها في قالب جديد، وقد وضع نظرياته في كتابين يعدان اليوم من أهم مصادر دراسة اتجاهات المسرح الحديث والأوبرا وهما «الأوبرا والدراما» "Opera and Drama" ١٨٥٢، و«هدف الأوبرا» "The Purpose of Opera" (١٨٧١).

وقد ساعدته أسرته على نمو تطوير حسه المسرحي وتوجيه تذوقه الموسيقي، فقد عمل كثير من أفراد أسرته في المسرح والموسيقى، وربما كان هذا وراء إنتاجه المبكر، **فقد كتب أول أوبرا له في سن الثامنة عشرة ثم تدرج في العمل بعددٍ من دور الأوبرا واكتسب خبرة كبيرة كانت وراء نجاح أوبرا Rienzi التي عرضت له لأول مرة في مدينة درزدن سنة ١٨٤٥، وكانت بداية صعوده على سلم النجاح والشهرة.** وتبعتها بعد ذلك أعمال أهمها:



فاجنر

أوبرا «الهولندي الطائر» "The Flying Dutchman" (١٨٤٣).

وحدة العمل الفني

وقد رافقت أعمال فاجنر روح الدعوة لإحياء التراث الجرماني والروح القومية الألمانية، فقد استجابت أعمال فاجنر لهذه الروح وجسدتها. ووجد فاجنر مجالاً رحبًا لاستبدال الشكل الأوبرالي الإيطالي الذي ساد أوربا منذ القرن السادس عشر حتى التاسع عشر وإحلاله بآخر يتناسب مع الذوق الألماني، وغادرت الفرق الإيطالية لتحل محلها ألمانية. وبدأ فاجنر تطبيقه لرؤيته للعمل الجماعي في أعماله التي كتبها، فألغى الأغاني الطويلة التي تركز على «البطل النجم» على حساب الحدث الدرامي الذي هو أساس العرض.

واتجه فاجنر إلى تعضيد فكرة العمل الفني كوحدةٍ واحدة تجمع عناصر التأليف والعرض كافة **في كل متناغم ومنسجم، وأجمل الأعمال عنده في هذه الحالة، هو ما يجمع في إهابه كل الفنون**، وهنا **يقول فاجنر**: إن هذا لا يتحقق ـ أي وحدة العرض الفني ـ إلا بوجود كل الخيوط في يد رجل واحد.. عبقرية عالمية يوجهها وفق تصور ورؤية محددة تجعل كل العناصر جزئيات مكملة في عمل واحد كبير.

الأسطورة وعالم المثال

والدراما عند فاجنر تصوير فني مثالي يُعبِّر عن ضمير المجتمع وتطلعاته وذلك من خلال استعادة أساطيره وقصصه الشعبية التي تقترب من روح الأسطورة، لذلك فهو يرى أن الشاعر المسرحي يجب أن يكون صانع أساطير أكثر منه راوية قصص، **وأن هذا العالم المثالي الذي يجب أن يصوره المؤلف من خلال الأسطورة، لا يتم إلا بالجمع بين الدراما والموسيقى أو على الأصح، يجب أن يكون التعبير الدرامي فيه بالموسيقى والأصوات بدلاً من الحوار بالكلمات، وعليه فهو يشبه أفضل الأعمال الأوبرالية تلك التي يكون فيها امتزاج الموسيقى بروح الدراما من القوة بحيث تنتج ما يمكن أن يحققه الجمع بين عبقرية شكسبير من الدراما وعبقرية بيتهوفن في الموسيقى.**

ويرى فاجنر، أن المسرح الناطق بالكلمات ويعتمد على تعبير الممثل، يفسد عنصر التماسك والوحدة التي يجب أن يحققها العمل الفني، فيصعب على المخرج التحكم في عناصر العرض لأنه لا يضمن في أداء الممثلين لأدوارهم ما يحقق الوحدة والتناغم الذي ينشده، **ومن هنا يرى فاجنر أن المسرحية الموسيقية «الأوبرا» هي أرقى فنون المسرح لأن عناصرها** كافة **تُضبط وتُوجّه بيد المؤلف الموسيقي الذي يضع اللحن ويحدد سرعة الأداء ويتحكم في جهارة الصوت ويضبط الإيقاع وهو ما لا يستطيعه الكاتب المسرحي في المسرحية الحوارية إذ عليه أن يعتمد على الآخرين الذين ربما لا تتضح لهم الرؤية الفنية المتكاملة للعرض وضوحها عنده.**

التميز بالمساواة

ولم يكتف فاجنر بالتنظير فقط، بل عمل طوال حياته على إخراج أفكاره إلى النور، وجعل من أعماله الأوبرالية مثالاً تطبيقيا لأفكاره من الدراما والموسيقى، وقد تحقق له هذا بخروج حلمه إلى الواقع بإنشاء دار أوبرا خاصة به يعرض فيها أعماله ويوجهها وفق رؤاه وتصوراته فقد وجد أن دور الأوبرا المنتشرة في ألمانيا أو أوربا لم تكن تفي بمتطلبات عروضه الفنية إذ بنيت على الطراز الإيطالي الذي يرفضه، وقد وُضع حجر أساس دار أوبرا فاجنر في مدينة ألمانية صغيرة اسمها بيروث Bayreuth سنة ١٨٧٢ وافتتحت سنة ١٨٧٦ وأشرف على بنائها نخبة من كبار مهندسي عصره، وسميت بعد ذلك باسم «مهرجان بيروث» "Bayreuth Festival" وطارت شهرتها تحمل اسم فاجنر إلى أرجاء العالم.

وقد طبق فاجنر في مبنى مسرحه نظرية المساواة، فالعرض المسرحي يحقق لكل المشاهدين التعامل بالتساوي دون تفاضل. ولعل أوبرا فاجنر المسرح الوحيد في تاريخ دور العرض الكبرى الذي ألغى الفواصل والحواجز في صالة العرض ولم يقسم المشاهدين إلى درجات ومستويات، فقد بُني المسرح ووضعت كراسيه بشكل لا يجعل لأي مشاهد أفضلية على الآخر في نسبة الرؤية أو


شكسبير


بيتهوفن

السماع، فالكل يرى ويسمع بمستوى واحد، بصرف النظر عن بُعده أو قُربه من مكان العرض. وقد جعل هذا أسعار تذاكر الدخول موحدةً للجميع. ويتسع مسرح فاجنر لـ ١٧٤٥ مشاهدًا، منهم ١٣٤٥ في صالة العرض الأساسية و٣٠٠ من بلكونة علوية و١٠٠ مقعد من بلكونة سفلية يجلس فيها فاجنر والمدعوون من أصدقائه.

عنصر الإيهام

وتُعد عروض فاجنر في دار الأوبرا التي أسسها أهم ما يعبر بحق عن رؤيته الفنية وخاصة تلك العروض التي تمت في حياته وبإشرافه، فقد رغب **فاجنر في رفع المشاهد إلى عالمه المثالي من خلال استكمال عناصر «الإيهام»** كافة **في العرض الأوبرالي، وذلك من خلال عدة وسائل أهمها عدم السماح للموسيقيين ببدء العزف على خشبة المسرح وعدم السماح بالتصفيق داخل قاعة العرض سواءً أثناء العرض أو بعده**. إذ إن التصفيق يكسر حاجز الإيهام بالواقع ويُذكّر المتفرج بعملية التمثيل. ولكي يؤكد على الفارق بين عالم الواقع وعالم المثال

> ”وضع فاجنر أهم كتابين في العلاقة بين الدراما والأوبرا“

يغرق فاجنر قاعة العرض في ظلام دامس لتركيز الانتباه على الحدث الدرامي وذلك خلافًا لتقاليد المسرح الأوربي منذ عصر النهضة في ترك الإضاءة أثناء العرض.

وقد ساعدت هذه العناصر التي أضيفت باسم المثالية في خدمة الطبيعية والواقعية التي رفضها فاجنر بالرغم من التزامه الأسلوب الواقعي والدقة التاريخية في إخراج المشاهد وتصميم الملابس كغيره من رجال المسرح في عصره. وإلى جانب ذلك فقد كان فاجنر واقعيًا بالرغم منه حين حقق في أعماله عنصر «الإيهام» وهو من أهم متطلبات الواقعية. **ومنه نخرج بأن أكبر أثر تركه فاجنر على المسرح العالمي الحديث هو ربط نجاح العرض المسرحي بالمقدرة على دمج عواطف ومشاعر المشاهد بعالم المسرحية وشخوصها، وبإيجاد التفاعل الحي والصادق بين الحدث الدرامي وقلب المتفرج وعقله.**

صحيح لم يكن فاجنر وحده الذي وضع هذه الفكرة، ولكنه كان من أكبر الدعاة إليها، فقد ظلت هذه «الفكرة» التصور السائد للعلاقة بين المشاهد والمسرح عبر العصور إلى أوائل القرن العشرين ولم يظهر ما يعارضها إلا مؤخرًا.

أهم أثر

ويظل فاجنر واحدًا من أهم الذين أثروا في الجيل اللاحق له، فهو الذي مهد لظهور المخرج كفنان يمسك بيديه خيوط العرض المسرحي كافة، ولقيت دعوته للعرض المسرحي الذي يجمع كل الفنون في وحدة واحدة صداها عند كل من جاء بعده من رجال المسرح من القرن العشرين، ويأتي في مقدمتهم أدولف آبيا وجوردن كريج، وهما من أهم منظري المسرح في العصر الحديث.

وقد أفاد الواقعيون من نظرياته كما أفادت الاتجاهات الأخرى، وقد وضع بعض النقاد عروضه في دائرة «الواقعية الرومانسية» ولكن إنجازاته وخاصةً فكرة «وحدة العمل الفني» وضبط ذلك في يد «رجل واحد» هو المخرج أو المؤلف المخرج هو أهم ما أعطى فاجنر مكانةً مهمة في تاريخ المسرح والموسيقى وتطبيقاتها إلى اليوم.

قصة قصيرة

من البوسنة والهرسك:

في سالف العصر

تأليف: نجاد ابريشيموفيتش ○ ترجمة وتقديم: د. جمال الدين سيد محمد

نجاد ابـريشيمو فيتش أديب من جمهورية البـوسنة والهرسك وهو مولـود في عام ١٩٤٠م بمدينة سرايفو حيث أنهى دراسة الفنون التطبيقيـة والفلسفة. ونشر حتى الآن عدة مجموعات قصصية وروايتين ومسرحية. ومؤلفاته مترجمة إلى اللغات التشيكية والألبانية والتركية، وبعضها مترجم إلى الفرنسية والإيطالية والأسبانية. وهو حاصل على عدة جوائز أدبية.

نـلاحظ في قصص نجاد إبـر يشيمو فيتش معـالجته للمـوضوعـات التقليديـة في شكل الحكايـة الشعبية المعروفـة. وفي هذه القصص يتحدث نجـاد عن عالم يخلو من التحـديدات الزمنية والمكـانية، الأمر الذي يـزيد من عمقها ويضخم مغزاهـا ودلالاتها ويضفي على بنائها الداخلي سلاسة وبهجة.

كانت هناك فتـاة، وكانت جميلة بل وغاية في الجمال ولا شيء أكثر من ذلك.

وكان هناك ثري، وكـان غاية في الثراء، غـاية في الثـراء ولا شيء أكثر من ذلك.

وكان هناك بهلوان، ولم يكن إلا بهلواناً.

وكـان هنـاك موهـوب إلى أبعـد حدود الموهبة، موهوب ولا شيء أكثر من ذلك.

وكان هناك حكيم، وكان حكيماً فحسب.

وكـان هنـاك شخص جـديـر بالشفقة.

وكان هناك شخص رؤوف.

وكـــان هنـــاك شخص يشرب فحسب.

وكـان هنـــاك شخص قـــوي فحسب، قـــوي فحسب ولا شيء أكثر من ذلك.

وكـان هنـــاك شخص عـــديم الجدوى.

وكان هناك شخص هكذا.

وكان هناك شخص.

وتقدمت السن بتلك الفاتنة.

وظل ذلك الشحاذ شحاذاً.

وأصبحت كل ثـروة ذلك الثـري عديمة الجدوى.

وسقط ذلك البهلـــوان من على الحبل.

ولم يفعل ذلك الموهوب شيئاً.

وكـــان ذلك الحكيم يقـــدم النصيحة لكل إنسان ولكنه لم يستطع أن يسدي النصح لنفسه.

وبكى ذلك الشخـص الجديـر بالشفقة.

وأصيب بمـــــرض نفسي ذلك الشخص الرؤوف.

وأصبـح محطماً ذلـك الشخـص الذي كان يشرب.

وتظاهر بالدهشة ذلك الشخص القوي.

وتوفى عبثاً ذلك الشخص العديم الجدوى.

وكـان يمكن ألا يكـون كـذلك ذلك الشخص الذي كان هكذا.

وذلك الشخص الذي كان، كان ولكنه لم يبق كذلك.

وكان هنـاك شخص أمين ولكنه كان يشعر بالملل.

وكان هناك شخص غير مستقيم ولم يكن يشعـر بـالملل، وكـان يخاف على الدوام من أن يتملكه الملل.

وكـان هناك شخص مسجـون، وأطلقـوا سراحه فعـاد بالتـدريج إلى السجن.

وكـان هنـــاك شخص رحل إلى أرض أجنبيـة ولم يعد يُسمع عنـه أي شيء. وكان أهله يظنون أنه حي.

وكانت هنـاك فتاة لم تكن تشرب الماء إلّا من الإبريق.

وكـان هنـــاك شخص كلما قـام بخـدمـــة لشخص يعمل على الأقل على إذلاله ولو بقدر ضئيل.

وكـان هناك شخص فعل شيئاً من الأفضل عـدم الإفصـــاح عنـه، فعل شيئـا يجعل الإنســان ببسـاطـة يتسمّر في مكانه.

وكان هناك شخص مستقل برأيه ولكنه طيب.

وكـانت هنـاك عجـوز نبتت لها أسنان للمـرة الثالثة، ولكنهـا أسنان صغيرة وحادة.

وكـان يـوجـد من قبـل ببلـدة «جيباتش» الرجل الأخضر الذي كان يعيش في الماء.

وكان هناك رجل مصاب بمرض





شديد وعثر على جذر نبات بفناء منزله وفي الغد على الفور شفي من مرضه، وها هو ذا الآن يمشي أيضا.

وكان هناك شخص عاقل فمات.

وكان هناك شخص آخر.

وكان هناك شخص يحب الكلاب ويكره الناس.

وكان هناك شخص لم يكن يحب رؤية زوجته تعمل بالمنزل بل أن تعمل زوجته خلال فترة عدم وجوده، وبعد ذلك تجلس ولا تتحرك.

وكان هناك شخص يخجل من كل شيء حتى إنه يأكل خلسة.

وكانت هناك امرأة تتعجب من كل شيء، وكانت النساء الأخريات يدفعنها إلى العدول عن ذلك.

وكان هناك شخص يحب أن يكون كل شيء عنده مغلقاً ومغطى ومقفلاً ومربوطاً، ولم يكن بمقدوره أن يرى شيئا مفتوحاً غير مغطى وغير مغلق ومفكوكاً.

وكان هناك شخص يحب أغطية الرأس.

وكان هناك شخص ينظر إلى كل إنسان نظرة مباشرة في عينيه.

وكانت هناك امرأة تخلص نفسها والآخرين من كل شيء.

وكان هناك شرطي كلما أمسك بشخص أطلق سراحه، وفي النهاية فقد وظيفته.

و كان هناك شخص مزعج، كلما قال له أحد شيئا أجابه: «ليس صحيحا!» وربما كان على حق.

وكان هناك شخص يتضايق من الكلام.

وكانت هناك فتاة تكره حبيبها حينما يكون بجانبها وتحبه حينما لا يكون بجانبها. وكانت هناك امرأة تشعر بالملل مع زوجها وتشعر بالملل أيضا وهي بدون زوجها. وربما تكون هي نفس المرأة.

وكانت هناك امرأة وقعت في حب شخص معين ورغم أنه رحل إلى أحد الأماكن إلا أنها لم تنسه على الإطلاق. وحينما تزوجت بآخر كانت تفكر باستمرار في ذلك الشخص الأول. وكادت ألا تخفي ذلك.

وكان هناك طفل لم يكن يأكل خلال عام إلا المشملة.

وكان هناك شحاذ يعيد باقي النقود، فقد أعطاه أحد الأشخاص دينارا فأعاد له نصفه. وأعطاه أحد الأشخاص دينارين فأعاد له ديناراً ونصف الدينار، وهكذا في كل شيء.

وكان هناك شخص طيب، وكل إنسان يتعجب منه.

وكان هناك شخص آخر.

فن وإخلاص



كثير من الشركات سواء أكانت تجارية أو شركات خدمات أو شركات زراعية تصاب بنكسات في إنتاجها أو تسويقها وبالتالي يعز عليها النجاح، لا لأن المناخ التجاري صعب أو الرواج للمنتجات سيئ أو الظروف الجوية غير ملائمة، فالنجاح أو عدمه يتوقف أحيانا على العنصر البشري، إما من حيث عدم الكفاءة في الأداء، أو التسيب بسبب عدم الانضباط مما يبدد الوقت والجهد فيما لا ينفع المؤسسة. وقد يكون بسبب البذخ والصرف وعدم الترشيد في النفقات مما يجعل العائد للمؤسسة شحيحا، وهذا أيضا يعد إهمالا وضعفا في أمانة الإدارة على مصالح الشركاء.

وقد لا يكون المسؤول في الشركة يعلم بهذا التردي في إنتاجية العمل ويجامل أو لا يبالي بالإهدار في المال أو الطاقة أو الوقت. حينذاك يعتبر غير أمين سواء كان مديرا يتربع على قمة جهاز الشركة أو عضوا في مجلس الإدارة، أو حتى عضوا في الجمعية العمومية. ولا يكلف نفسه عناء توصيل المعلومة للجهات المنفذة، ويقترح معها الحلول التي قد يتبادر إلى ذهنه توظيفها لمعالجة أوضاع الشركة، فقد تكون الشركة معرضة لأسوء النتائج ما لم يتدارك الجميع الأخطاء، وإثارة أسباب التصدي لمن يكون عنصرا في الفساد وتردي الأوضاع. فقد حدثني صديق أسندت إليه إدارة شركة خدمات شارفت على الانتهاء قبل ثلاث سنوات، كيف استطاع بجهوده المتواصلة وخبرته وإخلاصه وصدق نيته أن ينتشلها من النهاية الحتمية السيئة عن طريق الترشيد في الإنفاق، واختيار العناصر الجيدة من العاملين، وتغيير الآلات التي توفر كثيرا من استهلاكات الوقود، واستقدام الأيدي العاملة النشيطة بأجور أقل وكفاءة أفضل، مع سد ثغرات الاستنزاف والابتزاز المالي حتى أعاد للشركة حيويتها وجدد نشاطها وقوي من مركزها المالي، حتى أصبحت الآن وبعد ثلاث سنوات مرت فترة للإصلاح تستعيد عافيتها، وتتوثب لطموحاتها، وتوفر مالاً لإقامة مشروع بنائها المقرر منذ أن تأسست قبل عشر سنوات. فهل يتنبه الشركاء دائما وفي الوقت المناسب لمحاولة الإصلاح بنوايا طيبة ومخلصة دون ترك المجاملات تعمل في الإساءة للشركة، كما وقع لشركات قتل طموحها وطموح ملاكها والتناحر والحسد؟ فالتجرد الخير وصدق النية تنمي الأعمال الكبرى وتغذي الطموحات، وبالتالي يتقدم اقتصاد الوطن، ويحق بعدها لكل عضو صالح أن يفخر بما قدم لوطنه وشركائه الذين أولوه ثقتهم وأودعوه أماناتهم، وهي أثقل عبء تصدى له الإنسان على الأرض، بعد أن عجزت عن حملها الكائنات في الأرض والسماء.

صالح عبدالعزيز السالم

رياضة المعوقين

بقلم: مجدي عبدالعظيم يعقوب

ترجع فكرة رياضة المعوقين إلى أيام الحرب العالمية الثانية حينما جاء الدكتور لودفيج جوثمان إلى المركز الخاص بجرحى العمود الفقري في مستشفى ستوك ماندفيل Stoke Mandeville بانجلترا، حيث كان المقعدون يقضون حياة ساكنة وخاملة في المستشفى، ومعها يفقدون ثقتهم بأنفسهم. وقد كان الدكتور جوثمان من مؤيدي النظرية القائلة باستطاعة الرياضة أن تساعد أصحاب العاهات على استعادة توازنهم الجسدي والمعنوي وتحقق لهم اتصالاً أفضل بالمجتمع، كما تنمي قدراتهم البدنية والعقلية، وأن هدف ألعاب المعوقين سواء من الرجال أو النساء هو أن تحفز فيهم الأمل والإلهام وتعمل على تحقيق الصداقة بين الشعوب.

تطبيق الفكرة

وبدأ الدكتور جوثمان تطبيق هذه الفكرة منذ عام ١٩٤٨م عندما أقيمت أول دورة لألعاب ستوك ماندفيل، حيث اقتصرت على الرماية بالقوس واشترك فيها المحاربون القدماء في الجيش البريطاني، وكان عددهم (١٨) مشلولاً بينهم سيدتان، وذلك في نفس يوم افتتاح الدورة الأولمبية بلندن والتي افتتحها الملك جورج السادس.

ولا تزال هذه الدورات تقام كل سنة لثلاث سنوات متتالية، وفي السنة الرابعة تعقد الدورة في البلد الذي تقام فيه الدورة الأولمبية العالمية وذلك منذ عام ١٩٦٠ م، حيث انتقلت بطولة ألعاب المعوقين إلى روما، التي أقيمت بها الدورة الأولمبية، واشترك في هذه الدورة ٤٠٠ لاعب معوق، وفي عام ١٩٦٤م أقيمت في طوكيو باليابان واشترك ٣٧٥ لاعباً، وفي عام ١٩٦٨م اشترك ٧٥٠ لاعباً، أما في عام ١٩٧٢م فقد أقيمت في هايدلبرج بألمانيا الغربية حيث اشترك ألف من المعوقين من ٤٢ دولة، وفي دورة تورنتو بكندا عام ١٩٧٦م اشتركت خمسون دولة، أما الدورة السادسة التي أقيمت عام ١٩٨٠م فقد كان مقرها موسكو، ولكن لظروف سياسية تم تغيير مكانها إلى هولندا، والشيء نفسه حدث في عام ١٩٨٤م حيث كان مقر الدورة لونس أنجلوس وتم تغيير مكانها إلى ستوك ماندفيل، واشتركت خلالها ٤٤ دولة مثلها ١٥٠٠ لاعب معوق، وقد شاركت في هذه الدورة خمس دول عربية وهي: الكويت - السودان - مصر - البحرين - الأردن. وقد نجحت هذه الدورة نجاحاً كبيراً، وأحرز المعوقون العرب نتائج مشرفة وحصدوا العديد من الميداليات المختلفة.

ومن ناحية أخرى تعقد أربعة لقاءات رياضية كبرى في ستوك ماندفيل سنوياً منذ عام ١٩٦٩م وهي:



> "المعوقون العرب استطاعوا كسر حاجز الإعاقة وعبروا "المانش"!"

* مسابقات ألعاب ستوك ماندفيل الدولية.
* مسابقات ألعاب ستوك ماندفيل القومية.
* مسابقات الأطفال المصابين بعاهات متنوعة.
* مسابقات الكبار المصابين بعاهات متنوعة.

تقسيم اللاعبين

وتتميز مسابقات المعوقين بأن لها قانونها ونظامها الخاص، وبرنامج المسابقات يتم إعداده قبل البطولة بيومين، كما يتم إجراء الكشف الطبي على جميع المشاركين، وبناء على هذا الكشف يتم

تقسيم اللاعبين كل حسب حالته وإصابته إلى ست فئات مختلفة، ثم تقسيم كل فئة إلى ثلاثة أقسام أخرى، كما يجري الكشف الطبي على الجزء المصاب لتقدير قوة العضلة وقوة أعصاب هذا الجزء،

فالجميع لهم الحق في الاشتراك في المنافسات المختلفة تبعاً لشروط اللعبات وقواعدها. وفي حالة وقوع أخطاء من بعض اللاعبين يمنع قانون المعوقين شطب أي لاعب بل يتم نقله إلى فئة أخرى أقل،

كما أن اشتراك اللاعب لأول مرة في البطولة مهما كان سنه يستوجب مشاركته ضمن الناشئين، ثم يرقى بعد ذلك للعمومي في المرة التالية للبطولة.

رياضات مناسبة

الرياضات التي تناسب المعوقين هي : تنس الطاولة - السباحة - البولينج - رفع الأثقال - القوس والسهم - المبارزة - كرة السلة - ألعاب القوى.



وقد قام المتخصصون بإجراء بعض التعديلات على رياضة ألعاب القوى، مع أن المعوق يستخدم الأدوات العادية كما تمارس على ملاعب ألعاب القوى نفسها، كما يمكن للمعوق أن يختار من ألعاب القوى ما يناسبه، وهي تتألف من : الرمح - القرص - الجلة - الصولجان - الخماسي الذي يتألف من رمي الرمح ودفع الجلة ورمي الصولجان ومسابقة القوس والسهم والسباحة لمسافة ٦٠ مترا.

أما سباقات المضمار فتشمل مسابقات الجري والتتابع، ويكون الفوز فيها لمن يقطع مسافة السباق في أقصر زمن، وذلك عن طريق دفع الكرسي بيديه من إطار الدفع بالعجلات، وبالإضافة إلى هذه السباقات فهناك أيضاً سباق الموانع الذي يتم في ميدان ذي تصميم خاص حيث يتضمن بوابات يتم عبورها بالمواجهة، ونوع آخر يتم عبوره بظهر الكرسي، مع وجود بعض الموانع لتعطيله بعض الشيء.

إنجازات أبطال العرب

تُعد كل من مصر والكويت والسودان والبحرين والأردن من أوائل الدول العربية التي تعطي اهتماماً كبيراً برياضة المعوقين، وهي من أوائل الدول العربية أيضاً في الانضمام للاتحاد الدولي للمعوقين. وتأتي مصر في مقدمة الدول العربية الرائدة في مجال هذه الألعاب حيث اشتركت لأول مرة عام ١٩٧٢م. ويوجد في مصر عدد كبير من أندية المعوقين.

وقد حقق سبعة من المعوقين المصريين انجازاً كبيراً في عام ١٩٨١م وهو العام الدولي للمعوقين؛ حين استطاعوا عبور المانش بالتتابع، فلقد قطع الأبطال المعوقون المسافة وهي ٣٢ كيلومتراً في ١٧ر١٠ ساعات وهو رقم يفوق أرقام بعض الفرق التي عبرت المانش بالتتابع المكونة من سباحين سليمي الأجسام.

وفي عام ١٩٨٢م استطاع خالد حسان أن يعبر المانش برجل واحدة في ١٢ ساعة و ٣٤ دقيقة، حيث كان أول سباح معوق في العالم يعبر المانش، وفي عام ١٩٨٣م استطاع خالد شلبي أن يقهر القناة الإنجليزية ويعبر المانش برغم أنه لايملك سوى ذراع سليمة واحدة.

كما استطاعت الكويت في فترة وجيزة أن تحرز أكثر من إنجاز إذ فازت ببطولة العالم للناشئين تلك التي أقيمت عام ١٩٧٩م، وبالمركز الثامن في العمومي، واحتلت عادلة الرومي في هذه البطولة مكانة مرموقة حيث استطاعت أن تحصل وحدها على سبع ميداليات ذهبية، كما اختيرت ضمن أحسن عشرة رياضيين بالكويت تم اختيارهم عام ١٩٨١م.

وقد استطاع أبطال الكويت ومصر والسودان والبحرين والأردن أن يحرزوا مراكز متقدمة وأن يحصدوا الذهب والفضة والبرونز في العديد من البطولات المختلفة (١).

ومن ناحية أخرى تقدمت كل من العراق والجزائر في عام ١٩٨٤م بطلب عضوية للانضمام في الاتحاد الدولي للمعوقين حتى يتمكنا من المشاركة رسمياً في الدورات والبطولات التي يقيمها الاتحاد.

وأخيراً فإن الرياضيين من المعوقين وما يصنعونه من إنجازات كبيرة لأكبر من أن يحققه الأصحاء.

إن رياضة المعوقين بوصفها إحدى الوسائل التي تشعر المعوق بقوة الارادة في مواجهة الحياة والمجتمع وإثبات وجوده على خريطة الحياة، فقد أصبح من أهم المؤشرات التي تدل على مدى التقدم والإنجاز والرقي بين الدول هو تحقيق مبدأ الرعاية للمعوقين في جميع المجالات، ففي ذلك توفير للعدالة الإنسانية وتحقيق لتكافؤ الفرص بين المواطنين جميعاً.

الهامش

(١) لم تذكر أسماؤهم نظرًا لعددهم الضخم.


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن« مؤسسة الجزيرة «للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف« ٤٠٢٥٥٥٥ ».تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

آفاق اجتماعية

دور الأب في تنشئة الأبناء

أُجريت دراسات متعددة لعدد كبير من العلماء حول الأطفال الذين نشؤوا بدون آباء، واتضح أن ثلث هؤلاء الأطفال إما أشرفت على تنشئتهم وتـربيتهم أمهات غير قادرات على تعويض دور الأب فخـرجوا أطفـالاً فوضـويين، كسالى، لا يحترمـون أمهاتهم ولا يقيمـون لهن اعتبارا، مبـذرين، عـابثين، يميلون لممارسـة الجنس في سن مبكـرة وفاسـدي الأخـلاق بشكل عام، أو أشرفت على تـربيتهن أمهات تتسم شخصيـاتهن بالتسلط والقمع، فأنتجن أبناء تتسم شخصيـاتهم وإراداتهم بالضعف، ولكي يعـوضوا هـذا الضعف، ويثبتـوا ذواتهم اتجهـوا لممارسة الأفعـال المنحـرفـة، كالسرقـة، والنشل، وتعـاطي المخدرات، وممـارسة العنف، أو أمهات ضعيفـات الإرادة والشخصية أمـام أطفالهن، حيث لا يتمكنّ من اتخاذ مواقف وقرارات حازمة تجاه سلوك أطفالهن وتصرفاتهم، وإن اتخذن مثل تلك المواقف والقرارات لا لبثن أن يتراجعن عنها بسهولة خشية فقدان محبتهم، وذلك لأن التركيـز على كسب محبة الأبناء تصبح هدفًا قائمًا بذاتـه تسعى إليه الأم بجميع الوسـائل، وهي لا تستطيع الصمود طـويلاً أمام المسـاومة التي يجربها الطفل معها عندما يقول لها: «إن كنت تحبينني فدعيني أفعـل كذا وكذا»، فلا تلبث أن تنهار ملغية كل المواقف والمعايير والقيم المعتمدة؛ إذ إن خوفهـا من فقدان محبة الابن يجعلها تحطم بسهولـة القيم والمعايير الأخلاقية والقوانين.

إن فقدان أو تفريغ السلطـة الأبوية من قوتها ومعناها، ومن ثَمَّ هـدم الحواجز والحدود وتحطيم الثوابت (أي القيم والمعايير الأخلاقية والقانونية) يؤدي إلى ظاهرتين مؤثرتين تأثيرًا عميقًا في سلوك الطفل، وتنموان معه مع تقدم العمر، فمن جهة، تصبح تلك الثوابت (كخيال المآته) صورة بلا مضمون، يخافها ظاهرًا ولا يأبه من هتكها سرًّا، ومن جهة أخرى، تتولد لديه صورة مرضية عن ذاته لأنه يراها فوق تلك الثوابت.

وقـد يحدث في كثير من الأحيان، أن يستيقظ الشعـور الأخـلاقي عند المراهق يـومـا، وخاصـة عندمـا يرتكب فعـلاً منحرفًا ويقع في قبضة القـانون، أن يوجه اللوم إمـا للظروف التي حرمته مـن أبيه، أو للأب الذي لم يستطع أن يؤدي دوره كأب مـوجه للسلوك، وكصاحب سلطـة، وحارس على ثوابت المجتمع من قيم ومعايير وقوانين. وكثيرًا ما ردد الأحداث المنحرفون أثناء إجراء المقابلات معهم القول: «إنني أصبحت منحرفًـا، لأنه ليس لدي أبٌ يـوجهني ويشرف على تقويم أفعالي، أو إنني أصبحت كـذلك نتيجة إهمال والدي وعدم مبالاته، فلو أنه منعني منذ صغري وزجرني وعاقبني لما فعلت الآن ما فعلت».



ومثلما أنه صحيح، أن المنحرف يحاول اتهام أبيه وإلقاء مسؤولية انحـرافه على الآخـرين، فإنه صحيـح - أيضًـا - أن هناك دورًا أبويًّـا غائبًا كـان يجب أن يؤدى، دورًا غير قابل للمساومـة أو للنقاش، وذلك من خلال فرض سلطة الأب، تلك السلطة التي لا تعني بالضرورة الخوف والقهر والإجبار، وإنما تعني السلطة الحامية الـراعية الحانية التي تـؤمن للطفل الملاذ والأمن والاطمئنان، وضمان العـدل، واحترام القيم والمعايير والقوانين التي يتعامل بها مع المجتمع، والتي تكفل الأمن والاستقرار للجميع.

د. تماضر حسون

الزيات .. الوجه الآخر

بقلم: عبد الحسيب الخِنّاني


الزيات

تعددت الكتابات حول الأديب العربي المعروف أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة، وكلها تتناوله بوصفه شخصية لها مكانتها البارزة في الأدب العربي، ولها منهجها المميز في الكتابة والتأليف والإبداع،، مما جعلني أتساءل: هل كان الزيات عاكفًا على هذا الجانب فقط دون أن يكون له رأي في الحركة الأدبية والثقافية التي شهدتها الساحة إبان عصره، أو دون أن ينقدها ولو مرة واحدة خاصة أنها كانت تموج بالمعارك الملتهبة بين أقرانه من الأدباء في ذلك الوقت؟

وقد دفعني ذلك إلى البحث عن الوجه الآخر لأحمد حسن الزيات في محاولة لكشف الغموض الذي يكتنف الجانب النقدي من أعماله، وإذا بي أجد في كتابات الزيات ما يؤكد أن الرجل كانت له إسهامات نقدية لا تقل شأنا عن إسهامات معاصريه من النقاد، في دفاعه عن البلاغة العربية، وانتقاده للعامية الأدبية، ثم هجومه على دعاة تطبيق المنهج النقدي الغربي على الأدب العربي موضحًا تباين البيئتين العربية والغربية تباينًا يتعذر معه تطبيق هذا المنهج بما فيه من نظرية الوحدة العضوية، أو نظرية الشك التي حاول طه حسين تطبيقها على الشعر العربي، بالإضافة إلى إسهاماته الأخرى في قضايا العامية والفصحى والمعركة التقليدية التي قامت بينهما، وحرية التجديد، وإضافات المحدثين للفصحى من ألفاظ تستجد عليها من حيث التوليد والاشتقاقات اللفظية، كما فعل الأوائل من أرباب البلاغة والبيان.

اعتداله في النقد

والحقيقة أن الزيات قد اتخذ منهجًا معتدلاً في نقده، فهو لا يطعن في أحد ولا يتطرف في حكم، بل كان غالبًا ما يؤثر السلامة وعدم الدخول في المعارك الأدبية،، ولعله عبر بنفسه عن هذا الاتجاه في قوله: لا أدخل في جدل ولا أشارك في مراء ولا ألج في مناقشة، ولذلك عشت لين الجانب سليم الصدر، وكان من جدوى ذلك أن كفاني الله شر العداوة، وجعل ما بيني وبين الناس قائما على المجاملة والمساهلة والود.

ولعل هذا الاعتدال الذي اتسم به الزيات في نقده هو السر في عدم شهرته ناقدا كشهرته كاتبا، كما يقول الباحث الأدبي **محمد عامر** في رسالته «الزيات الناقد الأدبي» [١]، وهذا الاعتدال بالإضافة إلى دفاعه عن البلاغة العربية، والفصحى، جعل بعض النقاد المعاصرين يصفه بأنه كاتب كلاسيكي محافظ برغم ما نادى به من ضرورة تطوير تعليم اللغة العربية، وحق الوضع اللغوي للمحدثين كما كان للقدماء، وقيامه بإدخال بعض كلمات لم تكن مستعملة من قبل تطبيقا لرأيه في التوليد والاشتقاق[٢]، مما يجعلنا نقف مع محمد عامر في دفاعه عن الزيات وأنه لم يكن كلاسيكيا بهذا المعنى المعروف بالتحجر، أو المحافظة التي كانت تُرمى بالجمود والتقوقع داخل إطار القديم، ولكنه إلى جانب دفاعه عن التراث العربي وضرورة الحفاظ عليه كان دائما يسعى إلى التجديد والإضافة في كتاباته وانتقاداته.

اتجاهاته النقدية

ولقد اتجه الزيات في نقده اتجاهين حددهما الباحث وهما **الاتجاه التأثري والاتجاه التفسيري**.

ففي الأول يقوم بعرض العمل الأدبي على مرآة نفسه ثم يرى ما تتركه عملية العرض هذه من آثار على نفسه. فالتأثر عنده مرحلة أولية وجوهرية في النقد، ويتضح هذا في نقده لكتاب «حياتي» **لأحمد أمين** و«الأيام» **لطه حسين** فيقول: «إنه كان يجد من التشوق واللذة في قراءته لأحدهما مثلما يجد في الآخر، شوق ولذة من نوع غريب الطعم والأثر لم يذقهما في حياته الأدبية قبل هذين الكتابين اللذين يشتركان في اجتذاب النفوس وامتلاك المشاعر بشيء آخر غير الفن» [٣].

أما الاتجاه التفسيري ففيه يقوّم الأدب ويوجهه، وهذا الاتجاه ليس إلا امتدادًا لشخصية

الزيات في سطور

* ولد أحمد حسن الزيات في الثاني من أبريل عام ١٨٨٥م بكفر دميرة ـ مركز طلخا ـ التابع لمحافظة الدقهلية بمصر، لأبوين قرويين متوسطي الحال يعيشان على الزراعة شأن أهل القرية الذين شاع فيهم البؤس والفقر، نتيجة سيطرة الإقطاع على الفلاحين في ذلك الوقت، وكان لهذا أثره الواضح في مقالات الزيات عن الفقر والفقراء بمجلة «الرسالة».

* أتم أحمد حفظ القرآن في «كُتّاب القرية» ثم انتقل وهو في الثالثة عشرة من عمره إلى القاهرة ليكمل تعليمه في الأزهر الشريف، حيث ظهرت موهبته الأدبية ممثلة في اهتمامه بالجانب الفقهي، وقد تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده الذي كان يحاضر بالرواق العباسي بالأزهر.

* في عام ١٩٢٢م اختارته الجامعة الأمريكية بالقاهرة رئيسًا للقسم العربي بها، ثم حصل على ليسانس الحقوق من فرنسا سنة ١٩٢٩م، ثم سافر إلى العراق في نفس العام ليعمل مدرسا بدار المعلمين العليا ببغداد.

* في عام ١٩٣٢ عاد من العراق وأنشأ مجلة «الرسالة» عام ١٩٣٣ وظل يكتب بها لمدة عشرين عاما حتى توقفت عن الصدور سنة ١٩٥٣، ثم رأس تحرير مجلة «الأزهر» في نفس العام ثم في عام ١٩٥٩، فظل يكتب فيها مقالاته حتى وافته المنية في يونيو عام ١٩٦٨ بعد حياة عريضة مثيرة.

الزيات الأديب، وقد نمى فيه هذا الاتجاه كراهيته للخصام والجدل ومعاداة الآخرين، فمن يقرأ نقده للشعراء أو الكتاب في زمنه يرى أنه يطبق هذا الاتجاه في الفهم والمعرفة والتفسير دون أن يقوّم العمل الأدبي حتى لا يقحم نفسه في قتال صريح أو جدل عنيف دفاعا عن رأيه ضد الخصوم.

إلا أنني أرى في نقد الزيات اتجاهين آخرين: اتجاهًا شخصيًا يقوم على التقريظ والمجاملة فهو مدح أكثر منه نقد، واتجاها عاما ينقد فيه القضايا العامة بموضوعية أكثر.

ففي نقده لشعر شوقي يقول: «أُغلق مصراعا الزمن على مروج عبقر بعد **المتنبي** فلم يُرفع رتاجهما عن عرائس الشعر فيه إلا **لشوقي**»، وقال في شعره: «إنه ينقله عن طبع دافق وحس صادق وذوق سليم وروح قوي فيأتي مطرد المسلك محكم السبك، فله في الغزل والوصف دقة **مهيار والبحتري**، وفي الحماسة والمدح فخامة **أبي نواس والرضي**، وفي الأدب والحكمة دقة **أبي تمام** وتعقيد المتنبي». وفي رأيي أن هذا الكلام من الزيات جاء رد فعل للاتهامات التي وجهها العقاد لشوقي حين حاول أن يطبق على شعره نظرية الوحدة العضوية، ولما لم تصدق عليه طرحه جانبا ورماه بالهبوط والإسفاف.

أما الاتجاه العام فإن الزيات حين يتناول القضايا العامة يطلق لقلمه العنان ليدلي بدلوه، ما دام الطريق مفتوحًا أمامه إلى القضية محور المعارك الأدبية، بعيدًا عن الأشخاص اتقاء لشرهم وشر أقلامهم. فنراه في تناوله للسياسة الأدبية يرى أن الأدب هو السياسة العليا للأمة وهو زعامة مستقلة، ورسالته متَّبَعة يوجِّه ولا يوجَّه ويقود ولا يقاد، وإذا جاز للجيش أن يوجه القائد جاز للشعب أن يوجه الأديب، وذلك محال في نظره، لأن الشعب ينفعل بالأدب ولا يفعله ويتأثر به ولا يؤثر فيه، ولذلك فالأدب زعيم بالفطرة يحرك شعبه ويوقظه، وينمي فيه طموحه إلى الكمال بتلك الصرخات التي يرسلها في شعره أو نثره من تلقاء نفسه دون توجيه من أحد، وإلا فمن الذي وجه **ديدرو ومونتسكيو** إلى التمهيد للثورة الفرنسية، ومن الذي وجه **الأفغاني ومحمد عبده والبارودي والنديم** إلى التمهيد للثورة العرابية؟ (٤).

„ اتهموه بالكلاسيكية رغم دعوته إلى التجديد والتطوير! “



الأفغاني



النديم

الأديب في نظر الزيات

ويدعو الزيات إلى إطلاق حرية الإبداع عند الأديب وعدم تقييدها بأي قيد، فالأديب إنسان متمرد منطلق لا يرجع القهقرى ولا يطيق الركود، ولا يهتم بقواعد البلاغة لأن قوانينها مقتبسة من فنه، ولا يعبأ بمذاهب النقد لأن مقاييسها مقدرة على كلامه، وهذه الدعوة التي يوجهها إلى تحرر الأديب وإلحاحه فيها تجعلنا نلحظ أنه يدين بالمدرسة الرومانسية وإن كان لم يصرح بهذا، إلا أنه تأثر تأثرا واضحا برواد الأدب الفرنسي ونقاده أمثال روفائيل وفلوبير وجي دي موباسان.

علاقة الناقد بالأديب

وعندما يتعرض للسياسة النقدية، فإنه يشبه الناقد بالمشرع والفيلسوف والقاضي في الدور الذي يقوم به والذي يحتاج إلى ذوق سليم وملاحظة قوية يصدر عنهما الحكم على العمل الأدبي، دون مجاملة أو محاباة، «فلا بد أن يكون الناقد قادرا على المشاركة العاطفية مع الأديب، والبراءة من المؤثرات التي تفسد عليه أحكامه» (٥)، ولعل تلك العلاقة التي يأملها الزيات بين الأديب والناقد يندر وجودها في دنيا الواقع؛ فهناك نفور شبه دائم بين الطرفين؛ وغالبًا ما ينتصر الأديب في النهاية، وإلا ما ظهرت التيارات الأدبية الجديدة، ولا المذاهب الفنية الحديثة.

وفي الوقت الذي يذهب فيه الزيات إلى القول بأن النقد يجب أن يخلو من المجاملة والمحاباة، وأن يبرأ الناقد من المؤثرات التي تفسد عليه أحكامه، فإنه لم يلتزم بهذا الرأي في معظم نقده لأعمال الآخرين، فلقد كان يميل إلى التقريظ والمدح والمجاملة أكثر من النقد الصريح، تمشيا مع المنهج الذي اختطه لنفسه، وحفاظًا على مكانته وسمعته الأدبية من أن يصيبها لسان أو قلم. فلقد كان يناقش القضايا الأدبية وينقدها ولكن أسلوبه في النقد كان يغلب عليه الطابع الأدبي لا النقدي مما جعل الباحثين لا يتناولون هذا الجانب ولا ينتبهون إليه حتى ظهر أخيرًا من يكتشف هذا الوجه الآخر من عمل الزيات ويضعه محل البحث والدراسة. كما أن انتقاداته الشخصية، التي تمثل في رأيي الاتجاه الشخصي في نقده، لم تخرج عن كونها ردودًا على انتقادات الآخرين مثلما كتب يرد على العقاد حين هاجم شعر شوقي، وعلى طه حسين حين انتقد نظرات المنفلوطي، أو غير ذلك من المقالات النقدية المتناثرة في مجلتي «الرسالة» و«الأزهر» وغيرهما، ولكن هذا كله لا يغض من شأن الزيات بوصفه ناقدًا كانت له آراؤه النقدية السديدة ونقده الصائب الذي أثرى الحياة الأدبية إبان عصره، مما يجعله يحتل موقعه الرائد بين النقاد، فضلا عن مكانته المرموقة في ساحة الأدب العربي.

الهوامش

(١) محمد عامر رئيس تحرير جريدة النور الأسبق - القاهرة - حصل بهذه الرسالة على درجة الماجستير من كلية دار العلوم بالقاهرة في ديسمبر ١٩٨٤.

(٢) من الكلمات الجديدة التي اشتقها الزيات من الفصحى قوله: أبدر الهلال، فاشتق من الاسم (بدر) فعلا، وقوله: استجملت الناقة أي صارت جملا قياسا على المسموع «استنوق الجمل» أي صار ناقة، واشتقاقه من الاسم مصدرا على وزن فِعالة كقوله: «بحارة» من البحر.

(٣) التأثر هدف الإبداع الفني، كما أن الاستجابة والتأثر في نظريات الإعلام هو هدف العملية الاتصالية، وهذا رأيي الذي اختلف به مع الزيات.

(٤) الزيات: في ضوء الرسالة ص ٧٢.

(٥) محمد عامر: الزيات الناقد الأدبي، رسالة الماجستير ص١١٣ (المصدر السابق).



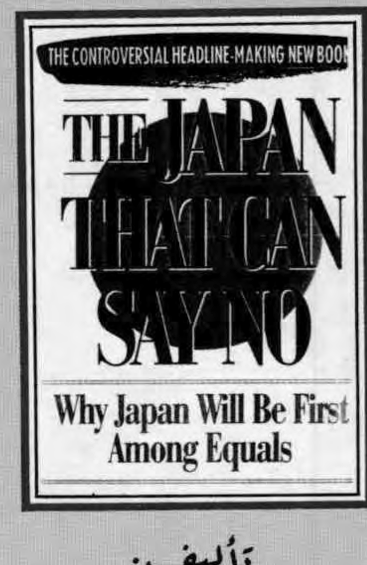
لعينيك شعري

(إلى طفلي الحبيب محمّد)

شعر: فاروق عبد الحكيم دربالة

صغيري وفرحةَ عُمرِي (محمدْ)   لعينيكَ شِعري ولحني المغرِّدْ
فأنت الهناءُ الذي يحتويني   وأنت الزمانُ الذي جاءَ يُسْعِدْ
طويلاً طويلاً تأخرت عنَّا   فما عيلَ صبرٌ وفي الله مقصدْ
عطشنا إليك السنين العجافَ   فمَنَّ الإلهُ علينَا وأسعَدْ
وروَّيت كلَّ الزوايا بُعمرِي   حنانًا وخيرًا ونورًا يزغردْ
حبيبَ الفؤادِ وأمني وزادي   وأحلى سُهادِي إذ العينُ تَسْهَدْ
أعانقُ فيكَ ابتسامي وفَجرِي   فيرقصُ حُلمٌ ويندادُ مشهدْ
أضمُّكَ في مقلتيَّ طويلاً   فلا الشوقُ يخبو ولا القلبُ يبردْ
أنامُ وأنتَ على كُلِّ هُدْبٍ   كعُصفُورِ حقلٍ وطيفٍ تَورَّدْ
وأفتحُ عينيَّ عِندَ الصباحِ   فإذ بي أُحِسُّكَ في العينِ ترقدْ
ويبسِمُ وجهُكَ حُلوًا نديًّا   فتُشرِقُ رُوحي ويَخْضَرُّ مَرقَدْ
فيا ربِّ يرعاكَ في ناظريَّ   ويجعلُ عُمرَكَ بِرًا وسُؤددْ
ويحميكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وضُرٍّ   وصَلَّى الإلهُ على الهادِي أحمدْ

نافذة على ثقافة الغرب



تأليف :
شينتارو إشيهارا
عرض وتقديم :
د . محمد عبد العليم مرسي

THE JAPAN THAT CAN SAY : NO

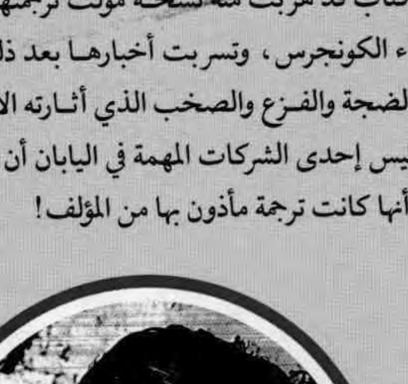
اليابان التي تستطيع أن تقول : لا !

حينما طبع هذا الكتاب ونشر في اليابان أحدث ضجة هائلة، ربما لم يحدثها كتاب من قبل في المجتمع الياباني، ، وبيعت منه فوراً مليون نسخة، وحينما ترجم إلى الإنجليزية وطبع في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩١م لم تكن الضجة التي أحدثها في المجتمع الأمريكي بأقل من تلك التي أحدثها في اليابان. وقال ناشروه الأمريكيون (Simon & Schester) : إنه يكاد يكون من النادر أن يلقى كتاب ألّفه شخص أجنبي ونشر في الولايات المتحدة ما لقيه هذا الكتاب، خاصة وأن الكتاب قد هربت منه نسخة موّلت ترجمتها وزارة الدفاع الأمريكية، ووزعتها سرا على أعضاء الكونجرس، وتسربت أخبارها بعد ذلك إلى الجمهور الأمريكي. ولقد كان من نتيجة الضجة والفزع والصخب الذي أثارته الأفكار الموجودة في الكتاب أن رفض Akio Morita رئيس إحدى الشركات المهمة في اليابان أن يشترك في ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، برغم أنها كانت ترجمة مأذون بها من المؤلف!

أما الآن، فقد أصبح في مقدور أفراد الشعب الأمريكي أن يقرؤوا فكر واحد من القادة اليابانيين عن الدور الجديد الذي ستؤديه اليابان كقوة عالمية رئيسة، وآثار ذلك كله ونتائجه على الولايات المتحدة الأمريكية بنفس عبارات «إشيهارا»، وبالضبط كما نشرت في اليابان.

إن الكاتب الياباني القدير، صاحب العبارات المحكمة والدقيقة يؤكد أن اليابان وهي تتجه نحو التفوق الاقتصادي والتقني العالمي الكاسح لن ترضى بأن يكون دورها ثانويا في الشؤون الدولية، ولن تهدأ وهي تؤدي دوراً يسيرا في ظل القوة العالمية الرئيسة في عالم اليوم، الولايات المتحدة.

وفيما لو حدث هناك تعاون بين الأمتين اليابانية والأمريكية، تعاون مشترك، فإن على الولايات المتحدة أن تغيّر من اتجاهاتها نحو التعاظم، والتي يمكن أن تكون سببا في هزيمتها وتدميرها، كما أن على اليابان أن تتحدث، وبصوت مرتفع، مدافعة



شينتارو إشيهارا

عن حاجاتها وكل ما يعنيها ويهم مجتمعها.

هذا ويمكن تركيز وجهة نظر المؤلف «شينتارو إشيهارا» في النقاط التالية :

* إن كل الترسانة النووية للولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على «رقائق الكمبيوتر



اليابان التي تستطيع أن تقول: لا!

Microchips » المتناهية الدقة التي تصنعها اليابان. وإذا ما باعت اليابان هذه الرقائق للاتحاد السوفييتي، بدلا من الولايات المتحدة، فإن التوازن العسكري للعالم كله سوف يختل وتهتز أركانه (كان هذا الكلام قبيل تفكك الاتحاد السوفييتي وانهياره).

* إن اليابان لديها القدرة التقنية (التكنولوجية) الكافية والتمويل الفائض اللذان يمكنانها من إيجاد وبناء قوة عسكرية تدافع بها عن نفسها، ومن هنا فإنها لم تعد في حاجة لحماية الولايات المتحدة لها عسكريا. (خاصة وقد غاب الاتحاد السوفييتي بشبحه العسكري القديم).

* حينما تقول اليابان للولايات المتحدة «لا» في قضية ما، أي حينما تتمرد وتعلن ذلك بصراحة قاطعة فإن الولايات المتحدة قد يجانبها التوفيق في ردود أفعالها، وقد تتصرف بطريقة غير حكيمة، وحينئذ فإن اليابان تستطيع أن تلجأ إلى قوتها وإلى علمها ومعرفتها، وبها جميعا تستطيع أن تقلب المعايير المتعارف عليها فتتعامل مع العالم من منطلق مختلف تماما.

* إن اليابان، وليست الولايات المتحدة الأمريكية، سوف تكون أهم القوى المؤثرة في اقتصاديات الدول الآسيوية الآخذة في النمو.

* إن التعصب العرقي هو أخطر مصادر الاحتكاك، وبالتالي المتاعب، بين أمريكا واليابان، ولقد كان هو السبب في تميز الولايات المتحدة تجاه ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، فلم تضربها بالقنابل الذرية، في حين دمرت هيروشيما ونجازاكي بقنبلتين منها دون تردد.

إن هذا الكتاب «اليابان التي تستطيع أن تقول: لا» كتاب صريح، بل شديد التوهج في صراحته، وهو بلا شك مرجع مهم، ووجهات نظر مؤلفه الياباني تعكس جانبا مهما من جوانب برامج العمل بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، تلك البرامج التي لا زالت تتخفى خلف البروتوكول الياباني المهذب والتقليدي. والكتاب - كذلك - يتضمن اتجاهين قويين يسودان اليابان اليوم، أولهما اعتداد وطني بالنفس أخذ في الازدياد، والثاني هو فزع اليابانيين المتنامي مما يعتبرونه «سوء فهم» الآخرين من الأجانب لوطنهم اليابان. والكتاب - بهذا الشكل - تعتبر قراءته أمرا مهما وأساسيا لمن يريد أن يفهم اليابان حقا.

والذي يقرأ الكتاب سوف يلاحظ جيدا اهتمام المؤلف بدول شرق آسيا وأوربا ودور اليابان فيها، وأثر ذلك على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية. والرجل وضع لنفسه هدفا من خلال كتابة هذا الكتاب، ألا وهو أن يقوم حوار بين القوتين: الولايات المتحدة واليابان، حوار من النوع المباشر يكون هدفه فهم الاختلافات بينهما، وإرساء أسس للتعاون بين الطرفين على أساس الثقة والاحترام والمساواة.

أما مؤلف الكتاب فهو عضو بارز ومميز في مجلس النواب الياباني (الدايت)، كما أنه عضو في الحزب الديمقراطي الليبرالي. وهو إلى جانب ذلك قد مضت عليه سنوات اعتبر خلالها من أهم السياسيين المتحدثين ذوي الشعبية الكبيرة في اليابان، وبجانب كتابه هذا الذي بين أيدينا نجد أن له قصصًا وروايات ناجحة فاز بسببها بعدد من الجوائز القيمة، وفي أوقات فراغه نجده يمارس هواية ركوب اليخوت، وهو لاعب تنس ورسام في الوقت نفسه.

تصريحات خطيرة

في الأسابيع الأولى من العام الماضي (١٩٩٢م) صرح رئيس وزراء اليابان تصريحا قصيرا اتهم فيه الشعب الأمريكي بأنه شعب كسول مدلل، وقد كان لكلماته وقع مؤلم على الشعب الأمريكي الذي يعتز أفراده دائما بأنهم «الأوائل في العالم»، والذين يحلو لهم أن يرددوا عبارة بهذا المعنى تقول « We are number one ». ولقد وصل الأمر أن رد الرئيس الأمريكي - آنذاك - «بوش» على رئيس الوزراء الياباني مفندا قوله، ومدافعا عن أمته. واعتذر الأخير، ولكنه حقق غرضه بما قال!

ولكن بعيدا عن السياسة والسياسيين، هل تستطيع الكلمات أن تمحو الحقائق، وهل تغني التصريحات وردود الأفعال عن الوقائع والأرقام؟ إن ما قاله رئيس وزراء اليابان حديثا قد عبر عنه «إشيهارا» في هذا الكتاب منذ أكثر من عامين، كما أن ميزان المدفوعات بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان يميل لصالح الأخيرة بعشرات المليارات من الدولارات، علما بأن اليابان في مساحتها لا تزيد على ٤٪ فقط من مساحة الولايات المتحدة، بينما عدد سكانها يصلون إلى نحو ١٢٠ مليون نسمة، وأرضهم عبارة عن جزر متناثرة لا تشتهر بأية مصادر طبيعية ذات بال. فكيف قفزت هذه القفزات الهائلة، بل المذهلة في مجال العلم والتكنولوجيا، والتجارة والمال، وكيف أصبحت منتجاتها تنافس منتجات أعظم الأمم على وجه الأرض، ليس فقط في أسواق العالم المختلفة، ولكن تنافسها في أراضيها نفسها، وذلك جبروت اقتصادي غير مسبوق؟

إن رد الفعل الأمريكي حيال ذلك التهديد الياباني - كما ستقرأ في صفحات هذا الكتاب الرائع - كان مندفعا وفوريا وذا طبيعة تتسم بالغطرسة والحماقة، وهذه هي حماقة القوة The Arroganca of Power كما عبر عنها الحكيم الأمريكي الأشهر «سيناتور وليم فولبرايت Senator William Volbright» رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي لعدة دورات، والذي ألف كتابا بهذا العنوان بالتحديد، وقد كتب مؤلفه هذا في عز الحرب الفيتنامية الأمريكية.

إنك حين تنافس مجتمعا في مجال العلم والتكنولوجيا لا ينبغي أن تلجأ إلى القوة كي توقف هذا التقدم، إن سبقك وتفوق عليك. لقد قال نفر من أعضاء وزراة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» للمؤلف «إشيهارا»، حين ألمح إلى فكرة بيع

منتجات اليابان من رقائق الكمبيوتر الحساسة في المجال العسكري للاتحاد السوفييتي، قالوا له دون حذر ولا تردد: لو فعلتم ذلك لاحتللناكم فورًا!

وهذا رد فعل في يقيني يدل على العصبية، وعلى الفشل في المنافسة، والوصول إلى استخدام السلاح، دون استخدام العمل والعلم والعقل والإبداع والاختراع. وليس غريبا أني شاهدت خلال شهر رمضان من عام ١٤١١هـ على شاشات التليفزيون الأمريكي عرضا لكتاب جديد - لم أحصل عليه بعد - عنوانه «الحرب القادمة مع اليابان The Coming war with Japan»، وكان المذيع يناقش مؤلفه فيه، وخاصة في دلالات العنوان، وأي نوع من الحرب تلك التي يتوقع نشوبها مع اليابان، هل هي حرب أسواق ومواد خام، أم حرب اقتصادية شاملة، أم هي منافسة حامية وأن استخدامه للألفاظ كان من قبيل المجاز والمبالغة، فإذا بالمؤلف يقول صراحة إنها ستكون حربا فعلية تستخدم فيها الأسلحة المعروفة لأننا لا نستطيع أن نوقف اليابان داخل حدودها المسموح بها، وقد تخطت بالفعل الخط الأحمر، بغزوها الذي يزداد كل يوم لأسواق العالم كله، وأسواق أمريكا من ضمنها وكذا أوربا!

فهل سنشهد فعلا هذه الحرب في عصرنا هذا الذي نتحدث فيه عن النظام الدولي الجديد، وعن السلام المرتقب، أم أن هناك أمورًا تجري تحت المائدة لا ندري عنها شيئا؟ من ضغط دبلوماسي، إلى تهديد خفي، إلى ثني الأذرع... إلخ. إن هذا الكتاب يعكس الكثير الكثير من أبعاد الصراع الدولي بين عملاقين اقتصاديين رهيبين، وعيون المخططين في مجتمعيها تبحث في العالم كله كي تتحكم في أسواقه، فمن منهما سيستطيع أن يلوي ذراع الآخر ويخضعه لمنطقه وقوته، ومن منهما سيستطيع أن يتغلب في النهاية؟ الأيام وحدها ستثبت لنا.

علاقات عجيبة

قسم «إشيهارا» كتابه إلى جزءين رئيسين، اشتمل الجزء الأول على خمسة فصول هي:

١ - وعي وطني جديد.

”هل سنشهد حربًا حقيقية بين اليابان والولايات المتحدة .. ولماذا؟!“

٢ - التعصب الجنسي العرقي: السبب الجذري للعنف ضد اليابان.

٣ - من «الظالم» حقا؟

٤ - الوقوف في وجه التهديد الأمريكي.

٥ - الأمن القومي وعصر الباسيفيكي.

أما الجزء الثاني من الكتاب فيشتمل على ستة فصول هي:

٦ - اليابان والولايات المتحدة: شريكان، أم سيد وخادم؟

٧ - أيها الأمريكيون: انظروا لأنفسكم في المرآة!

٨ - القول نعم لأمريكا.

٩ - اليابان والولايات المتحدة: اللاعبان الأساسيان في العصر الجديد.

١٠ - النظر إلى المستقبل في أوربا وآسيا.

١١ - برنامج عمل لأمريكا.

ولعلنا بعد المقدمة، وبعد عرض عناوين الفصول نتعرف معًا على هذا الكتاب المتميز، الذي حلل فيه صاحبه شبكة العلاقات المتداخلة والعجيبة بين عملاقي الاقتصاد في العالم، كما حلل الأبعاد الاستراتيجية التي تهدف كل واحدة منهما إلى فرضها على الأخرى، ولا ننسى — ونحن نقرأ هذا الكتاب - أن الصراع بين اليابان وأمريكا لا بد وأن يتأثر به العالم كله، ونحن جزء منه، بطبيعة الحال، ولذا فإن الوعي بهذه الأبعاد قد يقينا بعض الشرر الذي قد يتطاير عند التصادم بين القوتين العظميين في مجال الاقتصاد، فأموال العرب لا شك تتأثر بحركة الدولار الأمريكي، والين الياباني، ولا أتحدث هنا عن الصراع العسكري الذي تنبأ به أحد المفكرين الأمريكيين والذي قد يطول منطقة المحيط الهادي، فيما لو لم تستطع واشنطن أن تحتوي «الهجوم» الاقتصادي الياباني على أسواقها في العالم، ومن يدري؟!

لقد كتب «إزراف فوجل Ezraf Vogal» الأستاذ بجامعة هارفارد(١) مقدمة لهذا الكتاب أعطاه حقه فعلا، وفي نهاية مقدمته الضافية تلك قال إننا نحن معشر الأمريكيين في حاجة ماسة لقراءة هذا الكتاب كي يساعدنا على مواجهة حقيقة أن اليابانيين قد تفوقوا علينا بمراحل في الصناعة والتكنولوجيا وفي رؤوس الأموال الضخمة التي تحت أيديهم، وينبغي علينا أن نواجه أنفسنا فعلا. كما كتب أحد الصحفيين يتساءل: «هل بدأ عصر الانحدار الأمريكي»؟ والذين لا يرويدون منا أن يواجهوا هذه الحقيقة ما عليهم إلا أن يرحلوا إلى إحدى أمم شرق آسيا لكي يروا النظرات في عيون الناس، والآراء المعبرة التي تقول: أيها الأمريكيون إنكم تخدمون أنفسكم!

وللعلم فإن اليابان ليست أقوى منا اقتصاديا فقط، ولكن شعبها ينظر إلينا نظرة متدنية أو حتى باحتقار، وإنه لمن خداع النفس ألا نواجه ذواتنا بهذه الحقيقة وأن نقف في مكاننا لنقول إن هذا الأمر لا يهم. إن الولايات المتحدة قد امتلكت القيادة العالمية من خلال استجابتها السريعة للنواحي العسكرية، ولكن حينما نأتي للجوانب الاقتصادية لا بد وأن نعترف بأن ذلك لا يفيدنا في دفع ديوننا، بسبب عجزنا التجاري الذي لا يخفى على أحد.

إن أمتنا محتاجة لشخص صريح قوي الحجة مثل «إشيهارا» كي يدل قادتنا على الكيفية التي يستطيعون بها إعادة بناء اقتصادنا، لتنمية استثمارات طويلة الأجل، ولنحتفظ بالصناعة الأمريكية في ظل تكنولوجيا رفيعة المستوى. ولديّ إحساس جاد بأنه لو كان «إشيهارا» هذا أمريكيا لأدى هذا الدور المنقذ بالنسبة لنا ولأمتنا. وليس بعد كلمات «فوجل» هذه من ثناء على فكر ذلك الكاتب الياباني المبدع، وليس هناك من تمجيد



اليابان التي تستطيع أن تقول: لا!

أفضل من ذلك، والفضل دوما، ما شهدت به الأعداء.

يقول المؤلف في مقدمته: لقد كان لا بد لهذا الكتاب من أن يترجم إلى الإنجليزية، وأن ينشر في الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه يتعلق بكل مظاهر العلاقات بين اليابان وأمريكا، وخاصة في الأمور المتنازع عليها. وكرجل سياسي، وكاتب أعترف بأن قناعتي تامة أن هذه العلاقات مهمة وحساسة لكلا الطرفين، بل وهي مهمة كذلك بالنسبة للمجتمع الدولي كله.

وحينما كنت أعد بعض البيانات الخاصة بترجمة الكتاب في الولايات المتحدة، اهتزت الأرض بالزلزال، وضربت الصاعقة، خاصة وقد كنت أستعد لترشيح نفسي لرئاسة الحزب الديمقراطي الحر والذي كان هو الحزب الحاكم آنذاك، ولقد اشتعلت رغبات محمومة في معرفة أفكاري وما يدور في ذهني (٢).

لقد قفزت ترجمة الكتاب على سطح الأحداث في واشنطن العاصمة، وأصبحت حديث المدينة، وخاصة في «الكابيتول هل Capitol Hill» حيث مقر الكونجرس الأمريكي.

وفي يناير ١٩٩٠م اكتشفت أن «وكالة مشروعات الأبحاث المتقدمة والمتعلقة بالدفاع في وزارة الدفاع الأمريكية Pentagon's Advanced Research Projects Agency» كانت وراء المؤامرة التي حيكت بحيث انتزعت أجزاء معينة من الترجمة، وركزت على أجزاء أخرى، بحيث صار الكتاب مضحكا في أجزاء منه، وخطيرا في أجزاء أخرى.

ولقد شجعت أحد الأشخاص لنسير في عملية الترجمة المأذون بها، ولكن شخصا آخر كان قد اشترك معي في كتابة بعض أجزاء الكتاب، واسمه «موريتا Morita» وخشي عواقب النشر في أمريكا، ربما لأنه كان رجل أعمال واسع الانتشار، وخشي أن يؤثر نشر الكتاب على عمله، أما أنا فكنت أشعر أني حر أقول ما أومن به وما أعتقده، وقد قررت أن أتقدم بالكتاب وحدي للترجمة، في صورة جديدة بعد أن أضفت إليه عددا جديدا من الفصول، ولقد كانت الفصول الخمسة الأولى التي تكون الجزء الأول من الكتاب هي إسهامي في النسخة اليابانية، أما الفصول الستة الباقية (الجزء الثاني من الكتاب) فهي التي أضفتها له، بحيث خرج في صورته الأخيرة التي ترجمت في أمريكا، بعد أن رفعت من الكتاب ما سبق وأن كتبه زميلي «موريتا».

والقارئ لكتاب «شينتارو إشيهارا» الرائع يلمح فورًا الذكاء الياباني الحاد، والدبلوماسية الواعية، والحنكة السياسية العميقة، فالرجل يختم مقدمته مبينًا أن هناك كثيرا من المصالح بين البلدين، وأن هناك ـ كذلك ـ كثيرا من أسباب الاختلاف والاصطدام، ولكن يسارع بالقول إنه من مصلحة الطرفين أن يجلسا سويا، وأن يتحدثا، فالحوار هو المطلوب، وخاصة الحوار الصريح، الذي يكون بين شركاء متساوين، كما أن التفسيرات الخاطئة لمواقف كل منهما ينبغي أن تترك جانبا.

إن حقبة التسعينيات يتوقع لها أن تكون فترة لالتقاط الأنفاس، وسوف تكون شاملة على تغيرات سياسية واقتصادية واسعة، وشعب اليابان ينبغي أن يحصل على نصيبه العادل من كل ذلك، بكل موضوعية (٣). والولايات المتحدة عليها أن تنظر نظرة جديدة لعلاقاتها مع اليابان. إن الشعبين سوف يربحان من هذه السياسة، فيما لو اتبعت حقا.

وعي وطني جديد

يفتتح «إشيهارا» الفصل الأول من الكتاب بحديث عن بعض اللقاءات الروتينية التي كان يعقدها مجلس الوزراء الياباني، والتي كان يستعرض خلالها ـ كل شهر ـ تقريرا دوريا عن حالة الاقتصاد الياباني. ويقول ـ ساخرا ـ إن رئيس الوزراء الياباني (١٩٨٧ ـ ١٩٨٩م) «نوبورو تاكيشيتا Noboru Takechita» استعرض أحد هذه التقارير قائلا: «إن تقرير هذا الشهر يشبه تماما تقرير الشهر الماضي، فحساب الفائض الياباني الحالي مستمر في تدهوره، وبشكل منتظم». ويعلق «إشيهارا» على ظاهرة خطيرة أحسها من بعض زملائه في مجلس الوزراء، فلقد كان رد فعلهم باردا وغير مبال، برغم أن رئيس الوزراء كان يخبرهم بأن الاقتصاد الياباني حالته آخذة في السوء! ثم يعلق قائلا: لقد أدركت أن أيام اليابان صارت معدودة! فحسب تقرير «ميكاوا Maekawa» لعام ١٩٨٦م فإن فائض التجارة الياباني كان في خطر، وكان ينبغي إعادة هيكلة الاقتصاد كله بحيث يتجه ناحية المطالب المحلية بدلا من الاعتماد الكبير على التصدير. لقد كان الاقتصاد الياباني في حالة تغير واضحة، فبعد الاهتمام بالصناعات الثقيلة مثل صناعة الصلب وبناء السفن اتجهنا إلى مجالات خفيفة خاصة بالكمبيوتر والمواد ذات العلاقة به.

ويفلسف المؤلف هذه القضية بفهم تربوي حضاري رائع حين يقول إن إنتاج أجهزة الكمبيوتر ورقائقها الحساسة وتنفيذ برامجها، ما كان يجب أن يشغل الأمة عن العمل الشاق أمام أفران الصهر الضخمة، ولا أمام الماكينات العملاقة، وليس هناك بديل أمام أمة تريد أن تصنع حضارة إلا أن تعمل بجد، وبأن تلوث أيديها في المصانع بين المكائن، وأن تكدح وتعرق بشدة، ولا تكتفي بالأعمال الهينة اللينة التي لا تحتاج إلا العقول، ومن ثم تهمل عضلاتها فتترهل، وتتحول إلى مسخ رأسه ضخم جدا وذراعاه وقدماه قد تناقصت ودمرت إلى حد مثير للشفقة، وربما للسخرية!

إن كثيرًا من خبرائنا ـ يقول الرجل ـ الاقتصاديين والسياسيين يقولون إن قطاع المعلومات المكثفة Knowledge intensive Sector ينبغي أن يكون في موقع القيادة، بالنسبة لاقتصاد اليابان. ولكني أشك في ذلك وأتساءل: هل سيكون ذلك في صالح اليابان؟ وهل

سيساعدنا ذلك على الاحتفاظ برفاهيتنا؟ إني لا أدري، ولكن ما أنا متأكد منه هو أنه ـ عبر التاريخ ـ **لم يثبت لنا أن أمة من الأمم استطاعت أن تقصر عملها على جانب واحد من جوانب الإنتاج ونجحت**، ولسنا ـ على أية حال ـ شعبا مختارا بحيث ننجح فيما فشل فيه غيرنا، وهذا الذي أقوله لا يقلل بحال من الأحوال من الإبداع في مجالات الكمبيوتر وغيرها، ولكنها لا ينبغي أن تكون شغل الأمة الشاغل.

ويضع «إشيهارا» أيدينا على سر غريب حين يقول إن الناس جميعا يعتقدون أن روسيا وأمريكا قد توصلتا إلى اتفاق للحد من الأسلحة الاستراتيجية حين تأكدتا أنها تدمر البشرية كلها، ولكن يقول إن ذلك لم يكن هو سبب نجاح المفاوضات بين موسكو وواشنطن بهذا الخصوص، وإنما هو اكتشف السر في ذلك فيما يلي:

إن الدقة المتناهية التي توجه بها الصواريخ المتوسطة وكذا البعيدة المدى، أو العابرة للقارات (ICBMs) تعتمد على نوعية أجهزة الكمبيوتر التي تشغلها، وهذه الصواريخ ذات رؤوس هيدروجينية متعددة، وكل منها قادر على ضرب أهداف متعددة

في وقت واحد، وهي تستطيع أن تتجنب الإصابة من صواريخ أخرى لأن لها قدرة على المراوغة هائلة، وهي بذلك لا بد وأن تصل إلى أهدافها المحددة لها مسبقا. وبطبيعة الحال فإن كلا من الدولتين العظميين له أولويات معينة وضعها في حسابه عند الضرب.

أما هدف روسيا الأول والذي يمثل أولوية عظمى لها فكان مجمع الصواريخ الانتقامية بالقاعدة الجوية في فاندنبرج بولاية كاليفورنيا The retaliatory missle launch complex at Vandenberg Air Force Base, California حيث توجد تلك الصواريخ في أعماق شديدة البعد تحت سطح الأرض، وقد أحيطت بجدران تصل في سمكها لنحو خمسين أو حتى ستين مترا، وقد صممت هذه الجدران الحامية للصواريخ لتتحمل الزلازل العنيفة، والشيء الوحيد الذي يمكن أن يؤثر فيها هو القنبلة الهيدروجينية، وحتى هذه القنبلة ينبغي أن تكون موجهة توجيها مباشرا

”اعتماد الولايات المتحدة وروسيا على تكنولوجيا بلادنا أوقف الحرب الباردة بينهما!“

لضرب تلك الصواريخ في مكمنها الرهيب.

وتستطيع الصواريخ السوفيتية أن تصل لهدفها، ولكنها قد تخطىء بنحو ستين مترا، أما الأمريكيون فنسبة الخطأ عندهم لا تتعدى خمسة عشر مترا فقط، وهم يبذلون جهدهم كي يكونوا أكثر دقة، ثم إن التعقيد البالغ والمتزايد لصواريخ الدفاع الرهيبة هذه يعنى أن رؤوسها الحربية ينبغي أن تتبع مسارات شديدة التعقيد حتى تصل لأهدافها التي هي على بعد آلاف الأميال، لكي تنجح في ذلك لا بد أن توفر لها أجهزة كمبيوتر شديدة القوة، بالغة الحساسية لتقوم بإجراء العمليات الحسابية المذهلة، فورًا.

إن هذه الأسلحة تستخدم الجيل الرابع من الكمبيوتر، أما الجيل الخامس منها فهو قيد التطوير في الوقت الراهن(٤)، وهو يتطلب نوعا من الرقائق المتناهية الدقة تسمى Semiconductors، وعلى الرغم من أن الشركات الأمريكية قد تكون لديها المعلومات والمعرفة التكنولوجية الخاصة بإنتاج هذه الرقائق المتقدمة Advanced chips، إلا أن شركات الإليكترونيات اليابانية هي الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تنتج منها إنتاجا ضخما لا يُرقى إلى نوعيته.

وبالتالي فاليابان هي الدولة الوحيدة على وجه الكرة الأرضية التي تستطيع أن تمد نظم الأسلحة المعقدة السابقة الذكر بما يجعلها ذات قيمة فعلية، ونقصد بها تلك الشرائح الخطيرة الشأن أو أشباه الموصلات The Multimegabit Semiconductors، وغير ذلك من المعدات.

وباختصار، لا تستطيع وزارة الدفاع الأمريكية ضمان دقة أسلحتها النووية بدون استخدام تلك الرقائق الشديدة الحساسية التي ينتجها الجيل الجديد من الكمبيوتر المصنوع في اليابان. ولو أن اليابان أخبرت «البنتاجون» بأنها لن تبيعه هذه الرقائق فسوف تصبح في حالة يرثى لها، بل إن ميزان التسلح النووي العالمي كله يمكن أن يهتز فيما لو قررت اليابان أن تبيع تلك الشرائح للاتحاد السوفييتي بدلا من أمريكا (**هذا ولقد قال بعضهم بوضوح إن اليابان لو جرؤت على تنفيذ تلك الفكرة لاحتلت أمريكا اليابان فورًا!**).

ويختتم «أشيهارا» هذا الجانب قائلا: «في اعتقادي أن هذا الجانب بالتحديد، أي اعتماد القوتين العظميين على التكنولوجيا اليابانية المتقدمة جدا في هذا المجال الحساس، هو الذي دفع «رونالد ريجان وجورباتشوف» ومستشاريهما إلى الحد من سباق التسلح. وحتى لا يتصور أحد من القراء أن التفوق الياباني الساحق ذاك هو مجرد أمر من حماسة كاتب ياباني نقول له إن هناك تقريرا رسميا للبنتاجون يؤيد هذه المعاني السابقة ويدعمها، بل إن هذا التقرير يصف بدقة متناهية ضعف أمريكا وتفوق اليابان، ويقول التقرير لو استمر الوضع هكذا فإننا (أي أمريكا) سوف نصبح تحت رحمة اليابانيين. وللعلم ــ يقول «إشيهارا» ـ فإن هذا التقرير لم يطلع عليه إلا الرئيس الأمريكي ونفر قليل من كبار المسؤولين، ولو أنه نشر على الناس لأشعل قلقا هائلا، خاصة وأن اليابان تسبق أمريكا في مجال صناعة الكمبيوتر المتقدم بنحو أكثر من خمس سنوات. ويلمح الكاتب الذكي إلى بعد مهم حيث يقول **إن التكنولوجيا مجال معقد ويبنى بعضه على بعض، ولذلك فإنه ما إن توجد فجوة بين متنافسين حتى تأخذ في الاتساع، ويصبح من الصعب سدّها.**

وبعيدا عن التسلح ومجالاته ينتقل بنا المؤلف لبعد تنموي وحضاري آخر، فيقول إن الخلافات المذهبية بين الشعوب آخذة في الاختفاء، ولن يبقى إلا التقدم في المجالات الاقتصادية والحضارية، وأن مجاهل سيبيريا الهائلة وأجزاء كبيرة من الصين بعيدة



اليابان التي تستطيع أن تقول : لا !

عن التنمية، وأنها تحتاج لأنـواع من القطارات الهائلـة السرعـة التـي تتمشى مع متطلبـات عصر الفضــاء، والـدولتـان المرشحتـان لإنتـاج تلك القطارات بكميات كبيرة هما ألمانيا الغربية (آنذاك) واليـابان، والمنـافسة بينهما انتهت لصـالح اليابـان حيث إن جهـــود المهنــدسين والمخترعين الألمان تـوقفت عنـد إنتــاج قطارات تسير فـوق وسـادة مغنـاطيسيــة تـرتفع عن سطح القضبـــان بثمانيـة ملليمترات فقط، في حين استطاعت التكنـولوجيا اليابانية أن تصل بهذا الارتفاع إلى عشرة سنتيمترات فقط، مما يمكن القطارات من الاندفاع بسرعة هائلة تصل إلى خمسمائة كيلومتر في السـاعة، وللعلم فإن روسيـا وأمـريكـا لا تملكـان من أمـر تكنـولـوجيـا المواصلات (الفضائية الجديدة) هذه شيئا.

ويختتم «إشيهـارا» هذا الفصل المثير قـائلا إن رئيس الوزراء اليـاباني كون مجموعة عمل على أرفع مستوى، وكـان هو من بينها، وأن هذه المجمـوعة كـانت تلتقي دوريا لتتنـاقش في مثل هذه الأمـور، وكـانت تستدعي بعض المشـاهير ليتحدثـوا إليهم ومعهم، وكان من بينهم هنري كيسنجر الذي قال لهم صراحة : «إن اليابان قد تصبح في المستقبل قوة عسكـرية عظمى»، وكـان يشير بذلك إلى التفـوق التكنولوجي الياباني الهائل.

السبب الجذري للعنف الياباني

يعتبر الفصل الثاني من الكتاب على الرغم من قصره من أهم مـا كتب عن العلاقـات بين اليابـان والولايات المتحدة، لأنـه يغوص في الأبعاد النفسية التي تحكم طبيعـة تلك العــلاقـات، فبعيـدا عن السيـاسة والـدبلومـاسية، ومـا يشوبها من نفـاق وتمثيل، وبعيدا عن الاقتصاد والإنتاج والأرقام وما يحكم كل ذلك من تخطيـط وعمل وجهـد، بعيـدا عن كل أولئـك يتجـه بنــا «إشيهــارا» إلى البعــد النفسي، وربما العقـــدة النفسيـــة، التـي تحكم العــلاقـات بين هـذيـن العمـلاقين، والـرجل لا يتحدث من فـراغ، وإنما يسوق للقارئ أمثلـة حية واقعيــة تبين مـــدى العنجهيــة التي يتصرف بها الأمـــريكيون مع اليابـانيين، ومـدى الخنوع الـذي يحكم حـركة بعض اليـابـانيين الذين في السلطـة، وخاصة بعض الدبلوماسيين منهم.

وأعتقـد أن صرخة الـرجل في شعبـه، حكامـا ومسؤولين ومواطنين، أن يقفـوا على أقدامهم، وأن يشدوا قاماتهم عالية في مواجهة الغطرسة الأمريكية لم تذهب سدى، ويكفي أن يباع من هذا الكتاب مليون نسخة في اليابان، فـور خروجه من المطابع، لكي نستدل على أن المجتمع اليـاباني التكنـولوجي المتقدم، وصـاحـب الاقتصاد المعجز في حـاجة لمن يستنهض همتــه السيــاسيـة، ويبعث فيــه روح التحدي الـوطني بعد أن كسـب التحدي العملي. **إن مجرد قراءة عنوان لكتاب عن اليابان التي يمكنها أن تتمـرد على من أذلـوهـا في نهاية الحرب العــالميـة الثانيـة هو الـذي كان وراء شراء مليـون نسخة من الكتـــاب، ولا يغفل اسم المؤلف وفكـــره بطبيعـــة الحال.**

يقـول «إشيهـارا» إن الشعوب الغـربيـة يعتـد أفرادها كثيرا بأنهم هم الذيـن أبدعوا الحضارة التي يعيشهـــا العـــالم الآن تحت مـــا يسمى «العصر الحديث»، ولكنــه واجـــه بعض السيـــاسيين في واشنطن وصارحهم بحقيقة أن كونهم بيضا لا يجعل من تـراثهم متميزين على البشر» وهـو يذكـرهم بأن «جنكيـز خان» ومن معـه من المغول القـادمين من أواسط آسيا قـد اجتاحوا روسيا كلهـا، ودمروها في طـريقهم إلى أوربـا التي لم يبقــوا منهـا شيئـا حتى وصلوا إلى فيينا وفينيسيا.

وكـان مـن نتيجـة ذلك أن خضع الغـــربيـون للمغول حضاريا حتى إنهم أخذوا يقلدون المغول في ملابسهم وطريقـة قص شعورهم، بل وحلق شعر حواجبهم، وهذا هـو ما يحدث لكثير من الشرقيين الآن حين يقلدون بعض مظاهر اللبس التي يرتديها «الخنافس ومايكل جاكسون»، **ثم يذكرهم المؤلف بـالتـاريخ، وحقـائقه، وعظـاتـه، لقـد تحطمت إمبراطـورية المغـول وقضي عليها، وهـذا ما سـوف يحدث للحضارة الغربية على وجه اليقين.**

يقول «إشيهارا» إنه كان يتحدث مع واحد من كبـار المسـؤولين عن سـلاح البحـريـة الأمـريكي بخصوص وضع جهاز سري جديد تضعه البحرية الأمريكيـة على السفن التجارية عابرة المحيطات، ويطلق عليه « Amber System »، ومهمتـه أن يرصـد ويحدد أماكن الغـواصات النـووية في أعماق المحيطات، وخاصة الغواصات المعادية لأمريكا. ويقول : لقد طلبت من ذلك المسؤول الأمريكي أن يضعـــوا وحـــدات من ذلـك الجهـــاز على السفن اليابانيـة التجارية، خاصة وأن اليـابان تمتلك منها أسطولا لا يجارى، ولكن المسؤول الأمريكي رفض. ولكن «إشيهـارا» مضى في عـرضـه ثـانيـة ثم سأل الأمـريكي : هل لـو تقدمت ألمانيا أو إنجلترا بهذا العرض هل كنتم سترفضون ؟ فكانت الإجابة : كنا سنوافقهم. ويؤكد «إشيهارا» أن اليابانيين لم يكونوا يفكـــرون في معـــرفـــة أسرار الجهـــاز الجديـــد واستنساخه(٥)، ولكن اتضـح أن الأمـــريكيين لا يثقـون فيهم. بل ويمضي المؤلف خطـوة أبعـد من ذلك قائلا إن الأمـريكيين ربما يضعون ثقتهم حتى في الـروس قبل أن يضعـوهـا في اليـابـانيين، وهـو ينصح بني قـومه بأن يتنبهـوا جيدا إلى هـذا البعد، وفي نصيحته يعـود للتاريخ المؤلم مستشهـدا بما وقع لهم في نهاية الحرب العالمية الثانيـة مؤكدا أن أمريكا ضربت ألمانيا بـالكثير من القنابل، هـذا صحيح، ولكن حينما جاء دور اليابان اختـارت لها نوعا آخر من القنـابل لم يضرب بــه شعب من قبل، ولا من بعد، القنـابل الذريـة، ويعبر الرجل صراحـة عن أحاسيس أبنـاء أمته «إننـا لا ينبغي أن ننسى ذلك We should never forget this». ويضع هذا البعد التـاريخي المر خلف المعـاملات الاقتصـادية التي تتبنـاها أمـريكا ضـد اليابـان، خاصـة حينما فرض الكـونجرس الأمـريكي حظرا على اليـابانيين صناع «أشباه الموصلات Semi conductors» في شهر أبريل عام ١٩٨٧م.

وفي أستاذية واعية بحركة تاريخ الحضارات يقول المؤلف بصريح العبارة إن المرحلة الحضارية التي يعيشها العالم الآن تمثل الفصل الأخير من تلك الحضارة، لأن ميزانها أخذ يميل من الغرب إلى الشرق، والواعون من الأمريكيين والذين تعتبر دولتهم أعظم دول العالم الآن يعرفون هذا، وقد أخذت تنمو بينهم مشاعر حزينة خاصة به، بل إن بعضهم بدأت تنتابه حالات من الهيستيريا بسببه، خاصة وهم يرون ميزان التقدم التكنولوجي، والتصنيع المتقن، والقوة الاقتصادية - بصفة عامة - وهو يميل تدريجيا لصالح الشرق دون الغرب (٦)، وينبغي أن يكون مفهوما أن الأمريكيين الذين لا يزيد تاريخ بلدهم على بضعة قرون لم يسبق لهم أن مروا في خبرة الانتقال من فترة تاريخية رئيسة إلى فترة أخرى تختلف عنها.

ثم بعد ذلك يعرج «إشيهارا» على أبناء وطنه الياباني فيطالبهم بأن يستعدوا لدورهم الجديد في العالم، والذي هم مؤهلون له، بحكم عملهم، وإنتاجهم، وتفوقهم، ولكن سرعان ما يحذرهم من العجب والخيلاء والغطرسة. إنهم يحتاجون لتأكيد ذواتهم، ولأن يتوسعوا ثقافيا وينشروا حضارتهم بين الناس، ولأن يتناسوا إحساسهم السابق بالدونية والذي قد يعوقهم عن احتلال مكانتهم تحت الشمس، فيما لو ظل ذلك الإحساس ملازما لهم.

ويركز الرجل الحصيف حديثه على طائفة معينة من أبناء اليابان، وينتقدهم بشدة، أولئك هم الدبلوماسيون، ويقول إنهم - مع استثناءات قليلة - السبب في الفهم الخاطئ عن اليابان في الخارج، حيث إن سلوكياتهم تدعم الصورة النمطية الخانعة لليابانيين، ويكفي أن سفيرا من بينهم كتب كتابا جلب العار على شعبه الياباني لأنه عكس إحساسه هو بالدونية، حتى قال إن اليابان شعبها غير جذاب، حتى من ناحية الملامح، وأن أفراده يتشابهون.

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك ليلوم وزير خارجية اليابان - يوم أن كان هو وزيرا للمواصلات - لأنه لم يحتج لدى الولايات المتحدة بشدة حين أقدمت إحدى قطع البحرية الأمريكية على إجراء مناورات بالذخيرة الحية في «خليج طوكيو» الذي تعتبر مياهه مزدحمة بشكل خيالي بالسفن، وقد جعلت هذه القطعة الأمريكية المسلحة « U.S.S. Towers » من الخليج مرتعا لإطلاق النار، دون مراعاة لأبسط قواعد اللياقة الخاصة بالبلد المضيف، اليابان، وهو يصر على أن اليابان كانت تملك الحق في أن تقول للقوات الأمريكية إنه لا يسمح بأي تدريب عسكري في مياهنا الإقليمية، ولكن ماذا نفعل ولدينا أمثال « Etsusaburo Shiina » الذي كان وزيرا للخارجية اليابانية خلال الستينيات، وكان متعودًا على نوع من الخضوع والخنوع المذلين، لدرجة أنه كان يصف محتلنا الأمريكي بقوله: «كلب الحراسة المعظم "The honorable Mr. Watchdog"!

إننا ينبغي أن نتخلص من هذا الإحساس بالنقص والدونية، وأن نقف على أقدامنا أندادا للأمريكيين، والفضل للعلم الياباني، والتكنولوجيا اليابانية التي جعلتنا في موقع نقدم منه خدمات للأمريكيين كي يحموا أنفسهم بواسطة أسلحة نقدم نحن أهم ما فيها من أجزاء، وبعض الأمريكيين يعرفون هذا، وحتى إذا لم يعترفوا به إلا أن الشمس لا يمكن لإنسان أن يحجبها.

وأخيرا..

نكتفي بهذه الفصول، أو بمعنى أصح بهذين الفصلين من هذا الكتاب الرائع الذي بلغ أحد عشر فصلا، والذي نرجو الله أن يلهمنا العزيمة للانتهاء من ترجمته قريبا، فهما - مع المقدمة - يعطيان القارئ الكريم فكرة جيدة عن ماهية التفكير الجديد الذي يسود الجيل الحالي من أبناء اليابان المعاصرة، وهو «جيل التحدي» إن جاز التعبير، أو الجيل الذي لا يستشعر الذل أمام أمريكا التي كانت الحليف الأكبر لليابان ذات يوم عقب الحرب العالمية الثانية، بل وكانت الحامية لليابان تحت مظلتها النووية، أو هكذا أوهموهم.

إن هذا الجيل الحالي من أبناء اليابان يشعر أنه لا يدين لأمريكا بشيء، بل إن أفراده يستشعرون العزة والاعتداد بالنفس حين يرون أنفسهم وهم أنداد أقوياء أمام رجال الأعمال الأمريكيين، وأمام الشركات والمؤسسات الأمريكية العملاقة التي أصبحت تطلب ود اليابانيين في مجالات البحث والتطور والاختراع، وأقرب شيء هو ما أعلن من وكالات الأنباء يوم التاسع والعشرين من يناير ١٩٩٣م عن نجاح اختراع ياباني توصل أصحابه إلى تليفون يترجم الحديث بين المتكلمين إلى عدد من اللغات، من بينها اليابانية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، وقد تكلفت البحوث التي أجريت على مدار خمس سنوات مبلغا وصل ١٢٨ مليون دولار، ولازال المشروع يحتاج لسنوات طويلة قد تصل إلى عشر سنوات، وقد اشترك الأمريكيون مع اليابانيين في الجهود التي تطلبها البحث العلمي المضني طوال تلك السنوات.

ويبقى سؤال صريح أخير لعلنا نتحمل قسوته، وهو: كم هي ميزانية البحث العلمي في بلادنا كلها، مقارنة بمبلغ الـ ١٢٨ مليون دولار الذي أنفق على هذا البرنامج فقط؟! ولا أزيد.

الهوامش

(١) مؤلف لأحد الكتب القيمة عن اليابان، وناصح لأمته الأمريكية بأن تقتصي أسباب التقدم الياباني، وقد عنون كتابه «اليابان.. الدرس رقم ١ لأمريكا».

(٢) الكاتب يقصد هنا طبعا تنبيه القارئ إلى مخاطر أن يصل شخص إلى مركز رئيس الوزراء في بلده، ولديه مثل هذه الأفكار التي في كتابه، خاصة وأن هناك أجهزة للرصد والتحليل في الدول الكبرى، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك حتى يعرفوا كل شيء عن القادم الجديد للحكم وعن توجهاته، ومن ثم عن سياسته، والقرارات التي يمكن أن تصدر عن حكومته.

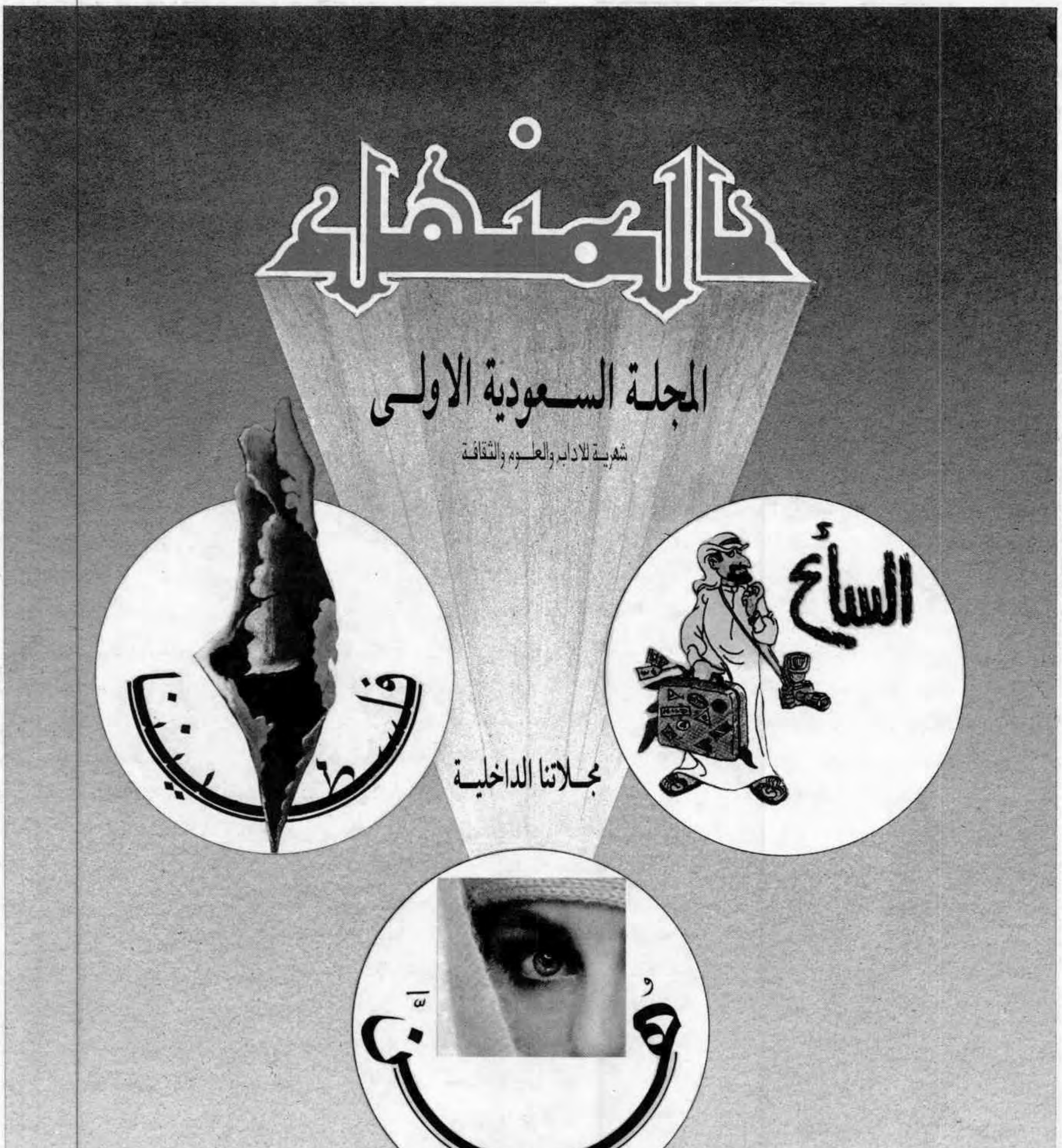
(٣) يلحظ القارئ الذكي هنا بطبيعة الحال الإشارة الذكية للمؤلف حين يطالب لليابان بنصيب عادل، وموضوعي، في «الأمور السياسية»، ولم يكن هذا هو الحال قبل ذلك، ولكن قوة الاقتصاد الياباني وعظمته يبدو أنها ستفرض لليابان دورا سياسيا جديدا في العالم.

(٤) وقت تأليف الكتاب بطبيعة الحال.

(٥) الله أعلم!

(٦) للحق والتاريخ أقول إن واحدًا من مفكرينا العرب قال هذا الرأي بوضوح قاطع منذ ثلاثين عاما تقريبا، وهو الأستاذ الدكتور أحمد زكي - يرحمه الله - والذي كان رئيسا لجامعة القاهرة، وأخرج منها في الخمسينيات حين عبر عن رأيه بصراحة نادرة في بدايات حكم عبد الناصر، وعارض اتجاه مصر نحو المعسكر الشرقي، وخاصة روسيا. وقد التقطته الكويت لينشئ لها «مجلة العربي» التي عاشت عصرها الزاهر الذي لم يتكرر بعد حين كان رئيس تحريرها، وقد كتب افتتاحية فيها بعنوان «كانت الحضارة شرقية، ثم غرّبت وهي الآن تشرّق»، وتحدث فيها عن احتمالات الإبداع الياباني. ولم يكن قد رأى أو سمع شيئا عن النمور الاقتصادية الآسيوية الجديدة التي نتحدث عنها الآن.

□ □



المنهل
المجلة السعودية الاولى
شهرية للآداب والعلوم والثقافة
فلسطين
السائح
مجلاتنا الداخلية
هن
فكر أصيل .. اداء معاصر .. توجه متميز
تقرأه الصفوة

إعداد : محمد رضوان الأنظامي

مجلات عربية
(١٨٦٥ - ١٩٤٠م)

أ

الآثـار :

مجلة أدبية تاريخية أسسها المؤرخ اللبناني عيسى إسكندر المعلوف في لبنان، وقد ظهرت بين عامي (١٩١١ و ١٩٢٨ م). ولد عيسى المعلوف في لبنان عام ١٨٦٨ م وتوفي عـام ١٩٥٦ م. وهو مؤرخ، وعضو المجـامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت والبرازيل. من مـؤلفاتـه «تاريخ الأسـر الشرقية» و «تـاريخ الأمير فخر الدين».

الآثـار الشرقية :

مجلة شهـرية صدرت في بيروت. أصـدرها بطـريرك السريان الكـاثوليك أغناطيوس أفرام رحماني الذي ولد في الموصل في العراق عام ١٨٤٨ م وتوفي عام ١٩٢٩. أصبح بطريرك السريان الكاثوليك في عام ١٨٩٨ م، ثم نقل الكرسي البطـريركي من مـاردين إلى بيروت. وفقـد أقام في بيروت وأصـدر مجلة الآثـار الشرقيـة بالإضـافـة إلى عـدة مؤلفـات تـاريخيـة وطقسية أهمهـا «الليترجيـات الشرقية».

الآداب :

مجلة عربية صدرت في الـقاهرة على يد أحد أكابر رجال الصحافة في مصر الشيخ علي يـوسـف. ولـد الشيخ علي في مصر ١٨٦٣ م. وتلقى علـومـه في الأزهر. أنشأ إلى جـانب مجلة الآداب جـريدة المؤيد في عـام ١٨٨٩، فكان لها تأثير كبير في سياسة مصر والشرق والإسلام. عرف بشيـخ الصحافة الإسلامية في مصر. توفي في القاهرة عـام ١٩١٣ م.

الأزهــر :

مجلـة حررها الأديب والصحافي محمد فريـد وجـدي وذلك في ١٩٣٣ م. ولد محمـد فريد في الإسكنـدرية عـام ١٨٧٨ م، ونشأ فيها. اشتغل في الأدب والصحافـة وأصدر قبل عمله في تحريـر مجلة الأزهر جـريدة الدستـور في عام ١٩٠٧ م. وله من المؤلفات «دائرة معارف القرن العشرين».

الإصـــلاح :

مجلة عربية أسبوعية صدرت في مدينة بيونس أيرس في الأرجنتين، أصدرها الدكتـور جـورج صوايـا المولـود في كفرحـاتـا في الكـورة في لبنـان سنـة ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢ م. درس في لبنان ثم سافر إلى نيويـورك عام ١٩١٢ لدراسة الطب، فحصل على شهادته من جامعة مـاريلند. استقر في عاصمة الأرجنتين حيث أسّس جريدة الإصلاح التي حوّلها فيها بعد إلى مجلة أسبوعيـة.

من مؤلفاتـه «المنـاهج الطبيـة لاتقـاء الأمراض الإفـرنجيـة». توفي عـام ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م.

الإصـــلاح :

أول مجلة صـدرت في المملكة العـربية السعـودية وذلك في عـام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م)، وكان مديـرها محمد حامد الفقي، ولكن وبعـد مرور عامين على صدورها توقفت عن الصدور في عام ١٣٤٩ هـ.

ب

البيـــان :

مجلـة صـدرت في القاهـرة عـام ١٨٩٧ م. أنشأهـا الشيخ إبـراهيم اليازجي مع الدكتور بشارة زلـزل. وقد نشر فيها الشيخ إبراهيم اليازجي مقالـة لغوية شهيرة هي «اللغــة والعصر»، واستمر صدور المجلة عـاما واحد فقط.

ج

الجامعـة :

مجلـة عربيـة صدرت في الـولايات المتحـدة الأمريكيـة، أصدرهـا الأديب اللبناني فرح أنطـون المولود في لبنان عام ١٨٦١ م في مدينـة طرابلس. وهو من الأدباء المعـاصرين، سافر إلى أمـريكا وأنشأ مجلـة الجامعة. من مؤلفـاته «ابن رشـد وفلسفته» توفي في مصر عـام ١٩٢٢ م.

الجنـــان :

مجلة صدرت في بيروت سنة ١٨٧٠ م للمعلم بطرس البستاني. وهي مجلة جـامعة كـانت تجمع بين العلم والأدب والسيـاسة، وكـانت تصدر مـرتين في الشهر.

ح

الـحـاوي :

مجلة عربيـة صدرت في القاهرة على يـد الأديب والصحافي المصري حافظ نجيب الذي ولـد بالقاهـرة وتوفي فيها عـام ١٩٤٦ م . ومن مؤلفاتـه «دعائم الأخلاق» و «الناشئـة» .

الحسنـاء :

مجلة عـربية نسائيـة صدرت في بيروت عام ١٩٠٩م . وقـد أنشأها المؤرخ والأديب اللبناني جرجي نقولا بـاز . ولد جرجي في بيروت ١٨٨٢م ، وتوفي فيها عام ١٩٥٩ م .

الحكمـة :

مجلة طبيّـة عربية صدرت في القاهرة ، أصدرها الطبيب المصري عبد العزيز عبد الرزّاق الذي ولد في القـاهرة عـام ١٢٩٥ هـ/ ١٨٧٨ م . وقد تعلم بمصر وفـرنسا وتخصّص في أمـراض الأطفـال ، وكـان الطبيب الأول بمستشفيـات الأوقـاف ومن أعضاء جمعية تـاريخ الطب الفرنسية ، وانتخب عضوا في مجلس النّواب . لـه عدة كتب منها «قانــون الصحـة الأسـاسي» و «خـواطر طبيب» و «نصائح طبيب للشبّـان» و «صحة المولـود» .

توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥ م .

حكيم البيت :

مجلة طبيـة شهريـة صدرت سنـة ١٩٣٤ م . أصدرهـا الطبيب والشـاعر العـربي المصري المعروف إبـراهيم ناجـي بن أحمد ناجي بن إبـراهيم القصبجي المولود في القاهرة عـام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨ م والمتوفى عام ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣ م . وقد عانى من مرض ذات الرئـة .

تخرج في مدرسة الطب عام ١٩٢٣ م ، واشتغل بالطب والأدب وكانت فيه نزعــة روحيّـة «صـوفيـة» إلى جانب إصداره للمجلــة ، هناك عـدد وفير من مؤلفاته منها : «رسالــة الحياة» و «عالم الأسرة» و «دراسات نفسّيـة» و «كيف تفهم الناس ؟» .

خ

الخزانـة :

مجلة عـربية صدرت في القاهـرة عام ١٩٠٠ م ، حررها الصحـافي اللبناني يوسف الخازن . ولد يوسف في لبنان وتوفي عام ١٩٤٤ م . عاش زمنا في القاهرة حيث أنشأ جريدة الأخبار عام ١٨٩٦ ، ثم مجلة الخزانـة ثم جريدة بريد الأحد وذلك في عـام ١٩٠٢ م . وبعدهـا عاد إلى لبنـان فأصدر جـريدة الأرز عــام ١٩٢٢ م ، ثم جريدة البلاد عـام ١٩٣٣ م .

ر

روز اليوسف :

مجلة عربية صدرت في القاهـرة على يد الأديبـة المصريـة روز اليوسف التي توفيت عـام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) . وما زالت المجلـة تصدر حتى يومنا هذا .

روضة المدارس المصريـة :

مجلة عـربية علمية أدبيـة صدرت في القاهـرة سنة ١٨٧٠ م . وقد حـررها نخبة من الكتاب في ذلـك العهد كرفاعة بك والشيـخ حسين المرصفي - أستاذ البـارودي - وعبد الله فكـري وصـالح مجـدي ، وكـانت تصـدر مرتين في الشهر وهي موجهة للطلاب العرب . وكانت حافلة بمختلف الموضوعات والمنتخبات من نثـر ونظم ، وكان إسماعيل صبري (١٨٥٤ ــ ١٩٣٣ م) يـديم النظر فيهـا ويحاول الاقتباس والاقتداء بها ، وكان لـه من العمر ستـة عشر عاما عندما بدأ ينشر فيها نتاجاته الأدبيـة والشعريـة .

س

سركيس :

مجلـة عربيـة حملت اسم عائلـة الأديب والصحافي اللبنـاني سليم سركيس الذي أصـدرها في القاهـرة بعدمـا وصلها . وعاش فيهـا ، واشتغل بالصحافة حيث أصدر جريدة رجع الصدى ، ثم أصـدر مجلة سركيس وله عدة مؤلفات منها : «سـر مملكة في أخبار بني عثمان» .

ولد سليم سركيس في لبنان . عـام ١٨٦٧ م وتوفي عـام ١٩٢٦م .

سلسلة الفكاهـات :

مجلة صـدرت في بيروت والقاهـرة ، أصدرهـا الأديب والصحـافي القاص اللبنـاني نخلة قلفـاط . ولـد الأديب نخلــة في بيروت عام ١٨٥١ م ، وكـانت حيـاتـه مليئـة بشتى أنـواع الأدب والقصص والمقـالات . وقـد سجن وذهب ضحيـة الاستبـداد الحميـدي ، حيث تـوفي في بيروت عــام ١٩٠٥م ولـه من الأعمـال :

« تاريخ ملوك المسلمين»

و «تاريخ روسيـا» . وعدة قصص وتمثيليات وأعمال أخرى .

ش

الشتـاء :

مجلـة أصدرهـا الأديب والشاعـر والصحـافي السوري سليم بن روفـائيل عنحـوري في القـاهـرة . ولـد سليـم في دمشق عـام ١٨٦٥ م ، وتعلم واشتغل

بالصحافة والأدب حيث انتقل إلى القاهرة وأنشأ جريدة مرآة الشرق ومجلة الشتاء، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. له عدد كبير من الكتب والدواوين منها: كنز النظام ومصباح الهائم، وآية العصر، والجوهر الفرد، وكتاب الجن عند غير العرب، ومجموعة مقالات. توفي في دمشق عام ١٩٣٤ م.

ض

الضياء:

مجلة عربية أسسها الشيخ إبراهيم اليازجي في القاهرة عام ١٨٩٨ م. وفيها أبحاث جليلة في اللغة والتعريب، حيث حرر الشيخ إبراهيم القسم الأهم في المجلة، واستمرت في الصدور ثماني سنوات حتى وفاته عام ١٩٠٦ م.

ولد اليازجي في بيروت عام ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٧ م. درس العربية على يد أبيه الشيخ ناصيف بن عبد الله اليازجي، وحفظ القرآن الكريم وتوسط حلقات التعليم في المدرسة البطريركية، وهو أديب ولغوي وصحفي ألمّ بالعبرية والسريانية، وضع بيده أمهات الأحرف العربية للمطابع، نقّح نصوص العهد القديم التي ترجمها الآباء اليسوعيون. ويعتبر الشيخ إبراهيم من أئمة النهضة الأدبية واللغوية. ومن آثاره: «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد» (مجلدان)، و «العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب».

ط

الطب الحديث:

مجلة عربية طبيّة صدرت في مصر عام ١٩٠٢ م. أصدرها الطبيب الفريد عيد.

الطبيب:

مجلة عربية طبية صدرت في بيروت للدكتور بوسط سنة في عام ١٨٧٧ م. وفي عام ١٨٨٤ م تعاون الشيخ إبراهيم اليازجي مع صديقيه الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة على متابعة إصدار المجلة. وقد نشر فيها - فضلا عن المقالات الطبية والعلمية التي كان يكتبها كل واحد منهم - مقالات أدبية ولغوية تفرّد هو في إنشائها وأشهرها منزلة مقالته القيّمة والتي بعنوان: «أمالي لغوية».

الطبيب:

مجلة طبية أنشأها الطبيب العربي السوري اللبناني إسكندر بن نقولا بن سمعان بن مراد البارودي الذي ولد في صيدا عام ١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٦ م، وتعلّم في المدرسة الأمريكية في بيروت وانقطع للطب وتقلب في عدة مناصب طبيّة مختلفة، حيث أدار مجلة الطبيب لمدة طويلة من الزمن. من مؤلفاته: حياة الدكتور فانديك، السوار المحلى، النصائح الموافقة في سن المراهقة، المبادئ الصحية للأحداث، خير الأغراض في مداواة الأمراض، أضرار المسكرات.

توفي في سوق الغرب (إحدى قرى لبنان) عام ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢١ م.

طبيب العائلة:

مجلة طبيّة صدرت في مصر، أصدرها الطبيب السوري الأصل المصري الولادة والمسكن والوفاة الفريد عيد وذلك في عام ١٨٩٥ م. وقد أصدر مجلة طبيب العائلة لمدة عشر سنوات في مصر ثم مجلة الطب الحديث في عام ١٩٠٢م وهي مجلة خاصة للأطباء. ومن أعماله: تولى إدارة عدّة بنوك وشركات ويقال: إنه أوّل من أدخل المعالجة بأشعة رونتجن إلى مصر. توفي الطبيب الفريد عام ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٥ م.

ع

العرفان:

مجلة عربية صدرت في صيدا، صاحبها أحمد عارف الزين المولود في صيدا عام ١٨٨٤ م. وهو من علماء الشيعة في لبنان. له عدة مؤلفات منها: «تاريخ صيدا» و «مختصر تاريخ الشيعة». توفي عام ١٩٦٠ م.

العلم: مجلة أصدرها هبة الدين الحسيني الشّهرستاني المولود في سامراء في العراق عام ١٨٨٤ م، والمتوفى عام ١٩٦٧ م. درس في كربلاء وتخرج في النجف ـــ وهو من رجال الإصلاح الديني ـــ واشترك في مقاومة الإنكليز في الحرب العالمية الأولى، أسهم في الثورة العراقية عليهم عام ١٩٢٠ م. من أشهر مؤلفاته «الهيئة والإسلام».

ف

فتاة الشرق:

مجلة عربية نسائية أصدرتها الأديبة اللبنانية لبيبة هاشم في عام ١٩٠٦ م. ولدت الأديبة لبيبة في بيروت، وتلقت علومها على يد الشيخ إبراهيم اليازجي، ولها عدة مؤلفات منها: «التربية» و «مباحث في الأخلاق». وتوفيت عام ١٩٤٧ م.

الفجر:

مجلة عربية نسائية أصدرتها السيدة نجلا شديد شقيقة الصحافي يوسف شديد المتوفى عام ١٩٤٣ م، والذي أصدر جريدة الدائرة في نيويورك عام ١٩١٥ م. وهما من أسرة لبنانية تنوخية تدعى «اللمعيون» أو «أبو اللمع».

فينيقيا:

مجلة أصدرها الأديب والشاعر اللبناني شارل بن داود القرم الذي ولد في

بيروت عام ١٨٩٤ م وتوفي فيها عام ١٩٦٣ م. وهو شاعر يكتب الشعر باللغة الفرنسية.

أصدر مجلة فينيقيا عام ١٩٢٠م. وكان لـه الأثر البعيد في نهضة الفكر الوطنية اللبنانية. من تآليفه: «الجيل الملهم» و «سر الحب» و «الفن الفينيقي».

الفنـــون:

مجلة عربية صدرت في نيويورك عام ١٩١٣ م على يد الشاعر المهجري العربي السوري نسيب عريضة المولود في مدينة حمص عام ١٨٨٧ م، حيث تعلم في المدرسة الروسية في الناصرة ثم سافر إلى نيويورك واستقر هناك واشتغل بالأدب وأصدر مجلة الفنون. وهو من أعضاء الرابطة القلمية. من مؤلفاته: «الأرواح الحائرة». توفي في بروكلين بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٦م.

ك

الكويت:

مجلة شهرية أدبية صدرت في الكويت على يد الأديب الكويتي الشيخ عبد العزيز بن أحمد الرشيد في عام ١٩٢٨م. وقد عمل مؤسسها بالصحافة والتاريخ حيث أصدر أول مجلة كويتية. وله مؤلفات عديدة منها «تاريخ الكويت». هذا وقد ولد في الكويت وتوفي في جاوة عام ١٩٣٨م.

م

المجلة الجديدة:

مجلة عربية أنشأها الأديب والصحافي المصري سلامة موسى المولود في الزقازيق في مصر عام ١٨٨٨م، حيث درس في مصر ثم سافر إلى لندن وباريس لإتمام دراسته وثقافته العلمية والأدبية. وقد أصدر المجلة الجديدة في عام ١٩٢٩م. وله من المؤلفات: «اليوم والغد» و «الأدب والحياة». توفي عام ١٩٥٨م.

مجلة المدرسة:

مجلة أدبية شهرية أصدرها زعيم النهضة المصرية مصطفى كامل الذي ولد في القاهرة عام ١٨٧٤م حيث تلقى علومه الابتدائية والثانوية في المدارس المصرية، فدخل مدرسة الحقوق في فرنسا، فتشبع بروح الحرية وأخذ يسعى إلى تحرير مصر من الأجانب، فأنشأ جريدة اللواء وأسس الحزب الوطني داعيا إلى استقلال بلاده. اشتهر بقوة كتابته وقدرته على الخطابة، فنشر الكثير من المقالات في الصحف العربية. من مؤلفاته: «المسألة الشرقية». توفي في القاهرة عام١٩٠٨م.

المجمع العلمي العربي:

مجلة عربية شهرية أصدرها في دمشق المجمع العلمي العربي عام ١٩٢١م، ثم تحوّلت إلى مجلة فصلية، احتجبت عن الصدور بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٥م، وعامي ١٩٣٨ و ١٩٤٠م. والمجمع العلمي العربي هو جمعية علمية لغوية أدبية أنشئت عام ١٣٣٨ هـ/ ١٩١٩م للعناية باللغة العربية وعلومها وآدابها. وهو قائم حتى يومنا هذا تحت اسم مجمع اللغة العربية بدمشق.

مجمع اللغة العربية:

مجلة صدرت في القاهرة عن مجمع اللغة العربية هناك، وهو جمعية لغوية تأسست في القاهرة عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م هدفها خدمة اللغة العربية وتطويرها وإغناؤها بالمصطلحات العلمية لمختلف العلوم والفنون وألفاظ الحضارة، وقد أصدر المجلة من أجل الاعتناء بشؤون اللغة العربية، كما أصدر عدة معاجم منها: «المعجم الوسيط» و «المعجم الوجيز» و «معجم ألفاظ القرآن الكريم».

المســرة:

مجلة أدبية دينية للآباء البولسيين (حريصا)، أسسها المطران جرمانوس معقد عام ١٩١٠م. ولد المطران جرمانوس في دمشق عام ١٨٥٣م وأصبح أسقف بعلبك على الملكيين الكاثوليك ومنشئ جمعية المرسلين البولسيين. توفي عام ١٩١٢م.

المشـرق:

مجلة عربية علمية أدبيّة فنيّة أسسها وأصدرها الأب لويس شيخو اليسوعي في بيروت عام ١٨٩٨م. ولد الأب لويس في ماردين عام ١٨٥٩م وتوفي في بيروت عام ١٩٢٧م. أسس مجلة المشرق والمكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف. انصرف إلى درس الآداب العربية قديمها وحديثها وإحيائها، فكان من العاملين بنشاط مستمر في ازدهار اللغة ونشر كنوزها المطوية، واستمر في إدارة المجلة خمسا وعشرين سنة وقد جعلها من أرقى المجلات الشرقية، وذلك لما فيها من أبحاث علمية وأدبية وتاريخية قيّمة. وعمل في التأليف وله منها الكثير في عالم الشعر والأدب: «مجاني الأدب في حدائق العرب» و «شعراء النصرانية» و «علم الأدب» و «النصرانية وآدابها الجاهلية». وقد ترك خمسة وعشرين مجلدا من المشرق كان يحرّر منها إلى وفاته قسما لا يستهان به.

المقتطف:

مجلة من أمهات المجلات العربية أسسها في بيروت الأديب والعالم اللبناني يعقوب بن نقولا صروف بمعاونة كل من فارس نمر وشاهين مكاريوس وذلك في عام ١٨٧٦م. وهي مجلة تبحث في العلم والصناعة والرياضة والزراعة، وقد انتقلت من بيروت إلى القاهرة أو إلى مصر عام ١٨٨٥م، وبقيت تصدر حتى عام ١٩٥٢م، حيث توقفت عن الصدور بعد رحلة طويلة في عالم العلم والأدب والصناعة.

ولـد يعقوب صرّوف في الحدث قضـاء بعبـدا عام ١٨٥٢م وتـوفي في مصر عـام ١٩٢٧ . وأسهم في إصدار جريدة المقطم عام ١٨٨٩م، وكان له الفضل في تقريب مناهل العلوم الغربية إلى قراء العـربية . فأغنى المكتبة العربية بترجمته المؤلفات الرياضية والفلسفيـة والعلمية وبأبحـاثه المتواصلة التي نشرها في مجلة «المقتطف» التي داوم على تحريرها حتى الأسبوع الأخير من حياته .

أما الأديـب فارس نمـر فهو من مـواليد حـاصبيّا في لبنـان عام ١٨٥٦م . هاجر إلى القـاهرة وأنشأ جريدة المقطم وساعد يعقـوب صرّوف في إصدار مجلة المقتطف . توفي عام ١٩٥١م .

وأما الأديب والصحـافي اللبناني شـاهين مكاريوس فقـد ولد في قـرية أبل السقي (مرجعيـون) في لبنان عـام ١٨٥٣م وتوفي في مصر عـام ١٩١٠م، وهو من مؤسسي جريدة المقطم وتولى إدارتها وأيضا إدارة مجلة المقتطف .

المنـار :

مجلة عربية إسلامية صدرت في القاهـرة، صاحبها محمد رشيد رضا المولود في القلمون في لبنـان عام ١٨٦٥م . تلميذ الشيخ محمد عبـده، وهو من علماء الدين الإسلامي . ومن أشهـر آثاره مجلة المنار و «تفسير القـرآن الكريم» . توفي عام ١٩٣٥م .

المنهــل :

مجلـة من أقدم وأشهـر المجـلات العربيـة في المملكة العـربيـة السعوديـة صدرت عام ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٧م . صـاحبها ورئيس تحريرها المؤسس الأديب البـاحث المعروف عبـد القدوس الأنصـاري ـ يـرحمه الله ـ وهي مجلـة تجمع بين الأدب والعلم والاجتماع، ولها أثر واضح في الأدب .

ن

نبراس المشارقة والمغاربة :

مجلة عربية صدرت في المغرب، صـاحبها قاسم بن سعيد الشمّاخي، وهو أديب مغربي عمل بالصحافة والأدب . من مـؤلفاته : «القول المتين في الرد على المخالفين في عقائد الأباضية» . توفي عام ١٩١٥م .

النّحلة :

مجلـة عربيـة مصورة نصف شهـرية أسسّهـا الأديب والصحافي والـرحّالـة لويس الصـابونجي في بيروت عام ١٨٧٧م . واستمرت في الصـدور حتى عام ١٨٨١م . ولد لويس في ديرك (ديار بكـر) عام ١٨٣٨م، وتلقى علومه في دير الشرفة في لبنان ثم سافر إلى رومـا وأكمل تعليمه ثم اتخذه السلطان عبد الحميد مـدرسـا لأولاده . له عـدة أعمال أدبيـة منهـا : «شعـر النحلة المنظـوم خـلال الرحلة»، وعشرات المؤلفات موضوعة ومنقولة . توفي عام ١٩٢٨م .

هـ

الهـدى :

مجلة عربية صدرت في الولايات المتحـدة الأمريكية، صاحبها نعوم مكرزل وهو أديب وصحافي لبناني ولد في منطقة الفـريكة في لبنان، حيث تلقى علومه الأدبية وهاجر إلى الولايات المتحدة، إلى ولاية فلادلفيا، حيث أصدر هناك مجلة الهدى باللغـة العربية التي حـوّلها فيما بعد إلى جريـدة الهدى عام ١٨٩٨م، ثم نقلها إلى نيويورك . وهو أحد أركان النهضـة الأدبية في المهجر . وبعد وفاته عام ١٩٣٢م، تولّى تحريـرها أخـوه سلوم مكـرزل الذي ولـد في لبنان عـام ١٨٧٩م وتوفي عام ١٩٥٢م . وقد شارك أخاه نعوم في إنشاء الجريدة، وبقي يتولى شؤون التحرير حتى وفاته حيث استلمت إدارة التحرير ابنة سلوم الأديبة ماري مكرزل وذلك عام ١٩٥٢م .

الهلال :

مجلة عربية مشهورة أسسها الأديب والمؤرخ اللبناني جرجي زيدان في القاهرة عام ١٨٩٢م . ونشر فيهـا المقالات اللغوية والتـاريخية والروائيـة، وأدار المجلة طيلة عشرين عـاما . ولد جـرجي في بيروت عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م وتوفي في القاهرة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م .

تلقى علومـه الابتدائية في لبنـان ثم انتقل إلى مصر فأسس مجلة الهلال ودار الهلال للطباعـة والنشر . له دروس في الأدب والتاريخ أهمها : «تـاريخ التمدن الإسـلامي» و «تاريـخ آداب اللغة العـربيـة» و «تراجم مشـاهير الشرق»، كما كتب سلسلة روايات تاريخية .

ي

اليعسوب :

أول مجلة عربية ظهرت في العـالم عام ١٨٦٥م في الطب . وقد صدرت في مـدينـة القـاهـرة، أصدرهـا محمـد علي بـاشـا البقلي (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م ـ ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م) بمعاونة الشيخ محمـد الدسوقي، وذلك في زمن الخديوي إسماعيل . وهي مجلة طبية عربية كانت تصدر شهريـا .

والبقلي، طبيب جرّاح من نوابغ مصر، ولد في زاوية البقلي بالقرب من مدينة المنوفية، وتلقّى مبادئ العلوم والطب بالقاهرة، وأرسل في بعثة إلى باريس لإتمام دروسـه، وعـاد إلى مصر وعيّن أستاذا للعمليـات الجراحيّة الكبرى والصغـرى والتشريح الجراحي، فرئيسا لجرّاحي القصر العيني، فأستـاذا للجراحة . جعله الخديوي إسماعيـل رئيسا للمـدرسة الطبيّـة المصريـة ورافق الحملـة المصرية إلى الحبشة، وتوفـيّ في تلك الرحلـة .

من آثـاره : روضة النجـاح، غرر النجاح، غاية الفلاح في أعمال الجرّاح . ومن مؤلفاته : الكلام في جراحـة الأقسام، قانون الطب (لـم يكمل)، رسالـة الصديدي .

قصة قصيرة

انتقام

بقلم: خليل الفزيع

اشتعل الضابط بتوجيه المزيد من أسئلتـــه إلى أم أحمد. . تسلل بعـض جنـــوده إلى المطبخ بملابسهم العسكـرية الـرثة، وهيئتهم التي تدل على ما يعانون من تعـاسة، تـرتسم على وجـوههم علامات الحيرة والـذعر والخوف من الآتي، يبدون منهكي القوي، تهدلت أكتـافهم، خبـا ألق الشبـاب من مـلامحهم التي بـدت مثقلة بهمـوم الـدنيـا، جـاء بعضهـم ببعض المأكـولات، أخـذوا يأكلـون بنهم شديد وهم وقوف، اختطف الضابط الأكل من أحدهم، بدأ يتكلم وفمه مملوء بالطعـام، الـرذاذ يتطايـر من فمه، خاطب أم أحمد:

- عنادك لن يجديك . . ولن ينقذ ابنك من الانتقام.

(المنقذ هو الله ياعدو الله).

رمى بطبق الطعام جانبا، تلفظ بشتيمـة احمر لها وجههـا خجـلا، لم ترد. .

(أيّ جـنـون عـصف بعقـولكم؟ . . وأي بشـاعـة احتلت نفوسكم؟).

واصل:

- إن لم تـدلينا على ابنك ورفـاقه سننسف هذا البيت على من فيه.

(ومن سـينسف جـسـدك الخبيث؟).

قاطعته:

- قـلت لكم إن ابني سافـر إلى السعودية، لا يـوجد في المنزل غيري والخادمة. . هذا المنزل أمامكم فتشوه مرة أخرى.

خائفـة بـرغم شجاعتهـا، في صـدرهـا تضطـرم نيران الغضب، تتصنع الهدوء، ابنهـا ورفـاقـه غير موجودين في المنزل. هذا ما يبدو لهذه الزمـرة من العتاة الذين هـاجموا منزلها عنوة بحثا عن رجـال المقاومة، ابنها أحمد وثلاثة من رفاقه مختبئون في خزان المياه فـوق السطح، تحرسهم عين الله التي لا تنام.

الخادمـة تحولت إلى خـرسـاء لا تفهم الكلام، خاطبوها مرارا ولكنها تـرد بإشـارة من يـديها تعني أنها لا تعرف شيئا، لا تعرف ماذا يجري، لا تعرف لماذا جاؤوا، لا تعرف أحدا من المقـاومـة، لا تعـرف أين ذهب أحمد ورفـاقه، تتحمل صفعـات الضـابط لإرغامها على الكلام، لكنها لا تنطق حرفا واحدا حتـى اقتنعوا أنها خرساء فعلا.

(الـويل لكم مـن انتقـام المنتقم الجبار).

سماء الكـويت معتمـة بعـد أن تلبدت بـالغيوم السـوداء، شوارعهـا تتسربل بالكآبة، خالية إلاّ من بعض السيـارات المحترقـة، أو تلك التي انتزعت عجلاتها وتـركت على جانبي الشارع، بين مسافة وأخرى، يتجمع بعض الغـزاة حـول نقطـة تفتيش مع بعض السيارات العسكرية والمعدات الحربية، فـوق الجسور وعلى سطـوح العمارات نصبت المدفعيـة الثقيلـة، تحولت واجهـات المنـازل المطلة على الشوارع الرئيسة إلى تحصينات للغزاة، لزم الأهالي بيـوتهم لا يخرجون منها إلا لماما أو في أوقـات الصلاة. بـدا حي الـرميثيـة يعج بـالضبـاط والجنـود البـاحثين عن أفـراد المقـاومـة، بعـد تفجير مقر قيـادة عسكـريـة، ومقتل عدد من الجنود والضباط، واستشهاد أحد أفراد المقاومة إثـر انفجار سيارته الملغومـة التي اقتحم بها مقـر القيادة بعد أن فخخها بالمتفجرات.

في إحدى (فلل) الـرميثية، كان الضابط ومعه ستة من جنوده ينهالون على أم أحمد بـالضرب والأسئلـــة، صامدة برغم جـراحها، عنيدة برغم شراسة أعـدائها، وكأنما أرادوا إذلالها بصورة أبشع، عنـدما قام ثـلاثة من الجنـود بأمـر من ضـابطهم بـاقتيـاد الخادمة إلى إحدى الغرف. . عادت تنتحب، ممزقة الثياب، الذعر يطغى على وجههـــا، الخجل يمــزق مشاعرها، تحاول ستر صدرها بثوبها الممـزق، لم تلبـث أن انهارت مغمى عليهـا، وعـنـدمـا أرادت أم أحمد إسعافها، ركلها أحـد الجنود بعيـدا عنهـا، وقفت أمـامـه بمنتهى التحدي، دفعها بعقـب بندقيتـه، حتى اصطـدمت بـالجدار. قـال بصوت حديدي:

- أخبـرينا عن أسماء أصـدقاء ابنك.

قالت وهي تحاول المحـافظة على رباطة جأشها:

- لا أعـرفهم ولا أعرف أولاد من هم.

احتد الضابط كمن نفد صبره:

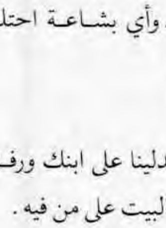
— لن نتركك حتـى تـدلينـا على ابنك ورفاقه.

- قلت إنه سافر إلى السعودية ولا أعرف رفاقه.

- إذا كـنـت عـنيـدة فـسنعلمك

من كتاب العدد

● **خليل إبراهيم الفزيع**



- من مـواليد الأحساء عـام ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤٠م.
- نشأ وتربى وتلقى تـعليمـه الأولي في بلدتـه الجشة إحـدى القرى الشرقيـة في الأحساء، ثم واصـل تـعليمه في المعهـد العلمي بالأحساء.
- عمل بالصحافـة منذ عام ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م في جـريـدة «الخليج العـربي» التي كانت تصدر في الخبر.
- عمل في جـريدة (اليوم) منـذ صدور عددها الأول عام ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.
- أسهم في إنشاء مؤسسة العهد القطرية للصحافة عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
- عـاد للعمل في جـريدة (اليـوم) عام ١٤٠١هــ ـ ١٩٨١م وهو يـعمـل بها حتى الآن.
- أكثر إسهاماته الإبـداعيـة تنحصر في مجال القصـة القصيرة.

من مؤلفاته:

- أحاديث في الأدب (مقالات)، الساعة والنخلـة (قصـص)، النسـاء والحب (قصص)، سوق الخميس (قصص)، أفكار صحفية (مقـالات)، إطلالة على مشارف الزمن.
- تـرجمت بعض قصصه الـقصيـرة إلى اللغة الإنجليـزية كما حُـوّل بعضها إلى تمثيليات إذاعية.
- عضو لجنة جـائزة الأمير محمد بن فهد ابن عبد العزيز للتفوق العلمي.
- عضو النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية.

الطاعة .

ووجه لها صفعة قوية كادت ترميها على الأرض، لكنها تماسكت وهي تستند إلى الجدار وقالت بقهر وتصميم :

ـ يالشهامة (النشامى)، تظهرون شجاعتكم على امرأة في سن أمهاتكم .

لم يحرك كلامها ساكنا في مشاعره المتبلدة، عاجلها بصفعة قوية أخرى فاحتبست دموعها ولم تنبس ببنت شفة .

(يا أولاد الحرام، لو كنتم رجالا لما فعلتم ما فعلتم) .

ابنها ورفاقه لو وقعوا في أيدي هؤلاء الوحوش لمزقوا أجسادهم كما مزقوا جسد ابن عمه عندما اقتادوه بعد صلاة الفجر للتحقيق في انتمائه إلى المقاومة، ومع انبلاج نور صباح اليوم نفسه جاؤوا به أمام منزل أسرته، أطلقوا عليه من رشاشاتهم مئات الطلقات، تحول جسده إلى غربال . تطايرت دماء وقطع من ذلك الجسد لتلتصق بسور المنزل، قالوا إنه لم يتعاون معهم، مجرد التفكير في أن أحمد سيتعرض لنفس المصير كفيل بأن يصيبها بمنتهى الذعر، لكنها أمام هذا الضابط وجنوده تبدو رابطة الجأش، قوية العزيمة، راسخة الإيمان، لا تهتم بتهديده ووعيده . علمتها الأحداث أن هؤلاء الجبناء يسعون لانهيارها لعلها تعترف بمكان ابنها، أو لعل كلمة تفلت منها دون قصد، تكون سببا في استمرار التنكيل بها . وجهها يكتسي بالوقار والجرأة، ملامحها تتسم بالجدية والصلابة، يتوارى خوفها خلف شجاعة حقيقية لا تقهر، حز في نفسها أن تلقى الخادمة على أيدي هؤلاء من العنت والاستهتار ما يضيق صدرها بتحمله، صبرت المسكينة، ولم تفش سر أحمد ورفاقه، تظاهرت بأنها خرساء إلى درجة الإتقان، حتى وهي في أقسى لحظات المعاناة .

صرخ الضابط في وجهها :

يبدو أن التفاهم معك مستحيل .

(أيها اللعين، ماذا بقي من إثم لم ترتكبوه ؟) .

ضربها بعقب مسدسه على رأسها، غامت الدنيا في عينيها شعرت بأنها تنهار، قفزت إلى ذهنها صور من زمن البراءة، يوم كان الناس يختلفون ولا يختلفون، الآباء يزرعون التعاون فيقطفون ثمار المحبة، الأبناء يتشاكسون فلا يلبث الوئام أن يحل بينهم، النساء يتخاصمن ولا تنام إحداهن حتى تطمئن على الأخرى، الصبايا والصبيان يبنون من رمال البحر أحلاما وقصورا، يهدمون قصور الرمال، تبقى قصور الأحلام دافئة في قلوبهم، جميلة في وجدانهم، براقة في مخيلاتهم، أحلام يتعهدون بالمحافظة عليها ويتعاهدون على تنفيذها، مواكب النسوة والفتيات على شاطئ البحر، ينتظرن في الأمسيات الجميلة عودة الراحلين إلى المجهول، وعندما تلوح سفنهم في الأفق، تشق أسرجتها العتمة، يغتال ضجيجها هدوء البحر، لحظتها ترتفع الزغاريد، ويتبادل الجميع التهاني .

عندما عاد إليها وعيها، وجدت نفسها بين ذراعي ابنها، تلفتت بحيرة وقلق، لترى جثثهم ملقاة على الأرض، وشرح لها ابنها الموقف :

ـ لقد فاجأناهم، وقضينا عليهم . علينا أن نتصرف بسرعة .

آفاق ثقافية



المحاضرة القيمة، التي ألقاها البروفيسور فؤد سزكين، في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، ضمن نشاطه الثقافي الثري المنبري المتنوع، وذلك مساء اليوم السابع عشر من شهر شعبان ١٤١٣هـ، وموضوعها : (انتشار خرائط الجغرافيين المسلمين للكرة الأرضية في أوربا) وما كشفت عنه من سطور مضيئة، خططها الجغرافيون والخرائطيون المسلمون في سجل كوكبنا الأرضي؛ أقول : هذه المحاضرة التي تابعتها بشوق ولهفة، أثارت في خاطري كثيرا من التداعيات المشرقة، حول إسهام الحضارة الإسلامية، في الحضارة الإنسانية عامة .

ومن الحقائق الساطعة، التي تطالعنا في هذا السياق، أن الإسلام جاء بمعجزته الخالدة : ـ القرآن الكريم ـ وأول آياته : (اقرأ)، وكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، يحض على طلب العلم والمعرفة . وقد استطاعت الأمة الإسلامية في العصر الأول، تكوين إمبراطورية واسعة، من حدود الصين شرقا، إلى حدود فرنسا غربا، في أقل من قرن من الزمان . وقد تم ذلك بالإسلام وقيمه ومبادئه أولا، وبالعلم ثانيا، مما جعل الأمة الإسلامية، أمة غالبة قوية، وكانت أمور العلم والتعليم ميسرة إلى أبعد الحدود، مما حدا بأحد المستشرقين إلى أن يقول في هذا الخصوص : «كل من أراد أن يطلب العلم من حدود الصين شرقا، إلى ساحل العاج في غرب إفريقيا، يجد مكانا يتعلم فيه، ومعلما يعلمه، وراتبا يتقاضاه» . كل هذا أشاع الحضارة الإسلامية في هذا العالم المتسع، على الرغم من جحود غير المنصفين، الذين يؤرخون للحضارة بالحضارة اليونانية، ثم حضارة النهضة الأوربية، متجاهلين العصر العربي الإسلامي .

وقد تفوق العلماء المسلمون في مرحلة الإبداع العلمي، في جميع مجالات العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها .

وبالإضافة إلى هذا البعد العلمي في مجال تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الإنسانية كان هناك البعد الإنساني، متمثلا في كثير من القيم والمبادئ الإسلامية التي وقف عليها الأوربيون، حين اتصلوا بالمسلمين، عن طريق منارات العلم في الأندلس، وصقلية وجنوب إيطاليا، وحينما احتكوا بهم تجارا، أو محاربين، بالإضافة إلى ما عرفه الغرب من مبادئ الإسلام، ومنها العدل، والرحمة، واحترام حقوق الإنسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحديد الحقوق والواجبات، وكل هذه المعاني كان لها أثرها في الحضارة الأوربية، حينما بدأت الأفكار المستمدة من نور الإسلام، تقف وتثور أمام استبداد الحكام، واستبداد الكنيسة، أو كل السلطات المطلقة التي لا يعرفها الإسلام، لأنه ربط الإنسان بعقيدة الإسلام .

عبدالملك عبدالرحيم



إلى الشاعر
سعد الحميدين

وفاض البوح رقراقًا

شعر: عبد العال بدوي أحمد

أهدى الشاعر سعد عبد الله الحميدين عبر (الفيصل) قصيدته «خيال الشك» إلى الشاعر الكبير الأمير عبد الله الفيصل، وتجاوبت قريحة الشاعر مع خيال الشك بين الشاعرين، فكانت هذه القصيدة.

أخا الأشعار جئتك بالتمني ... ومثلك من يكون لحسن ظني

أُسائلُ فيك آمالي مليًّا ... وأركض مسرعًا طال التأنِّي

فَمُذْ كان القريض إليك سِرًّا ... يشدُّ القلب بالبشرى يُمَنِّي

أحب الشعر موزونًا شهيًّا ... يتيه على الفنون بلا تدنٍّي

وحين أنست رأيك لاح نجم ... نسجت على هداه جميلَ فَنِّي

وفاض البوح رَقراقًا شجيًّا ... أهاب ببلبلي الراني يُغَنِّي

(خيال الشك) أشعل في شعوري ... حنينًا خِلْتُه قد ذاب مِنِّي

فجئت مُنَمْنِمًا شوقي عقودًا ... تُصرّح عن غرامي أو تُكَنِّي

فكم أضنى الفؤاد طنينُ قومٍ ... يَرَوْنَ الشعرَ صِنْوًا للتثنّي

يرصون العجاف من المعاني ... كأن الرصَّ أصبح محضَ فنِّ

فأحبس آهتي الحرّى حزينًا ... أَعَضُّ أناملي غيظًا بسنّي

فأين الشعر نرسله أنينًا ؟ ... وأين الشعر نبدعه بفنٍّ ؟

وأين الشعر ندفعه قضايا ؟ ... يُتَرجِمُ ما نريد بلا تجنِّي

أخا الأشعار قد أثلجت صدري ... فعش للروض صدّاحًا تُغنّي

حول الدعوة إلى تغيير اسم اللغة العربية إلى لغة القرآن:

رشدي فكار لم يوفق في التعبير



د. رشدي فكار

تحت عنوان «لقاء مع المفكر الدكتور رشدي فكار» نشرت «الفيصل» في عددها ١٩٠ حديثا معه.

وبعد الشكر والتقدير للدكتور فكار على إسهاماته في بناء الفكر الإسلامي بمؤلفاته التي تربو على الأربعين مجلدا خص فيها الفكر الإسلامي بعشرين مجلدا، ندعوه إلى ساحة الحوار والحديث طمعًا في أن يغمرنا بأفكاره التي طالما اشتاقت حياتنا إليها في هذا العصر.

يقول الدكتور فكار: «على الدول العربية أن تعتز بأننا نمثل الركائز الأربع للأمة الإسلامية وعلى غيرنا أن يقتدي بنا. ونحن العرب قدوة، والمستقبل هنا في ديارنا، في ديار الإسلام بكعبتها ومسجد الرسول ﷺ. بل ويطالب الدكتور



لقاء مع

المفكر الدكتور رشدي فكار

أرقى دول العالم فيها عالم ثالث!

أجرى الحوار: مصطفى عبدالله

يد فقيه القرية. والآن بعد أن شاء قدري كما أراده الله أن أكون أيضا من المختصين في علم النفس..

لاحظت كيف كان القدر وإرادة الله بارة بي.. فلم يحدث انفصام في الطفولة بين تكوين الأسرة وتكوين المدرسة أو تكوين البيئة أعاني منه بعد ذلك. ربما كان الفضل لله ثم للأزهر ولرسالته التي كنت أتمنى أن استمر في متابعة هذا المسلسل الطيب الخير. وما زلت حتى يومنا هذا أعتز بالأزهر وبالسنوات الأولى التي لم تستمر طويلا، فإنني بعد فترة في الأزهر والتعليم الأزهري اتجهت إلى التعليم والمدارس العصرية، ومع هذا أحمل إعزازا لوالدي وتعلقا بما أراده لي كابن وُهِبَ للأزهر.. وربما هذا

الفيصل

رشدي فكار بتغيير اسم اللغة العربية إلى لغة القرآن وتصبح أمتنا هي الأمة الإسلامية.

عفوًا دكتور فكار، فقد خانتك تعبيراتك وتقديراتك الزمنية، فمع اعتزازنا بالقرآن الكريم يجب أن ندرك أن اللغة العربية كانت قبل نزول القرآن الكريم، وقال تعالى ﴿ قرآنًا عربيًا ﴾، فكيف لنا ـ واللغة العربية نزل بها القرآن ـ أن نغير اسمها؟

واللغة العربية موجودة قبل نزول القرآن، فهي تنحدر في أصولها من السامية، فقد تفرعت منها، فكانت لهجة سامية، ثم أصبحت لغة مستقلة، شأنها شأن اللغات السامية الأخرى التي تفرعت من اللغة السامية الأم، فكانت لهجات ثم أضحت لغات مستقلة قائمة بذاتها.

واتخذت العربية جزيرة العرب موطنا لها أول الأمر، وإن كانت هناك إرهاصات لتوحيد لهجات القبائل العربية على تباينها وشتات مواطنها في لهجة واحدة هي لهجة قريش (مكان نزول القرآن الكريم).

ومن هنا يتضح أسبقية اللغة العربية لنزول القرآن الكريم، ولكننا لا ننكر استفادة اللغة العربية من القرآن الكريم حيث أضاف إليها، وكان هناك تحول مهم في الألفاظ ومدلولاتها، إذ أكسب القرآن الكريم كثيرًا من الألفاظ معاني جديدة (كالمؤمن، المسلم، الكافر، المنافق، الفاسق، الصلاة، الزكاة، الصيام، السجود، الحج، وغيرها).

قال ابن فارس: «إن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة أوصافا وشرائط بها سُمِّيَ المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر. أما المنافق فلفظ استحدثه القرآن الكريم لقوم يبطنون خلاف ما يظهرون، ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها، وتحول مدلول اللفظة إلى الخروج عن طاعة الله، ووضع الشرع أشراطا للفاسق تحدد مدلول اللفظة وأوصاف الشخص الذي تدل عليه. والصلاة كذلك لغةً الدعاءُ في أصل معناها، وكذلك الركوع والسجود وإن لم يكن بهذه الهيئة التي تعارفنا عليها، قال أبو عمرو بن العلاء: أسجد الرجل: حنى رأسه أو طأطأه. والأصل في الصيام لغةً الإمساك وتحول معناه في القرآن إلى المعاني المعروفة في الشريعة من النية والانقطاع عن الأكل والشراب ومباشرة النساء وغير ذلك من الأشراط».

«ومن الفوائد القرآنية للغة العربية أنه عمل على ضبط حركاتها واستعمالاتها كما حفز في بداية نزوله على كتابة اللغة وتقصي دقائقها في سبيل تفسيره وضبط قراءته وفهم أسراره وتراكيبه والوصول إلى سر إعجازه».

ومن هنا نقول للدكتور فكار: كما استفادت اللغة العربية من القرآن الكريم فقد أفادته بأن نزل بها فكان إعجازه كامنًا في اللغة العربية. ولكن ليس معنى هذا أن نمحو اسم اللغة العربية التي أقرها القرآن نفسه.

أشرف محمد العادلي

دمنهور ـ محافظة البحيرة ـ ج. م. ع.

الأحوال السياسية في زمن ابن بطوطة



استرعت رحلات ابن بطوطة إلى العالم الإسلامي القديم والجديد والتي ضمنها كتابه القيم الموسوم «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، أنظار الباحثين العرب والمستشرقين. ومن خيرة الكتاب العرب الذين كتبوا عن الرحلة بالإسهاب أو بالإيجاز الدكتور حسين مؤنس (ابن بطوطة ورحلاته)، والدكتور عبد الله كنون، والأستاذ زكي محمد حسن (الرحالة المسلمون في العصور الوسطى)، والدكتور نقولا زيادة في مؤلفه (الجغرافية والرحلات عند العرب)، وكراتشلوفسكي من المستشرقين في موسوعته الضخمة (تاريخ الأدب الجغرافي العربي ـ القسم الأول)، وتوماس. ج. إيبركوني في دراسته الجيدة التي نشرتها له ـ بترجمة أمينة للأستاذة نجلاء حسن حامد ـ مجلتنا الغراء «الفيصل» في عددها رقم ١٩٠ ربيع الآخر ١٤١٣هـ، والتي سار فيها مع ابن بطوطة بتتبع دؤوب شارحا أعلام الأشخاص وأعلام الأماكن والطرق التي سلكها ابن بطوطة منذ خروجه من طنجة وحتى عودته إليها، مع الاهتمام بإبراز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية الواردة بالرحلة.


ابن بطوطة
أشهر الرّحالة
قطع ٧٥ ألف ميل في ثلاثين عامًا
بقلم: توماس. ج. ابيركوني • ترجمة: نجلاء حسن حامد

قبل كريستوفر كولمبس بنحو قرنين من الزمان، قام الشاب المغربي ابن بطوطة مسلحاً بالقرآن ومتحلياً بروح المغامرة وحب الفضول بالسفر إلى الأركان البعيدة من العالم ... بدأ رحلته من الشمال الأفريقي حيث ما زالت القوافل تجوب الفيافي الحارة حتى اليوم ... عاد ثانية إلى وطنه المغرب، وفي فترة ٢٩ عاماً هي عمر رحلته اجتاز قارتين وقطع ... زار خلالها ٤٤ دولة.

... أداء فريضة الحج، أكرمه الله بزيارة مكة والحج عدة مرات وقد ... الفقراء ... طيبون مع الغرباء...»

ابن بطوطة

عن المراكز الصحية المتطورة ومراكز علاج ضربات الشمس والطرق الحديثة التي شقت عبر الرمال ... عبر الجبال المحيطة بمكة ومساجدها ... السيارات والحافلات والمشاة...»

بداية الرحلة

بدأ ابن بطوطة ...

وإعجابنا الكبير بالدراسة في مجموعها لا يمنعنا من تسجيل بعض الملاحظات على الدراسة، خاصة فيما يتعلق بإغفال الكاتب للمظاهر والنظم السياسية. ومن رحلات ابن بطوطة إلى العالم الإسلامي والتي نُجملها في السطور التالية:

أ ـ إذا ألقينا نظرة عامة على العالم الإسلامي في خلال رحلات ابن بطوطة (٧٢٥ ـ ٧٥٥هـ) نجد أن هذا العالم مقسم إلى قسمين: العالم الإسلامي الجديد والعالم الإسلامي القديم.

وتاريخ هذا التقسيم كما يقول الدكتور خليل إبراهيم السامرائي في مؤلفه الجيد «الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي من خلال رحلة ابن بطوطة» يعود إلى عام ٦٥٦هـ عندما سيطر المغول على بغداد عاصمة الخلافة العباسية بعد أن اكتسحوا بلاد المشرق الإسلامي وهددوا بلاد الشام وزحفوا إلى مصر، حيث تصدى لهم المماليك وانتصروا على المغول في معركة عين جالوت المشهورة عام ٦٥٨هـ. فأصبح مشرق العالم الإسلامي (بلاد العراق وإلى الشرق من حدود الصين) ضمن العالم الإسلامي الجديد الذي سيطر عليه المغول، فقامت فيه ممالك مغولية اعتنقت الإسلام وحسبت على عالمه. أما بلاد الشام وشمال أفريقية وشبه جزيرة العرب فتقع ضمن العالم الإسلامي القديم الذي تخلص من خطر المغول بعد معركة عين جالوت.

ب ـ وقد وزع العالم الإسلامي القديم زمن الرحلة إلى ستة كيانات سياسية موجودة في بلاد المغرب الإسلامي التي زارها ابن بطوطة، وهي:

١ ـ دولة المماليك في مصر وبلاد الشام.
٢ ـ الإمارة الحفصية في تونس (المغرب الأدنى ـ أفريقية).
٣ ـ إمارة بني زيان في تلمسان والمغرب الأوسط.
٤ ـ إمارة بني مرين في المغرب الأقصى.
٥ ـ مملكة غرناطة في الأندلس.
٦ ـ مملكة مالي في السودان الغربي.

ج ـ عرف العالم الإسلامي القديم الصراعات الحقيقية والمصطنعة والدينية والعقدية والقبلية، فقد عرفت مملكة غرناطة الخطر الأسباني، وهدد الأعراب إمارات المغرب العربي بينما عرفت دولة المماليك في مصر خطر البجاة.

بقي لنا أن نؤكد أن العالم الإسلامي امتدت حدوده من ساحل المحيط الأطلسي غربًا إلى شرقي الهند شرقًا، وقد قامت فيه دول عسكرية، كل رؤسائها من رجال الحرب الذين وصلوا إلى الحكم بالعنف والقوة. ففي الهند كان بنو تغلسن، فقد كان حكامها من العاصين، ولم يترددوا في استخدام الغدر والعنف من أجل الوصول إلى الحكم أو البقاء فيه، وهكذا الحال في إيران والكنايات السياسية في المغرب.

ولكن من خلال الرحلة ترى أيضًا عالمًا إسلاميًا مستقرا آمنًا. وقد نعم ابن بطوطة عموما بهذا الأمن والاستقرار، نظمت من خلاله الجماعة الإسلامية تنظيما دقيقًا، انعكست آثارها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أشار إليها الكاتب الكبير إيبركوني في دراسته. وختاما نشكر الكاتب على دراسته وعلى ماهيأه لنا من مراجعته في الموضوع.

محمد فؤاد محمد علي
القناطر الخيرية ـ قليوبية ـ مصر

ضرورة إعلام إسلاميّ جديد



د. عبد القادر طاش

قرأت مقال الدكتور عبد القادر طاش في مجلة «الفيصل» العدد ١٨٧ ص٤٨ تحت عنوان «الحاجة إلى مركز عالمي للإعلام الإسلامي»، تناول فيه حاجة العالم الإسلامي الماسّة والملحة إلى مجابهة الغزو الفكري والثقافي، والوقوف أمام التضليل المهيأ ضد خير أمة أخرجت للناس.

إنني إذ أسهم في هذه الدعوة الكريمة إلى مجابهة التخريب الفكري الذي يجتاح عالمنا الإسلامي عن طريق وسائل الإعلام، أود أن أشير إلى أنه سبق أن نشرت منذ ثلاث سنوات مقالة حول الموضوع نفسه داعيا فيه قادة الأمة الإسلامية إلى اتخاذ إجراءات لازمة لوقف الغزو الإعلامي الغربي والإسرائيلي، والرد على الافتراءات الباطلة والأكاذيب الملفقة والدعايات الباطلة التي لا تشوه سمعة العالم الإسلامي فحسب، بل تضلل عقول المسلمين ومثقفيهم، ناهيك عن شبابهم الذين يعانون ـ بالفعل ـ في كل أنواع الأمراض العَقَدية والروحية والفكرية.

لا أحد منا يجهل احتكار الدول المتقدمة وسائل الإعلام العالمية التي تغزو أفكارنا وعقولنا حتى في عقر دارنا، ومع ذلك فالدول الإسلامية عمومًا مع تقديري لجهود المملكة العربية السعودية في نشر ديننا الحنيف وحمايته، لم تبذل الجهود الكبيرة التي يتطلبها الموقف بتكوين جبهة «مضادة» تهدف إلى كسر الاحتكار الغربي. والعالم الإسلامي يملك الإمكانات المعنوية والروحية والعقلية والمادية لإعادت تشكيل خرطة الإعلام العالمي.

هذا، وكما ورد في المذكرة التي قدمها مركز الأبحاث والفنون الثقافية الإسلامية بإستنبول (تركيا) إلى المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الثقافة للدول الإسلامية في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩ بدكار، وجاء فيها «إن وسائل الإعلام سلاح ذو حدين تستطيع إحداث تغيير اجتماعي وثقافي»، فإن قادتنا الكرام



الحاجة إلى مركز عالميّ للإعلام الإسلاميّ

بقلم: د. عبد القادر طاش

إنّ عصرنا اليوم هو عصر الإعلام وقد غدا الإعلام طاقة وقوة لا بد لأي أمة تريد لنفسها العزة ولبلادتها التمكين والانتشار أن تهتم به وتوليه من عنايتها الفائقة ما يستحقه، وتنفق في سبيله من الجهد والمال والوقت ما يجعلها قادرة على أن تجابه به الأمم الأخرى وتنافسها. ولذلك

ونعود بي الذكريات...

عندما كنت رئيسا للمركز الإسلامي بـ (كاربونديل) بالولايات المتحدة الأمريكية. لقد اتصلت بي مدرّسة مادة مقارنة الأديان في جامعة جنوب «إلينوي» طالبة مني مساعدتها في ... محاضرة لطلابها للتعريف بالإسلام. ... بعض الوقت لأحضر مادة المحاضرة ... بمستوى طلبة الجامعة، وبما يوفر لهم ... الحقيقي على الدين الإسلامي.

لقد كانت المهمة صعبة للغاية ... المطلوب ألا تقتصر المحاضرة على الكلام النظري، بل تشتمل أيضا على بعض وسائل الإيضاح كالشرائح المصورة والأفلام والنشرات المطبوعة. وبقيت أياما أبحث عن هذه الوسائل دون جدوى. وذهبت إلى مكتبة الجامعة أبحث في دليل المواد السمعية والبصرية، وياهول ما اكتشفت. لقد وجدت النصارى واليهود وبعض أصحاب

صنوفان كتب

ومقالي المشار إليه ـ جاء في مجلة «المسيرة» الشهرية التي تصدرها وزارة الإعلام لجمهورية السنغال باللغة العربية العدد ٨٤ لشهر أكتوبر ١٩٨٩ تحت عنوان «التعاون الإسلامي الإعلامي» ـ أردت منه الإسهام في الاستعدادات التي كانت تلوح في الأفق آنذاك لعقد قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في دكار، والتي انعقدت في العاصمة السنغالية، في شهر ديسمبر ١٩٩١.

لقد ألقيت فيه الضوء على التعاون الإعلامي الإسلامي في إطار المنظمة الإسلامية، وكيف أن وسائل الاتصالات والإعلام صارت في حياتنا اليومية من أبرز سمات العالم المعاصر. لا شك أن التعاون بين المجموعة العربية والمجموعة الأفريقية بصفة عامة وبين الدول الإسلامية بصفة خاصة في المجال الإعلامي يعرف عثرة كبيرة يؤسف لها نظرًا للأهمية التي يتمتع بها الإعلام ووسائل الاتصال في الوقت الحاضر، والتي من خلالها يتم تبادل المعلومات الثقافية والعلمية لتفاهم أوسع بين الشعوب.

يدركون تمام الإدراك ـ وهم واعون ـ كل الإشكاليات التي تتحدى إرادتنا الوطنية والإنسانية والدينية. هذا بعض ما جاء في المقال المشار إليه.

لعل المقام يسمح بذكر رغبة ملحة من دولنا الإسلامية، ألا وهي تنظيم دوريات مشتركة، في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي بكل قنواتها، لتبادل وفود رسمية وغير رسمية للتعارف تاريخيا وجغرافيا لتضييق الفجوة التي «غرسها» الاستعمار بين الشعوب الإسلامية.

ومؤسساتنا الصحفية والشعبية قادرة على أن تكّرس التلاحم والتواصل بين شعوب الأمة الإسلامية التي تعاني من الستار المسدول فيما بينها والذي حان رفعه والله المستعان.

مامادو ندنجو

داكار ـ السنغال

استراحة العدد

في العيد

العيد صلة للأرحام، وبرّ بالوالدين، وعطف على الفقير والمسكين ورحمة بالجار، وأن يعود بعْضنا على بعض بالزيارة والسلام والصفاء والحب.

وفي صباح العيد يكثر التسبيح بحمدالله والشكر له على نعمه الكثيرة التي لا تُحصى ولا تعد، وينال الفرد ثمرات امتثالاً للهدي النبوي في الإفطار كما امتثلناه في الصيام ثم يذهب لأداء صلاة العيد.

عينان

قال الإمام الشافعي:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تُبدي المساويا

فإن تدن مني تدن منك مودتي
وإن تنأ عني تلقني عنك نائيا

كلانا غنيّ عن أخيه حياته
ونحن إذا متنا . أشد تغانيا

خصال

قال جعفر بن محمد:

من كان فيه ثلاث خصال؛ فقد وجب له على الناس أربع:

- إذا خالطهم لم يظلمهم.
- وإذا حدَّثهم لم يكذبهم.
- وإذا وعدهم لم يخلفهم.

وعلى الناس:

أن يظهروا عدله.

وأن تكتمل فيهم مروءته.

وأن يجب عليهم أُخوّته.

وأن يَحْرُم عليهم غيبته.

حياء

الحياء حُلة جمال، وحُلة كمال يُحترم في عيون الناس صاحبُه، ويزداد قدره ويعظم جانبه. وإذا رأى ما يكره غضّ بصره عنه. وكلما رأى خيراً قبله وتلقاه، أو أبصر شرًّا تحاماه. يمتنع عن البغي والعدوان، ويحذر الفسوق والعصيان، يخاطب الناس كأنه منهم في خجل، ويتجنب محارم الله عزّ وجل. فمن لبس ثوب الحياء استوجب من الخلق الثناء، ومالت إليه القلوب.

الأكبر والأصغر

أكبر مزولة (ساعة شمسية) في العالم موجودة في سمراء بانترا في جابيور بالهند، ويبلغ ارتفاع الميل فيها ــ أي عقربها ـ ٢٧ مترًا، والارتفاع العمودي ٣٦ مترًا، وقد بُنيت سنة ١٧٢٤م.

أما أصغر ساعة في العالم فقد أنتجتها شركة ياغر ـ لو ـ كوتر السويسرية، ويبلغ مقياس هذه الساعات المزينة بخمسة عشر حجرًا كريمًا ــ ٢, ١سم بعرض ٤٧٦, ٠ سم، ووزنها بدون الرباط، أقل من سبعة جرامات.

والفارق الكبير طبعا بين الأكبر والأصغر هو عامل الزمن!

سنة.. لكنها ضوئية!

تُعد السنة الضوئية المسافة التي يقطعها النور بسرعة ٢٩٩,٧٩٢,٤٥٨ كم بالثانية، أي ٩,٤٦٠,٥٢٨,٤٠٥,٠٠٠كم/ ساعة، وقد استعمل هذا المقياس لأول مرة سنة ١٨٨٨م، وثبت على هذا الرقم الثابت سنة ١٩٨٣م.

سبحان مبدع هذا الكون!

طاقة

أول استخدام عملي للمحرك البخاري كان سنة ١٧٨٣م عندما استطاع المركيز «دابانز» ــ١٧٥١/ ١٨٣٢م ــ قطع مسافة ضد التيار في نهر السون؛ قرب ليون في فرنسا؛ على مركب له مجاديف مسيّرة بالبخار ووزنه ١٨٠ طناً، وكان هذا إيذاناً بفتح جديدة في عالم الطاقة.



صورة نادرة التقطت قبل ٧٥ عامًا للحرم المكي الشريف تبدو فيها الكعبة المشرفة وبئر زمزم

ويأتيك بالأمثال

لَـــمْ أَرَ كـــاليـــوم في الحريمـــــة

وأصل هذا المثل أن رجـلاً انتهى إلى أسد في وهدة ، فظنَّ أنـه وعل ، فرمى بنفسه عليه ، فما كان من الأسد من هـول المفاجأة إلا أنه فزع فنفض الرجل من فوقه ورمى به ومرّ هـاربًا .

وكان مع هذا الرجل ابن عـمٍّ له لـمّا نظر إلى الأسد عرفه ، فقال الذي رمى بنفسه عليه :

ـ لـم أر كاليوم في الحريـمة «وهي الحرمان» .

فقال ابن عمّه :

لـم أر كاليوم واقية ، أي وقاية .

ويُـضرب المثل لمن فاته مـا لا خير فيه ومع ذلك يندم عليه .

سبحـان الله

للحربـاء عينان ؛ كل عين منهما مستقلـة عن الأخـرى في حركتهـا ، ويمكن أن تنظر الحرباء في آن واحد باتجاهين اثنين .

مجالسات

مجالســة أهل الـدين تجلـو عن النفس صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوي المروءات تدل على مكـارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكي القلوب .

تقـاويـــم

كـــان أمنحـوتب رئيس محكمـــة في مصـــر وطبيب البلاط على عهـــد الفرعون زوسر ، وهو الذي ابتكر أول تقـويم سنـــة ٢٧٨٠ قبل الميـلاد .

إياك !

أوصت أعرابية ابنًا لها قائلة :

ـ عليك بحـفـظ السرّ ، وإيـاك والنميمـــة ، فـإنها لا تترك مـــوّدة إلا أفسدتها ، ولا ضغينة إلا أوقدتها .

أول ذنب

قال حكيم : الحســد أول ذنب عُصي بــه الله في السماء يـوم حســد إبليسُ آدمَ ، وأول ذنب عُصي بـه الله في الأرض يـوم حسـد ابن آدم أخـاه حتى قتله .

وقال الأصمعي : رأيت أعـرابيًا قـد أتت لـه مـائة وعشرون سنـة وفي صحة جيدة .

فقلت له : ما طـوّل عمرك ومـا أنت فيه من صحة ؟

قال : تركت الحسد .

رسالة في قمقم

أطـول وقت استغـرقتـه رسـالـة موضوعـة في «قمقم» مختوم وملقاة في البحـر بلغ ٧٣ سنة ، وذلـك عنـدمـا ألقيت من على البـاخـرة «أراواتـا» في المحيط الهادي قرب شـواطئ أستراليا في ٩/ ٦/ ١٩١٠م ضمن زجـاجـة عطـر محكمة ، ووجـدت الـزجاجـة وبـداخلهـا الـرسـالـة في جـزيـرة «موبرتون» في ٦/ ٦/ ١٩٨٣م .

□ □

أفـلام !



قصـــة صارت غصة ، لكنهـا حقيقة مضحكة ، فقـد فاز «عمـرو» بمائة ألف جنيـه فخشي محاميه أن يمـوت من الفرح فأخـذ يتدرج في إيصـال الخبر إليه من عشرة آلاف حتى وصل إلى مئة الألف . فقال «عمـرو» للمحـامي : إذا صـدق ذلك فإني سأمنحك نصف المبلغ . فمات المحامي !

العادة أن تـدفعك القصص السـاخرة إلى مسار معين وتظن أنك تعرف النتيجة حتى إذا بلغت الذورة سقطت على قفاك ضاحكا .

كمثل ذلك المسلسل الكويتي الـذي انتظر فيه الأبنـاء والبنات موت والـدتهم المشاكسة في مرض خطير ، فلما أدخلـوا الطبيب إليها مات الطبيب ، وعاشت هي معافاة مشاكسة .

وكمثل حكايـة سلفادور دالي الـذي قالـوا له : أصيب فـرانكو الزعيم الأسباني بالسرطـان . فقال : مسكين . . السرطان! أو عندما أرسل جيش إحدى كتائبه ـ وتسمى «الطقم» ـ لتتبادل إطلاق النار مع هـارب وطاردتـه واديًا بعـد آخر ، واستمـر إطـلاق النار عليه بكثافة ، وأخيرًا فر «الطقم» هاربًا .

أحيانـا القصة لا تكـون مضحكة فحسب ، ولكنهـا تبعث على الفخـر والإعجاب كما في فيلم «عمـر المختار» ، ذلك الفيلم الـرائع العظيم ، فقـد استطاع القـائد الإيطالي الإيقـاع ببعض جنود عمـر المختار رحمه الله ، وأخـذ يعلق قائلاً إن الفئـران لا تستطيع مقـاومة قطع الجبن التي يسيل لها اللعـاب ، وكـانت قواتـه تقتنص الثـوار ، وإذا به يسير إلى كمين رهيب وضعه المجاهـد العظيم ، وهُزِمَ القائد الإيطالي شر هزيمة في تلك المعركة .

الفخـر النـاتج عن إعجـاب ينتج عنـــه تأثـر يأخـذ بمجـامع الأفئـــدة . فأنـت تضحك أولاً ، ثم تسيطـر عليك بهجـــة ، ومن الابتهـاج إلى الإعجاب ، ومـن الإعجاب إلى التأثـر ، ومن التأثـر إلى البكاء ، بكـاء ممتزج بدمـوع فرح ودمـوع حزن ، فأنت تحزن لأنك لم تكن على مستوى ذلك العجب الذي أخذ بمجامع الأفئدة .

إذًا ، تكون الرسالة التي بـدأت بمسخرة ـ فيما يظن القارئ لأول وهلة ــ قد وصلت ، وهي مهمـة من مهمات الأدب الساخـر . ومن يقرأ رحلات جاليفر في أصلهـا الحقيقي لابد أن يتعجب ويتذكر أن الأول ما ترك للآخر شيئا .

إن الموعظة تصل ، ولكن ليس وصولاً عقليا عابرًا ، ولكنه وصول قلبي عاطفي فـاعل ، قد يمنعك من النوم حقا ، ولكن هـذه مهمة الأدب القوي .

لقــد قــال الفقهـــاء بضرورة الشرح والتفسير وذكـر الأسبـــاب والدوافع والعلل والأدلة ، فلولا ذلك لما حصل الإقناع .

والأدب يقـوم بشيء يسير من ذلك ، ونحن نحتـاج إلى أدبـاء ، فأين هم؟

محمد علي الجفري

كتب وردت إلى المجلة

فهرس المخطوطات
العدد السادس



يضم الفهرس العدد السادس من فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض المنبثق عن مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

ويهدف إلى تعريف الباحثين بما يمتلكه المركز من مخطوطات، يبلغ مجموعها ما يزيد على سبعة عشر ألفًا وخمسمائة مخطوطة في مختلف فنون المعرفة، إضافة إلى نحو عشرة آلاف وثلاثمائة مخطوطة مصورة ميكروفيلميًا لمجموعة من أندر مخطوطات كبريات مكتبات العالم مثل مكتبة الكونجرس في واشنطن ومكتبة باريس الوطنية وغيرهما.

تضمن الفهرس البيانات التي يحتاجها الباحث عن المخطوطة مثل عنوانها الرئيس والفرعي، واسم المؤلف ولقبه واسم الشهرة، وتاريخ وفاته، وبداية المخطوطة ونهايتها، ونوع الخط المنسوخة به واسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه، وتعريف بالمخطوطة وعدد أوراقها وعدد أسطرها ومقاسها الخارجي، وملحوظات عامة حولها، ورقم حفظها والمصادر التي ذكرت بها، والطبع والنشر إن وجد.

وألحقت بآخر الفهرس ثلاثة كشافات، الأول للمؤلفين، والثاني لعناوين المخطوطات، والثالث للموضوعات. وبلغ عدد صفحاته ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير.

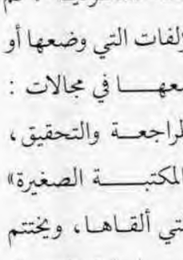
رحلتي مع التأليف



مؤلف الكتاب الأستاذ عبد العزيز أحمد الرفاعي، **ويستعرض فيه بداياته ورحلته مع الكلمة،** والخطوات الأولى التي خطاها نحو محاولة التأليف موضحًا أن ميوله الأدبية قد تفتحت منذ صباه الباكر وكيف اتجه إلى محاولة كتابة القصة والشعر إبان دراسته في المعهد العلمي السعودي، ومحاولته بعد التخرج الاتجاه إلى التأليف المدرسي، ودور أستاذه الراحل **الشيخ عمر عبد الجبار** في تشجيعه وإشراكه معه في وضع سلسلة «المطالعة السعودية»، ثم يتحدث عن المؤلفات التي وضعها أو شارك في وضعها في مجالات: المسرحية، والمراجعة والتحقيق، وسلسلة «المكتبة الصغيرة» والمحاضرات التي ألقاها، ويختتم كتابه بذكر سلسلة «شعراء مغمورون» التي بدأ في إصدارها.

صدر الكتاب عن دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض ضمن سلسلة «**من دفاتري**» برقم ٣، في ٥١ صفحة من القطع الصغير.

ظلال ولا أغصان

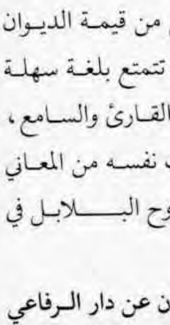


مجموعة شعرية للأديب عبد العزيز أحمد الرفاعي. مكونة من سبع وعشرين قصيدة يغلب عليها الاتجاه التقليدي الكلاسيكي، وتعالج أغراضًا متنوعة منها قصائد دينية ووجدانية، وأخرى تناجي الطبيعة وقصائد مناسبات وإخوانيات، والأخيرة أكثر عددًا.

والديوان أقرب إلى النظم منه إلى الشعر، وهي حقيقة اعترف بها كاتبه صراحة بكل تواضع وأريحية المثقف الواعي، وليس في هذا ما يعيب الشاعر أو يقلل من قيمة الديوان لكون القصائد تتمتع بلغة سهلة يتجاوب معها القارئ والسامع، وتحمل في الوقت نفسه من المعاني عبق الخزامى ودوح البلابل في الرياض.

صدر الديوان عن دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض ضمن «السلسلة الشعرية» برقم ٨ في سبع وخمسين ومائة صفحة من القطع المتوسط.

شخصية الرسول ﷺ
في ضوء المقاييس الإنسانية



هذا الكتاب أحدث مؤلفات الدكتور عبد الحليم عويس ويقدم فيه صورة لجوانب شخصية الرسول ﷺ في ضوء المقاييس الإنسانية. وهدفه من ذلك - كما أوضح من إهداء الكتاب - تحقيق توازن في الكتابات التي تتناول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، فالكثيرون قدموا مؤلفات عدة عن محمد «الإنسان» و«رسول الحرية والعدالة» لكنهم في مؤلفاتهم أبرزوا الجوانب السابقة على حساب محمد النبي رسول الله.

وبهذا الكتاب يسعى المؤلف إلى أن يبين بوضوح أن محمدًا الإنسان «محرر الإنسانية» يتعانق مع محمد النبي ورسول الله ﷺ في انسجام وتآزر، وفي نسيج واحد أمام كل المقاييس الموضوعية والإنسانية المحايدة.

صدر الكتاب عن إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ضمن سلسلة «من ينابيع الثقافة» برقم ٢١ في ٨٠ صفحة من القطع الصغير، **وقد قدم له الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير الجامعة.**

وهدأت العاصفة



الكتاب يرصد موقف المملكة العربية السعودية وقادتها وعلمائها وكتابها وشعرائها من غزو النظام العراقي للكويت، عام ١٨٨٠م، قام بتجميع مادته عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، وكيل إمارة الدرعية، وصدّر له الشيخ عبد الله ابن محمد بن خميس.

يجيء الكتاب في طبعته الثانية في سبع ومائتي صفحة من القطع المتوسط ويتضمن خطب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وكلماته حول الأزمة، وكلمة الرئيس المصري محمد حسني مبارك أمام القمة العربية الطارئة بالقاهرة، وكلمات أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح، فضلاً عن بيانات الهيئات الإسلامية

وكلمات كبـــار العلماء، وبعـض الكتّـاب، وبعض افتتـاحيـات الصحف، وأهم مـا نشر حول هـذا الحدث، ومجموعة من القصائد التي تشجب العـــدوان وتحيي الموقف الشجـاع للملكـة قيـادة وشعبًا، وصمود أهل الكويت.

الكيميـاء التحليليـة تجارب عملية في طرق التحليل الآلي



تـأليـف الدكتور عبد الغني حمزة وآخرين، صدر الكتاب عن مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز في جـــدة، ويقع في إحــدى وأربعين ومائتي صفحة من القطع المتوسط.

ويعالج على مـدى خمسة فصول عـدة مـوضـوعـات في مجالـه، مثل معـالجة النتائج التحليليـة وكيفيـة التأكد من دقتهـا وصحتها، وبعض الطـــرق الطيفيـــة في التحليـل الكيميـــائي، وطـــرق التحليل الكهـروكيميائيـة والفلـولتـا ميتريـة والبـولاروجــرافيـة، وطـرق الفصل بـــوسـاطـــة الاستخـــلاص والكرومـاتـوجرافيـا، وكيفيـة إذابـة العينـات واحتياطـــات السلامـــة والإسعافـات الأوليـة في المعـامل، وزودت الفصــول بنماذج لتجـارب عمليـــة متنوعـــة مجمــوعهـــا تسع وأربعون تجربـة.

إضـافة إلى ذلك راعى المؤلفـون وضع جداول وأسماء مراجع منتقاة في نهاية الكتاب.

صندوق الأمم المتحدة للسكان تقرير ١٩٩١م



تضمـن التقرير جوانب عـــدة عـن نشـاطـات الصنـــدوق خـــلال فترة التقـريـــر مع بعض النشـاطـات المستقبليـة، التي يعد لها مثل المؤتمر الدولي المعني بالسكان والتنمية المقرر عقده عـام ١٩٩٤م.

واحتـوى التقريـر على خلاصـة الجوانب البرنـامجيـة والمالية البـارزة، حيث تم استعراض البرنامج حسب المنطقـة الجغـرافيـة، مثل جنـوب الصحراء الأفريقية الكبرى، والدول العربيـة وأوربـــا، وآسيـا ومنطقـة المحيط الهادئ، وأمريكـا اللاتينيـة ومنطقـة البحر الكـاريبي، واختتم هـذا الفصل بحـديـث مـوجـز عن البرامج والمشروعات الإقليميـة.

كما استعـرض معـدو التقـريـر البرنـــامج حسب المجـــالات ذات الأولوية مثل تنظيم الأسرة، والإعلام والتثقيف والاتصال، وجمع البيانات الأساسية، وغير ذلك من المجالات، وتحدثوا عن الجوانب الأخرى للبرنامج مثل تعزيز الوعي وتبادل المعلومات، وتنسيق السيـــاســـات والبرامج، وتدريب الموظفين وتنمية قدراتهم وما إلى ذلك من الموضوعات.

صدر التقـرير باللغة العـربية في سبع وثمانين صفحـــة مـن القطع الكبيـر.

النهضة الإسلاميـة بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمـة



تـألـيف د. عبد الحليم عويس. تقديم د. عبد الله بن عبـد المحسن التركي.

يؤكد المؤلف في كتابه على ما يراه حقيقة مهمة، وهي أن مشكلة تخلف الإنســان المسلم ليست كـامنـة في القيادة بقـدر ما هي كامنة في فعـالية الإنســان المسلم وفي هموده وضعف إرادته الحضارية.

وفي سبيل إيضاح فكرتـه يوضح أن الحركات الإصلاحية التـي بدأت منـذ أكثـر من قـرنين من الـزمـان وتصـدرتها دعوة الشـيخ محمـد بن عبد الـوهاب في الجزيـرة العربيـة قد قـدمت الكثير لليقظـة الإسلاميـة لكنهـا لــم تَعْـدُ أن تكـون البـذور النقيـــة الصـــالحة التي تشكل خمائر حضارية.

وطبقًا لهذا المفهوم فإن النهضـة الإسلاميـة كما أكد عليهـا البـاحث تحتـاج لقيـامهـا إلى تحليل ركنين أســاسيين هما مسؤوليـــة القيـــادة الفكـرية ومـدى فقههـا لسنن الله في صنـاعة الحضـارة، والثاني واجبـات الأمة كلها في إرساء الصرح الحضاري الإسلامـي.

وواضح أن دراســة الكـــاتب المتخصصة في التاريخ الإسـلامي قد أعانتـه على تعزيـز ما طـرح من آراء بتقديم نماذج من التجارب الحضارية النـاجحـة التـي صنعهـا المسلمـون وأعظمهـا تلك التي تمت في حيـاة الـرسـول ﷺ ومـن بعـده صحـابتـه ـ رضـوان الله عليـهم ـ ولـم يفته أن يقـارن بين تجارب المسلمين الحديثـة وتجارب غيرهم مـن الأمـــم التي حققت نجـاحـات تقنيـة ومـاديـة، ولكنهـا لم تـرتق إلى مستـوى حضـارة الإسلام روحيًـا، مشددًا بـذلك على ضرورة الحفاظ على الهوية الإسلامية وعـدم متـابعـة دعـاة التغـريب ممن استأجـر الغـرب عقـولهم وأقـلامهم وسخـرها لخدمتـه، حيث يخلص إلى القول بأن البـداية الصحيحة لمسيرة الأمة الإسـلامية الحضاريـة لا بـد لها أن يستقيم أمر التربيـة والإعلام على المبادئ الإسلامية

صدر الكتـاب عن إدارة الثقافـة والنشر بجـامعـة محمـد بن سعـود الإسلاميـة بالـريـاض ضمـن سلسلة «ينابيع الثقافة» بـرقم ٢٣ في أربع وستين صفحة من القطع الصغير.

مسابقة مجلة الفيصل

● أجوبة مسابقة العدد (١٩٠) ●

ج ١ : الدليل على وجوب استقبال المسجد الحرام عند الصلاة؛ ما جاء من قول الله تعالى : ﴿ قد نرى تقلُّب وجهك في السماء فلنولينَّـك قبلة ترضاها فولِّ وجهـك شطر المسجـد الحرام وحيث ما كنتم فولـوا وجوهكـم شطره ﴾ البقرة ١٤٤ . وأيضاً الآية ١٤٩، والآية ١٥٠ من السورة نفسها .

□□□

ج ٢ : هو أبو الثناء محمود شهاب الدين بن عبد الله بن محمود الآلوسي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ/ ١٨٠٢ ـ ١٨٥٤ م) . ولد في ناحية الكرخ ببغداد، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

أخذ العلـم عن فحول عصره، ومنهم والـده، والشيخين خالـد النقشبندي، وعلى الـدويسي . كـان سلفي الاعتقـاد، شافعي المذهب، مع تقليـد الإمـام أبي حنيفـة في كثير من مسائلـه، عـالماً باختـلاف المذاهب . قُلِّـد أوقاف المدرسة المرجانية، ثم إفتـاء الحنفيـة، وبعد ذلك تفرغ للتفسير الذي بدأه في رجب ١٢٥٢هـ وأتمـه في ربيع الآخـر ١٢٦٧ هـ .

خلّف ثروة علمية من أشهـرها تفسيره المذكور، ومؤلفات أخرى في النحـو والتراجم والرحلات . انتقل إلى رحمة الله يوم الجمعة (وقيل السبت) ٢٥ من ذي القعدة ١٢٧٠ هـ ودفـن في ناحية الكرخ ببغداد .

□□□

ج ٣ : وقعت معركة سهل الزلاقـة SAGRAJAS في يـوم الجمعـة ١٢ رجب ٤٧٩ هـ (٢٣ أكتـوبر ١٠٨٦م) بين القوات الإسلامية بقيادة يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين ـ الذي هب لنجدة المعتمد بن عباد أمير إشبيلية ـ وجيش الملك ألفونسو السادس القشتالي .

وقد انتصر فيهـا المسلمون انتصـاراً باهـرًا؛ حيث استطاع جيشهم تحطيـم الجيش القشتالي وقتلـوا منه مقتلـة عظيمة، وأظهرو ضروبًا من البسالـة والصبر على القتال، وطـاردوا أعداءهـم في كل مكان بعد أن استولـوا على ما معهم . وقد استطـاع ألفونسو السادس الفـرار، بعد أن جـرح، مع شرذمة من رجاله تبلغ نحو خمسمائـة فـارس هي كل ما تبقى من جيشه الذي عدّه المؤرخون بعشرات الآلاف .

□□□

ج ٤ : هي قبيلة جهينة، وهـي حي عظيم من قضاعة من القحطانيـة، وينتسبـون إلى جهينة بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلـم بن الحافي بن قضاعة، وفي هـذا الحي بطون كثيرة . وكانت منـازلهم ما بين ينبع ويثرب في متسع من بـرية الحجاز على العدوة الشرقيـة من بحر القلزم، ورحلت منهم جماعـات إلى العدوة الغربية، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة . كما نزلت جهينة الكوفة، وبها محلة تنسب إليهم، وقد رحل بعضهم إلى السـودان واستقروا في الجزء الممتـد في الجنـوب إلى كردفـان ودارفـور، وامتد وجـودهم إلى تونس .

□□□

ج ٥ : الصفـر المطلق، هو تعبير خـاص يطلقه علماء الطبيعـة والكيميـاء ليشير إلى أقل درجة حـرارة يمكن الوصول إليها نظريًا، أي الدرجة التي لا يصحبها أي حرارة على الإطلاق، إذ تتوقف فيها الجزيئات والذرات عن الحركـة، ـ أو تكاد ـ تـوقفًا تامًـا . وتعادل ١٦ ,٢٧٣ درجة مئويـة تحت الصفر أو ٤٥٩,٦ درجـة فهـرنهايتية تحت الصفـر بمقيـاس كلفن، وهـو المقيـاس المطلق للحـرارة الذي اخترعـه الفيـزيقي والرياضي الإنجليزي وليم طومسون كلفن (١٨٢٤ ـ ١٩٠٧م) .

---

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جـوائز ماليـة تمنح لثلاثـة فـائزين بين (٥٠٠ ريـال، ٣٥٠ ريـالاً، ١٥٠ ريالاً) .

ب ـ خمس جـوائز اشتراك مجـاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً) .

ج ـ عشـر جـوائز اشتـراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا) .

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميـة في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمـة الأصليـة للمسـابقـة مع ورقـة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة .

ب ـ ترسـل الإجـابات على العنـوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص . ب . ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أيـة إجـابات تصل بعـد ٥٤ يومـاً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها .

د ـ من حق القـارئ أن يشترك باسمه في المسابقـة الواحـدة أكثر مـن مرة على شرط إرفاق قسيمـة المسابقـة مع كل رسالة .



● نتائج مسابقة العدد (١٩٠) ●

م	اسم الفائز	البلـــد	قيمة الجائزة بالريال
١	عبد الله مجاهد عبد الله البشـة	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	خليل قطب محمد أبو قدرة	كفر الشيخ ـ مصـر	٣٥٠
٣	فاطمة الزهراء بنت أمحمد بن زاكور	فـاس ـ المغرب	٣٠٠
٤	عمر رجب الحجّـام	جزيرة جربـة ـ تونس	٣٠٠
٥	عبد الرحمن بن إبراهيم التويجري	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	٢٥٠
٦	وفاء توفيق السيد متولي	الدقهليـة ـ مصـر	٢٥٠
٧	منذر فخري عبد السلام	عمّـان ـ الأردن	٢٠٠
٨	محمد موسى الصفيان	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	٢٠٠
٩	علي عبد الله آل نـوح	المنامة ـ البحريـن	١٥٠
١٠	ياسر علي أحمد لبـن	بيشاور ـ الباكستان	١٥٠
١١	عبد الرحمن الرشيد الحسن	بورتسودان ـ السودان	١٠٠
١٢	سعيد مسعد المطيري	الطائف ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٣	حاتم أمين أحمد الجمل	المنوفيـة ـ مصـر	١٠٠
١٤	علي كويا تراولـور	الدوحـة ـ قطـر	١٠٠
١٥	عبد الله يحيى السريحي	صنعـاء ـ الجمهورية اليمنية	١٠٠
١٦	سيد أحمد السيد	رأس الخيمة ـ الإمارات العربية	١٠٠
١٧	جلال رياض الوكيل	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٨	راشد عبد الله عـودة	عمّان ـ الأردن	١٠٠
١٩	نشينش محمد بن أحمد	سـلا ـ المغرب	١٠٠
٢٠	عبد الناصر محمد أمين	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
٢١	يوسف عبد اللطيف يوسف	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٢	روندة أمين مرعشلي	دمشق ـ سوريـة	١٠٠
٢٣	محمد بن يوسف الماكني	الورديـة ـ تـونس	١٠٠
٢٤	بداش أحمد بن محمود	تزنيت ـ المغرب	١٠٠
٢٥	فاروق أحمد عبد اللطيف ميمن	السند ـ الباكستان	١٠٠
٢٦	محمد باسل الكسـم	دبي ـ الإمارات العربية	١٠٠
٢٧	يحيى محمد مهدي حمود	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٨	صلاح عبد القادر محمد	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
٢٩	منال ديـاب محمد ديـاب	الزقـازيق ـ مصـر	١٠٠
٣٠	دينـا منير سعيـد	عمّـان ـ الأردن	١٠٠

أسئلة مسابقة العدد (١٩٦)

● **السؤال الأول :**

الاستخارة، صـلاة سُنَّت لمن أراد أمراً مبـاحـاً والتبس عليه وجـه الخير فيـه . لها دعاء مخصوص . ما هو ؟

□ □ □

● **السؤال الثاني :**

حثّ الإسـلام على النظـافـة، وأمـر المسلم أن يغتسـل ويتطهـــر، ويتطيب. اذكر غسلين واجبين، وغسلين مستحبين في حياة المسلمين.

□ □ □

● **السؤال الثالث :**

كيف تتم عمليـــة الجلفنـــة (طـلاء أسطح المعادن بالزنك) ؟

□ □ □

● **السؤال الرابع :**

الأرمـادا الأسبـانية، أحـد الأسـاطيل البحريـة الشهيرة في القرن السـادس عشر دخلت به أسبـانيا معركة بحريـة مع دولة أخرى. متـى وقعت المعركة ؟ ولمن كـانت الغلبـة ؟

□ □ □

● **السؤال الخامس :**

في العـلاقـات بين الـدول مـا يعـرف بالامتيازات الأجنبية . عرّفها باختصار.

□ □ □

● أجوبة مسابقة العدد (١٩١) ●

ج ١ : هي الآيات أرقام ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، من سورة الأنعام. وقد ورد فيها ذكر أنبياء الله ورسله : إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط، صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين.

□□□

ج ٢ : من الأحاديث الشريفة التي وردت في تحريم النياحة ما رواه أبو مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»، وقال : «النائحة إذا لـم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب» رواه مسلم وعن أم عطية قالت : «أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا ننوح» متفق عليه. ولما رواه البزار بسند رواته ثقات أن رسول الله ﷺ قال : «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة، مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة». وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنه قال : «أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ. إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة». [الصالقة : التي ترفع صوتها بالندب والنياحة، والحالقة : التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة : التي تشق ثوبها عند المصيبة]. ولما روي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس منا من لطم الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية». متفق عليه. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فعلى من تفعل ذلك من نساء المسلمين أن تتقي الله، وأن تعلم مدى الوعيد الشديد الذي توعد به رسول الله ﷺ من تفعل ذلك.

□□□

ج ٣ : البروتوكول، لفظ يطلق على الوثائق الرسمية أو الاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة، صيغتها موجزة غالبًا. وتعقد الوثيقة السياسية بإجراء مفاوضات يجتمع لها مندوبو الدول المتعاقدة، كما أنها تعقد بالمراسلة. ومثل هذه الاتفاقات لا تكون طويلة الأجل؛ بل نافذة لمدة معينة. وتستعمل كلمة البروتوكول للدلالة على مجموعة من القرارات والرسائل والمذكرات الحكومية، كما تدل أيضًا على القرارات الصادرة عن جمعية أو مؤتمر ما. أما في القانون الدولي فهي تدل على مجموع الإجراءات والاستعدادات على إثر التوقيع على معاهدة ما تمهيداً للتصديق عليها، دون استبعاد بعض التعديلات المتعلقة بالخطوات الإجرائية. والبروتوكول ـ أيضًا ـ اصطلاح في العرف الدبلوماسي، يعني المراسم والقواعد المرعية في الحفلات والمآدب والاجتماعات والاستقبالات والمراسلات الرسمية، وهي في العادة تقاليد غير مكتوبة يقررها العرف، أو السوابق وآداب المجاملة، والضيافة، وتختص برعاية هذه الواجبات إدارة تعرف ـ في وزارات الخارجية ـ بإدارة البروتوكول أو إدارة المراسم.

□□□

ج ٤ : هي **فاطمة بنت عبد الملك بن مروان** : أبوها عبد الملك بن مروان بن الحكم، وزوجها عمر بن عبد العزيز بن مروان، وإخوتها هم : الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، أبناء عبد الملك بن مروان. وجميعهم خلفاء من بني أمية.

□□□

ج ٥ : **الزئبق**، هو المعدن الذي يوجد في صورة سائلة في درجات الحرارة العادية.

□□□



● نتائج مسابقة العدد (١٩١) ●

م	اسم الفائز	البلد	قيمة الجائزة بالريال
١	وجيه محمود عمر يوسف	نجران ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	ساعدي توراد محمد	العيون ـ المغرب	٣٥٠
٣	غزالة بنت أحمد محمد الإبراهيم	حلب ـ سورية	٣٠٠
٤	منصور أحمد زيدان الشاذلي	الغربية ـ مصر	٣٠٠
٥	توفيق بن مختار بن الشافعي	ماطرة ـ تونس	٢٥٠
٦	محمد حسام محمد الخالدي	جدة ـ المملكة العربية السعودية	٢٥٠
٧	أمينة عبد الله إبراهيم	المنامة ـ البحرين	٢٠٠
٨	حسن سر الختم حسن	النيل الأبيض ـ السودان	٢٠٠
٩	عادل عبد اللطيف حسن	الفجيرة ـ الإمارات العربية	١٥٠
١٠	لوناس يوسف	بئر مراد رايس ـ الجزائر	١٥٠
١١	تغريد محمد قصي مراد	الطائف ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٢	أروى محمد حسن شطناوي	إربد ـ الأردن	١٠٠
١٣	فتحية محمد محمد الدبيكي	الزقازيق ـ مصر	١٠٠
١٤	فادية أحمد حمزة سليمان	العيلفون ـ السودان	١٠٠
١٥	أحمد علي عبد المقصود	الدوحة ـ قطر	١٠٠
١٦	أديب محمد خليل غزاوي	دمشق ـ سورية	١٠٠
١٧	مصطفى ولد إدوم	نواكشوط ـ موريتانيا	١٠٠
١٨	لطف حسين محمد دادية	ذمار ـ اليمن	١٠٠
١٩	راتب سليمان موسى	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٢٠	أحمد بن عبد الله الرقيبة	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢١	حافظ أحمد يار	لاهور ـ الباكستان	١٠٠
٢٢	عبد الجابر عباس القاضي	عجمان ـ الإمارات العربية	١٠٠
٢٣	فائق إبراهيم أبو الفتح	الغربية ـ مصر	١٠٠
٢٤	وفاء عبد الله جدي	المسيلة ـ الجزائر	١٠٠
٢٥	سالم يونس إدريس	أم درمان ـ السودان	١٠٠
٢٦	حمدة حسن عبد الله	المحرق ـ البحرين	١٠٠
٢٧	صالح المحمد العقلات	القصيم ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٨	سلمان سليم ياسين	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٢٩	عبد الله متولي نصر	القاهرة ـ مصر	١٠٠
٣٠	معروف فاطمة	وجدة ـ المغرب	١٠٠

الصينيون

لا يكتفون بعجيبة واحدة !

○ شبابهم أطول من شيبانهم !
وبلادهم بلا ذباب !
○ يخلطون الشطة مع السكر !
ويغلون اللحم لمدة دقيقة !

بقلم : إحسان كمال

الصين بلاد العجائب ! تلك مقولة طالما ترددت ومن كثرة ترددها فقدت معناها ، لكن يقولون ـ أيضا ـ ليس من سمع كمن رأى ، ومن يزر الصين يصدق أن للعجائب الصينية بقية !

من التاريخ أضافوا عجيبة ثامنة إلى سورهم العظيم ، ومن عصرنا يرى الزائر (بكين) عاصمة مفتوحة تضم ملايين البشر تعيش بلا ذباب حتى في أحيائها الشعبية ! في قامات شبابها اختلاف ، فهم أطول من قامات أسلافهم . وهل لهذه المقاييس علاقة بعصر الانفتاح الصيني ؟!

تلك هي جملة انطباعات زيارة وفد أدبي مصري مختص ضم الشاعر أحمد خميس والدكتورة زهيرة البيلي وكاتبة هذه السطور .

جدية في الترحيب

يتصف الشعب الصيني بالجدية في ترحيبه بزائريه كما هي عادته في جميع شؤون حياته . معالم هذا الترحيب الجدي بدأت في المطار عندما استقبلَنَا وفد من الكتاب الصينيين ونحن اللذين كنا نظن أن مسؤولاً أو شخصًا واحدًا سيكون في الاستقبال . واستمر هذا الأسلوب في كل مقاطعة نطؤها .

في برنامج رحلتنا الشامل استمر طابع الجدية معنا ففي زيارتنا لجمعية بحوث الأدب العربي في دار البحوث للآداب الأجنبية أثار انتباهنا عدد الذين يبحثون وينقبون في أدبنا وكأنهم خلية نحل ، وبعضهم أردف إلى جانب اسمه الصيني اسما عربيا استنبطه من دراسته .

اهتمام بالأدب العربي

في لقائنا معهم لمسنا تلهف الجميع على الحديث مع أفراد يكتبون في ذلك الأدب العربي الذي يدرسونه ، وظهر لنا مدى حرصهم على توطيد أواصر التفاهم بيننا وبينهم بدليل إنشائهم هذه الجمعية .

وسط حضور جميع أفراد الجمعية دار اللقاء حول كل ما يدور في حياتنا الثقافية واهتمت إذاعتهم بهذا الحوار فسجلته كاملاً ، وقد ظل هذا أسلوب تعاملهم معنا في كل زياراتنا إلى فروع اتحاد الكتاب في المقاطعات التي ذهبنا إليها ، والمتاحف ودور الآثار . كان مدير المنشأة شخصيًا في استقبالنا ويتولى الشرح وتقديم المعلومات بنفسه وسط ترحيب الجميع .

وعي واضح بقضايا حاضرنا

ومن أبرز الانطباعات التي خرجنا بها من حصيلة لقاءاتنا مع الأدباء والكتاب والشعراء الصينيين الذين التقيت بهم وعيهم بالعديد من القضايا الأدبية العربية المثارة وأثر التفاعلات الاجتماعية المختلفة في بعض الأقطار العربية على عمليات الإبداع الأدبي ، كما شهد اهتمام الأدباء الصينيين عمليات الترجمة من العربية وأدب الشباب .

الإسلام في الصين

في مقاطعة «تشونغ تو» زرنا مسجد المقاطعة وهناك رأينا شيخ المسجد وعددا من أعوانه يتولون تدريس بعض التلاميذ الشباب تعاليم الدين الإسلامي ، وكان هؤلاء الشباب يتلون سورًا من القرآن الكريم ، وعند موعد صلاة الظهر صدع صوت الحق بالأذان فأحسسنا بشعور غريب وحمدنا الله تعالى أن قيض للإسلام سبل الإنشاء والوصول إلى هذه المناطق النائية ، وكان في المسجد مكان مخصص لأداء الصلاة للنساء .

وقد فهمنا من خلال الأحاديث المتعلقة بالإسلام في الصين أن عدد المسلمين يزيد على ثلاثة عشر مليونا وأن عدد مساجدها نحو عشرة آلاف مسجد ، وهنالك حماسة منقطعة النظير من قبل القائمين على هذه المساجد وولايتها بالعمارة والتجديد والتوسعة ، مما يضيف سعادة بالغة على كل حوار يتناول موضوع الإسلام في تلك البلاد .

أطعمة على الطريقة الصينية

وفي الصين تنتشر المطاعم الإسلامية وقد رأينا في مدينة «شيان» إقبالا على هذه المطاعم يشمل غير المسلمين . وللأطعمة والمطاعم في الصين مذاق خاص فهم يميلون إلى تقطيع اللحوم والأسماك والدواجن إلى قطع صغيرة جدا ويجمعون بين الشطة والتوابل والسكر ويخففون البيض بالشربة . أما طبقهم المفضل فهو شرائح الضأن الرقيقة يأخذونها بالعصاتين الشهيرتين لغمسها في إناء به ماء مغلي فوق موقد صغير لمدة دقيقة واحدة ثم يتناولونها مباشرة .

أليست الصين هي بلد العجائب ؟!

○ ○

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة

الحركة الثقافية

- ☐ الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام.
- ☐ السيول تكشف مستوطنة أثرية في عدن.
- ☐ المؤتمر الدولي الأول للفكر والإبداع في القاهرة.
- ☐ اكتشاف أخطاء في ترجمات فرنسية لمعاني القرآن.
- ☐ مركز في القيروان للدراسات الإسلامية.
- ☐ جائزة التحدي الصحافي لصحافي بوسني.

السعودية

برعاية ملكية كريمة :

تسليم جوائز الملك فيصل هذا الشهر

الأمير خالد الفيصل :

الجائزة نموذج مصغر لاهتمام مجتمعنا الإسلامي



صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل والدكتور عبد الله العثيمين الأمين العام للجائزة

ينتظر أن يرعى خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز** يوم السبت الثامن عشر من شهر شوال الجاري (١٠/ ٤/ ١٩٩٣م) **الحفل الذي تقيمه مؤسسة الملك فيصل الخيرية لتسليم جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين** بها هذا العام ١٤١٣هـ-١٩٩٣م في مجالاتها المختلفة.

وكان صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** المدير العام للمؤسسة ورئيس هيئة الجائزة قد عقد في الخامس والعشرين من شهر شعبان الماضي مؤتمرًا صحافيًّا أُعلنت خلاله أسماء الفائزين بالجائزة، حيث أكد سموه - خلال المؤتمر - أن الجائزة وسيلة لتكوين مجتمع إنساني أفضل، نصل من خلالها إلى ما نصبو إليه من طموحات.

وأضاف سموه : ليس غريبًا أن تبادر **مؤسسة الملك فيصل الخيرية** بهذه الجائزة لتكريم العلم، لأنها نموذج مصغر لاهتمام هذا المجتمع الإسلامي في هذا البلد الذي ارتضى الله - عز وجل - أن يكون العمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ دستور الحياة فيه.

ووجه سموه الشكر إلى مقام خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز**، وصاحب السمو الملكي الأمير **عبد الله بن عبد العزيز** ولي العهد ونائب رئيس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، وصاحب السمو الملكي الأمير **سلطان بن عبد العزيز** النائب الثاني لرئيس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، لدعمهم المستمر للمؤسسة وروافدها المختلفة.

وردًّا على سؤال حول ما إذا كان منح الرئيس البوسني علي عزت جائزة خدمة الإسلام يعد دعمًا لشعب البوسنة والهرسك، **قال سمو الأمير خالد الفيصل : إننا نمنح الجائزة للأشخاص، للشخص الذي خدم الإسلام وعمل عملاً غير عادي، واللجنة اعتبرت الأعمال التي قام بها الرئيس علي عزت بيجوفتش أعمالاً غير عادية قبل أن يكون رئيسًا للبوسنة، وقد اختير من بين أربعة وعشرين مرشحًا رُشِّحوا للجائزة**، فالجائزة للشخص. أما دعم المؤسسة لجهاد مسلمي البوسنة فقد سبق لها أن تبرعت بنصف مليون ريال لدعمهم.

وكان الدكتور **عبد الله العثيمين** الأمين العام للجائزة قد تلا بيانًا من الأمانة العامة حول نتائج أعمال لجان الاختيار للدورة السادسة عشرة للجائزة جاء فيه أن اللجان عقدت سلسلة من الاجتماعات خلال الفترة ما بين ٢٢ - ٢٥ شعبان الماضي (١٣ - ١٦ فبراير) وتوصلت خلال اجتماعاتها إلى القرارات التالية :

جائزة خدمة الإسلام لبيجوفيتش

أولاً : **قررت لجنة الاختيار لجائزة خدمة الإسلام منح الجائزة هذا العام للسيد الرئيس علي عزت بيجوفتش**، رئيس جمهورية البوسنة والهرسك، اعترافا بجهوده الإسلامية وتقديرًا لمواقفه الجهادية المتمثلة في :

١ ـ إبانته في كتاباته الرصينة الدور العالمي للإسلام في تقدم الفرد والمجتمع . وقد ترجمت هذه الكتابات إلى لغات عدة فانتفع بها كثير من المسلمين في أقطار مختلفة .

٢ ـ وقوفه ببسالة، منذ شبابه، للدفاع عن حقوق المسلمين الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد في بلاده. وتعرضه للسجن والتنكيل من قبل السلطات الشيوعية لمواقفه الشجاعة .

٣ ـ إنشاؤه حزبًا إسلاميًّا قاد شعبه المسلم إلى الاستقلال، واستمرار صموده في وجه التحديات العرقية، والمؤامرات العدوانية، دفاعًا عن هذا الشعب .

٤ ـ تعزيزه روابط شعبه ببقية إخوانه من زعماء الأمة الإسلامية وشعوبها، ونجاحه في كسب أولئك الزعماء والشعوب لمناصرة قضية شعبه العادلة .

٥ ـ اتخاذه مسلكًا رشيدًا في تعامله مع الظروف المحيطة بشعبه المسلم أملاً في أن يحقق ما يرجوه من خير وعزة وانتصار على عدوانه .

جائزة الدراسات الإسلامية لحسن ساعاتي

ثانيًا : **قررت لجنة الاختيار لجائزة الدراسات الإسلامية منح الجائزة** هذا العام وموضوعها (الدراسات التي تناولت علم الاجتماع عند المسلمين، أو عالجته من منظور إسلامي) للأستاذ **الدكتور حسن الساعاتي عبد العزيز**، المصري الجنسية، أستاذ علم الاجتماع المتفرغ في جامعة عين شمس ؛ **تقديرًا لجهوده التي امتدت أكثر من أربعين عاما، ولما تميز به من دقة علمية واهتمام بالتأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع** في ظل حداثة هذا التوجه وغلبة الفكر الغربي على الدراسات الاجتماعية .

يضاف إلى ذلك جهده في استيعاب القضايا النظرية مع وعي دقيق بالواقع الاجتماعي . وقد أهله ذلك كله لأن يكون من أوائل الرواد في مجال التأصيل الإسلامي لهذا العلم ؛ ممهدًا الطريق للباحثين من بعده لاستكمال الجوانب التي لم يتح لها الوقت الكافي الدراسة الشاملة المستفيضة . وتعد بحوثه في هذا المجال جهدًا طيبًا يجسد الاهتمام بالتأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع ؛ لا سيما من حيث المصطلحات والتعريفات والمفاهيم، وتمثل بداية لتحرير علم الاجتماع من الهيمنة الغربية .

حجب جائزة الأدب العربي

قررت لجنة الاختيار لجائزة الأدب العربي حجب الجائزة هذا العام، وموضوعها (المسرحية المؤلفة باللغة العربية الفصحى شعرًا أو نثرًا) لأن الأعمال التي رشحت لا ترقى إلى مستوى الجائزة .

جائزة الطب لعلماء فرنسيين

قررت لجنة الاختيار لجائزة الطب منح الجائزة هذا العام وموضوعها (أمراض نقص المناعة المكتسبة) **لفريق علمي فرنسي** مكون من :

الدكتور لوك مونتانييه مدير مركز البحوث العلمية ورئيس قسم فيروسات الأورام بمعهد باستور. وله أكثر من ستين ومائتي بحث أكثرها عن الأيدز، **والدكتور شيرمان جين كلود** مدير معهد العلوم والبحوث الطبية بمارسيل. وله أكثر من مائتي بحث منشور، **والدكتورة فرانسواز باري سنوسي** رئيسة وحدة الفيروسات بمعهد باستور،


الدكتور لوك مونتانييه


الدكتور شيرمان جين كلود


الدكتورة فرانسواز باري

الرئيس علي عزت بيجوفيتش

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام



● ولد في بوسانسكي عام ١٩٢٥ م، وأكمل دراسته في القانون سنة ١٩٦٢ م . ثم عمل مستشارا قانونيا لجهات علمية وتجارية في مقدمتها جامعة سراييفو.

● التحق بجمعية الشبان المسلمين عام ١٩٤٠ م، فسجن لنشاطه فيها عام ١٩٤٦ م ثلاث سنوات، ثم سجن مرة أخرى عام ١٩٨٢ م .

● في عام ١٩٨٩ م أنشأ حزب العمل الديمقراطي، وهو حزب إسلامي سياسي، وانتخب رئيسا له عام ١٩٩٠ م . وفي نوفمبر من العام نفسه انتخب رئيسا لجمهورية البوسنة والهرسك.

● لم يقتصر عمله على الجهاد السياسي؛ بل امتد إلى ميدان الفكر، فنشرت له كتابات رصينة منها :

ـ البيان الإسلامي، عام ١٩٧٠ م، وترجم إلى العربية والألبانية والإنجليزية .

ـ مشكلات النهضة الإسلامية، عام ١٩٧٧ م .

ـ الإسلام بين الشرق والغرب، عام ١٩٨٦ م، وترجم إلى الإنجليزية والتركية والماليزية والهندية .

● وتتمثل جهوده الإسلامية ومواقفه الجهادية في :

ـ إبانته في كتاباته الرصينة الدور العالمي للإسلام في تقدم الفرد والمجتمع . وقد انتفع بها كثير من المسلمين في أقطار مختلفة .

ـ وقوفه بشجاعة، منذ شبابه، للدفاع عن حقوق المسلمين الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد في بلاده .

ـ تعرضه للسجن والتنكيل من قبل السلطات الشيوعية لما قام به من أعمال إسلامية سياسية .

ـ إنشائه حزبًا إسلاميًا قاد شعبه المسلم إلى الاستقلال .

ـ استمرار صموده في وجه التحديات العرقية، والمؤامرات العدوانية، دفاعًا عن هوية بني ملته في البلقان .

ـ تعزيزه روابط شعبه ببقية إخوانهم من زعماء الأمة الإسلامية وشعوبها، ونجاحه في كسب أولئك الزعماء والشعوب لمناصرة قضية شعبه العادلة .

ـ اتخاذه مسلكًا رشيدًا في تعامله مع الظروف المحيطة بشعبه المسلم أملاً في أن يحقق ما يرجوه من خير وعزة وانتصار على عدوانه .

الحركة الثقافية

ولها أكثر من مائة بحث وسبعين مقالة علمية.

وتتمثل إنجازات هذا الفريق بما يلي :

١ ـ اكتشافه الفيروس المسبب لمرض الأيدز عام ١٩٨٣ م، وتعرف جزئياته وترتيب المورثات في العام التالي.

٢ ـ التعرف عام ١٩٨٤ م على بروتين موجود على بعض الخلايا اللمفاوية يمكّن فيروس الأيدز من الالتحام بها ثم النفاذ إلى داخلها وتحطيمها، مما يسبب نقص المناعة لدى المصابين بهذا المرض. والتعرف على الغلاف البروتيني لفيروس الأيدز، وإبانة أهميته في استجابة الجسم المناعية.

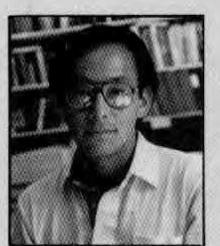
٣ ـ اكتشافه ـ عن طريق المسح الوبائي ـ وجود نسبة عالية من المصابين بالأيدز في أواسط أفريقيا، وتوضيح أهمية انتشاره عن طريق الاتصال الجنسي.

٤ ـ اكتشافه نوعًا ثانيًا من الفيروس المسبب للأيدز في غرب أفريقيا، وتحديد صلته ببعض الفيروسات المسببة للأيدز لدى القرود، ووضع بروتينات غلافه وطريقة التعامل معها.

٥ ـ تمهيد بحوثه واكتشافاته لتطوير أمصال واختبارات تكتشف بها الإصابة بعدوى الأيدز، وفتحها آفاق واسعة للباحثين في مجال مرض نقص المناعة المكتسب في شتى أنحاء العالم لإيجاد علاج ومصل واقٍ من هذا المرض المخيف.



الدكتور هربرت والتر



الدكتور ستيفن شو

جائزة العلوم يتقاسمها ألماني وأمريكي

قررت لجنة الاختيار لجائزة العلوم منح الجائزة هذا العام وموضوعها (الفيزياء) كلاًّ من :

الدكتور هربرت والتر، الألماني الجنسية، أحد مديري معهد ماكس بلانك للبصريات الكمية وأستاذ الفيزياء في جامعة ميونخ، **والدكتور ستيفن شو**، الأمريكي الجنسية، رئيس قسم الفيزياء في جامعة ستانفورد.

وللدكتور والتر بحوث وابتكارات لها أثر كبير في تطوير مجال البصريات الكمية خلال السنوات القليلة الماضية، وهو من أول من درس الظواهر الكمية الأساسية في هذا المجال، وأجرى تجارب الطبيعة الكمية لأول مرة، وتعد بحوثه رائدة في التقنيات التجريبية والمفاهيم النظرية التي يسبر غورها.

أما **الدكتور شو** فقد طور خلال السنوات العشر الماضية تقنيات الحبس البصري للذرات، واستخدمها لدراسة ظواهر دقيقة في مجال البصريات الكمية التجريبية، منها رد الفعل لذرة تبث فوتونًا واحدًا وقياس سقوط ذرة واحدة في مجال الجاذبية بدرجة فائقة من الدقة. وله بحوث رائدة في الانتقالات ذات الفوتونين بين مستويات الطاقة في بعض الذرات، ودراسات نظرية حول الذرات متعددة المستويات. وقد جمع بين اكتشاف تقنيات تجريبية جيدة واستغلالها بعمق بصيرة لتوسيع آفاق البصريات الكمية مما جعله في طليعة العاملين في حقله.

موضوعات السنة القادمة

وأعلنت الأمانة العامة أن موضوعات الجائزة في السنة القادمة (١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) قد تحددت كالتالي :

في الدراسات الإسلامية : (الدراسات التي عُنيت بالفقه الإسلامي تأليفا أو تحليلا أو تيسيرا).

في الأدب العربي : (الدراسات التي تناولت فنون النثر العربي القديم).

في الطب : (التطبيقات الطبية لهندسة الجينات).

في العلوم : (الرياضيات).

د. حسن الساعاتي عبد العزيز

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية



● من مواليد مدينة قليوب بجمهورية مصر العربية في ٣٠/ ٩/ ١٩١٦.

التاريخ العلمي :

المؤهلات

(١) الليسانس الممتازة

في اللغة الإنجليزية وآدابها، قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا)، مايو ١٩٣٨ م.

(٢) دبلوم التربية، معهد التربية العالي للمعلمين (كلية التربية جامعة عين شمس حاليا)، يونيو ١٩٣٩ م. ثم أوفد في بعثة وزارة المعارف (التعليم حاليا) إلى إنجلترا، وحولت إلى بعثة وزارة الشؤون الاجتماعية، ديسمبر ١٩٣٩ ـ سبتمبر ١٩٤٦ م.

(٣) إجازة العلوم الاجتماعية والإدارية، قسم العلوم الاجتماعية والإدارية، مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة لندن، يوليو ١٩٤١ م.

(٤) إجازة الصحة العقلية، من القسم نفسه والجامعة نفسها، يوليو ١٩٤٢ م.

(٥) دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع، تخصص الاجتماع الجنائي، موضوع الرسالة «جناح الأحداث في مصر» مع بحث ميداني في مصر، من القسم نفسه والجامعة نفسها، سبتمبر ١٩٤٦ م.

التاريخ الوظيفي :

ـ مدرس بالمعهد العالي للخدمة الإجتماعية (حاليا كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان) ١٩٤٦ ـ ١٩٤٩ م.

ـ مدرس في معهد العلوم الاجتماعية ـ جامعة الإسكندرية ١٩٤٩ ـ ١٩٥٣ م.

ـ أستاذ مساعد في معهد العلوم الاجتماعية ـ جامعة الإسكندرية ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ م.

ـ أستاذ مساعد في كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠ م.

ـ أستاذ كرسي الاجتماع في كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٠ ـ ١٩٧٧ م.

ـ أستاذ متفرغ في كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٧٧ م ـ حتى الآن.

ـ وكيل كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٦١ ـ ١٩٦٤ م.

ـ عميد كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ م.

ـ عميد كلية الآداب ـ جامعة بيروت العربية ١٩٦٨ ـ ١٩٧٣ م.

ـ رئيس قسم الاجتماع ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧ م.

المسابقة الدولية للقرآن الكريم


الأمير سعود بن عبد المحسن

اختتمت في مكة المكرمة أعمال **المسابقة الدولية الخامسة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره** التي كان قد افتتحها نيابة عن خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز** صاحب السمو الملكي **الأمير سعود بن عبد المحسن** نائب أمير منطقة مكة المكرمة، واستمرت من الأول من شعبان ١٤١٣ هـ حتى الثامن منه.

وقسمت المسابقة إلى **خمسة فروع** توزعت على النحو التالي :

الفرع الأول : حفظ كامل القرآن الكريم مع التجويد والترتيل وتفسير الجزء العاشر، وشارك في هذا الفرع **سبعة عشر متسابقًا** حيث تحصل **عبد الله محمد سليمان الجار الله** (السعودية) على المركز الأول، وجاء الثاني **شيهو سليمان أبو بكر** (نيجيريا)، يليه **ياسر أبو شبانة علي الرشيدي** (مصر)، ثم **أحمد حارس مصدوقي سرويدي** (أندونيسيا)، **فعمار بن إبراهيم بوشقراوي** (تونس).

الفرع الثاني : حفظ كامل القرآن مع التلاوة والتجويد، وشارك **سبعة وعشرون متسابقًا**، احتل المراكز الأولى على التوالي كل من : **علي محمد برهيزكا** (إيران)، **عبد الله عواد الذبياني الجهني** (السعودية)، **ناجي صالح دميرجي** (تركيا)، **وظافر جبريل النائب** (ليبيا).

الفرع الثالث : حفظ عشرين جزءًا من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد، وشارك ثلاثون متسابقًا، وجاء في المراكز الخمسة الأولى كل من : **طلال عمر أحمد بادحدح** (السعودية)، **أوبالي إدريس حسن** (نيجيريا)، **عمر ناليه** (الصومال)، **حسن محمد أجي** (الكاميرون)، **يحيى كازوز** (ليبيا).

الفرع الرابع : حفظ عشرة أجزاء مع التلاوة والتجويد، وشارك ثلاثة وثلاثون متسابقًا وجاء في المراكز الخمسة الأولى كل من : **خالد يحيى محرق** (السعودية)، **مالوم حسين** (تشاد)، **علي قوني إدريس** (نيجيريا)، **محمود إبراهيم محمود سالم** (مصر)، **واس عبد الله شكري عبد الله** (أندونيسيا).

الفرع الخامس : حفظ جزء واحد متصل مع حسن الصوت والتلاوة، وشارك في هذا الفرع **أربعة وثلاثون متسابقًا**، احتل المراكز الخمسة الأولى كل من : **خالد محمد عبد العزيز حنفي** (مصر)، **كريم يعقوب منصوري** (إيران)، **إندانج عصمت الله رشدي** (أندونيسيا)، **محمد محمود الخوجة** (ليبيا)، **وسيد أنوار بخاري** (باكستان).

حضر حفل ختام المسابقة وزير الحج والأوقاف الأستاذ **عبد الوهاب عبد الواسع**، وتكونت هيئة التحكيم من أحد عشر شخصًا من سبع دول برئاسة د. **حسن باجورة**، وتراوحت أعمار المتسابقين بين خمسة عشر - وثلاثة وعشرين عامًا، وكان أصغر متسابق **ناجي تمبرحي** (ثماني سنوات) من (تركيا).

جائزة الأمير خالد الفيصل للأنشطة الطلابية

وافق صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** أمير منطقة عسير على إنشاء جائزة قيمتها أربعمائة ألف ريال تحت مسمى «**جائزة سمو الأمير خالد الفيصل الجامعية للأنشطة الطلابية**» تقدم للطلاب المتفوقين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الجنوب، وفرع جامعة الملك سعود بأبها وكليات المعلمين والتقنية المتوسطة والعلوم الصحية في أبها، بهدف إذكاء روح التنافس بين الطلاب وتشجيع المهارات والكفاءات وتأصيل القيم الإسلامية وترسيخ المثل العليا في نفوس الطلاب.

تشرف على الجائزة لجنة برئاسة سموه وعضوية عمداء الكليات في منطقة عسير، ويتولى الأمانة العامة د. **إسماعيل البشري** عميد كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، وتحددت مجالاتها كالتالي :

- **مسابقات القرآن الكريم** : وتتفرع إلى خمسة أقسام بدءًا بحفظ القرآن كاملاً، وانتهاء بحفظ ثلاثة أجزاء.
- **مسابقات الحديث الشريف** : وتتفرع إلى ثلاثة أقسام : حفظ مائة وعشرين حديثًا من بلوغ المرام، وحفظ ثمانين حديثًا من شرح السنة، وحفظ خمسين حديثًا من كتاب جامع العلوم والحكم.
- **مسابقة السيرة النبوية** : وتتم على شكل مناظرات حية يشارك فيها طالبان من كل كلية في أمسية واحدة.
- **مسابقة الشعر** : وتنقسم إلى قسمين : المساجلات الشعرية، والقصائد، ويشارك طالبان من كل كلية.
- مسابقة الخطابة : وتنقسم بدورها إلى قسمين : خطابة موجهة، وخطابة فورية، ويمثل كل كلية خطيب واحد في قسمي المسابقة.
- **مسابقة القصة القصيرة** : ويشترط أن تكون القصة في حدود عشر صفحات.
- **مسابقة المسرح** : وتشارك كل كلية بمسرحية، ويجوز أن تشترك كليتان في مسرحية واحدة، وتتقاسما الجائزة.
- **المسابقات الرياضية** : في مجالات : كرة القدم، كرة السلة، الكرة الطائرة، ألعاب القوى، تنس الطاولة، صعود الجبال، اختراق الضاحية، السباحة.
- **المسابقات الفنية** : وتنقسم إلى أربعة مجالات : الفن التشكيلي، الخط العربي، الكاريكاتير، التصوير.
- **المسابقات الثقافية العامة** : وتقام بشكل مفتوح وتشارك فيها كل كلية بفريقين من ثلاثة طلاب.

المهرجان الوطني للتراث والثقافة

يقام في الخامس عشر من شهر شوال الجاري **المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية**.

يشهد المهرجان مجموعة من أبرز المفكرين والمثقفين والأدباء من مختلف أنحاء العالم العربي.

ينتظر أن تتناول **الندوة الفكرية** للمهرجان عدة جوانب من أهمها : الهوية الثقافية للأمة الإسلامية، والحركة الإصلاحية في شبه الجزيرة العربية، والإسلام في الإعلام الغربي. والإسلام في شرق أوربا، والنفط والفكر في منطقة الخليج، وأزمة المياه في العالم العربي.

الحركة الثقافية

كما سيحظى **الطفل العربي** بعدة ندوات تعالج أدب الأطفال يشارك فيها متخصصون.

إضافة لما سبق ستكون هناك لقاءات فكرية وأمسيات شعرية ومهرجانات للفنون الشعبية ومعرض للكتاب، وعروض حِرَفية ورياضية.

بحث إحياء مجلة المعرفة


د. عبد العزيز الخويطر

تم رفع دراسة تفصيلية إلى وزير المعارف د. عبد العزيز الخويطر لإحياء «مجلة المعرفة» لتقوم بنشر الأبحاث والدراسات المتخصصة في مجال التربية والتعليم.

وكانت الوزارة تصدر هذه المجلة إبان تولي خادم الحرمين الشريفين الملك **فهد بن عبد العزيز** ـ يحفظه الله ـ مسؤولية وزارة المعارف.

وينتظر أن يتغير مسمى المجلة ليصبح «آفاق المعرفة».

وفاة الشيخ فطاني

توفي ـ مؤخرًا ـ فضيلة الشيخ **إبراهيم داود فطاني**، أحد أبرز رجالات التعليم والقضاء في مكة المكرمة عن عمر يناهز اثنين وتسعين عامًا.

عمل الفقيد ـ يرحمه الله ـ مدرسًا في المسجد الحرام، ومدرسة دار العلوم الدينية، والمعهد العلمي السعودي، ومدرسة تحضير البعثات، وعلى يديه تتلمذ العديد من الشخصيات، كما عمل قاضيًا في المحكمة المستعجلة، والمحكمة الشرعية الكبرى.

وله الكثير من المؤلفات الدينية والتاريخية والأدبية إلى جانب ديوان شعر بعنوان «**الهزيمة**».

وفاة د. عساكر

توفي مؤخرًا البحاثة واللغوي المصري د. **خليل عساكر** الأستاذ بجامعة أم القرى في مكة المكرمة عن عمر يناهز سبعة وثمانين عامًا.

وُلد الفقيد في ٣ / ٧ / ١٩٠٦ م في إمبابة بالجيزة وتخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل عام ١٩٤٢ على درجة الدكتوراه من جامعة الملك كارل الألمانية في براغ، بتحقيقه كتاب «**العشرات** » **لأبي عمر الزاهد مع ترجمته إلى اللغة الألمانية** وقد عمل عميدًا لكلية الآداب بفرع جامعة القاهرة في الخرطوم، وعميدًا لكلية البنات في جامعة أم درمان الإسلامية، ويعد من أبرز خبراء اللهجات العرب، **وأشرف على العديد من الرسائل الجامعية في مصر والسودان والسعودية**.

ومن أبرز الأعمال التي قام بها إشرافه على مشروع الحكومة السودانية لتعريب الجنوب في الستينيات الميلادية.

وله نتاج علمي كثير لعل أهمه «**الأطلس اللغوي**» وهو عبارة عن بحث ألقاه في مؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة عام ١٩٤٩ م، وتحقيق كتاب «**أخبار أبي تمام للصولي**» بالمشاركة مع آخرين، و« **الكتابة العربية بين نموها الرأسي ونمو أفقي مقترح**» (نشر هذا البحث في العدد ٣٨ من مجلة «الفيصل» الصادر في شعبان ١٤٠٠ هـ) وكان آخر مشروع علمي اضطلع بالإشراف عليه والتخطيط له مشروع «**موسوعة الملك فهد للشعر العربي**» التي لم يمهله الأجل ليراها مكتملة.

مسابقة حول أدب الزيدان


محمد حسين زيدان

ينتهي بنهاية شهر شوال الجاري قبول المشاركات في **المسابقة الرابعة لنادي المدينة المنورة الأدبي الخاصة** بالبحث الأدبي. ومسابقة الواعدين الأدبية التي ينظمها نادي مكة الثقافي الأدبي.

تدور مسابقة نادي المدينة المنورة الأدبي حول الأديب الراحل محمد حسين زيدان وإسهاماته الأدبية. ويشترط ألا يقل البحث عن عشرين صفحة، مع وضوح الخط وجودته ويفضل أن تُطبع على الآلة الكاتبة، وألا يكون قد سبق نشر البحث أو الفوز به في أية مسابقة أخرى.

المسابقة مفتوحة للأدباء والمثقفين من الجنسين، ويمنح الفائز الأول ألفي ريال، والثاني ألفا وخمسمائة ريال والثالث ألف ريال، وينال الرابع والخامس مجموعة من إصدارات النادي.

أما مسابقة نادي مكة الثقافي الأدبي فتتضمن **ثلاثة فروع هي : الشعر، المقالة، والقصة القصيرة**. وكان النادي قد أعلن قبل أشهر عن تنظيمها

محاضرات وندوات

● « **خرائط الجغرافيين المسلمين للكرة الأرضية في أوربا**» عنوان محاضرة ألقاها د. **فؤاد سزكين**.

● « **القواعد الأخلاقية في القضاء** «عنوان محاضرة ألقاها د. **حسن صلاح الدين اللبيدي**.

نظم المحاضرتين السابقتين **مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية** في الرياض.

● « **الشعر العربي في مراحله التاريخية المختلفة**» موضوع محاضرة ألقاها في مركز الدراسات الإسلامية في جامعة أوكسفورد ببريطانيا د. **غازي عبد الرحمن القصيبي**.

● «**القصة القصيرة**» موضوع ندوة أقيمت في مدينة وادي الحجارة في المكسيك. شارك فيها عدد من أدباء أمريكا الوسطى.

● «**العلاقة بين المبدع والناقد**» موضوع أمسية ثقافية أقيمت في المركز الثقافي في حديقة الفوطة بالرياض شارك فيها كل من : **الطيب صالح**، د. **علي شلش**، ود. **معجب الزهراني**.

● « **القلة المحمودة، والكثرة المذمومة**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدعوة والإرشاد في دبي الشيخ **محمود عطية**.

● «**أخلاق المؤمنين في الكتاب والسنة**» عنوان محاضرة ألقاها في

بالتعاون مع صحف «الندوة» و«البلاد» و«اليوم» ثم رأى تمديد موعدها لإتاحة الفرصة لأكبر عدد من الموهوبين للمشاركة فيها .

مؤتمر عالمي للإلكترونيات الدقيقة

تستضيف جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران خلال الفترة من ١ ـ ٣ رجب ١٤١٤ هـ (١٤ ـ ١٦ ديسمبر ١٩٩٣ م) **المؤتمر العالمي للإلكترونيات الدقيقة** .

يشارك في المؤتمر عدد كبير من الباحثين من مختلف أنحاء العالم ، ويهدف إلى تبادل الخبرات في هذا المجال ، والتعريف بالأهمية الحيوية لنقل هذه التقنية واستيعابها من الدول العربية .

الإمارات — الملتقى الثالث للكتابات القصصية والروائية

استضافت إمارة الشارقة الملتقى الثالث للكتابات القصصية والروائية .

استمر الملتقى ثلاثة أيام بمشاركة مجموعة من النقاد والمبدعين ، وناقش عدة محاور أبرزها بحث للدكتورة أمل الصباح عنوانه «**الظواهر الإبداعية في القصة والرواية في الخليج**» ، وآخر للدكتور يوسف نوفل بعنوان «**الملامح المشتركة في التجربة القصصية والروائية في الخليج**» .

المهرجان التاسع لثقافة الطفل

نظمت دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة خلال الفترة من ١٧ ـ ٢٧ شعبان الماضي (٨ ـ ١٨ فبراير ١٩٩٣) **المهرجان التاسع لثقافة الطفل تحت شعار «الطفل أولاً»** .

احتضن المهرجان أربع مدن هي : **الشارقة ، وكلباء ، وخورفكان ، ودبا الحصن** ، واشتمل على نشاطات فكرية وفنية وثقافية وعلمية مختلفة ، إضافة إلى عروض موسيقية ورياضية ومعرض إعلامي ومعارض فنية ومسابقات متنوعة .

البحرين — بحث تعريب الطب

استضافت المنامة ـ مؤخرًا ـ **مؤتمر تعريب الطب في الوطن العربي** الذي نظمته جمعية الأطباء البحرينيين .

ناقش المؤتمر تجربة سورية في مجال تعريب الطب التي تعود إلى ما قبل ثمانين عامًا ، كما ناقش أبحاثا أخرى من أبرزها بحث قدمه المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية في الكويت بعنوان «تعريب الطب إلى أين ؟ تجربة المركز العربي في الكويت» .

قناة تلفازية فضائية

تجرى حاليًا الاستعدادات اللازمة لافتتاح **القناة الفضائية البحرينية** مع نهاية عام ١٩٩٤ م .

تعتمد هذه القناة على الجيل الثاني من الأقمار الاصطناعية للقمر العربي «**عربسات**» ، وينتظر أن تغطي جميع أرجاء الوطن العربي ومعظم قارتي أفريقيا وأوربا ومساحة كبيرة من قارة آسيا .

قطر — ندوة : آفاق الثقافة العربية ومستقبلها

تستضيف **كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية في جامعة قطر** في ٢٠ شوال الجاري (١٢ أبريل ١٩٩٣ م) ندوة ثقافية تحت عنوان «**الثقافة العربية : الواقع وآفاق المستقبل**» .

يشارك في الندوة مجموعة من المفكرين والأكاديميين والمثقفين العرب والأجانب ، وتستمر ثلاثة أيام ، وتدور حول محورين رئيسين أولهما يتناول القيم والمناهج الثقافية السائدة في المجتمع ومجالاتها ووضع المثقف العربي ودوره في المجتمع ، والثاني : بحث وضع استراتيجية ثقافية مستقبلية ، حيث يناقش المحور التكامل الثقافي العربي ومقوماته ، والتواصل مع الثقافة الإنسانية ، وشروط تحقيق الاستراتيجية الثقافية .

ندوة عن الانعكاسات الأخلاقية لأبحاث الوراثة

انعقدت بالدوحة في نهاية شعبان الماضي ندوة تحت عنوان «الانعكاسات الأخلاقية للأبحاث المتقدمة في علم الوراثة» ، اشتركت فيها جامعة قطر بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الاسيسكو» وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا .

ناقشت الندوة عدة أبحاث على مدى ثلاثة أيام تناولت فيها الموضوعات المتعلقة بعلم الوراثة وتحديد النسل والتعرف على الأجنة وأطفال الأنابيب ونظرة الإسلام لمثل هذه الأبحاث ، وشارك

جامع الأمير عبد الرحمن الفيصل بالرياض الشيخ **عبد الله بن عبد الرحمن السعد** .

● «**عادات : آفات**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي الرياض الأدبي **د . محمد بن سعد الشويعر** .

● «**لا ضرر ولا ضرار في الإسلام**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الزبير بن العوام في الشارقة **د . محمد أحمد العنقري** .

● «**الحقوق الشرعية بين الراعي والرعية**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد التعاون بحي الصفافي جدة **د . حمزة حسين الفعر** .

● «**التربية القرآنية**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدعوة والإرشاد في دبي **د . علي راشد عبد الله** .

● «**من توجيهات القرآن الكريم : التثبت في قبول الأخبار والتحذير من الشائعات**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الأمير تركي بن عبد الله بالرياض الشيخ **عبد الرحمن بن عبد الله آل فريان** .

● «**الحضارة والبيئة**» عنوان ندوة نظمتها الحكومة اليونانية بالتعاون مع منظمة اليونسكو العالمية شارك فيها **ستون باحثًا وخبيرًا** في مجالات الثقافة والبيئة والتعليم من مختلف بلدان أوربا .

● «**أساليب الدعوة بين الثبات والتطور**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدعوة والإرشاد في دبي **د . علي الحمادي** .

● «**فصول من السيرة**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع أحمد بن حنبل في الرياض الشيخ **محمد أحمد الفراج** .

الحركة الثقافية

فيها د. **محمد علي البار**، د. **حسان حتحوت**، د. **يوسف القرضاوي**، د. **علي المحمدي**، د. **إبراهيم النعيمي** عميد كلية العلوم الذي قام بإعداد الندوة.

الكويت

ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل

أقيمت في الكويت خلال الفترة من ١٧ ـ ١٩ شعبان الماضي (٨ ـ ١٠ فبراير ١٩٩٣ م) ندوة **«مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل»**.

شارك في الندوة عدد من المفكرين الكويتيين والعرب، وناقشت على مدى ثلاثة أيام الإسهامات الفكرية الحركية للتيارات الإسلامية المعاصرة. وتقويم الفكر الحركي الإسلامي وواقعه.

ترجمة روسية لمعاني القرآن الكريم

في خطوة لسد الفراغ العقدي والروحي لمسلمي جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية قامت **الهيئة الخيرية العالمية الإسلامية بالبدء في مشروع لطبع وتوزيع مليون نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الروسية**.

الترجمة التي اختيرت قام بها في القرن الماضي مسلم روسي يدعى سبكرو، وبعد قيام الحركة البلشفية أعدمت ما هو موجود من نسخ هذه الترجمة، وعُثر مؤخرًا على نسخة لم تحرق اعتمد عليها وروجعت وصححت بواسطة علماء مسلمين من الجمهوريات الإسلامية ثم عرضت على لجنة من علماء الأزهر راجعتها وأجازتها.

الترجمة أعدت في ألف صفحة تأخذ شكل المصحف الشريف باللغة العربية وفي الصفحة المقابلة ترجمة لمعانيها باللغة الروسية، فضلاً عن مائة صفحة تحتوي على شرح كامل للإسلام عقيدة ومنهجًا وسلوكًا.

ويذكر أن الهيئة كانت قد بدأت في توزيع ما يزيد على نصف مليون نسخة من الكتب الإسلامية المترجمة إلى اللغات المحلية في تلك الجمهوريات.

مهرجان للكتب ولعب الأطفال

يقام على أرض المعارض الدولية خلال الفترة من ٨ ـ ١٧ شوال الجاري (٣١ مارس ـ ٩ أبريل ١٩٩٣ م) **المهرجان الثاني عشر لكتب ولعب الأطفال**.

ينظم المهرجان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

من الكتب الجديدة

● **بنية الثورات العلمية**، تأليف **توماس كون**، ترجمه إلى اللغة العربية **شوقي جلال**، وصدر عن دار المعرفة.

سلطنة عمان

من الكتب الجديدة

● **المنتدى الأدبي: فعاليات ومناشط**، إعداد **محمد علي الصليبي**، صدر عن منشورات المنتدى الأدبي بوزارة التراث القومي والثقافي.

● **مريم، مجموعة قصصية لمحمد بن علي البلدشي**.

اليمن

السيول تكشف مستوطنة أثرية

اكتشفت مؤخرًا في عدن مستوطنة أثرية تعود إلى فترة ما قبل الإسلام.

تم الكشف بالمصادفة حيث تسببت السيول التي أصابت عدن إلى انكشاف قبور تضم عظامًا بشرية وأواني وقطعًا معدنية يظن أنها عملات.

وقال آثاريون: إن أهمية الكشف تكمن في أنه إذا ثبت كونه مستوطنة فسيعد الأول من نوعه في المنطقة.

وفاة رائدين صحافيين

فقدت الصحافة اليمنية رائدين من روادها هما **عمر سالم طرموم ومحمد علي باشراحيل**، وهما من الشخصيات اليمنية البارزة التي ناضلت ضد الاستعمار منذ الأربعينيات الميلادية.

ويعد **عمر سالم طرموم** من الرعيل الأول للوحدويين اليمنيين، وبدأ نضاله في الأربعينيات ضد الاستعمار البريطاني في عدن، كما كان أحد الذين تبنوا حركة التنوير الإسلامية، وتزعم في السنوات الأخيرة حزب **«المنبر الحي»** المعروف بتوجهه الإسلامي، وترأس تحرير صحيفته المسماة **«المنبر»**.

أما **محمد علي باشراحيل** فهو أحد الذين أسسوا **«رابطة أبناء الجنوب»** في الخمسينيات الميلادية، وأسس عام ١٩٥٨ م صحيفة **«الأيام»** وأسهم بقسط كبير في الحركة السياسية والثقافية والصحافية اليمنية.

من الكتب الجديدة

● **الإمام الشافعي. داعية ثورة ومؤسس علم وإمام مذهب**، تأليف **إبراهيم بن علي الوزير**، صدر عن مركز التراث والبحوث.

مصر

المؤتمر الدولي الأول للفكر والإبداع

نظم اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا في القاهرة خلال الفترة بين ٢٥ ـ ٢٨ شعبان الماضي (١٦ ـ ١٩ فبراير ١٩٩٣ م) **المؤتمر الأول الدولي للفكر والإبداع تحت شعار «الإسهام في حوار حركي متطور على أعلى مستوى يواجه التحديات الإبداعية والثقافية التي تحلق بالبشرية خلال القرن المقبل»**.

وكان الرئيس المصري **محمد حسني مبارك** قد دعا إلى عقد هذا المؤتمر خلال لقائه في موسكو عام ١٩٩٠ م بالكتّاب الروس أعضاء اتحاد وكُتّاب السوفييت السابق، وأخذ **اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا** الفكرة ووجه الدعوة إلى **أكثر من مائة مفكر من أربعين دولة**، واستغرق الإعداد له قرابة عامين.

وعلى مدى أربعة أيام شهد المؤتمر حلقات نقاش غير تقليدية بين مفكرين ينتمون إلى اتجاهات فكرية متباينة، جمعتهم الرغبة في تناول مشكلات البشرية وهي تخطو في عالم متغير إلى أعتاب القرن الواحد والعشرين الميلادي، حيث قدمت اثنتا عشرة ورقة عمل.

وقال المفكر المصري **لطفي الخولي** الأمين العام

لاتحاد كتاب آسيا وأفريقيا : إن السؤال الذي طرح نفسه بشدة على المؤتمرين هو : ما دور المثقفين والمفكرين والمبدعين وأصحاب الرؤى الإنسانية في صنع غد للبشرية في زمن تلاحقت فيه الكشوف والاختراعات التقنية في مختلف المجالات وحدثت تطورات عالمية شديدة الأهمية بظهور قوى جديدة تبحث عن نموذجها ؟

سيطر على المؤتمر **تياران رئيسان** أولهما راديكالي يرى أن المرحلة الراهنة التي يعيشها العالم اليوم هي مرحلة تسلط للنظام الرأسمالي عموما والولايات المتحدة الأمريكية خصوصا، وأن النظام الدولي الجديد قد ألحق ضررا كبيرا بشعوب العالم الثالث، فيما رأى التيار الثاني أن النظام الدولي الجديد ما هو إلا محاولة فاشلة تهدف لهيمنة ثقافة واحدة وطمس غيرها من الثقافات .

ومع حرارة النقاش نجح المؤتمرون في شد أنظار العالم إلى حقيقة لا بد أن توضع في الاعتبار وتتمثل في ضرورة إيجاد تفاهم دولي بين المفكرين والمبدعين في زمن بات فيه تبادل الآراء أمرًا ملحًّا .

أخطاء ترجمات القرآن بالفرنسية

كشفت رسالة جامعية نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة عن وجود أخطاء عديدة في ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية يصل بعضها إلى التحريف والإضافة .

وذكرت الباحثة **هداية عبد اللطيف** مشهور في أطروحة دكتوراه تقدمت بها إلى الكلية أنها اختارت لموضوع رسالتها ثلاث تراجم من بين خمس وعشرين ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية هي التي قام بها كل من : **المستشرق بلاسير**، والمستشرقة **ماسون**، **ومازيغ** وهو مترجم مسلم من تونس .

وانتهت بعد دراسة الترجمات الثلاث إلى القول بأن هذه الترجمات مليئة بالأخطاء التي تقدم الإسلام مشوهًا، حيث عمد بعض المترجمين - وخاصة بلاسير الذي تعد ترجمته المرجع الأساسي لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية - إلى استكمال ما يظن أنه نقص في الآيات بأجزاء من التوراة دون إشارة إلى أن هذه الإضافة مأخوذة منها .

كما أشارت الباحثة إلى أن ترجمة **ماسون** موجودة في مصر ومعترف بها من الأزهر.

وطالبت الباحثة بضرورة اهتمام علماء المسلمين من العرب بإعداد ترجمات دقيقة وصحيحة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الحية، حتى لا ينسب إلى الإسلام أشياء ليست فيه، ولكي لا نتحول من موقع الدعوة إلى الحق إلى الدفاع عن أخطاء غيرنا .

جائزة دولية باسم العقاد

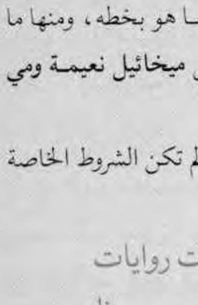

العقاد

قررت عائلة الأديب الراحل **عباس محمود العقاد** إقامة **مؤسسة دولية لتخليد ذكراه** تناط بها **مسؤولية إنشاء جائزة دولية باسم العقاد تمنح للروائيين، الشعراء والقاصين والباحثين العرب من مختلف الأقطار، شرط ألا يكون المرشح قد أتم تعليمه الجامعي .**

يتولى منح الجائزة مجلس أمناء يضم عددًا من الشخصيات الدولية وسوف يتم تمويلها عبر بيع متعلقات الأديب الراحل ووثائق خاصة به من بينها رسائل شخصية منها ما هو بخطه، ومنها ما وصله من رفاق الحرف مثل **ميخائيل نعيمة ومي زيادة** وغيرهما .

وحتى إعداد هذا المنبر لم تكن الشروط الخاصة بالجائزة قد أعلنت بعد .

معرض لترجمات روايات نجيب محفوظ


نجيب محفوظ

أقامت **«المكتبة النادرة»** في الجامعة الأمريكية بالقاهرة **معرضًا لترجمات أعمال الأديب العالمي نجيب محفوظ .**

افتتح المعرض وزير الثقافة المصري **فاروق حسني** بحضور سفراء أكثر من عشرين دولة هي الدول التي ترجمت أعمال نجيب محفوظ بلغاتها، كما شارك بالحضور عدد من المسؤولين عن الثقافة في مصر .

وضم المعرض أكثر من **مائة وسبعين نسخة من روايات محفوظ المترجمة إلى ثلاث وعشرين لغة**، ومن المقرر أن يستمر المعرض حتى الخامس عشر من شهر ذي القعدة المقبل (٦ مايو ١٩٩٣ م) .

الفائزون بجائزة الأخوين أمين الصحافية


إبراهيم سعدة


مكرم محمد أحمد

أعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين **بجوائز جمعية مصطفى وعلي أمين للصحافة .**

منحت الجمعية خمسة آلاف جنيه لمجموعة من كبار الصحافيين والكُتَّاب منهم : **إبراهيم سعدة** رئيس مجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم عن الصحف الجديدة التي أصدرها، **ومكرم محمد أحمد** رئيس مجلس إدارة مؤسسة دار الهلال عن تطويره صحف دار الهلال، والمستشار **يحيى رفاعي** عن مقالاته عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان .

كما منح أوائل أقسام الصحافة في كليات الصحافة والإعلام في جامعات مصر وجامعات الملك سعود بالرياض والكويت وأم درمان ألف جنيه .

مكتبة علمية إلكترونية

فاجأت الجمعية الطبية المصرية لنظم المعلومات رواد معرض القاهرة الدولي الخامس والعشرين للكتاب - الذي عقد مؤخرا - بعرض **أول مكتبة إلكترونية .**

ضمت المكتبة أحدث تقنيات المعلومات في مجالات : الدواء والطب والعلاج والبيئة .

اكتشاف معبد الإسكندر الأكبر

اكتشفت بعثة آثار بولندية في منطقة قوم الدكة في مدينة الإسكندرية **المكان الحقيقي لمعبد الإسكندر الأكبر في مصر .**

عثر في الموقع على عدد من أعمدة المعبد، إلا أن العمل توقف لكون المكان مملوكًا لإحدى الجهات الرسمية التي طالبت بتعويض كبير مقابل التنازل عنه .

الفائزون بجوائز الصباح والمبارك

أعلنت خلال معرض القاهرة الدولي الخامس والعشرين للكتاب في يناير الماضي أسماء الفائزين **بجوائز د. سعاد الصباح** للإبداع الأدبي بين الشباب العربي **وجوائز الشيخ عبد الله المبارك الصباح** للإبداع العلمي بين الشباب العربي لعام ١٩٩٢ م.

شملت جوائز د. سعاد الصباح المجالات الآتية: **القصة القصيرة، الرواية، المسرحية، الشعر، والدراسات الإنسانية.**

تقاسم **جائزة القصة القصيرة حسان يوسف المحمد** (سورية)، **وتاج الدين الموسى** (سورية)، وجاء في المركز الثاني مناصفة **د. حسن صبري محمد، ومحمد بسام سرميني** (سورية)، وتقاسم المركز الثالث **مريم جبر فريحات** (الأردن)، **ونجلاء محمود عبد العزيز محرم** (مصر).

وفاز **بجائزة الرواية محمد عبد الرحمن يونس** (سورية)، تلاه **د. أحمد شوقي عبد الفتاح** (مصر)، ثم **علي عبد الله سعيد** (سورية).

أما **جائزة المسرحية** فكانت من نصيب **أسامة عبد الفتاح نور الدين** (مصر)، تلاه **ناصر إبراهيم العربي** (مصر)، ثم **إيهاب فاروق محمد حسني** (مصر).

وفي مجال **الشعر** حلت **سعدية مفرح الطفيري** (الكويت)، في المركز الأول تلاها **ماهر رجا يوسف** (فلسطين)، وقسمت الجائزة الثالثة بين **عبد المنعم محمد العقبي** (مصر) و**محمد تركي حجازي** (الأردن).

وفاز بجائزة **الدراسات الإنسانية د. حسانين توفيق إبراهيم** (مصر)، وتقاسم المركز الثاني **هبة محمد أحمد زكي** (مصر) **وناهد دياب فايد مجاهد** (مصر)، وفاز بالجائزة الثالثة مناصفة **شوقي عبد العال حافظ** (مصر) **وجرجي فؤاد تادوس الشهير بجورج المصري** (مصر).

وشملت **جوائز الشيخ عبد الله المبارك مجالات: البيئة، الحاسبات، الكيمياء، والإبداع الفلسطيني.**

تقاسم **جائزة البيئة فتحي عبد المنعم إمام** (مصر) **وهالة علي إسماعيل محمد** (مصر) وحل في المركز الثاني مناصفة **حسن محمد صبحي حسن** (مصر) **وهاني بدر الدين سراج الدين** (مصر)، وفي المركز الثالث بالمشاركة **كامل عبد الله فرج الله** (مصر)، **وهناء السيد إبراهيم أرناؤوط** (مصر) **وإيهاب حسن إبراهيم** (مصر).

وفي مجال **الحاسبات** فاز بالمركز الأول **د. حازم يوسف عبد العظيم** (مصر)، وتقاسم المركز الثاني كل من **أحمد فاروق محمود شلش** (مصر) **وهشام محمد فتحي حامد** (مصر) **وشريف صلاح عبد الواحد** (مصر)، وجاء ثالثًا **باسل العودات** (سورية)، وتحصل على **جائزة الكيمياء عدنان أحمد بخيت** (مصر)، تلاه **رياض عوض يوسف** (السودان).

أما جائزة **الإبداع الفلسطيني** فنالتها **باسمة محمد يونس** (فلسطين).

الأردن
جوائز رابطة الكُتّاب

وزعت - مؤخرًا - **جوائز رابطة الكُتّاب الأردنيين** لعام ١٩٩٢ م على الفائزين بها.

تحصل الشاعر العراقي **عبد الوهاب البياتي** على **(جائزة عرار الأدبية)**. والروائي **جمال ناجي (جائزة تيسير السبول للرواية)**، وتقاسم **يوسف ضمرة وهاشم غرايبة والياس فركوح** (جائزة محمود سيف الدين الإيراني للقصة القصيرة) وفاز **عبد الرحمن شقير (بجائزة منيف الرزاز للدراسات والفكر)** ومنح **طارق مصاروة (جائزة يعقوب عويس للمقال الصحافي)** والمحامي **إبراهيم بكر وبهجت أبو غربية (جائزة منذر عنبتاوي لحقوق الإنسان)**.

وقد اعتذر الشاعر **إبراهيم نصر الله** والكُتّاب **يوسف ضمرة وهاشم غرايبة وإلياس فركوح** عن قبول الجائزة تعبيرًا عن استنكارهم للوضع المحزن للثقافة والمثقفين.

مجلة القانون

هذه **أحدث مجلة فصلية** متخصصة في الدراسات القانونية صدر عددها الأول - مؤخرًا - في العاصمة الأردنية.

تصدر المجلة كل ثلاثة أشهر ويرأس تحريرها

رسائل جامعية

● **«مشكلة الحضارة. دراسة نقدية في ضوء الإسلام»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها **عبد الله بن حمد العويسي.**

● **«فن القصة عند الكاتب الإسلامي علي أحمد باكثير.. دراسة نقدية»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها **بدرية إبراهيم عبد العزيز السعيد.**

● **«الحلول التخطيطية لخدمات الحجاج في منطقة المشاعر المقدسة»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الهندسة بجامعة عين شمس في القاهرة، تقدم بها **م. عبد القادر حمزة كوشك.**

● **«بعض جوانب نظرية لوكاس لكثيرات الحدود»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في مركز أقسام العلوم والدراسات الطبية للبنات بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدمت بها **ابتسام عمر محمد باجنيد.**

● **«العوامل التي تؤثر على ميول واتجاهات طلاب وطالبات التربية العملية نحو استخدام تقنيات الوسائل التعليمية في المملكة العربية السعودية»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية تقدم بها **علي جميل جلول دويدي.**

● **«أدب الرحلات في النثر الجزائري الحديث»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الجزائر تقدم بها **عمر بن قينة.**

● **«النحو المدرسي في الجزائر في ضوء نظريات النحو العربي في المرحلة الثانوية والطور الثالث من التعليم الأساسي»** موضوع رسالة

وميض حسين مجلي، وتضمن عددها الأول تكريمًا لشيخ الفقه القانوني العربي د. **عبد الرزاق السنهوري** - يرحمه الله - وموضوعات متنوعة في الأحكام الشرعية والقانون المدني الأردني.

كتب جديدة


د. جميل علوش

● **أناشيد**، الديوان الثقافي للدكتور **جميل علوش**، صدر عن دار النهضة للنشر في عمان.

● **ليلة دفن الممثلة جيم**، مونودراما مسرحية تأليف **جمال أبو حمدان**، صدرت عن دار أزمنة للنشر والتوزيع في عمان.

● **مختارات من الشعر في الأردن**، سبع وثلاثون قصيدة لشعراء من أجيال ومدارس مختلفة، صدر عن وزارة الثقافة الأردنية بالتعاون مع رابطة الكُتّاب.

فلسطين

آثار إسلامية في القدس

ذكرت معلومات وردت من مدينة القدس أن السلطات الصهيونية قد عثرت في شارع مأمن الله المواجه لباب الخليل على مجموعة آثار إسلامية لم يكشف النقاب عنها.

وقالت المصادر: إن عدم الإعلان عن هذه المكتشفات يعود لأسباب سياسية لكونها تعزز الحق الإسلامي في هذه المدينة.

وفاة الشيخ العلمي

فقدت فلسطين مفتي القدس فضيلة الشيخ **سعد الدين العلمي** الذي توفي إثر نوبة قلبية عن عمر يناهز اثنين وثمانين عامًا.

وُلد الشيخ العلمي عام ١٩١١ م في القدس وتخرج في جامعة الأزهر، وعمل قاضيًا واضطلع بمهام الإفتاء منذ عام ١٩٥٣ م، وكان عضوًا في المجلس الإسلامي الأعلى في القدس منذ عام ١٩٦٧ م.

سورية

وفاة فنان تشكيلي

فقدت الحركة الفنية التشكيلية السورية أحد أبرز وجوهها بوفاة الفنان التشكيلي **ألفرد حتمل** عن عمر يناهز خمسة وخمسين عامًا.

ويجمع حتمل في أسلوبه الفني بين الخلفية الواقعية والرؤية التعبيرية، وهو أحد الذين حازوا على جائزة الوحدة لفناني سورية عام ١٩٥٨ م.

كتب جديدة

● **إرادة الحضارة**، تأليف **تيسير شيخ الأرض**.

● **المحاكمات الكبرى في التاريخ**، للكاتب **فريدريك بوتشر**، ترجمه إلى اللغة العربية **د. نورالدين حاطوم**.

صدر الكتابان السابقان عن دار الفاضل للتأليف والترجمة والنشر في دمشق.

● **العار والكارثة**، تأليف **علي عقلة عرسان**.

● **من التشرد إلى الدولة**، دراسة للمرحلة التي أدت لإعلان دولة فلسطين أعدها د. **إبراهيم الشهابي**.

صدر الكتابان السابقان عن اتحاد الكُتّاب العرب في دمشق.

تونس

مركز في القيروان للدراسات الإسلامية

دُشن - مؤخرًا - في مدينة القيروان **أحدث مركز للدراسات الإسلامية في القارة الأفريقية**.

يضم المركز مكتبة جامعية بمرافقها وقاعة للمحاضرات، وأجنحة للمطالعة ومسجدًا، وشققًا للباحثين وأخرى للموظفين.

ويهدف المركز لأن يكون مصدر إشعاع إسلامي في المنطقة، يعرّف بالحضارة الإسلامية وما قدمته للإنسان في مختلف مجالات المعرفة، والقيام بالدراسات والبحوث في مجال العلوم الإسلامية، والإسهام في دعم حركة البحث العلمي في هذا المجال والعمل على تطويرها، وتوفير المعلومات الموضوعية التي تساعد على فهم الإسلام وما يتصل به من علوم ومعارف فهمًا صحيحًا، ومساعدة الباحثين على توفير ما يحتاجون إليه من وثائق ووسائل مناسبة معينة على البحث.

فضلاً عن ذلك يهتم المركز بإحياء التراث الإسلامي ودعم العناية به، والتعريف بعلوم القراءات والتفسير والسنة والفقه، وتجميع

ماجستير نوقشت في جامعة الجزائر، تقدم بها **أحمد بلحوت**.

● «**التنافس البريطاني - الفرنسي حول عمان ١٧٩٨ - ١٩٠٤ م**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها **عائشة علي مسند المسند**.

● «**إمارة بني حمدان في الجزيرة بين عامي ٢٩٣ - ٣٠٥ هـ**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات بالرياض، تقدمت بها **أسماء عبد الرحمن الوهيبي**.

● «**مدينة الرياض الكبرى: دراسة في الجغرافيا الحضرية**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة تونس الأولى للآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تقدم بها **بدر بن عادل الفقير**.

● «**حول أسرار الصيغ والتراكيب في تفسير الفخر الرازي**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها **محمد السيد سلام**.

● «**فاعلية موجهي الإدارة المدرسية إداريًا وفنيًا ومهنيًا كما يراها مديرو المدارس بمنطقة حائل**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها **عبد الله ناصر الشايع**.

● «**تأثير مدرسة النقد الجديدة الأنجلو أمريكية على النقد العربي المعاصر في مصر**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنيا بمصر تقدم بها **جمال التلاوي**.

● «**موقف الإمبراطور البيزنطي الكسيوي كوفين من الحملة الصليبية الأولى**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، تقدم بها **عمر يحيى**.

الحركة الثقافية

المخطوطات المتعلقة بالعلوم الإسلامية وعمل فهرسة لها. وإصدار مطبوعات لفهارس مخطوطات المركز وغيرها بحيث تكون في متناول الباحثين، وتكون مكتبة متخصصة في العلوم الإسلامية، والتعاون مع المراكز المماثلة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لتبادل المعلومات والفهارس والبحوث.

كما يُعد لتنظيم ملتقيات علمية وندوات دورية يشارك فيها مختصون من مختلف الأقطار الإسلامية.

جائزة للمفكرين والأدباء المغاربة

قرر الرئيس التونسي **زين العابدين بن علي** بمناسبة الذكرى الرابعة لإنشاء اتحاد المغرب العربي **تأسيس جائزة مغاربية للثقافة** تمنح سنويًا مفكرًا أو أديبًا مغاربيًا.

تتكون لجنة الجائزة من وزير الثقافة التونسي وعدد من رجال الفكر والثقافة في دول اتحاد المغرب العربي الخمس.

تركيا — معهد جديد للدراسات الإسلامية

افتتح - مؤخرًا - في مدينة إستنبول **معهد جديد للدراسات الإسلامية** يبحث في القضايا الإسلامية والظواهر الاجتماعية المختلفة من منظور إسلامي، فضلاً عن التعاون مع مركز البحوث المماثلة في العالم الإسلامي.

تشرف على المعهد مؤسسة آسيا الجديدة التابعة لجامعة النور الإسلامية التي أسسها **بديع الزمان سعيد النورسي**.

طاجيكستان — مركز ثقافي عربي

أسست مجموعة من محبي الثقافة العربية والمهتمين بالتراث العربي في دوشنبه عاصمة طاجيكستان مركزًا ثقافيًا تحت مسمى «**المركز الثقافي العربي**».

يهدف المركز إلى إيصال حقيقة الإسلام إلى الناس والرد على الدعايات المغرضة المناوئة له، ونشر الدراسات الإسلامية الحديثة باللغات السائدة في آسيا الوسطى وتدريس اللغة العربية وآدابها وتاريخ العرب قديمًا وحديثًا.

ماليزيا — مؤتمر يبحث الوحدة الإسلامية

شارك أكثر من **خمسين ومائتي شخصية إسلامية** يمثلون هيئات ومنظمات ومؤسسات طلابية وشبابية من مختلف أنحاء العالم في المؤتمر العالمي السابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي الذي استضافته مدينة كوالالمبور مؤخرًا.

عُقد المؤتمر تحت عنوان «**الوحدة الإسلامية: الإطار النظري وخطوات التطبيق**» وقام بتغطية أعماله نحو خمسين وأربعمائة صحافي.

اتخذ المؤتمر عدة توصيات منها التحذير من هيمنة الغرب على الأمة الإسلامية بعد انهيار الشيوعية، والتوصية بإنشاء منظمة عالمية إسلامية للدفاع عن حقوق الإنسان، والتعبير عن الاستياء الشديد لما يجري في البوسنة والهرسك من مذابح للمسلمين، ومناشدة الحكومات في البلدان الإسلامية تطبيق شرع الله، ودعا إلى دعم التوجه المتزايد نحو تطبيق الاقتصاد الإسلامي، وإقامة سوق إسلامية مشتركة، وتبني خطة طويلة الأجل لتأليف ونشر وتوزيع الكتب والأشرطة الإسلامية وإنشاء مراكز إعلامية لمواجهة التحديات، وتوحيد مناهج التعليم لدى المسلمين. وناشد الجماعات الإسلامية اتباع الشورى في صنع قراراتها، ودعا إلى تشكيل مجلس عالمي للشورى يضم قيادات الحركات والجماعات الإسلامية. وتوصيات أخرى.

فرنسا — مناقشة رسالة دكتوراه لباحث مصري بعد وفاته

في سابقة نادرة قررت جامعة نانت الفرنسية مناقشة رسالة دكتوراه في القانون كان باحث مصري قد تقدم بها وتوفي قبل مناقشتها.

وكان الباحث **محمد إسماعيل مرعي** - يرحمه الله - المدرس المساعد في كلية الشريعة بجامعة الأزهر قد أُوفد إلى فرنسا لنيل درجة الدكتوراه في القانون من جامعة نانت واختار لرسالته موضوع «**حق الإضراب في الشريعة الإسلامية والقانون المصري والفرنسي**»، إلا أن المنية وافته قبل موعد المناقشة، فقام المشرف على الرسالة البروفسور **هدستيو** بتقديم تقرير لوزير التعليم الفرنسي تحدث فيه عن جدية الرسالة وعمقها.

واستنادًا إلى هذا التقرير قرر وزير التعليم **جاك لانج** مناقشة الرسالة غيابيًا، ومنح الباحث الدرجة.

وفي الأسبوع الأخير من شهر مايو المقبل يقف د. **عمر قاضي** الأستاذ المساعد بكلية الشريعة في جامعة الأزهر أمام لجنة الممتحنين بجامعة نانت ليرد على أسئلة اللجنة بدلاً من الباحث الراحل.

المطالبة بدعم المؤسسات الفكرية والثقافية العربية



د. عصمت عبد المجيد

دعا المشاركون في **المؤتمر الدولي الأول لمركز الدراسات العربي الأوربي** في باريس الذي أقيم برعاية الأمين العام لجامعة الدول العربية د. **عصمت عبد المجيد** تحت شعار «**العالم العربي وتحدياته في ظل النظام العالمي الجديد**» إلى دعم المؤسسات الفكرية والثقافية كي يصبح في إمكانها الإسهام في دفع العمل المشترك بحيث يصير التطور العربي متفقًا مع المبادئ والقيم العربية.

وجاء البيان الختامي الذي تلاه رئيس المركز د. **مفيد شهاب** ليؤكد على أول المبادئ وفي مقدمتها الانطلاق بالثقة في النفس في مواجهة دور خارجي، وضرورة تطوير الأوضاع العربية عبر تعزيز دور الجامعة العربية.

ويذكر أن المؤتمر استمر ثلاثة أيام، عقد خلالها ثماني جلسات بمشاركة مفكرين عرب وأوربيين. وتقرر في نهايته عقد المؤتمر الثاني في

القاهرة تحت شعار: «**الحوار العربي - العربي**» وتعيين د. **عصمت عبد المجيد** رئيسًا فخريًا للمركز.

اتحاد لأصدقاء المتاحف

تعتزم منظمة اليونسكو العالمية تأسيس أول اتحاد لأصدقاء المتاحف يتخذ من العاصمة الفرنسية باريس مقرًا له، ويضم أعضاء من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والبرازيل والمكسيك وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا وقبرص وأستراليا.

الهدف من إنشاء الاتحاد تجميع جهود الأفراد المهتمين بالإنفاق على المتاحف حفاظًا على ما تضمه من ثروات تاريخية وحضارية.

بيير أكوس يفوز بجائزة بونكاريه

منحت جائزة ريموند بونكاريه الأدبية لعام ١٩٩٣م للكاتب الفرنسي بيير **اكوس** عن كتابه «**أطباء في ديان بيان فو**».

يتناول الكتاب الفائز دور الجهاز الطبي الفرنسي في أثناء معركة ديان بيان فو الشهيرة في فيتنام.

وفاة الفيلسوف سروبول

توفي – مؤخرًا – الفيلسوف الفرنسي المعروف **أوليفيه سروبول** عن عمر يناهز سبعة وستين عامًا.

وأوليفيه من مواليد عام ١٩٢٥م، وقد مارس التدريس في جامعات تونس ومونتريال وستراسبورج، ويعود إليه الفضل في تأسيس قسم الفلسفة في الجامعة التونسية.

من مؤلفاته: «**الإنسان وعواطفه**»، «**كانت وإشكالية الشر**»، «**نيتشة ينتقد كانت**»، «**الشعار**».

بريطانيا

برنامج ثقافي سعودي

تعد سفارة المملكة العربية السعودية في بريطانيا بالتعاون مع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون لتنظيم برنامج ثقافي على مدار العام يتضمن تقديم نشاطات ثقافية وفكرية وفنية سعودية للمجتمع الثقافي العربي في لندن.

ينتظر أن يتضمن البرنامج تنظيم محاضرات وندوات لمجموعة من أبرز الكتاب والمفكرين والأدباء السعوديين.

جائزة التحدي الصحافي لصحافي بوسني

تسلم الصحافي البوسني **كمال كروسباهتش** رئيس تحرير جريدة «**أوسلو بوجانيا**» الصادرة في جمهورية البوسنة والهرسك جائزة التحدي الصحافي تقديرًا لاستمرار جريدته التي تصدر منذ عام - ويعني اسمها «**التحرير**» - في الصدور والصمود أمام مدافع وصواريخ الصرب.

ويذكر أن الجريدة لضراوة القتال والقصف الصربي تصدر من أقبية المنازل، ويتولى محرروها توزيع نسخها وقدرها خمسة وعشرون ألف نسخة بأنفسهم على السكان، على الرغم من استشهاد ثلاثة من محرريها منذ اندلاع الحرب.

وفاة شاعر لبناني


محمد يوسف حمود

نعت الأوساط الثقافية والأدبية الشاعر والأديب اللبناني **محمد يوسف حمود** الذي توفي عن عمر يناهز أربعة وسبعين عامًا.

وُلد الفقيد عام ١٩١٩م وتلقى تعليمه في مدارس بيروت، وعمل قرابة أربعين عامًا في دار الكتب اللبنانية، كما كان نائبًا لرئيس جمعية أهل القلم في لبنان، ومارس العمل السياسي، وله مقالات وقصائد ومحاضرات كثيرة في الصحافة والتلفاز والإذاعة، ويحمل عدة أوسمة منها وسام الأرز الوطني ووسام المعارف.

من مؤلفاته: «**ذلك الليل الطويل**»، و«**هتاف الجراح**» و«**في زورق الحياة**» و**مؤلفات أخرى**.

جائزة لرواية كُتبت في عشرين عامًا

منحت جائزة «وايت بريد» الأدبية للروائي البريطاني **جيف تورنجتون** عن روايته «**أسرع هامر أسرع**».

ويذكر أن تورنجتون البالغ من العمر سبعة وخمسين عامًا أمضى قرابة ثلاثين عامًا في كتابة تلك الرواية التحليلية التي تدور أحداثها في الستينيات في إحدى المدن الإسكتلندية.

ألمانيا

جانوش يفوز بجائزة أدب الأطفال

منحت جائزة **أندريه جريفيوس** للأديب جانوش تقديرًا لكتاباته في مجال أدب الأطفال.

ويذكر أن هذه الجائزة تمنح سنويًا لأحد الأدباء الألمان من المهتمين بثقافة الطفل في الأدب الألماني، ويعد جانوش أحد أبرز من كتبوا في هذا المجال، حيث قام بتأليف ما يقرب من **خمسين كتابًا للأطفال فضلاً عن خمس روايات وسيناريوهات لثلاثين فيلمًا** تناولت قصصًا عن الأطفال.

من أحدث الكتب

● الأدب العربي والتحديث، تأليف **شمعون بلاص**، صدر عن دار الجمل في كولونيا.

الولايات المتحدة

أسبوع ثقافي قطري

افتتح د. **حمد عبد العزيز الكواري** وزير الإعلام والثقافة القطري أسبوع «قطر في أمريكا» في مدينة نيويورك مؤخرا، بعد أن انتهى بنجاح **أسبوع «قطر في أمريكا»** في «واشنطن».

وقد تم حشد الإمكانات والمتطلبات اللازمة من مواد وخبرات لعرض صورة من التراث الذي حافظ عليه شعب قطر - على الرغم من التحديات الكثيرة - أمام شعوب العالم، ومنهم الشعب الأمريكي ليكتشفوا بأنفسهم الملامح المميزة للتراث القطري والتي تعكس بصورة واضحة حقيقة تأثير البيئة المحلية من خلال عرض التقاليد والتراث الشعبي والعادات والتقاليد المختلفة في الزواج والمناسبات الاجتماعية الأخرى. كما يتم عرض صورة من الإنجازات الحديثة للحياة المعاصرة في قطر.

□ □

على موعد

الفكر العربي بين الثبات والانطلاق

إن الحديث عن الفكر العربي في إطار أصالة التراث، مسألة ذات إشكالية خاصة متشابكة الجذور، ولهذا يصبح البحث في أزمة فكرنا المعاصر بحثا جديا في الواقع العربي ودراسة الأفكار التي سادت وتسود الوعي الفكري (الأيديولوجي) والثقافي، فهذه الأفكار تعتقد إمكان تبني سياسات تنموية وفق النموذج الغربي باستيراد التقنية (التكنولوجيا) الحديثة وتوظيفها في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية. ولكنّ التجربة التنموية للدول العربية أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن توظيف التقنية الغربية لن يحقق لأمتنا التحرر العلمي والابتكار التقني الذي يمكننا من الانطلاقة العلمية الصحيحة للبناء الحضاري.

إن الاستقراء الواعي لمكونات الحضارة العربية يدلنا على وجود نماذج قيادية في الفكر العربي كان لها الفضل الكبير في تطوير العقل العربي والإنساني على حد سواء، بحيث تحمل هؤلاء العلماء المسؤولية العلمية والتاريخية للصعود الحضاري الأكبر، وهذا الصعود هو في سياقه الشامل تغيير جذري وشامل، لأنه كان يعني الانتقال من طور حضاري إلى طور آخر مع كل ما ينضوي تحت هذا الانتقال من تغيير أساسي في القيم والمواقف والسلوك.

ويتعين علينا أيضًا، في هذا الصدد، إبراز عبقرية الفكر العربي الذي ترعرع في أجواء حضارات متعددة وتفاعل معها، ولهذا فإن الإسلام لم يقض على هذه الأجواء، بل تنفس هواءها وخالط حقائقها واستوعب في الإطار الإسلامي الكثير من معطياتها.

وفي سياق الجهود المبذولة لمحاولة المواءمة بين الأصالة والمعاصرة في فكرنا العربي كي يؤدي دورا حاسما في تشكيل الخصوصية الفكرية والثقافية المتميزة في هذا الفكر، ولتجديد وظيفته العلمية وتحصينه من الغزو الفكري الأجنبي ومن تياراته الهدامة، بات علينا أن نتصدى بقوة وعناد لكل المشروعات الأجنبية الرامية إلى استلاب فكرنا تحت شعارات براقة كالتعددية الحضارية والتعددية الثقافية، وإعادة النظر بصدق وموضوعية في مسيرتنا العلمية ونهضتنا الحضارية لنأخذ العبر ولنرسم الطريق الصحيح في سبيل تدعيم الفكر العربي الذي يهدف إلى التحرر والاستقلال من كل هيمنة ثقافية والانعتاق من كل سيطرة فكرية (أيديولوجية) أجنبية.

إن فاعلية فكرنا العربي الهادف لمعالجة أسباب تخلفنا الحضاري والعلمي تكمن في جعل هذا الفكر قادرًا على النهوض بأعباء التنمية العلمية بالبحث عن مستند حضاري متين وأصيل.

فعبر هذا المنطلق ومن خلال هذا المنظور المفهومي للفكر العربي المنبعث مع المعاصرة، لا يكفي تحديد موقفنا من التراث العلمي والأدبي والثقافي، ما لم يصدق التعامل مع هذا التراث الفكري الراسخ في الأصالة، فَصِدْقُ التعامل مع التراث هو الأخذ بالمنهجية العلمية، أي استخدام الأدوات المعرفية ذات الطابع العلمي، ذلك من أجل تحقيق أمرين مهمين هما:

أولاً: الكشف عن العناصر المضيئة أو المضامين النيرة والمشرقة في تراثنا الفكري والعلمي.

وثانيا: تطوير العناصر الإيجابية في هذا التراث وإغناؤها بالعنصر العلمي الحديث وبالطاقات الإبداعية المتنوعة، وهذا بالانفتاح والاقتباس من الفكر الغربي المعاصر، ورفض كل انغلاق أو تقوقع داخل تراثنا القديم.

إن انطلاق فكرنا مع المعاصرة والتحديث يجب أن ينبع من تلك الأصالة والمحافظة على الشخصية العربية الإسلامية من الانصهار أو الذوبان في بوتقة الفكر الغربي، لأن النهضة العلمية العربية المنشودة لا تتحقق إلا في إطار الأصالة مع التفتح على المعاصرة في شكلها الإنساني الشمولي والإيمان بدرجة الربط الصحيح والسليم بين تراثنا الفكري العربي الإسلامي وهمومنا الإنسانية الحاضرة.

وفي نهاية المطاف لا نرى أن الخلل في مسيرة فكرنا العربي يكمن في الممارسة غير السليمة للتراث العربي، ولكن يكمن في القصور المعرفي وغياب النظرة الموضوعية والرؤية النقدية الصادقة لهذا التراث الذي يعد إشعاعا فكريا وحضاريا، وبمعنى آخر، إعادة إنتاج الماضي الإسلامي بالصورة التي تخدم النهضة العلمية، وجعل فكرنا أكثر حداثة، له خصائص المستقبل التي هي خصائص جوهرية تجعل من الماضي والمستقبل عملية تجري بتوسط بين أصالة ماضيه يكون حضورُها واستباقها لنا هو ما سيمكننا من توجيه أنفسنا نحو التقدم والمعاصرة. ولعلّ هذا الشأن يفسر حيثيات تطويع الفكر العربي لينطلق مع المعاصرة في إطار الثبات مع الأصالة والتمسك بميراثنا الفكري من أجل إنعاش نهضتنا الحضارية المعاصرة.

مصطفى بلمشري